مسيحيو العراق

سهيل قاشا

مسيحيو العراق

لا يجوز نشر اي جزء من هذا الكتاب او اختزان مادته بطريقة الإسترجاع، او نقله، على اي نحو، او باي طريقة سواء كانت «الكترونية، او «ميكانيكية»، او بالتصوير، او بالتسجيل أو خلاف ذلك.

All rihgts reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise.

* الكتاب: مسيحيو العراق.
* تأليف: سهيل قاشا.
* الطبعة الأولى لشركة دار الوراق للنشر المحدودة: 2009
* جميع الحقوق محفوظة.
* تصميم الغلاف: جبران مصطفى.
* صور الغلاف: مأخوذة من كتاب العراق صور من الماضي.
* الناشر: شركة دار الوراق للنشر المحدودة.

First edition by Alwarrak Publishing Ltd. 2009

www.alwarrakbooks.com

التوزيع

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - بناية رسامني - طابق سفلي أول
ص. ب 113-6435 بيروت - لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

Alwarrak Publishing Ltd.
Suite 500, 56 Gloucester Road,
London SW7 4UB. UK
Fax: 0044-207 581 9213
Tel: 0044 208-7232775
warraklondon@hotmail.com

سُهيل قاشا

مَسيحيّو العِراق

الفهرس

الإهداء 25
المقدمة 27
اللغة العربية لدى نصارى العراق 31
قبل الإسلام 32
عهد الدولة الأموية 33
عهد الدولة العباسية 34
أحوال نصارى العراق في العصر العباسي 41
الأطباء 45
الترجمة 46
أسباب الترجمة 47
أبو جعفر المنصور 48
هارون الرشيد 49
المأمون 49
أشهر المترجمين 50
نصارى العراق والفتح الإسلامي 53
موقف الخلفاء المسلمين من نصارى العراق 64

في عهد الرسول محمد 65
في عهد الخلفاء الراشدين 66
في العهد الأموي 78
في العهد العباسي 87
دور النصارى في الحضارة الإسلامية 97
النصرانية في الثقافة العربية 101
النصارى والأدب العربي 106
الثقافة العلمية في العصر العباسي 111
الترجمة بعد الفتح الإسلامي 119
أثر النصارى في الطب العربي 128
أثر النصارى في الفلسفة والعلوم الأخرى 134
الطب في العصر العباسي 148
البيمارستانات والتلمذة والشهادة الطبية 150
أنواع المستشفيات 154
المعاهد العلمية 155
الكحالة 155
المعالجة 156
المعالجة والكهرباء 158
توزيع الأدوية ومراقبة الصيدليات 162
الدراسة وتخريج الأطباء 162
أمانة الأطباء في تلك الأيام 163
الأبحاث الطبية 164
الترجمة والتأليف في الطب 168

يحيى بن عدي التكريتي 893 هـ/ 974م 171
نسبته ونشأته 171
آثاره ومؤلفاته 176
كتاب تهذيب الأخلاق 183
فصل من كتاب تهذيب الأخلاق 187
حنين بن إسحاق من مشاهير المفكرين السريان في القرن التاسع 190
1 ـ حياته ونشاطه الفكري 190
2 ـ فكره الفلسفي والديني 192
أ ـ في كيفية إدراك حقيقة الديانة 192
ب ـ في الضوء وحقيقته 193
1 ـ مفهوم الحقيقة 195
2 ـ بين العقل والإيمان 198
3 ـ نظرية الضوء 200
3 ـ دوره كمترجم في تاريخ الفكر 203
أ ـ الترجمات التي حققها 203
ب ـ طريقته في الترجمة 204
ج ـ مدرسة حنين بن إسحاق 205
د ـ مراجعة ما نقله غيره من المترجمين 207
هـ ـ دوره في تاريخ الفكر العربي 207
قسطا بن لوقا البعلبكي 817 ـ 912م 209
تولُّدُهُ ونشأته 210
قسطا الطبيب 212
قسطا في بغداد 213

مكانة قسطا في الترجمة 215
قسطا الفيلسوف 217
مؤلفاته 219
أبرز مؤلفاته ومصنفاته 219
ترجماته 221
وفاته 223
الخاتمة 224
المصادر 226
آل بختيشوع ودورهم في الحضارة الإسلامية 229
آل بختيشوع في جنديسابور 231
آل بختيشوع في خدمة الخلفاء والأمراء 234
العوامل التي ساعدت على بروز آل بختيشوع 241
آل بختيشوع و«صناعة الطب» 250
شهادات في كفاءة آل بختيشوع 259
مكانة آل بختيشوع الأدبية 261
ثروة آل بختيشوع المالية 264
آل بختيشوع والحياة السياسية 268
المتاعب التي واجهها آل بختيشوع 271
الخاتمة 275
أحوال نصارى العراق في العهد العثماني (1534 ـ 1918م) 278
المسيحيون العراقيون ودورهم في بناء العراق الحديث 296
أولاً: الصحفي داود صليوا (1852 ـ 1921) 297
ثانياً: البطريرك مار عمانوئيل توما (1900 ـ 1947) 297

ثالثاً: المطران جرجس قندلا (1889 ـ 1980) 297
رابعاً: الخوري يوسف خياط الموصلي (1903 ـ 1947) 298
خامساً: المناضل ثابت عبد النور 298
رجال النهضة العراقية الحديثة 299
الروّاد المؤسسون 299
1 ـ القس الياس بن حنا الموصلي (القرن السابع عشر) 300
2 ـ الأستاذ يوسف عتيشا الموصلي 300
3 ـ خضر بن الياس هرمز الموصلي (1679 ـ 1755) 301
4 ـ المطران إقليميس يوسف داود (1829 ـ 1890) 301
5 ـ البطريرك أغناطيوس أفرام رحماني (1897 ـ 1929) 301
6 ـ البطريرك الكاردينال مار أغناطيوس جبرائيل الأول تبوني (1879ـ 1968) 302
7 ـ البطريرك جرجس خياط (1828 ـ 1890) 302
الآثاريون والمنقبون 303
1 ـ الدكتور هرمز نمرود رسّام (1826 ـ 1901) 303
2 ـ الأستاذ فؤاد سفر (1910 ـ 1978) 303
3 ـ عبد الكريم بني 304
4 ـ بشير فرنسيس (1909 ـ 1994) 304
5 ـ الدكتور بهنام أبو الصوف (1931 ـ . . .) 305
اللغويون 306
1 ـ الأب أنستاس الكرملي (1866 ـ 1948) 306
2 ـ المطران إقليميس يوسف داود (1829 ـ 1890) 307
3 ـ المطران يعقوب أوجين منّا (1867 ـ 1928) 307
4 ـ الأسقف بطرس سابا (1893 ـ 1961) 307

5 ـ المطران أدّي شير (1867 ـ 1915) 308
6 ـ الدكتور يوئيل يوسف (1932 ـ . . .) 308
7 ـ يوسف يعقوب مسكوني (1903 ـ 1971) 309
الصحفيون 310
1 ـ روفائيل بطي (1901 ـ 1956) 310
2 ـ المطران سليمان الصائغ (1886 ـ 1961) 311
3 ـ سليم حسّون (1873 ـ 1947) 311
4 ـ توفيق السمعاني (1904 ـ 1983) 311
5 ـ ميخائيل تيسي (1895 ـ 1962) 312
المعلمون والمدرّسون 313
الأكاديميون والعلماء المختصّون 314
1 ـ العلّامة متي عقراوي (1901 ـ 1982) 314
2 ـ متي ناصر مقادسي (1935 ـ . . .) 315
3 ـ بشير الياس اللوس (1905 ـ 1964) 315
4 ـ الدكتور يوسف النعمان (1923 ـ 1986) 316
6 ـ يوسف هرمز جعو (1892 ـ 1965) 317
7 ـ أنطوان صبري أنطون (1945 ـ . . .) 317
8 ـ الأب بول نويا (1925 ـ 1980) 317
9 ـ جورج يوناثان سركيس (1936 ـ . . .) 318
10 ـ ريمون نجيب شكوري (1932) 318
الأطباء والجرّاحون والصيادلة 319
1 ـ أدوار زيا عطا الله (1918 ـ 1957) 319
2 ـ آرام دوديان (1894 ـ 1957) 319

3 ـ اسكندر عتيشا (؟ ـ 1961) 319
4 ـ أميرزا طوروس كنتجيان (1883 ـ 1966) 320
5 ـ إميل اسكندر كرابيت (1922 ـ 1966) 320
6 ـ بيثون رسام (1904 ـ 1965) 320
7 ـ جميل دلالي (1891 ـ 1957) 320
8 ـ جورج غزالة (؟ ـ 1961) 320
9 ـ حنا خياط (1884 ـ 1959) 320
10 ـ الدكتور رئيسيان الأرمني 321
11 ـ زاريه زاكار يريمان: (؟ ـ 1966) 321
12 ـ ستافري جبرائيل (1882 ـ 1966) 321
13 ـ عبد النور ممو (1912 ـ 1966) 321
14 ـ فريد ناسي (1913 ـ 1956) 321
15 ـ فوزي أنور عزّو: (؟ ـ 1966) 321
16 ـ نقولا جورج (؟ ـ 1953) 321
17 ـ وارطان ديرزاري: (؟ ـ 1957) 321
18 ـ وديع جبوري: (؟ ـ 1967) 322
19 ـ وليم فرج قرياقوس: (1919 ـ 1965) 322
20 ـ يوسف جبور: (؟ ـ 1963) 322
21 ـ بوغوص بوغوصيان (1929 ـ ؟) 322
22 ـ توما جبرائيل هندو (1910 ـ ؟) 323
23 ـ جورج رؤوف اللوس (1918 ـ 1986) 323
24 ـ غانم يعقوب عقراوي (1921 ـ ؟) 324
25 ـ فيلكس يوسف رزوق (1926 ـ ؟) 324

ملاحظة 325
المحامون ورجال القانون 326
1 ـ يوسف الياس إسحاق حسّو (1942 ـ ؟) 326
2 ـ جورج جرجي (1894 ـ 1965) 326
3 ـ داود الصائغ (1907 ـ ؟) 327
4 ـ شاب توما منصور (1930 ـ ؟) 327
5 ـ متي إسحاق موسى (1925 ـ ؟) 328
6 ـ أنطوان شماس (1887 ـ 1957) 328
7 ـ جبرائيل البناء (1901 ـ 1961) 328
الكتّاب والأدباء 330
1 ـ بنيامين ميخا يوسف حداد (1931 ـ ؟) 330
2 ـ سليمان غزالة: (1845 ـ 1929) 330
3 ـ المطران غريغوريوس بولس بهنام (1916 ـ 1969) 331
4 ـ الأب يوسف حبي (1940 ـ 2000) 331
5 ـ المطران لويس ساكو (1948 ـ) 332
6 ـ ميخائيل عواد (1912 ـ 1994) 332
7 ـ يعقوب أفرام منصور (1925 ـ . . .) 333
8 ـ يوسف عبد المسيح ثروة (1921 ـ 1994) 333
9 ـ يوسف قوزي (1933 ـ . . .) 334
10 ـ يوسف متي (1914 ـ 1979) 334
11 ـ يوسف يعقوب حداد (1927 ـ . . .) 335
12 ـ إبراهيم بطرس إبراهيم (1903 ـ 1962) 335
13 ـ أدمون صبري: (1921 ـ 1975) 335

14 ـ باسيل عكولة (1932 ـ . . .) 336
15 ـ بهنام وديع أوغسطين (1935 ـ . . .) 336
16 ـ جبرائيل حنوش (1850 ـ 1923) 337
17 ـ يعقوب سركيس (1875 ـ 1959) 337
18 ـ لطفي الخوري (1923 ـ 1988) 337
19 ـ كوركيس عواد (1908 ـ 1992) 338
20 ـ ليون لورنس عيسايي (1886 ـ 1938) 339
21 ـ أدمون سليمان لاسو (1962 ـ . . .) 339
22 ـ عبد المسيح وزير (1889 ـ 1943) 339
23 ـ هيثم بهنام بُردة (1953 ـ . . .) 340
24 ـ يونان عبو يونان (1893 ـ 1965) 340
25 ـ يوسف الصائغ (1933 ـ 2005) 340
الشعراء 342
1 ـ شموئيل إيرميا مخائيل (1941 ـ . . .) 342
2 ـ رزوق فرج رزوق (1919 ـ . . .) 342
3 ـ فرنسيس بطرس كرمو (1887 ـ 1962) 343
4 ـ ألفريد سمعان حنا (1929 ـ . . .) 343
5 ـ سركون بولص (1944 ـ 2008) 343
5 ـ بطرس قاشا (1910 ـ 1989) 344
7 ـ القس يوسف سعيد (1936 ـ . . .) 344
المسرحيون 345
1 ـ بهنام ميخائيل (1931 ـ 1989) 345
2 ـ حنا رسّام (1890 ـ 1958) 346

3 ـ عوني كرومي (1945 ـ 2007) 346
4 ـ ريكاردوس يوسف بربر (1952 ـ . . .) 346
5 ـ توماس حبيب (1918 ـ . . .) 347
الموسيقيون 348
1 ـ فائق حنا مروكي (1939 ـ . . .) 348
2 ـ فريد الله ويردي (1924 ـ . . .) 348
3 ـ آرام آميناك بابوخيان (1923 ـ 1995) 349
4 ـ سعيد شابو (1910 ـ 1995) 349
5 ـ غانم إيليا حداد 350
6 ـ منير بشير (1930 ـ 2001) 350
7 ـ جميل بشير (1921 ـ 1977) 351
8 ـ باسم حنا بطرس (1934 ـ . . .) 351
9 ـ حنا بطرس (1896 ـ 1950) 352
الرسّامون والمصوّرون 353
1 ـ هيثم فتح الله عزيزة (1955 ـ . . .) 353
2 ـ صبيح نعامة (1913 ـ . . .) 354
3 ـ عيسى حنا (1919 ـ ؟) 354
4 ـ فرج عبو (1921 ـ 1984) 355
5 ـ سامي لالو جحولا (1942 ـ . . .) 355
المؤرخون والباحثون 357
1 ـ المطران أثناسيوس بهنام قليان (1883 ـ 1949) 357
2 ـ الأب أوغسطين مرمرجي (1881 ـ 1963) 357
3 ـ المطران إيرميا طيمثاوس مقدسي (1847 ـ 1929) 358

4 ـ البطريرك بولس شيخو (1906 ـ 1989) 358
5 ـ الخوري بولس بيداري (1887 ـ 1974) 359
6 ـ المطران توما أودو (1855 ـ 1915) 359
7 ـ المطران تئوفيلس يوسف رباني (1889 ـ 1973) 360
8 ـ جوزيف ملكون (1929 ـ ؟) 360
9 ـ الخوري حنا رحماني (1881 ـ 1969) 360
10 ـ داود سليمان متيتي (1924 ـ . . .) 361
11 ـ الخوري عبد الأحد جرجي (1870 ـ 1950) 361
12 ـ الأب عمانوئيل بتق الدومنيكي (1933 ـ . . .) 362
13 ـ ألفونس منكنا (1878 ـ 1937) 362
14 ـ الأب نرسيس صائغيان (1878 ـ 1953) 363
15 ـ الخوري يوحنا عزّو (1877 ـ 1954) 363
16 ـ الخوري أفرام عبادل (1904 ـ 1966) 364
17 ـ البطريرك أغناطيوس أفرام برصوم (1887 ـ 1957) 364
18 ـ القس بطرس نصري (1861 ـ 1917) 365
19 ـ المطران ديونوسيوس أفرام نقاشة (1850 ـ 1920) 365
20 ـ فرج بصمه جي (1915 ـ 1987) 366
21 ـ المطران سويريوس إسحاق ساكا (1931 ـ . . .) 367
22 ـ المطران ديونيسيوس بهنام حجاوي (1925 ـ . . .) 367
23 ـ روفائيل بابو إسحاق (1893 ـ 1964) 367
24 ـ البطريرك روفائيل بيداويد (1922 ـ 2001) 368
25 ـ البطريرك أغناطيوس زكا عيواص (1933 ـ . . .) 369
26 ـ المطران غريغوريوس صليبا شمعون (1932) 369

27 ـ المطران كوركيس كرمو (1921 ـ 1999) 370
28 ـ مجيد خدوري (1909 ـ 2001) 371
29 ـ يونان عبو اليونان (1893 ـ 1965) 372
30 ـ يوسف الريحاني (1898 ـ 1968) 372
31 ـ الأب ألبير أبونا (1925 ـ . . .) 372
النساء العراقيات المسيحيات 374
1 ـ ألبرتين إيليا حبوش (1929 ـ . . .) 374
2 ـ جانيت حبيب توما (1939 ـ . . .) 376
3 ـ دنيا ميخائيل (1965 ـ . . .) 376
4 ـ أمل إيليا نجار (1932 ـ . . .) 377
5 ـ بياتريس أوهانسيان (1927 ـ . . .) 377
6 ـ خمّي بوداغ يوخنًا (1952 ـ . . .) 378
7 ـ رني بشير سرسم (1923 ـ . . .) 378
8 ـ أوديت مارون بدران (1943 ـ . . .) 379
السّياسيون 380
1 ـ داود يوسفاني (1854 ـ 1923) 380
2 ـ الدكتور حنا خياط (1884 ـ 1959) 381
3 ـ الخوري يوسف الخياط (1882 ـ 1947) 381
4 ـ حنا زيوني (1870 ـ 1948) 381
5 ـ يوسف عبد الأحد (؟ ـ 1932) 381
6 ـ يوسف سركيس (1884 ـ 1978) 381
7 ـ يوسف حبيب أوفي (1875 ـ 1965) 382
8 ـ الدكتور وديع جبوري (1903 ـ 1967) 382

9 ـ يوسف سلمان يوسف (1901 ـ 1949) 382
10 ـ رزوق أنطوان شماس (1914 ـ 1986) 383
11 ـ يوسف رسّام (1891 ـ 1959) 384
12 ـ البطريرك يوسف عمانوئيل توما الثاني 384
13 ـ البطريرك يوسف السابع غنيمة (1881 ـ 1958) 384
14 ـ البطريرك إيشاي مار شمعون (1910 ـ 1976) 385
15 ـ طارق عزيز (1936 ـ . . .) 387
متفرّقات 389
1 ـ يوسف زيّا عبّو (1935 ـ . . .) 389
2 ـ المطران يوليوس جرجس قندلا (1889 ـ 1980) 390
3 ـ يوسف الريحاني (1898 ـ 1968) 391
4 ـ المطران ميخائيل جميل (1938 ـ . . .) 391
5 ـ الخوري ميخائيل صائغ (1909 ـ 1979) 391
6 ـ القس موسى متي الشمّاني (1923 ـ 1976) 392
7 ـ كامل قزانجي (1907 ـ 1959) 392
8 ـ فؤاد يوسف قزانجي (1935 ـ . . .) 393
9 ـ فائق ميخائيل أودو (1932 ـ 1969) 394
10 ـ فارس فرج قصيرة (1949 ـ . . .) 394
11 ـ فائز نعوم پاك (1951 ـ . . .) 395
12 ـ الخوري روفائيل جبري (1869 ـ 1937) 395
13 ـ المطران طيمثاوس أفرام عبودي (1930 ـ . . .) 396
14 ـ دولة موسى أبونا (1947 ـ . . .) 397
15 ـ المطران بولس دانيال (1831 ـ 1916) 397

16 ـ جورج حيقاري (1888 ـ 1975) 397
17 ـ جلال بشير سرسم (1936 ـ . . .) 398
18 ـ المطران أثناسيوس توما قصير (1870 ـ 1951) 399
19 ـ القس توما إسطفو (1908 ـ 1990) 399
20 ـ بشير حنا سرسم (1892 ـ 1971) 399
21 ـ الخوري الياس صقال (1925 ـ 1995) 400
22 ـ القس جبرائيل جرخي (1926 ـ 1990) 400
23 ـ إلهام بشير اللوس (1940 ـ . . .) 401
24 ـ باسمة أيشوع شمعون مقدسي حسو (1955 ـ . . .) 401
25 ـ المطران أندراوس حنا (1920 ـ . . .) 401
26 ـ أنور نعيم قصيرة (1934 ـ . . .) 402
27 ـ أنيس وزير (1908 ـ 1968) 402
28 ـ بنيامين ميخا حداد (1931 ـ . . .) 402
29 ـ بيتر يوسف (1923 ـ . . .) 403
30 ـ توما عبد الأحد شماني (1926 ـ . . .) 403
31 ـ المطران جرجيس بولص المزيّن (1938 ـ . . .) 404
32 ـ حارث يوسف غنيمة (1925 ـ . . .) 405
33 ـ القس بيوس عفاص (1939 ـ . . .) 405
34 ـ صبري ميخائيل فرّوحة (1928 ـ . . .) 406
35 ـ ليون لورنس عيسايي (1886 ـ 1938) 407
36 ـ وسام مرقس السندي (1960 ـ . . .) 407
37 ـ بهنام فضيل عفاص (1934 ـ . . .) 407
38 ـ الأب يوحنا عيسى يوسف (1949 ـ . . .) 408

39 ـ المهندس نعيم منصور قاشا (1945 ـ 2006) 408
40 ـ أرداش كاكافيان (1940 ـ . . .) 409
41 ـ أنطون صبري أنطون (1945 ـ . . .) 409
42 ـ الأب أشموئيل جميل (1847 ـ 1917) 409
43 ـ مجدي منصور قاشا (1941 ـ . . .) 410
44 ـ بسّام فرج (1943 ـ . . .) 410
45 ـ المطران توما ريّس (1898 ـ 1965) 411
46 ـ جبرائيل حنوش (1850 ـ 1923) 411
47 ـ فاضل كرومي (1922 ـ . . .) 411
48 ـ الدكتور كريم متي (1921 ـ . . .) 411
49 ـ هاشم سمرجي (1939 ـ . . .) 411
50 ـ القس يوسف ككي (1913 ـ 1979) 412
51 ـ العقيد يونان يوسف قاشا (1942 ـ 2003) 412
52 ـ يوسف رزق الله غنيمة (1885 ـ 1950) 412
53 ـ يوسف أمين قصير (1920 ـ . . .) 413
54 ـ العميد فرج يوسف قاشا (1952 ـ 1995) 413
55 ـ نضير نعوم مطلوب (1914 ـ . . .) 414
56 ـ رياض حازم متي شابو السناطي (1963 ـ . . .) 414
57 ـ الأب لويس قصاب (1935 ـ . . .) 415
58 ـ الخور أسقف فرنسيس جحولا (1962 ـ . . .) 416
59 ـ يعقوب أفرام منصور (1926 ـ . . .) 416
60 ـ المحامي نوئيل رسام (1910 ـ 1990) 417
61 ـ الدكتور يوسف جرجيس ألطوني (1950 ـ . . .) 418

62 ـ الأب الدكتور بهنام سوني (1941 ـ . . .) 418
63 ـ الدكتور عبد الله شميس (1951 ـ . . .) 419
64 ـ الدكتور خليل ككي (1945 ـ . . .) 419
65 ـ الدكتور كميل متي حداد (1956 ـ . . .) 420
66 ـ الدكتور ميخائيل جحولا (1953 ـ . . .) 420
67 ـ الدكتور نجيب منصور قاشا (1957 ـ . . .) 421
68 ـ الدكتور عبد المسيح قريو (1959 ـ . . .) 422
69 ـ الدكتور يوسف خضر دعبول (1955 ـ . . .) 422
70 ـ الدكتور لؤي جحولا (1959 ـ . . .) 423
71 ـ الدكتور رياض حبش (1958 ـ . . .) 423
72 ـ الدكتور شيت يوسف حنو (1957 ـ . . .) 424
73 ـ الدكتور باسم إيليا بلّو (1957 ـ . . .) 424
74 ـ الدكتور متي عبو كَرَش (1954 ـ . . .) 425
75 ـ الدكتور بهنام عبو عطا الله (1956 ـ . . .) 425
76 ـ الدكتور بشار خضر قاشا (1966 ـ . . .) 426
77 ـ الدكتور ألويس عبوش هدايا (1955 ـ . . .) 426
78 ـ الدكتور أسامة سعد الله قصاب (1969 ـ . . .) 427
79 ـ الدكتور حنا سليم شماس (1925 ـ 1998) 428
80 ـ الأستاذ يوسف الصائغ (1933 ـ 2005) 429
81 ـ الدكتورة أمل رسام (. . . ـ . . .) 430
83 ـ يوسف راجز داود بيو (1914 ـ . . .) 431
84 ـ الخوري برصوم أيوب (1932 ـ 1998) 432
85 ـ القس يعقوب ساكا (1864 ـ 1931) 432

86 ـ متفرّقات 433
87 ـ حَمَلة ـ الماجستير 433
المصادر والمراجع 435
أولاً: الكتب التراثية القديمة 435
ثانياً: الكتب التاريخية الحديثة 438
ثالثاً: كتب المستشرقين 442
رابعاً: المجلات التاريخية 443
كلمة أخيرة 445

«العراق نور لا ينطفئ

«ومَعين لا ينضب»

وحضارة لا تندثر

إلى جميع أبناء العراق العريق

أرفع هذه الصفحات رمزاً لوحدة الأمة العراقية

شعباً وأرضاً وهدفاً

قوة وعزة وكرامة.

الإهداء

أخي العراقي
دمي دمك
أرضي أرضك
عَلَمي علمك
على ضفاف دجلة والفرات
لعبنا ونلعب
بأرض شنعار نبني الزقورات الجديدة
بسهول بغداد نغرس النخيل الجديد
مع مآصر البصرة نتآصر من جديد...
إليك أخي العراقي
إليكِ أختي العراقية
أرفع كتابي المتواضع هذا
هدية لشهامتكم
هدية لأصالتكم

هدية لحضارتكم

مسلمين ومسيحيين وأقلّيات

نبني عراقاً جديداً ومجداً تليداً

1 تموز 2008

المقدمة

صور حضارة مشرقة ومتجذّرة بالصورة الكبرى للعراق العريق، من خلال العلاقات الأخوية بين سكان العراق العربي الأصيل، مسلمين، ومسيحيين، وسائر أبناء المذاهب والمجد الواحد.

هذه «اللمحات» وهذه «الصور» كنت قد نشرتها في مجلات عربية وعراقية، وكانت في حينه قد نالت استحسان المطالعين وإعجابهم، لما انطوت عليه من خطوط واضحة، وألوان زاهية، بنبذ موثوقة عن حياة المسيحيين والمسلمين الحقيقية، في الميادين كافة، الاجتماعية منها، والفكرية، والثقافية، والاقتصادية والدينية أيام الدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها، بدءاً بالخلافة الراشدية والأموية، وانتهاء بالعباسية، وسقوط بغداد عام 1258م.

واليوم يسعدني أن أعيد نشر هذه الصور بين دفّتي كتاب لما تضمّه من دروس وعبر فنعيد إلى الأذهان قوة تلك العروة الوثقى التي كانت تربط أبناء الأمة الواحدة، في الوطن الواحد، التي يبرهن التاريخ على عمق المساحات التي أبداها المسيحيون في ترسيخ غاياتها وتأهيل ميادينها بكل أمانة وإخلاص.

«هذه اللمحات» التي استقيتها من بطون المصادر العربية الأصيلة، ما هي إلّا تأكيد بأن الإسلام بكتابه الكريم خصّ بأهل الكتاب مكانة مرموقة على عهد خلفاء الدولة العربية الإسلامية عبر العصور، بالمواثيق والعهود التي أبرموها مع رؤسائهم الروحانيين، الذين كانوا يتمتعون بصداقات عميقة معهم حيث كانت تجمعهم المجالس والمناسبات العامة والخاصة.

كثيرة هي الاتهامات الملفّقة التي توجّه إلى المسلمين وخلفائهم من قبل

مؤرّخي الغرب وأتباعهم من أنهم كانوا يظلمون أهل الذمّة من المسيحيين واليهود وغيرهم، وأغلبها اتهامات مزوّرة.

لهذا أتيت بكتابي هذا شارحاً ومدققاً، داحضاً ومحققاً، لإثبات العكس، وتوضيح تلك العلاقات الأخوية بين المسلمين والمسيحيين، بحسب الإسلام وكتابه الكريم، وما منحه لهم من التسامح والترابط بينهم على صعيد الأخوة والإيثار، والعمل الواحد في الوطن الواحد.

إن بعض الظلم، ونقض البراءات التي أنزلها بعض الخلفاء والولاة بأهل الذمة في فترات مزاجية وعصبية ليس معناه أن الإسلام يدعو إلى الظلم، إنما إلى التصرف الفردي للخليفة، ولا يدلّ مباشرة على أن السلطة بكاملها وعلى مرّ التاريخ قد نهجت هذا النهج الخاطىء.

من هنا، وعليه، بدا عملنا الدؤوب لنظهر العلاقة الطيبة والمتينة بين شرائح مجتمع الدولة العربية الإسلامية بالمستوى المعيشي والاجتماعي والثقافي الذي بلغته أهل الديانات الغير إسلامية مع رجال الدولة المسلمين، فلقد تبوّأ أبناء هذه الديانات مكانات سامية في المناصب العلّية، أطباء ومهندسين، كتّاب ومترجمين، أرباب أعمال وحرفيين، كما توضحه هذه «اللمحات» التاريخية الزاهية بأحداثها المتباهية، التي نضعها بين يديك أيها القارىء الكريم.

واستندت في هذه الدراسات إلى مصادر قديمة، ومراجع عربية وأجنبية، ضارباً في الجذور التي بنيت عليها هذه «اللمحات» ومعتمداً في الوقت نفسه على أصدق ما كُتب وما قيل، على ضوء النقد العلمي الرصين والتفاعل العالمي الحيّ من خلال المفاهيم الإنسانية الحديثة، بعين الحضارة الأمينة، وليس على ما نسميه اليوم جزافاً صراع الحضارات أو الأديان والتي تؤدّي بنا إلى العولمة، الماحقة والملحدة. فالحضارات تزاوج وتلاقٍ، والأديان دعاة سلام ومحبة.

وكنتيجة حتمية لكتابنا هذا هو تبيان الحقيقة في العيش الواحد الذي كان يمارسه أجدادنا القدماء في ندوات المجالس، وحوارات الفكر، وجدالات

المذاهب، أثمرت فيها المحبة، والتعاون، والتسامح، والعلاقات الإنسانية، والتي نصبو إليها في مجتمعنا اليوم مستقبلين القرن الحادي والعشرين بذهنية جديدة ونيات سليمة غير مبيتة، مبنية على الأخوّة والتسامح والصلات المميزة، فيعرف كل حدوده، حقوقه، وواجباته لخدمة الوطن والدفاع عنه والنهوض بالأمة إلى أسمى مراتب التطوّر العلمي والانفتاح الفكري والرقيّ الاجتماعي، فنعيش في وطن حرّ وحياة حرّة.

لقد كسرنا الكتاب إلى قسمين:

الأول: مسيحيو العراق ضمن فترة الحكم الإسلامي أيام الدولة الأموية، والدولة ـ العباسية، إضافة إلى فترة الخلفاء الراشدين (632 ـ 1258).

والثاني: أحوال المسيحيين فترة الحكم الوطني ـ الملكي (1921 ـ 1958) والجمهوري (1958 ـ 2000) وإلى يومنا هذا.

فإلى جميع العراقيين أوجّه ندائي الأخوي.

ما أحوجنا اليوم إلى إعادة ذلك التاريخ الرصين النزيه في العلاقات الأخوية والوطنية الواحدة.

أن نتكاتف سوية بكلمة واحدة سيما هذه الأيام التي بلدنا تحت الاحتلال المقيت والواجب يدعونا إلى تحريره، ونعيد إليه أمجاده في كل الميادين الحضارية الإنسانية، لا يفرّقنا مفرّق، ولا يستغلّنا مستغل، فإن عدوّنا واحد، يحاول أن يبث بذور الفتنة بسياسة معروفة «فرِّق تسُد».

لنكن واعين وساهرين على سدّ كل الثغرات التي يمكن أن يستغلّها عدوّنا ويشتتنا، فيهدم وطننا، وأخوّتنا، وحضارتنا. ولنصرخ قائلين: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ وكونوا عباد الله إخواناً.

2004/10/28

لبنان

اللغة العربية لدى نصارى العراق[1]

أودُّ اليوم أن أتحدث إليكم، لا عن موضوع ديني، بل عن موضوع تأريخي بحت، ألا وهو «اللغة العربية لدى نصارى العراق» وقد اخترت هذا الموضوع بالذات دحضاً للرأي القائل «ما للنصارى واللغة العربية» في حين أن الواقع يبرهن عكس ذلك، إذ نرى ازدهار هذه اللغة لدى نصارى العراق ازدهاراً كبيراً، شعراً نثراً وكتابة، وأسلوباً، لدى أبناء القبائل العربية الصميمة، التي دخلت النصرانية واعتنقتها مذهباً راسخاً وديناً لا تحيد عنه قيد شعرة.

انتشرت النصرانية في العراق في غضون المائة الأولى للميلاد، فترك سكانه المتنصِّرون اسمهم القديم وأسموا نفوسهم (سرياناً) تمييزاً لهم عن الوثنيين. وقد استحسنوا هذه التسمية لأن النصرانية وافتهم من سوريا وكلمة (سورايا) الآرامية معناها (نصراني) وإلى يومنا هذا لا تزال (سورايا) تعني المتكلمين باللغة الآرامية العامية[2] (السورث) مرادفة للكلمة (نصراني) لأي جنس أو أمة كان.

بعدئذٍ انتشرت النصرانية في اليمن وحضرموت وعُمان وفي غيرها من البلاد العربية منذ القرون الأولى للميلاد. وعاش من دان بها بين مواطنيهم في وئام وسلام. فكان أبناء القبائل العربية يختلفون إلى صوامع وديارات الرهبان

---

(1) ألقيت هذه المحاضرة في ندوة المعلمين المسيحيين بالموصل بتاريخ 12/ 12/ 1968.

(2) وما زال يتكلم بها سكان باخديدا (قره قوش)، برطلي، وكرمليس، وتلكيف والقوش وباطنايا، وتل أسقف وباقوفا، وأغلب سكان قرى لواء الموصل الشمالية المسيحية.

وإلى كنائس وبيع الكهنة ليتعلموا القراءة والكتابة. وممّن وافتنا أسماؤهم، أبو البراق بن روحان بن نوفل والمرقّش الأكبر وهو أبو عمر الشيباني وأخوه حرملة.

قال الفيروز أبادي: «العُباد قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة» في العراق.

وقال اليعقوبي في تأريخه: «وأما من تنصّر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العُزّى منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد. ومن بني تميم امرؤ القيس بن زيد مناة. ومن ربيعة بنو تغلب. ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم وتزندق حجر بن عمر الكندي.

وقال ابن قتيبة: «كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة».

وتكلمت الأخبار عن انتشار النصرانية في غيرها من القبائل العربية منها: بكر وإياد وكندة وضبيعة والأوس وحمير ويشكر وجذام وتغلب.. وكانت هذه القبائل كلها منتشرة في الجزيرة[1] والشام والعراق. ولم تنقطع في يوم من الأيام الهجرة من جزيرة العرب إلى الأقطار العربية منذ عصور متوغلة في القدم وهكذا تأصلت اللغة العربية بين نصارى العراق لأنها كانت لغتهم التي يعتزّون بها.

قبل الإسلام

خدم النصارى اللغة العربية وتعهدوا في كل زمان آدابها وعلومها. ففي الجاهلية نبغ منهم خطباء وشعراء. فخطب قس بن ساعدة الأيادي (المتوفى سنة 600م) آية في البلاغة وأساليب البيان[2]. وشعراء القبائل العربية

---

(1) تسمى اليوم بجزيرة ابن عمر وهي البقعة الواقعة بين دجلة والفرات أي شماليهما وتنحصر في منطقة ديار بكر وماردين ونصيبين وغيرها.

(2) النصرانية وآدابها 2: 326 - 332.

المسيحيون رفعوا رايات النهضة الشعرية في البادية ونشروا لواءها في المدن. وأما ملوك الحيرة والشام فكانوا يعززون الشعر ويدنون منه أصحابه ويغدقون عليهم النِعم الكثيرة ويجرون الأرزاق الوافرة.

ومن شعراء النصارى الذين عرفوا في العراق في تلك الآونة عدي بن زيد العبادي (المتوفى سنة 582م) وولداه زيد وعمرو. وعبد المسيح بن بقيلة أحد أعيان الحيرة الذي اشتهر في الجاهلية وصدر الإسلام وغيرهم أنشدوا الشعر ورفعوا قبابه واصفين مادحين هاجين مفاخرين ضافرين[1].

كان لعرب الحيرة وأمرائهم أثر كبير في الشعر العربي والحياة العقلية. فأحاديث جذيمة الأبرش وأساطير الزباء والتغنّي بعظمة الخورنق والسدير وأقاصيص سنمار والأمثال التي ضربت به غيرها شغلت جزءاً كبيراً من الآداب العربية.

عهد الدولة الأموية:

ولما آلت الدولة للأمويين وقبضوا على مقاليد الأمور دانت لهم البلاد فاندفعت هممهم إلى توطيد الدولة بتثبيت الأحزاب السياسية الموالية لهم والحطّ من منزلة خصومهم. فألانوا الجانب للشعراء وبسطوا لهم الأكف فأقبلوا عليهم ينظمون القصيد في مدحهم وينشرون الأشعار في مآثرهم مؤيدين حقهم في الخلافة. فكان شأنهم شأن الصحف الحزبية في عصرنا. فكثر شعر المدح والتفاخر وانتشر شعر الهجاء المقذع...

ومن أشهر شعراء النصرانية الذين عاشوا في ظل الأمويين، الأخطل الملقّب بذي الصليب لأنه كان يعلق صليباً على صدره. فقد شبهه الأئمة الأقدمون بالنابغة لصحة شعره. وأقرّ له الأدباء المسلمون بالزعامة. فمعاوية

(1) الأغاني 2: 17 ـ 40 وشعراء النصرانية ص 439 ـ 473 وفجر الإسلام ص 48. وشعراء النصرانية بعد الإسلام ص 14 ـ 20. والحيرة ص 19 ـ 25 و58 ـ 76 وحضارة الإسلام ص 35.

الثاني بن يزيد (سنة 64 هـ/ 683م) قربه منه وشمله بنعمه وعطاياه. وعبد الملك بن مروان (سنة 65 ـ 86 هـ/ 684 ـ 705م). ولع بشعره فرفع شأنه ولقّبه بشاعر بني أمية وشاعر أمير المؤمنين وأشعر العرب. فجزاء لهذه وتلك هجا هجاء أليماً القيسية أنصار الزبيريين وهجا معهم أحلافهم بني كلب. وفي الوقت نفسه أثنى على الأمويين ثناء لا نظير له[1]. قال حماد الراوية حينما سُئِل عن الأخطل ما تسألونني عن رجل حبّب إليّ شعره النصرانية[2].

واشتهر في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي في أيام الأمويين الشاعر النصراني القطامي. وكان معاصراً للشاعر الأخطل وهو ابن أخته وعاش زماناً بعده. ولم يبلغ عهد العباسيين ولم يتّصل بالخلفاء وإنما بلغ شعره الخليفة عبد الملك بن مروان فاطري جودة قريحته. وقد وصفه القدماء بالشاعر الفحل واستحسنوا نظمه. ومن أحسن قصائده لاميته التي ذكرها أبو زيد القرشي في جمهرة شعراء العرب بين المشوبات[3].

جاء في معجم الشعراء: «وكان ـ القطامي ـ شاعراً فحلاً رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال في شعره»[4].

عهد الدولة العباسية:

انطوى بساط بني أمية وانتقلت الخلافة إلى بني العباس فهدأت الخواطر واطمأنت النفوس وخمدت جلبة المنازعات. فاحتكوا بالأمم الخاضعة لهم

(1) شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 170 ـ 191. وأدباء العرب 1: 317 ـ 345. وخلاصة الذهب المسبوك ص 25.

(2) حضارة الإسلام ص 36.

(3) المراد بالمشوبات القصائد ذات المعاني المختلفة. راجع عن القطامي: شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 191 ـ 203 و390 والنصرانية وآدابها 2: 263 و271. وديوان الحماسة (1346 هـ) ص 128 ـ 129.

(4) معجم الشعراء لأبي عبيد الله محمود المرزباني (مصر 1354 هـ) ص 244.

واقتبسوا منها ما فاتهم من العلوم وتبسّطوا في المعارف وتهافتوا على الصنائع والفنون.

لقد لابس نصارى العراق إخوانهم العرب واختلطوا بهم وطفقوا يتسابقون في درس لغتهم والتفرّغ لإتقانها والتضلّع منها. فكان من هذا السباق ظهور جماعة من الكُتّاب الأعلام تنافسوا في صناعة الإنشاء العربي وتفنّنوا في أساليبه البديعة. فحبّروا الرسائل ووضعوا الكتب ونظموا القصائد وأتوا بالمعاني المبتكرة والاستعارات الرائعة والكنايات اللطيفة والتشبيهات الطريفة مما جعل الخاص والعام يقرّ بفضلها.

ولم يكتفوا بهذا كلّه بل أقبلوا على ترجمة الكتب اليونانية وكانوا قد نقلوا علومها إلى لسانهم وحفظوها ودرسوها في مدارسهم. أما ديارات رهبانهم فكانت حافلة بخزائن الكتب النفيسة المنقولة عن عدّة لغات. فهب النقلة يعرّبون هذه الأسفار ولم يدعوا سفراً معروفاً في تلك الآونة إلّا عرّبوه وبثّوا نسخه في البلاد. فانصرف الناس إلى العلوم ونفقت أسواقها أي نفاق. فبنيت المدارس وشيّدت النوادي الأدبية وازدحمت المعاهد العلمية بالطلاب والمدرّسين. وعلماء الآرامية يشدّون أزر قومهم ويحثّونهم على هذه النهضة مؤسسين المكاتب لأبنائهم ناقلين علوم اليونان إلى لغتهم دائبين على تدريس تلاميذهم. فنبغ منهم في أنواع الآداب والفنون عدّة أدباء أحيوا معالم المعارف وأوضحوا آثارها فذاع صيتهم في الآفاق وحدّث بفضلهم المشرق والمغرب. إذ فاضت العلوم العقلية على اختلاف أنواعها وعربت المعارف اليونانية بجميع فروعها.

نشطت الهمم وانتشرت العلوم والفنون والآداب والصنائع على تباين مقاصدها. فغادر حينئذٍ أدباء الآرامية مدارس الديارات وبارحوا مكاتب الكنائس وأقبلوا يدرّسون اللغة العربية وتضلّعوا منها ونبّه منهم عدد عديد عربوا الكتب وساسوا معاهد التهذيب والمستشفيات وحفلت خزائن الكتب بمصنفاتهم النفيسة. فمن النقلة المعروفين يوحنا بن ماسويه (المتوفى سنة 911م) وأبناء

بختيشوع الذين استمرّت أعقابهم في بني العباس إلى القرن الحادي عشر، وكانوا على التدريس والترجمة في مدارس بغداد والتطبيب في دار الشفاء[1].

وكان الإنجيل قد نقل من الآرامية إلى العربية منذ القرن السابع الميلادي، وقد جدّ في تعريبه البطريرك يوحنا المعروف بأبي السدرات (المتوفّى سنة 648م) على أيدي العرب المسيحيين من بني عقيل وتنوخ وطيء نحو سنة 643[2]. ومن أقدم نصارى العراق الذين كتبوا بلغة الضاد حبيب أبو رائطة التكريتي (القرن السابع للميلاد) والجاثليق طيمثاوس (المتوفى سنة 823م)[3].

وعرف إذ ذاك شعراء وأدباء النصرانية العراقيين أبو قابوس، كان من آل الحيرة منقطعاً إلى البرامكة وتقرّب بهم من الخليفة هارون الرشيد (المتوفى سنة 193 هـ/ 809م)[4].

واشتهر في القرن التاسع الميلادي عيسى بن فرخنشاه. كان من أهل بغداد ومن كتّاب ديوان الخلفاء. وقد اتخذه الخليفة المستعين بالله (سنة 248 ـ 255 هـ/ 866 ـ 872م) فكان مقامه كمقام الوزير[5]

وممن تضلّع من اللغة العربية من مسيحيي وادي الرافدين في أيام المطيع لله الخليفة العباسي (334 ـ 363 هـ/ 946 ـ 974م)[6] يحيى بن عدي التكريتي (المتوفّى سنة 975م)[7]. قال ابن أبي أصيبعة: «إليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية وفي زمانه قرأ على بشر متي وعلى أبي نصر الفارابي وعلى

(1) أحوال نصارى العراق ص 84 ـ 86.

(2) التاريخ الكنسي ج 1 ص 275 ـ 279. اللؤلؤ المنثور ص 279. عصر السرياني الذهبي ص 16 ـ 17. مجلة النجم 22: 278 ـ 283 و8: 130 ـ 133.

(3) ذخيرة لأذهان ج 1 ص 297 و344 ـ 345. اللؤلؤ المنثور ص 332.

(4) ضحى الإسلام 1: 348.

(5) شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 264.

(6) عيون الأنباء 1: 235.

(7) أخبار الحكماء ص 212. تاريخ مختصر الدول ص 297.

جماعة أُخرى. وكان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأكثر» ووصفه أبو حيّان التوحيدي[1]: «كان شيخاً لين العريكة.. مبارك المجلس ينبهر في الإلهيات ويضلّ فيها». ونقل من الآرامية إلى العربية زهاء عشرة أسفار ووضع أكثر من خمسين رسالة. وله تفاسير ونقول عدة[2].

ومنهم أبو علي عيسى بن زرعة (المتوفى سنة 1008م) ولد في بغداد وكان من المنطقيين والنقلة البارزين. وقد اشتهر بنقل الأسفار الحكمية والعلمية ولا سيما من اليونانية والآرامية إلى العربية، ووضع رسائل فلسفية وألّف بالآرامية خمسة كتب في المنطق والطب، وعرّب ستة أخرى من الآرامية، وقد فضّله أبو حيان على يحيى بن عدي بقوله: «إنه كان حسن الترجمة صحيح النقل. كثير الرجوع إلى الكتب، محمود النقل إلى العربية، جيد الوفاء بكل ما حلّ من الوفاء... ولولا توزّع فكره في التجارة ومحبته في الربح وحرصه على الجمع وشدّته على المنع لكانت قريحته تستجيب له»[3].

ومنهم أبو الفرج عبد الله بن الطيب (المتوفى سنة 1043م). ولد في بغداد من بيت عريق في النبل. ومنذ صباه أقبل يجدّ ويطالع وانقطع إلى التديّن والزهد حتى صار قسيساً. وانتخبه الجاثليق إيليا الأول (المتوفى سنة 1049م) كاتماً لسره فقام بأعباء وظيفته خير قيام. وكان طبيباً ماهراً وفيلسوفاً خبيراً عالج بجدّ وإخلاص المرضى في البيمارستان العضدي[4] وعلم فيه مدة سنين عديدة علوم الطب. وإقامة الخليفة القائم بأمر الله (422 ـ 489 هـ/ 1031 ـ 1075م)

(1) كتاب الإمتاع والمؤانسة 1: 37.

(2) ذخيرة الأذهان 1: 449. مجلة النجم 9: 12. شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 254 - 256.

(3) كتاب الإمتاع والمؤانسة 1: 33. الفهرست ص 264. عيون الأنباء: ج 1 ص 235. تاريخ مختصر الدول ص 315 ـ 316. ذخيرة الأذهان: ج 1 ص 489. مجلة النجم 9: 17 ـ 18. عصر المأمون ج 1 ص 380.

(4) ينسب هذا البيمارستان إلى عضد الدولة وقد أمر ببنائه في الجانب الغربي من بغداد بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع. وقد فرغ من بنائه سنة 368 هـ/ 966م. وفتح للاستشفاء عام 371 هـ/ 981م.

رئيساً على الأطباء. أما شرحه وتعليقاته على الكتب القديمة في المنطق وأسفار أرسطو ومؤلفات جالينوس فتشهد له بالتقدم والشهرة. وقد فسّر الإنجيل تفسيراً شافياً كافياً وحبّر رسالة أنيقة في المحبّة تنمّ عن نفس شريفة متفانية لخير الإنسانية. قال ابن العبري[1]: «فأما أنا وكل مصنف فلا يقول إلّا إن أبا الفرج بن الطيب قد أحيا من هذه العلوم ما دثر وأبان منها ما خفي». وتتلمذ له جماعة سادوا وأفادوا منهم المختار بن الحسن عبدون المعروف بابن بطلان[2].

وممن عرف في مطاوي القرن الثاني عشر للميلاد معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن صاعدة بن يحيى بن التلميذ (المتوفى سنة 1118م)، كان في زمانه طبيب الدولة العباسية ويستشار برأيه وله الفضل الوافر والأدب الغزير والمعرفة الكاملة. وقد نال المنزلة العالية عند الخلفاء والأمراء. ويعدّ من الشعراء المجيدين. قال ابن أبي أُصيبعة: «كان معتنياً في العلوم الحكمية متقناً للصناعة الطبية، متحلّياً بالأدب بالغاً فيه أعلى الرّتب»[3].

ومنهم أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن إبراهيم بن التلميذ (المتوفى سنة 1165م). وهو ابن بنت معتمد الملك أبي الفرج يحيى المار ذكره فنسب إليه. عاش في عهد المقتفي لأمر الله (530 ـ 555 هـ/ 1136 ـ 1160م) واتخذه طبيبه الخاص. ونبغ في علم الطب فأضحى أوحد أهل زمانه. وقد أقامه الخليفة رئيس أطباء بغداد ومدير المستشفى العضدي. قالوا ولم يكن مثله بعد سقراط وجالينوس. واشتهر برجاحة العقل وعلوّ الهمّة ووفرة الأدب وكان زاهداً في المال وفي أجور التمريض يداوي في داره المعوزين منهم ويعاملهم بلطف ورفق. وله عدّة مؤلفات ورسائل طبية تدلّ على غزارة فضله وتبحره الواسع في العربية وآدابها. فشِعْرُهُ صحيح السبك ونثره أنيق الديباجة حسن التحبير وقد أودعه الأساليب الرائعة والألفاظ العذبة مما يؤيّد

(1) تاريخ مختصر الدول ص 330 ـ 331.
(2) ذخيرة الأذهان ج1 ص 463. عيون الأنباء ص 239 ـ 241 أخبار الحكماء ص 150.
(3) عيون الأنباء 1: 276. أخبار الحكماء من 238 ـ 239.

وقوفه على مذاهب الكلام. ومما قال عنه ابن العبري: «أما ابن التلميذ الطبيب النصراني البغدادي ففاضل زمانه وعالم أوانه. خدم الخلفاء من بني العباس وتقدم في خدمتهم وارتفعت مكانته لديهم. وكان موفقاً في المباشرة والمعالجة عالماً قوانين هذه الصناعة عمرّ طويلاً وعاش نبيلاً جميلاً». وقال ابن القفطي: «وكان هبة الله هذا في العلم والعمل من الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه. ختم به هذا العلم ولم يكن في الماضي من بلغ مداه في الطب»[1].

ومن أشهر هؤلاء المؤلفين يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب المعروف بالمسيحي (المتوفى سنة 1193م) وكان أصله من موضع يقال له الدوير وقد تنقل أبوه عنها إلى البصرة، فانكبّ منذ صغره على الدرس وانقطع إلى الاشتغال بالطب والتبحّر في اللغة العربية وشعرها ثم تضلع من علم الأوائل حتى أصبح نسيج وحده في الأدب. ومقاماته الستون لدليل مقنع على غزارة مادته وعلوّ طبقته إذ حلاها بضروب الكتابات ووشاها بأشكال البديع فجاءت ألفاظها رقيقة ومعانيها بليغة. واشتهرت بالمقامات المسيحية تمييزاً لها عن مقامات الحريري. قال ابن القفطي: «وكان فاضلاً في علم الأوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب والإنشاء وصنف المقامات الستين وأحسن فيها[2].

هؤلاء أشهر المسيحيين العراقيين الذين انقطعوا إلى خدمة اللغة العربية وبثوا آدابها أيام الدولة العباسية. وضربنا صفحاً عن ذكر غيرهم أمثال أبي نصر ثابت بن هارون (القرن العاشر الميلادي) وأبي نصر بشر بن هارون (المتوفى سنة 995م) وابن بطلان المتطبب (المتوفى سنة 1066م) وأبي بابي (القرن الحادي عشر) وأبي الفتح بن صاعد (القرن الثاني عشر) ومحفوظ النيلي[3]

---

(1) تاريخ مختصر الدول ص 364 ـ أخبار الحكماء ص 222 ـ 224. مجلة الضياء ج 2 ص 284. ذخيرة الأذهان 1: 500 ـ 501 عصر السريان الذهبي في عيون الأنباء 1: 259. المجدل ص 103. أخبار فطاركة كرسي المشرق ص 106. شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 315 و394.

(2) تاريخ مختصر الدول ص 415 ـ 416. أخبار الحكماء 236. مجلة المشرق 3: 591. مجلة النجم 4: 28 ـ 31.

(3) النيلي نسبة إلى النيل وهي بلدة على الفرات بين الكوفة وبغداد.

(المتوفى سنة 1165م) وسعيد النيلي[1] (القرن الثاني عشر) وأبي علي بن أبي الخير[2] (القرن الثالث عشر).

هذا وإلى اللقاء في محاضرة أخرى عن شعراء العراق النصارى منذ القرن الأول حتى القرن الثالث عشر أي بعد سقوط الدولة العباسية. إذ يفتخر الأبناء بآبائهم ويفتخر الآباء بأجدادهم. ومن أولى بالفخر منا نحن أحفاد أولئك الأجداد السريان الذين حملوا مشعل العلم والأدب ورفعوه عالياً وأضاؤوا به الآفاق طيلة قرون عديدة، والذي يختم علينا اليوم أن نقتفي آثارهم فنكون خير خلف لخير سلف.

---

(1) شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 260 و266 و292 و298 و335 و341.

(2) أخبار الحكماء ص 268.

أحوال نصارى العراق في العصر العباسي(1)

تحدثت إليكم في الحديث السابق عن «اللغة العربية لدى نصارى العراق» واليوم أودّ أن أتحدث عن «أحوال نصارى العراق في العصر العباسي».

قد يبدو هذا الموضوع جافاً، وذلك لأننا نجهل قسماً كبيراً من تاريخ أجدادنا وأسلافنا ولأسباب كثيرة، فأرى من الضروري أن نقف عن كثب من تاريخنا المسيحي في هذا العراق وطننا الحبيب، ونبرهن لمن حولنا على أننا ورثة أولئك الذين كانوا مناراً للعلم والأدب والفلسفة قروناً عديدة. ولقد اخترت هذا الموضوع بالذات لأن الدولة العباسية تعتبر من أزهر وأعظم العصور العربية الإسلامية رقعة وتقدماً وحضارة.

نريد في محاضرتنا هذه أن نلقي ضوءاً على حالة المسيحيين في العصر العباسي لكيما نقتفي آثارهم. فكما نحن اليوم قلّة في المجتمع العراقي كذلك كان أسلافنا في المجتمع العباسي، لكنهم استطاعوا أن يبرهنوا على أنهم جماعة علم وثقافة، فكوّنوا لهم مجتمعاً خاصاً بهم وفرضوا شخصيتهم على المجتمع وعند الخلفاء والوزراء واكتسبوا ثقتهم. كذلك علينا أن نتسلّح بالعلم والأدب فنظهر بذلك مجتمعاً مثالياً نفرض به على من حولنا الاحترام دون أن نتشبث بأمور لا واقع لها وندور على محورها بحلقة مفرغة.

---

(1) ألقيت هذه المحاضرة في ندوة المعلمين المسيحيين يوم 24 تشرين الأول 1968.

انتقلت الخلافة إلى بني العباس سنة 750م فازداد حب النصارى للمسلمين، كما أن المسلمين غالوا في ملاطفتهم ووثقوا بهم ثقة بلغت أقصاها. فمنحهم أبو العباس السفاح ومن عقبه من الخلفاء الحرية في أحكامهم البيعية، وخوّلوا رؤساءهم النفوذ الواسع على أبناء قومهم ولا سيما بعدما نزل بغداد أبو جعفر المنصور سنة 766م فنال بذلك المسيحيون ما ناله المسلمون من أبواب الرزق والنعم. فالخلفاء محمد المهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد وغيرهم ساعدوا نصارى العراق، ووهبوا رؤساء دينهم سلطة واسعة: فالجاثليق الجديد بعد تنصيبه يسير بحفاوة إلى دار الخليفة، وهناك يحظى بالإذن أو بكتاب العهد الحاوي على حقوقه ثم تلقى عليه ثياب الجاثليق الثمينة، ولنا شهادة بأن الخليفة موسى الهادي كان يستدعي الجاثليق طيمثاوس الأول ويحاوره في مسائل الدين وهو يجيبه بأجوبة قطعية.

أما في عهد المأمون فقد أطلق الحرية الواسعة في الفكر والقول، وأكرم العلماء والأطباء والفلاسفة، فأقبل إليه النقلة والفلاسفة المسيحيون إقبالاً ولم يدعوا كتاباً في الحكمة إلّا عرّبوه ولا سيما مؤلفات اللغة اليونانية لأنهم كانوا قد تعلموها وأتقنوها غاية الاتقان من القرن الرابع الميلادي وأدخلوا تدريسها في مدارسهم، فلخّصوا وهذّبوا وزادوا وأصلحوا وألّفوا وهكذا امتزجت فلسفة اليونان بفلسفة الإسلام.

ومن رؤساء النصارى الذين نالوا الجاه والكرامة واللطف لدى المأمون طيمثاوس الأول والجاثليق يشوع بن نون (+828) والجاثليق جيورجيس الثاني (+834) والبطريرك ديونوسيوس الأول التلمحري (+845).

وكان الخلفاء يوصون عمّالهم في الولايات بالرفق في أهل الذمّة وخاصة أهل العفّة والولدان والعجزة والمرضى والفقراء والرهبان كما جاء في العهد الذي كتبه أبو إسحاق الصابىء من الخليفة الطائع لله (974م) إلى فخر الدولة بن بويه في جمادى الأولى 976 قال: «وأمره بأن يتخيّر عماله على الأعشار والخراج والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي من أهل اللطف

والنزاهة... أن لا يأخذوها من النساء ولا من لا يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذي سن عالية ولا من ذي علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهّب متبتل...».

راعى المسلمون حقوق النصارى العراقيين فاستخدموهم في دواوينهم وولّوهم على مدنهم وقراهم وخزائنهم المالية. هذا عدا من أدنوا منهم الصيادلة والأطباء والمهندسين. وفي الوقت نفسه أكرم النصارى المسلمين وخضعوا لرؤسائهم وقاموا بأعباء وظائفهم فعالج أطباؤهم الخلفاء والأمراء أحسن معالجة. وشاد مهندسوهم مبانيهم وقصورهم. والمنقبون الألمان في سامراء وجدوا بين أنقاضها صوراً وتماثيل أشخاص ملونة ورسوماً هندسية متنوّعة وصلباناً عديدة موقّعة باسم شماس نسطوري بارع بفن التصوير.

وفي القرن التاسع ـ العاشر الميلادي ولي في بعض الأحيان ديوان الجيش نصراني. وكان لعضد الدولة البويهي في بغداد وزير نصراني اسمه نصر بن هارون وقد أذن له في عمارة البيع والأديرة وإطلاق الأموال لفقراء النصارى، بل إن عادات مسيحية تسرّبت إلى المسلمين في العصر العباسي واشترك بعضهم في أعياد النصارى فيوم الشعانين أو يوم السباسب عرف في ذلك العصر وما بعده وأنشد في الشعراء قصائد كثيرة.

وأكرم الخلفاء الجثالقة ولقبوهم بأجمل الألقاب ومنحوهم البراءات وقلّدوا أطباءهم أعلى المناصب ووهبوهم الحرية في أعمالهم وأشغالهم ومكاسبهم وكان أغلبهم أطباء قصور الخلفاء في بغداد. واتّخذ بعض الخلفاء جواري من المسيحيات مراعين شعائرهن الدينية وقد كانت الجارية المسيحية تلبس الصليب والزنار وترتدي رداءها القومي وتتكلم بلغتها الخاصة. وكان للمهدي جارية تعلق في صدرها صليباً من ذهب.

وكان لنصارى العراق النفوذ في دواوين الحكومة، والجاه الواسع بين الأعيان والوجهاء والأموال الطائلة، والأرباح الكثيرة بين أصحاب الحرف والملّاكين والتجّار.

قال الجاحظ: «إن النصارى اتخذوا البراذين الشهرية والخيل العتاق واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحذّقوا المديني ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي».

وكان النصارى يملكون الأديرة الكثيرة: دير محلة الروم ودير درتا ودير القباب ودير شموني ودير مديان ودير سرجيوس ودير الثعالب ودير درمالس ودير سمالو في باب الشماسية ودير سابور ودير مار جرجس ودير الشيخ متى ودير مار بهنام وغيرها بالعشرات...

أما المدارس فمدرسة دير فثيون ومدرسة في جهة الكرخ وكانت في محلة دار الروم ودرب القراطيس وبيعة الكرخ المعروفة ببيعة سرجونا ودرب دينار وسوق الثلاثاء وغيرها. ومكاتب واسعة الأرجاء تضم بين جدرانها مئات من الطلّاب وأكبرها مدرسة مار ماري في دير قني. أما في الموصل فكانت مدرسة دير مار جبرائيل المعروف بالدير الأعلى ومدرسة دير مار ميخائيل ومدرسة النبي يونس (دير يونان بن متى) ودير مار إيليا الحيري. قال توما المرجي كان في مدينة الحدباء (الموصل) ونواحيها في أوائل القرن التاسع الميلادي ستون مدرسة.

الأطباء

المجال ضيق لسرد أخبار الأطباء المبثوثة في مطاوي الكتب والمخطوطات إنما اقتصر على ذكر الأسماء.

إن من مزايا هذه العصر (العهد العباسي انتشار صناعة الطب في البلاد، فقد ظهر أطباء نصارى ماهرون ساسوا المستشفيات وعلموا فيها أصول المعالجة وشخّصوا الأمراض ودققوا الأدوية وعرّبوا الكتب الطبية العديدة على اختلاف أنواعها. وقد حثّهم الخلفاء على هذه الأعمال وجعلوهم أقرب الخاصة بهم. ونالوا من لدنهم الكرامة والحظوة والثقة أكثر من سائر العلماء والأدباء بل كانوا يعودونهم في منازلهم في أثناء مرضهم ويجلسون على موائد طعامهم ويحضرون أحياناً الصلاة بالشمع والبخور في جنازتهم. فلما مات مثلاً سلمويه امتنع المعتصم عن الأكل لأنه كان طبيبه وأمر بإحضار جنازته إلى دار الخلافة والصلاة عليها بالشمع والبخور كالعادة الجارية لدى النصارى.

ومن الأطباء: يحيى (يوحنا) بن ماسويه، وسابور بن سهل وآل بختيشوع خدموا الخلفاء زهاء القرنين منهم جيورجيس بن بختيشوع وتلاه ابنه بختيشوع وجبرائيل بن بختيشوع وابنه وكذلك عبد الله بن بختيشوع وابنه جبرائل وبختيشوع بن يوحنا وماسويه أبو يوحنا وميخائيل بن ماسويه وسلمويه بن بنان وحنين بن إسحاق العبادي وإسحاق بن حنين وأبو الفرج بن يحيى بن التلميذ، وهبة الله بن التلميذ وصاعد بن توما وأبو الحسن بن المسيحي وأخوه الأرخدياقون أبو الخير بن المسيحي وغيرهم.

الترجمة(1)

أما المترجمون فأودّ أن أقف عند هذه الفقرة قليلاً لما لحركة الترجمة من أهمية في التاريخ العربي والإسلامي. إذ لولا المترجمون المسيحيون لما وصل الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية إلى ما قد وصل إليه في المنطق والفلسفة والإلهيات.

لقد اهتمّ العرب في صدر الإسلام في تكوين دولتهم وتوطيد أركانها ولم يلتفتوا إلى العلوم والفنون وغيرها. وإنما كان جلّ اهتمامهم منصبّاً على القرآن الكريم، وأحكامه وما يترتب عليه من العلوم الإسلامية في الفقه واللغة والمغازي والسير وغيرها. ويحكى أن ماسرجويه البصري من معاصري مروان بن الحكم، وكان هذا عالماً في الطب وهو سرياني الجنس كان في أيامه كتاب الطب ألّفه القسّ هارون بن الحسين باللغة السريانية فنقله ماسرجويه إلى العربية. فلما تولّى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب في الشام فحرّضه بعضهم على المسلمين للانتفاع به فاستخار الله في ذلك أربعين يوماً أخرجه إلى الناس وبثّه في أيديهم ويدلنا ذلك على التردد الذي استولى على الخليفة في إخراج هذا الكتاب مع أنه من كتب الطب لا من كتب الفلسفة.

ولما توسّع نفوذ المسلمين واتّسع سلطانهم وأخذوا في أسباب الحضارة وتفننوا بالصنائع والعلوم وتشوّقوا إلى الاطلاع على العلوم الفلسفية وغيرها من

(1) ألقيت هذه المحاضرة في ندوة المعلّمين المسيحيين بالموصل بتاريخ 26 شباط 1969.

علوم الأوائل مستندين في ذلك إلى قول الرسول العربية «الحكمة ضالّة المؤمن يأخذها ممّن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت».

وقد ابتدأت الترجمة والنقل في العصر الأموي وكانت على نطاق ضيق جداً وأول من اشتغل بها هو خالد بن يزيد بن معاوية الأموي المتوفى سنة 85 هـ/ 704م. فاستقدم الراهب الرومي ماريانوس وطلب إليه أن يعلمه صناعة الكيمياء فلما تعلّمها أمر بنقلها إلى العربية فنقلها «اسطيفان القديم»[1] وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة.

وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين بلغت الترجمة وحركة النقل أوجها لأن خلفاء بني العباس أعطوا اهتمامهم الزائد لهذه الناحية. وفيما يلي نستعرض أسباب الترجمة ثم أشهر الخلفاء الذين اهتمّوا بحركة النقل وأشهر المترجمين.

أسباب الترجمة:

(1) الرغبة في الاطلاع على ما عند الأمم الأجنبية من العلوم والآداب كعمل خالد بن يزيد بن معاوية حين أمر بترجمة كتب الكيمياء اليونانية وميل بعض الخلفاء العباسيين إلى العلوم كالمنصور والرشيد والمأمون.

(2) عقد المسلمون في العصر الأموي المجالس في المساجد الجامعة وأكثروا من المناقشات والمجادلات في القضاء والقدر وفيما إذا كان الإنسان مسيّراً أو مخيّراً انقسموا إلى فئتين كل فئة تناصر أحد المبدأين وكان المسلمون في جدالهم الديني في العصر العباسي في حاجة إلى معرفة ما عند الأمم الأخرى.

(3) أدّى الجدل بين المسلمين واليهود والنصارى إلى أن اليهود

---

(1) ابن النديم: الفهرست ج 1 ص 109.

والنصارى يجادلونهم بالفلسفة والمنطق اليونانيين فاضطروا إلى دراستهما لاتخاذهما وسيلة للدفاع عن الدين الإسلامي.

(4) إن الأمم الأجنبية التي اعتنقت الإسلام أخذت تدوّن حضارتها باللغة العربية التي تعلّمتها بسبب انتشار العربية وغلبتها على لغاتهم الأصلية تقرّباً من العرب الفاتحين للاستفادة من وظائفهم ومناصبهم وتحقيقاً لمآربهم القومية[1].

أما الخلفاء الذين اهتموا بالترجمة هم:

أبو جعفر المنصور:

اهتم اهتماماً كبيراً بالطب وترجمة كتبه[2]. فقد استقدم الطبيب السرياني جورجيس بن بختيشوع الذي كان ماهراً في الطب وله فيه مصنفات في اللغة السريانية وكان ذكياً جداً حتى أصبح رئيس أطباء مارستان جنديسابور، أشهر مدارس الطب في ذلك العصر. فبعث المنصور في طلبه على عجل. فاصطحب تلميذين من تلامذته هما إبراهيم وعيسى بن شهلا وجاء إلى بغداد. فأكرمه المنصور وخلع عليه وأنزله في قصر خاص. ومما زاده رغبة أنه رآه عفيفاً صادقاً في تديّنه[3].

وكان جورجيس محباً للتأليف وكان يعرف اللغة اليونانية فضلاً عن

---

(1) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ـ ناجي معروف ـ ص 139.

(2) ذلك أن المنصور أصابه في أواخر أيامه (سنة 148 هـ) مرض في معدته فانقطعت شهيته عن الطعام وقد عجز الأطباء المشرفون عن علاجه، فاستقدم جورجيس عالم زمانه في الطب، وكان قد أشار على المنصور باستقدامه الأطباء لمهارته في الصناعة الطبية.

(3) كان المنصور قد علم أن جورجيس خلف امرأته في جنديسابور وليس هناك في بغداد من يخدمه فأرسل إليه ثلاث جوارٍ روميات وثلاثة آلاف دينار فقبل الدنانير وردّ الجواري فلما عاتبه المنصور في الغد أجابه «إننا معشر النصارى لا نتزوج إلّا بامرأة واحدة وما دامت حية لا نأخذ غيرها. فحسن موقع ذلك عند المنصور وأطلق له الدخول إلى حظاياه وحرمه ليطببهن (ابن أصيبعة ـ طبقات الأطباء ـ ج 1 ص 144).

السريانية والفارسية والعربية، فلما رأى وثوق المنصور به نقل له كتباً طبية من اليونانية إلى العربية غير ما ألّفه في السريانية. أما التأليف في الطب فقد أُلّف قبله عدد من الأطباء الذين خدموا المسلمين على عهد بني أمية.

هارون الرشيد:

كانت الأفكار في هذا العصر قد نضجت والأذهان ازدادت تنبّهاً إلى علوم الأقدمين وكان يحضر إلى بغداد من الأطباء العلماء من السريان والفرس والهنود. وكانوا أهل تمدن وعلم، وكانوا يتعلمون العربية ويعاشرون المسلمون ويباحثونهم في تلك العلوم. وكان المسلمون يخافون ويتهيّبون من ذلك لأنه مخالفة للدين إلّا الكتب الطبية، فكانوا يرغبون في نقلها ـ أو مطالعتها. ولقد كان الأطباء أنفسهم من غير المسلمين محبّين للفلسفة والمنطق وكانوا يخدمون الخلفاء ويجالسونهم ويعاشرونهم فأدّى ذلك إلى أن يألف الخلفاء الفلسفة. وأصبحوا إذا فتحوا بلداً ووجدوا فيه كتباً لا يحرقونها أو يأمرون بإتلافها بل تحمل إلى عاصمتهم وتترجم إلى اللغة العربية، كما فعل الرشيد في أثناء حربه في أنقره وعموريّة وغيرها من بلاد الروم، فإنه عثر على كتب كثيرة حملها إلى بغداد وأمر طبيبه الخاص يوحنا بن ماسويه بترجمتها[1]. ولكنها لم تكن كتباً للفلسفة وإنما في الطب اليوناني[2] وقد ترجم كتاب إقليدس في أيام الرشيد الحجاج بن مطر وتسمى الهارونية تمييزاً لها عن النقلة المأمونية[3].

المأمون:

لقد ترجم المسلمون الكتب الفلسفية الكثيرة في عصر المأمون ولم يقدم أحد على ترجمتها من قبل. وقد شجع المأمون ترجمتها لأن المسلمين تعددت

---

(1) طبقاء الأطباء ج/1 ص 175.
(2) مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص 227.
(3) الفهرست لابن النديم ص 265 ـ 268.

فرقهم ومذاهبهم ومن جملتها المعتزلة الذين كان المأمون من أنصارهم. وقد ظهر مذهب الاعتزال في أواخر القرن الأول للهجرة وكثر أنصاره بسرعة وذلك لارتياح العقل إلى أدلته وقد كان قبل ذلك الميل إلى القياس منذ عصر المنصور الذي أخذ يناصر أصحاب الرأي والقياس واستقدم لذلك أبا حنيفة إلى بغداد لهذه الغاية وظلّ الميل إلى القياس متواصلاً في بني العباس[1].

وقد ذكر الدميري[2] أن المأمون كان فطناً واسع العلم شديد الميل إلى القياس العقلي وقد تعلّم وتفقّه وقرأ ما نقل من كتب القدماء فازداد رغبة في القياس والرجوع إلى أحكام العقل فتمسّك بمذهب الاعتزال وصرّح بأقوال لا يقرّها المسلمون.

وتأييداً لصحة الجدل أمر بنقل كتب الفلسفة والمنطق في اللغة اليونانية إلى اللغة العربية وقرأها بنفسه فقويت حجّته وازداد تمسّكاً بالاعتزال. وعلى هذا الأساس فقد بالغ المأمون في إكرام المترجمين وأجزل لهم العطاء حتى أعطى بعضهم وزن ما يترجمون ذهباً. وشجع الناس على قراءة تلك الكتب. كما وأرسل في طلب الكتب من الملوك وجمعها في دار سمّاها «دار الحكمة».

أشهر المترجمين:

(1) آل بختيشوع: وهم من السريان، أولهم جورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور وخلفه عندهم ابنه بختيشوع وقد ولّاه الرشيد رئاسة الأطباء وخلفه ابنه جبريل وكان حظياً عند الخلفاء وكان له راتب كبير. وخلفه ابنه بختيشوع وقد بلغ من كثرة المال والجاه ما لم يبلغه أحد من أطباء عصره،

---

(1) والاعتزال أقرب المذاهب إلى أصحاب الرأي وقد كانوا يعتمدون في إثبات مذهبهم على البرهان العقلي ولذلك استعانوا بمنطق أرسطو وأقواله في الجدل ولا سيما في أيام المهدي لانتشار الزندقة وقد أدّت هذه المناظرات والجدل إلى ظهور علم الكلام.

(2) الدميري ج 1 ص 72.

وخلفه جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع، وخدم هذا الخليفة المقتدر العباسي وخلفه عبيد الله بن جبريل، وكان هؤلاء من أمهر الأطباء وقد ألّفوا في الطب كثيراً ولم يعن في الترجمة منهم إلّا جورجيس الأول واستخدم بعضهم التراجمة في نقل بعض كتب الطب إلى السريانية[1].

(2) آل حنين: وأشهرهم حنين بن إسحاق العبادي شيخ المترجمين وهو من نصارى الحيرة ولد سنة 194 هـ/ 809م. ثم انتقل إلى البصرة فدرس فيها العربية ثم انتقل إلى بغداد وكان قد تعلم اليونانية فأصبح أعلم أهل زمانه بالسريانية واليونانية والفارسية بالإضافة إلى العربية. فنقل عدة كتب إلى السريانية وبعضها إلى العربية وأهمها كتب جالينوس. وكان لحنين ولدان داود وإسحاق. فاشتغل إسحاق بالترجمة ونجح فيها مثل أبيه ونقل كثيراً من كتب أرسطو طاليس وغيره من الحكماء[2].

(3) آل ماسرجويه: وأولهم ماسرجويه وهو سرياني اللغة وكان ينقل من السريانية إلى العربية ثم ابنه عيسى. وكاد يلحق بأبيه ولهما مؤلفات في الطب.

(4) آل ثابت: وأولهم ثابت بن قرة الحراني وكان يتقن السريانية ونقل إلى العربية تصانيف كثيرة في الرياضيات والطب والمنطق وله في السريانية كتاب في مذهب الصائبة. ويليه ابنه سنان وكان مقدماً عند الخليفة القاهر بالله وله تصانيف كثيرة ويليه أيضاً ابنه ثابت بن سنان.

(5) وهناك كثيرون من المترجمين منهم قسطا بن لوقا البعلبكي واصطيفان بن باسيل، وعبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي، وسرجيس الراسعيني وأبو بشر متى بن يوسف من أهل دير قني، ويحيى بن عدي السرياني التكريتي وغيرهم كثيرون.

هؤلاء وأولئك أشهر علماء وشعراء وأطباء نصارى العراقيين في أيام

---

(1) طبقات الأطباء ج 1 ص 132.
(2) طبقات الأطباء ج 1 ص 138.

الدولة العربية وتلك خدماتهم الجليلة في سبيل خير الإنسانية فقد بثّوا المعارف على اختلاف أنواعها في آفاق المسكونة بمساعدة إخوانهم المسلمين ولا سيما عندما كانت سيطرة الخلفاء العباسيين ممتدة على الديار الشرقية ولكن ما إن سقطت الدولة حتى تداعت دعائم العلوم ووهنت عزائم القوم فأخذت البلاد تخطو خطوات فسيحات إلى الجهل حتى بلغت أقصى درجات التقهقر والانحطاط.

واليوم نحن أحفاد أولئك العلماء، علينا أن نساهم نهضة في العلم في وطننا الحبيب العراق لنبرهن على أننا خير خلف لخير سلف بالعلم والأدب والأمانة والصدق في الخدمة والعمل ونشر الثقافة.

نصارى العراق والفتح الإسلامي

قبل الدخول في صلب الموضوع، أرى من الواجب إلقاء نظرة عابرة على أحوال نصارى العراق قبل الفتح الإسلامي.

إن نصارى العراق عصرئذٍ كانوا من بقايا الآراميين[1]، الذين سكنوا البلاد منذ العصور القديمة، وسمّوا منذ أول النصرانية سرياناً أي مسيحيين تمييزاً لهم من بني جنسهم الآراميين الوثنيين. وقد أطلق عليهم المسلمون بعد الفتح العربي اسم (النبط) على أنهم من ولد نبيط بن باسور بن سام بن نوح وقيل إنهم سمّوا بذلك لاستنباطهم الأرضين والمياه[2]، وأما لغتهم الآرامية السريانية فهي إحدى اللهجات السامية.

ثم كانت الهجرات العربية إلى العراق ومشارف الشام، وذلك بسبب الجدب وكثرة عددهم، والحروب العديدة التي مزّقتهم فخرجوا إلى الشام والبحرين[3]. وقامت بعض هذه القبائل في الحيرة، وتحالفوا على التنوخ (المقام) وتعاقدوا على التناصر فصاروا يداً واحدة، وضمهم اسم تنوخ. ثم تطلعت أنفسهم إلى بلاد العراق، وغلبوا الأعاجم فيما يلي بلاد العرب، ونزلت تنوخ من الأنبار إلى الحيرة[4]، وكانوا من قبائل طي، وتميم، وغسان،

(1) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ج 2 ص 20. ابن الأثير - الكامل - ج 1 ص 95.

(2) المسعودي - التنبيه والإشراف - ص 36. ابن الفقيه - مختصر البلدان ص 8.

(3) البحرين: بلاد على ساحل الخليج العربي وقيل هي قصبة محر، وقيل محر قصبة البحرين (ياقوت الحموي. معجم البلدان - ج 2 ص 72).

(4) ابن الأثير - الكامل - ج 1 ص 196. الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ج 2 ص 42.

وكلب، وغيرهم[1]. وبذلك أصبح أهل الحيرة لا ينتسبون إلى قبيلة واحدة بل كانوا من قبائل عدّة جمعت بينهم وحدة المصير. وقد اعتنقت هذه القبائل العربية في الحيرة المسيحية. وكان أول من اعتنقها من ملوكهم عمرو بن عدي[2]، مؤسس الدولة[3] (268 ـ 288م).

وكان من أبرز ملوكهم، وأفضلهم رأياً، وأبعدهم غوراً وأشدّهم نكاية جذيمة الأبرش[4]، وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه العرب وغزا الجيوش، وكان به برص فكنّت العرب عنه فقيل الوضاح والأبرش إعظاماً له، وكانت منازله ما بين الحيرة والأنبار وهيت وعين التمر، فارتفع أمره حتى خالفه الفرس، وغزا طسماً وجديس في منازلهم في اليمامة، وأخذت تفد إليه الوفود، وتجبى إليه الأموال. وخاض الحروب مع العمالقة بأرض الجزيرة، وبلاد الشام بزعامة ملكهم عمر بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقي فقتله، وعاد جذيمة سالماً، فانتقمت الزباء زوجته من جذيمة بخديعة دبرتها له في قصرها فمات، وملك بعده عمرو بن عدي[5].

وقد انتشرت المسيحية بين القبائل العربية في العراق وذلك بفضل المبشرين من الرهبان الذين كانوا يعيشون بين أحياء العرب في العراق ويتجولون في البراري، ويقتاتون من النباتات، والذين استطاعوا بحياتهم النسكية أن يردّوا الكثير من العرب والعجم إلى الدين النصراني[6] وقد لاقت المسيحية في أثناء انتشارها مقاومة عنيفة من المجوس الفرس بدافع التعصب

---

(1) قدامة بن جعفر ـ الخراج وصناعة الكتابة ـ ص 102.

(2) على رواية إيليا أسقف نصيبين: ملك عمرو سنة 124. وعلى قول عبد يشوع الصوباوي سنة 107 (راجع تاريخ كلدو وأثور ج 2 ص 208).

(3) ابن خلدون ـ تاريخ ـ ج 2 ص 172.

(4) اتخذ بعضهم بدء حكمه سنة 215 (مجاني الأدب ج 3 ص 304) ونعتقد بأنه حكم ما بين 208 ـ 268.

(5) ابن الأثير ـ الكامل ـ ج 1 ص 197 ـ 301.

(6) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج 1 ص 313.

الديني حيث دفع الموابذة[1] والهرابذة[2]، والدهاقين[3]، والمجوس، ملوكهم على اضطهاد النصرانية.

فقد حدث أول اضطهاد لهم في عهد الملك البارثي سنة 89م الذي نكّل بالنصارى وأبادَ منهم خلقاً كثيراً[4]. وبعد سقوط المملكة الفارسية البارثية[5]، على أيدي الساسانيين بزعامة ملكهم أردشير بن بابك[6]، (226 ـ 241م) فوسّع مملكته حتى شملت بلاد إيران، وأواسط آسيا إلى حدود الهند والصين، كما بسطت سلطانها على العراق، واتخذت لها فيه مدينة قطيسفون (المدائن) عاصمة[7]. وقد تعرض النصارى في العراق وفارس لاضطهاد شديد خاصة بعد اتخاذ الأمبراطور الروماني قسطنطين[8] النصرانية ديناً وذلك سنة 313م، إذ ظن الأكاسرة أن هؤلاء النصارى متحزبون لنصارى الغرب، ميالون إلى قياصرتهم[9]. وبقيت العلاقة ما بين النصارى والفرس قبل الإسلام تأخذ تارة شكل العداء وطوراً الصداقة. ولكنها كانت في جميع الحالات قائمة على استضعاف الفرس للعرب، والإفساد في أرضهم والإبقاء بين قبائلهم، واضطهادهم[10].

---

(1) انظر ديورانت قصة الحضارة ـ ج 14 ص 18.

(2) الهرابذة: جمع هربذ وهم قومة بيوت النار ويديرون المراسيم الدينية فيها وهي فارسية معربة (الجاحظ ـ البيان ـ ج 3 ص 13).

(3) الدهاقين: جمع دهقان. زعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم وهو لفظ فارسي معرب (الدينوري ـ الأخبار الطوال ـ ص 147).

(4) هو الملك كسرى (ذخيرة الأذهان ج 1 ص 49 ـ 50. التاريخ الكنسي ج 2 ص 19، المكتبة الشرقية ج 3: 2 ص 38 ـ 40. مجلة المشرق 3: 819 أحوال نصارى العراق ص 4).

(5) إن الإسكندر المقدوني بغزواته للشرق ولا سيما الشام والعراق وفارس، استطاع أن يقضي سنة 331ق.م في فارس على الدولة البارثية. بيد أن الفرس الساسانيين استطاعوا توحيد الدولة سنة 224ق.م. بقيادة أردشير بن بابك (اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج 1 ص 379).

(6) أردشير الأول مؤسس السلالة الساسانية (نحو 226 ـ 241).

(7) ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ ص 25.

(8) قسطنطين الكبير (274 ـ 337) أعلن حرية الدين المسيحي في مرسوم ميلانو سنة 313.

(9) إدي شير ـ كلدو واثور ج 2 ص 28، 60.

(10) يحيى الخشاب ـ التقاء الحضارتين الفارسية والعربية ـ ص 80.

وقد تعرّضت القبائل العربية للاضطهاد في عهد سابور ذي الأكتاف (310 ـ 379) الذي أوقع بها في البحرين، وهجر، وبها تميم، وبكر بن وائل، وعبد القيس، فقتل منها خلقاً كثيراً حتى سالت دماؤهم على الأرض، بل إنه أباد عبد القيس. وقصد اليمامة حيث أكثر في أهلها القتل. كما غزا بكراً وتغلب فيما بين الشام والعراق وقتل وسبى. وكان ينزع أكتاف رؤساء العرب ويقتلهم[1]، فسماه العرب بـ «ذي الأكتاف».

ثم أغار على الحيرة، فقاتله أهلها، فكان شعارهم شعار المسيحيين يومئذٍ آل عبد الله، فسموا بـ («العُباد»[2]).

وقد فتك مدة ملكه الذي دام سبعين سنة بـ 160 ألفاً من المسيحيين الذين كانوا في دولته[3] وأجلى العرب من النواحي التي صاروا إليها[4].

وكان يزدجرد الأول[5] (399 ـ 420) أول من أحسن الظن في العرب ـ ولأجل مصالحه الخاصة ـ فكوّن معهم صداقة متينة وتعاوناً مثمراً إلى حدّ أنه جعل مع النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي، كتيبتين الأولى الدوسر وهي لتنوخ، والثانية الشهباء وهي لفارس. كما عهد بتربية ابنه بهرام وحضانته إلى المنذر بن نعمان[6] (515 ـ 554) وأكرمه، وملّكه على العرب، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لمنزلته وأمره أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب[7].

ولما مات يزدجرد الأول اتفق جماعة من العظماء وأهل البيوتات على

---

(1) ابن الأثير ـ الكامل ج 1 ص 229.
(2) المصدر نفسه. والأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 11 ص 162.
(3) انظر شيخو ـ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ـ ج 1 ص 76. وادي شير ـ شهداء المشرق ـ ج 2 ص 226.
(4) الطبري ـ تاريخ ـ ج 2 ص 55.
(5) يزدجر بن سابور الثالث أوقف اضطهاد المسيحيين.
(6) المنذر الثالث، أشهر الملوك اللخميين. حارب الروم مراراً. زوجته هند الكبرى أم عمرو.
(7) الطبري ـ تاريخ ـ ج 2 ص 67 ـ 69.

ألّا يُملّكوا أحداً من ذرّيته. بيد أن المنذر أرسل ابنه النعمان ومعه عشرة آلاف رجل من فرسان العرب، واستطاع أن يُجلس بهرام على عرش الأمبراطورية الساسانية[1].

ولما مُنيت الجيوش الفارسية بالهزائم على يد القيصر البيزنطي هرقل[2]، ثارت ثائرة كسرى الثاني، واشتدّ حنقه على النصارى، فأمر باضطهاد نصارى مملكته على اختلاف مذاهبهم، فتكبّدوا من العسف والشدة ألواناً[3].

ولم يكن الفرس وحدهم يضطهدون هؤلاء النصارى بل الرومان أيضاً ومنه الأمبراطور تراجانس. فلما زحف هذا على العراق أخذ يصب جام غضبه على النصارى. ولمّا فتح المدائن[4] عنوة سنة 115 أهلك منهم فيها جمعاً غفيراً. ثم سار على نهجه أغلب القياصرة الذين توغّلوا في بلاد العراق وفارس.

إن ملوك الفرس ساندوا النسطورية، وكان للسياسة دخل في انتشارها وذلك لمعارضتها للأرثوذكسية الرومية في هذه الديار. إذ وجد النساطرة مقاومة من الروم لمخالفتهم إياهم في المذهب، وبسبب بغض الفرس للروم[5].

وأصبحت (ساليق) على نهر دجلة قبالة العاصمة (قطيسفون) مركزاً ثقافياً خطيراً ينافس نصيبين، وصار هذا المركز من أهم معاقل النسطورية والتبشير بها في العراق، وفي سائر أنحاء الأمبراطورية الفارسية[6]. وأصبح أغلب نصارى

---

(1) انظر يحيى الخشاب ـ التقاء الحضارتين الفارسية والعربية ـ ص 81.

(2) هرقل الأول (نحو سنة 575 إلى 641) طرد الساسانيين من سوريا. انتصر العرب على جيوشه في معركة اليرموك (سنة 636).

(3) انظر ـ أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ص 180.

(4) المدائن: اسم أطلق في القرون الوسطى على مدينة أو مجموعة مدن في العراق على جانبي دجلة، وعلى مسافة 30كم جنوبي بغداد. ويعني بنوع خاص مدينتي سليق التي شيّدها سلوقس الأول (312 ـ 301ق.م) وقطيسفون عاصمة الفرثيين الشتوية. حررها العرب بقيادة سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية سنة 637.

(5) انظر جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ج 6 ص 73.

(6) ادي شير ـ كلدو واثور ـ ج 2 ص 130 مجلة المشرق البيروتية ص 390 لسنة 1910.

العراق يعتنقون المذهب النسطوري، وهو مخالف لمذهب بيزنطية[1] الأرثوذكسي. وقد لقي أتباع الكنيسة البيزنطية اضطهاد من قبل الأكاسرة الفرس[2].

ومع هذا فإن الظروف التي عاش فيها النصارى كانت أقسى عليهم من غيرهم تحت الحكم الساساني. وأقل حفظاً لمصالحهم[3]. ويرى المستشرق بارتولد[4]: «أن من عوامل ضعف الأمبراطورية الساسانية اضطهادها للوثنيين والنصارى، فصار هؤلاء جميعاً حلفاً للعرب عند الفتح».

بعد هذا التمهيد عن أحوال نصارى العراق قبل الفتوحات الإسلامية نأتي إلى صلب موضوعنا فنقول:

«كانت العلاقة ما بين العرب في العراق وحكّامهم الفرس قبل الفتح الإسلامي، تأخذ شكل النزاع والحروب تارة، والأمن والاستقرار تارة أخرى، ولكنها كانت في جميع الحالات قائمة على استضعافهم للعرب، وقيامهم بسلسلة من الهجمات الفارسية على القبائل العربية في العراق، وما معركة ذي قار إلّا دليل ساطع على ذلك. وكان المثنى بن حارثة الشيباني[5] أول قائد عربي تجرّأ على مهاجمة الأمبراطورية الفارسية في عقر دارها[6] ويوضح الهاشمي[7] غرض المثنى من مقاتلة الفرس وذلك لكسر شوكتهم وإبعادهم عن العراق أو عن مناطق بني شيبان على الأقل، ثم الحصول على الغنائم، والعامل الآخر الذي له أهميته هو إسناد قبيلة بكر المسيحية إلى حليف قوي،

---

(1) انظر ماجد ـ التاريخ السياسي للدولة العربية ـ ج 1 ص 91.

(2) إقليميس داود ـ مختصر تواريخ الكنيسة ـ ص 199.

(3) متز ـ الحضارة الإسلامية ـ ص 46.

(4) بارتولد ـ الحضارة الإسلامية ـ ص 50. وبارتولد (باسيل وليم) مستشرق روسي (1860 ـ 1930) له مقالات في دائرة المعارف الإسلامية ودراسات قيمة عن شعوب آسيا الوسطى.

(5) المثنى بن حارثة الشيباني من شيبان بن ثعلبة وهم أبطال معركة ذي قار التي انتصف العرب فيها من العجم لأول مرة في التاريخ (الأصفهاني ـ الأغاني ج 2 ص 318).

(6) محمود شيت خطاب ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ ص 25.

(7) طه الهاشمي ـ خالد بن الوليد في العراق ـ مجلة المجمع العلمي العراقي مج 3 ج 2 ص 237.

وهم المسلمون يساعدونهم على خصومهم بني تغلب المسيحيين أيضاً. فاستمرّت القبائل العربية في حالة حرب متقطعة مع الفرس حيث كانت قبيلة بكر بزعامة المثنى تناوش جيش الفرس ريثما يتم الوصول لنجدات الجيوش الإسلامية. فسار خالد بن الوليد إلى العراق بجحافله الجرّارة يحملون لواء الإسلام لنشره فيه، وتبعه سعد بن أبي وقاص الذي استطاع أن يحرز نصراً مبيناً وفتحاً عظيماً في معركة القادسية لإيمانهم بالجهاد وتضحياتهم في سبيل العقيدة، ففتحوا العراق أولاً، ثم فارس، وقضوا على الأمبراطورية الفارسية.

وقد وقف النصارى السريان والعرب ورؤساؤهم من الفتح الإسلامي موقف المؤيد والمناصر للعرب والمسلمين أثناء فتح العراق وأمدّوا جيوشهم بالمدد المختلفة، وتعود هذه الصلات الطيبة ما بين النصارى والمسلمين إلى عهد الرسول العربي، فقد أرسل إليه يشوعياب الجاثليق النسطوري[1] (627) هدايا، وفي جملتها ألف ستارة فضية مع جبرائيل أسقف ميشان[2]. وكان فاضلاً عالماً. وكاتبه وسأله الإحسان إلى النصارى[3]. وبرّه الرسول بعدة من الإبل وثياب عدنية[4]. كما بعث الجاثليق الجدالي هذا رسالة إلى أحد الأساقفة في بلاد فارس يقول له فيها «إن العرب الذين وهبهم الله الملك يحترمون الديانة المسيحية، ويودون القسس، والرهبان، ويكرمون أولياء الله، ويحسنون إلى الكنائس والأديار»[5].

---

(1) المعروف بجدلايا أي الجدالي نسبة إلى جدال إحدى قرى بلد الموصل وتعرف اليوم بـ «جدالة».

(2) ميشان أو ميسان مقاطعة في جنوبي العراق على شط العرب أصبحت دولة مستقلة في القرن الثاني قبل الميلاد. ورد ذكرها في الآثار المعمارية. أطلق على بعض أجزائها خرسنة. كانت في العهد الساساني أبرشية مطرانية سريانية. وفي عام 1971 أطلقت الحكومة العراقية على لواء العمارة اسم «محافظة ميسان». إحياء لذكرى التاريخ العريق.

(3) التاريخ السعردي ج 2 ص 618 و619.

(4) ماري بن سليمان ـ أخبار فطاركة المشرق ـ ص 62.

(5) المصدر السابق ص 61 ـ 62. ذخيرة الأذهان ج 1 ص 249 و250. كلدو واثور ج 2 ص 251 ـ 252. تاريخ الموصل ج 202 ـ 21. المكتبة الشرقية 3: 501 ـ التاريخ الكنسي 2: 113 و115. الآداب السريانية لدوفال ص 369 ـ 370. أثر قديم في العراق ص 77.

وعندما أرسل الخليفة أبو بكر الصديق (10 ـ 12 هـ/ 632 ـ 634م) خالداً بن الوليد إلى العراق، زحف إلى الحيرة وفتحها صلحاً[1]. فرحّب به أهلها النصارى وأنزلوا جنده في كنائسهم وأديرتهم[2]. فعقد معهم صلحاً على أن يكونوا للمسلمين عيوناً على الفرس، فدفعوا له مبلغاً كبيراً من المال فضلاً عن الهدايا، بعث بها إلى الخليفة المشار إليه. فأمر الخليفة بأن تحسب لهم هديتهم هذه من الجزية.

وفي عهد عمر بن الخطاب (13 ـ 23 هـ/ 634 ـ 643م) أسند القيادة العامة للجيوش الإسلامية إلى سعد بن أبي وقاص فعسكر في القادسية وفتحها سنة 16 هـ/ 637م وواصل زحفه في بلاد فارس. وفي واقعة البويب عاون النصارى المسلمين وكان قاتل القائد الفارسي نصرانياً من العرب التغالبة[3]. ولقد هتف عندما قتله:

أنا الفتى التغلبي   أنا قتلت المرزبان

وتقدّمت الجيوش الإسلامية لإتمام فتح العراق، وما أن وصلت تكريت حتى فتح لها رئيس الأساقفة (ماروثا) السرياني أبواب المدينة وقلعتها[4]. ولما صارت هذه الجيوش إلى الموصل حمل (مار آمه) النسطوري[5] الميرة والمؤن إلى جنود المسلمين وساعد رئيسهم عبد الله بن المعتم على الفتح[6].

---

(1) ابن العبري ـ مختصر تواريخ الدول ـ 69.

(2) الطبري ـ تاريخ ـ ج 4 ص 12. ابن الأثير ـ الكامل ـ ج 2 ص 147 وإلى ص 150.

(3) الخشاب ـ التقاء الحضارتين ـ ص 92.

(4) التاريخ الكنسي لابن العبري ـ مج 3 عمود 123 و125. وبطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1، ص 331.

(5) مار آمه: من أهل أرزون. تعلم في مدرسة نصيبين وترهب في دير مار إبراهيم. وجعل أسقفاً على نينوى وسامه مار ايشوعيهب مطراناً على جنديسابور. وكان شيخاً كبيراً ووقع عليه الإجماع وعقدت له البطركة لمعونته صاحب جيش المسلمين في فتح الموصل.

(6) ماري بن سليمان ـ أخبار فطاركة المشرق ص 62. ذخيرة الأذهان ص 249 ـ 253.

وتكريماً لهذه المواقف العربية الطيبة التي وقفها النصارى ورؤساؤهم من الفتح العربي الإسلامي، كتب الخلفاء والولاة والقواد، العهود والمواثيق للنصارى يعهدون فيها حماية أرواحهم، وأموالهم، وكنائسهم، ودياراتهم.

فقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى الجاثليق يشوعياب الجدالي عهداً وذماماً لطائفته مؤكداً بالحفظ والحياطة وأن لا يؤخذ من إخوته وخدمه الجزية، وأشياعاً أيضاً[1].

كما كتب الخليفة علي بن أبي طالب إلى الجاثليق مار آمه الأرزوني كتاب أمان، وبالوصاية له على النصارى أتباعه ورعاية ذمتهم، وكان يظهره لكل من يتولى من رؤساء الجيوش وأمرائهم فيمتثلونه[2].

ولم يأت هذا الاحترام وهذه الرعاية للنصارى من قبل خلفاء المسلمين إلا لأن القرآن الكريم يشير إلى مودّة النصارى وتواضعهم بقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3].

كتب المستشرق الفرنسي دوفال[4] في كتابه الرها: أن عمر بن الخطاب[5]

(1) ماري بن سليمان ـ أخبار فطاركة المشرق ص 62.

(2) ذخيرة الأذهان ج 1 ص 259 ـ 260. يوسف داود مختصر تواريخ الكنيسة ص 226.

(3) سورة المائدة، الآية: 82.

(4) روبنس دوفال (1839 ـ 1911) مستشرق فرنسي. درس السريانية في معهد فرنسا. له «المعجم السرياني العربي» و«النفيس في الآداب السريانية».

(5) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين (634 ـ 644م) ولد في مكة خلف أبا بكر الصديق في خلافة المسلمين. عرف بشدة ولائه للرسول العربي. في أيامه فتحت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص وأبو عبيدة الجراح ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص الأمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية. أنشأ (الديوان) لدفع رواتب الجيش و«الأمصار» لتحديد قاعدات الجند والمدن. اغتاله عبد فارسي.

وعثمان بن عفان[1]، وعلي بن أبي طالب[2]، أحسنوا إلى النصارى، وقرّبوهم منهم، وولوا بعضهم على البلاد التي كان معظم سكانها نصارى، واكتفوا بطلب الجزية منهم.

وقد كان الولاة وقواد الجيوش يستعملون النصارى كخبراء، ويولونهم المدن، والقرى، كما كان الأطباء والمتولون على الخزائن والكتاب غالباً من النصارى[3].

رحّب أهل العراق بالفتح الإسلامي لأنهم وجدوا فيه المنقذ الذي يخلّصهم من ظلم دولة الأكاسرة الساسانية[4]، كما وجدوا فيه تخلّصاً من الخدمة العسكرية وأملاً في تمتعهم بالحرية الدينية، هذا بجانب المميزات الأخلاقية التي تمتع بها العرب الفاتحون[5].

ومع أن أغلبية النصارى العرب ساندوا الفاتحين، فإن موقف البعض منهم في أول الأمر كان الموقف الموالي للفرس، ولم يكن ذلك حباً بهم وإنما خوفاً من قسوة السلطان الفارسي، واحتماء بهذا السلطان من غارات الجيوش العربية التي اعتبروها أول الأمر مجرد غارات نهب وسلب. إلا أن

(1) عثمان بن عفان: ثالث خلفاء الراشدين (644 ـ 656). قرشي من عائلة أمية وأحد تجار مكة الكبار. اعتنق الإسلام باكراً. تزوج برقية بنت الرسول. ثم بأم كلثوم. بويع بالخلافة بعد عمر. عهد إلى أفراد عائلته بالمناصب القيادية جمع القرآن. قتل في داره وهو في الثامنة والثمانين من عمره.

(2) علي بن أبي طالب: رابع الخلفاء الراشدين (656 ـ 661). ابن عم الرسول وزوج فاطمة ابنته أم الحسن والحسين. بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان فانقسم المسلمون. تغلب على معارضيه في معركة الجمل سنة (656) وبينهم طلحة والزبير وعائشة. اصطدم بمعاوية والي الشام والطالب بثأر نسيبه عثمان في معركة صفين سنة (657) التي انتهت بقبول التحكيم فانتقلت الخلافة إلى البيت الأموي. اغتاله أحد الناقمين من الخوارج.

(3) انظر إقليميس يوسف داود ـ مختصر تواريخ الكنيسة ـ 327.

(4) انظر لوبون ـ حضارة العرب ـ ص 169.

(5) انظر الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ 102.

موقفهم تغير بعد أن خضعوا للعرب، ورأوا عظم الفارق بينهم وبين حكّامهم الفرس، فرحّبوا بهم واطمأنوا لحكمهم[1]. ففرض عليهم المسلمون الجزية على رؤوسهم، والخراج على أراضيهم، ولم يجبروا أحداً منهم على ترك دينه[2]. فبقي القسم الأكبر من النصارى بعقيدتهم فرفضوا الجزية فصالحهم الخليفة عمر بن الخطاب على أن يدفعوا ضعف صدقة المسلم[3].

فالإسلام هو دين متسامح، أقبل الناس على اعتناقه بإرادتهم واختيارهم[4]. ويؤيد ذلك المستشرق لوبون بقوله: «والحق إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم»[5].

ويبدو أن الدوافع التي دفعت النصارى العرب إلى مساندة الجيوش الإسلامية في أثناء الفتح هي الروابط القومية والعنصرية التي تربطهم بالعرب المسلمين من جهة، ومن الجهة الأخرى قساوة الحروب التي جرت بين العرب والفرس قبل الفتح الإسلامي، ولا سيما منذ أيام سابور ذي الأكتاف وأنو شروان وكسرى أبرويز فيقول الخشاب: «إن الثأر هو الذي سيّر الفتح ودفع النصارى العرب لنصره ومؤازرة الجيوش الإسلامية»[6].

وأكرم المسلمون النصارى أكثر من سائر الأديان الأخرى، وعاملهم العمال أحسن معاملة، وقد اكتنفتهم الحماية، وظللهم التسامح، وبقيت مدارسهم مفتوحة، كما كانت، ولم يكن الخلفاء والأمراء يتدخلون في شؤونهم[7].

---

(1) ابن الأثير ـ الكامل ـ ج 2 ص 314.
(2) الطبري ـ تاريخ ـ ج 4 ص 7.
(3) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص 186.
(4) أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ـ ص 182.
(5) لوبون ـ حضارة العرب ـ ص 72.
(6) الخشاب ـ التقاء الحضارتين الفارسية والعربية ـ ص 93.
(7) أحمد أمين ـ فجر الإسلام ـ ص 132.

موقف الخلفاء المسلمين من نصارى العراق

لقد شهدت العصور الإسلامية ما نعم به النصارى من التسامح، والأمن والرخاء بما وضعه من قواعد وتشريعات لتنظيم العلاقة بينهم وبين المسلمين، وما وضعه الرسول العربي من السنن التي اعتبرت أسساً سار عليها من جاء بعده من الخلفاء. وقد أوصى القرآن الكريم بالإحسان إلى النصارى، وبرهم، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[1]. كما وضع نظاماً لتحديد العلاقة ما بينهم وبين المسلمين لكي لا تحدث الفرقة والنزاع، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2]. وقد عمل على زيادة الإلفة والمودّة ما بين المسلمين وأهل الكتاب، فأباح الاختلاط، والزواج بين المسلمين وأهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3]. بل حدّث المسلمين عن أهمية العهد والوفاء له، وصيانة النصارى من الإيذاء والظلم، فقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ

(1) سورة الممتحنة، الآية: 8.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 46.
(3) سورة المائدة، الآية: 4.
(4) سورة الرعد، الآية: 20.

﴿مَسْـُٔولًا﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[2].

وأكّد الإسلام على ضرورة العفو عن بعض سيئات النصارى، فقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ ﴿وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] كما قضى بعدم التعرّض لعقائد النصارى بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾[4]. وقد نهى القرآن الكريم عن إكراههم على الإسلام بقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[5]. وأشار إلى مودة النصارى وتواضعهم للمسلمين فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[6].

في عهد الرسول محمد

وقد عامل الرسول ﷺ النصارى بغية التسامح مستنيراً بما جاء في القرآن الكريم فقد كتب لأهل نجران في عقد الصلح معهم «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أموالهم، وأرضهم، وملتهم، وغايتهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغيّر أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليهم دية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشّرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم جزيتهم فسهمهم النصف غير ظالمين، ولا

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 34.

(2) سورة النحل، الآية: 91.

(3) سورة آل عمران، الآية: 134.

(4) سورة المائدة، الآية: 105.

(5) سورة البقرة، الآية: 82.

(6) سورة المائدة، الآية: 82.

مظلومين، ولا يؤخذ منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا...»[1].

وقد روي عن الرسول ﷺ من مصادر موثوق بها لا يتطرّق إليها الشك أقوال كثيرة في الحضّ على التسامح مع النصارى، والمحافظة عليهم، ورعايتهم، وعدم تكليفهم فوق طاقتهم، واتّباع الحق والعدل معهم، ما داموا في عهد المسلمين فقال: «من ظلم معاهداً أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[2]. وقال أيضاً: «الله الله من أهل الذمة...»[3].

ويقول عبد المسيح الكندي[4] في رسالته: إن من الأسباب التي دفعت الرسول إلى إعطاء النصارى العهود والمواثيق، وجعل لهم ذمة في عنقه وأعناق أصحابه: أن الرهبان كانوا يبشرونه قبل نزول الوحي عليه منها قصة الراهب بحيرا[5]، وأن النصارى مالت إليه فكانت تخبره بمكائد اليهود، ومشركي قريش، ويشهد القرآن لهم، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾.

في عهد الخلفاء الراشدين:

وقد سار الخلفاء الراشدون[6] على هدي القرآن وسيرة الرسول في

---

(1) الألوسي ـ بلوغ الإرب ـ ج 2 ص 243 ـ 244. ابن الأثير ـ الكامل ـ ج 2 ص 200. انظر حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية ـ 114. البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص 77 ـ 78.

(2) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ج 2 ص 127. الغزي الحنفي ـ جلاء الظلمة ورقة 38 و. ظ.

(3) جرجي زيدان ـ التمدن الإسلامي ـ ج 4 ص 103.

(4) رسالة عبد المسيح الكندي ص 6.

(5) الراهب بحيرا: كان على مذهب النساطرة. أقام في جزيرة العرب. وابتنى له صومعة على طريق القوافل وكان يدعو البدو إلى التوحيد. واسمه سرجيون من بدعة محاربة الصليب.

(6) هم أبو بكر الصديق 632 ـ 634. عمر بن الخطاب 634 ـ 644. عثمان بن عفان 644 ـ 656. علي بن أبي طالب 656 ـ 660.

معاملة النصارى ما داموا يلتزمون بعهود المسلمين، فهذا كتاب عهد من أبي بكر الصديق لأهل نجران أيضاً يؤكّد فيه التزامه بعهد الرسول لهم ويؤكد النصوص الواردة في عهد الرسول لهم[1]. وقال أبو بكر الصدّيق، يوصي قُوّاده وجيشه أثناء الفتوحات بأهل الذمة: «لا تقتلن أحداً من أهل الذمة، فيطلبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك في النار»[2].

كانت غاية الفتوحات الإسلامية نشر الإسلام وحماية الأرواح وممتلكات السكان، ورعاية مقدساتهم، وعدم المساس بكنائسهم ورهبانهم وصوامعهم، وأصبحت هذه المثل العليا قوة لسكان البلاد المفتوحة. فقد قال أبو بكر فيهم: «أوصيكم بعشر فاحفظوها عني، ألا تخونوا، ولا تَغلُوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، أي لا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلّا لأكله، وسوف تمروا بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ومما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه»[3].

وقد امتثل القواد لتوجيهات الخليفة أبي بكر، وحملوا هذه المبادىء السامية إلى البلاد المفتوحة. فلما توجّه خالد بن الوليد إلى العراق، وفتح الحيرة[4]، عقد مع أهلها سنة 12 هـ صلحاً نصّت شروطه على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على أهل فارس وأن لا يهدم لهم بيعة ولا قصر[5] وأن عهود خالد معهم تمثّل صورة من صور التسامح الإسلامي مع النصارى. فقد جاء:

---

(1) محمد حميد الله خان ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد الأموي. ص 129.

(2) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ج 2 ص 1227.

(3) انظر دائرة المعارف البريطانية ج 11 ص 184. الطبري ج 3 ص 213. ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ج 2 ص 127 ـ 121. ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 2 م 4 ص 73. ابن بطريق ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص 10.

(4) الحيرة: قاعدة الملوك اللخميين بين النجف والكوفة. كان أهلها من المسيحيين ومنهم الشاعر عدي بن يزيد. فتحها خالد بن الوليد سنة (633) أخذت بالانحطاط تدريجياً.

(5) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص 297. حميد الله خان ـ مجموعة الوثائق السياسية ـ ص 290.

«وحملت أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدّقون عليه طرحه جزيته وعيل من بيت مال المسلمين»[1].

لذا فقد استبشر النصارى خيراً بالفتح الإسلامي، وعاشوا جنباً إلى جنب مع المسلمين في أمان واطمئنان، ورغد عيش[2]. فسمح لهم المسلمون بالإسهام في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية: فقد أشركهم سعد بن أبي وقاص في تخطيط الكوفة وسمح لهم السكنى فيها بأمان[3]. وكانت جميع عهود الأمان مع النصارى في مدن العراق وقراه التي فتحها، تضمن لهم حرياتهم التامة. فقد جاء في عهده لأهل عانات[4]: «على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤوا ليلاً أو نهاراً إلّا في أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم»[5].

هذه السياسة إنما كانت تقوم على أساس التعايش السلمي، والتعاون بين جماعات المواطنين، والمعاهدين الذين ارتبطوا بالدولة العربية بعهود ومواثق وما ترتب عليها من تثبيت الحقوق، والواجبات، كالتسامح الديني وإقرار حرية العقيدة وحرمة بيوت العبادة، وحماية رجال الدين، وتنظيم أمر الدفاع عن البلاد، مقابل الجزية عن من بقي على دينه، والخراج عمّن بقيت في حوزته ملكية أرضه»[6].

ولما افتتح عمر بن الخطاب السواد في العراق رفض أراضيه بين

---

(1) أبو يوسف ـ الخراج ـ ص 144. حميد الله ـ مجموعة الوثائق ـ ص 292.
(2) الخربوطلي ـ تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ـ ص 266.
(3) الطبري ـ تاريخ ـ ج 2 ص 189.
(4) عانات: قضاء في محافظة الأنبار (الرمادي ـ العراق) ورد ذكرها منذ العهد الآشوري. عرفت قديماً بعانات واليوم تعرف بـ (عانة).
(5) حميد الله ـ مجموعة الوثائق ـ ص 293 ـ 298.
(6) حسن محمد ـ الإسلام والحضارة العربية ـ ص 192.

المسلمين فأقرّ أهل السواد في أرضهم، وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضهم الخراج يعملون فيها وينتفعون بها[1].

وقد كتب إلى قائده عتبة بن غزوان يوصيه بالتزام عهوده مع النصارى قائلاً: «إن أعزب الناس عن الظلم، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لعذر يكون منكم، أو بغي، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركت على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم إليك فما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله، وقوموا على أمره، يكن لكم عوناً وناصراً»[2].

وقد روى الطبري[3]: إن عمر بن الخطاب قال لولاة الأمور في البصرة: «ولعل المسلمين يغضون أهل الذمة، بأذى فقالوا ما تعلم إلا وفاء...»[4].

وكتب عمر بن الخطاب إلى قائده سعد بن أبي وقاص[5] حين افتتح العراق؛ أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم، وما أفاء الله عليهم فإذا أتاك كتابي هذا، فانظر ما جلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع. وقال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الأرضين، والأنهار لعمالها ـ لأهل البلاد ـ ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء ـ من النصارى ـ فهذا أمري وعهدي إليك، ولا عشور على مسلم ولا على صاحب

---

(1) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ـ ج 1 ص 7.

(2) الطبري ـ تاريخ ـ ج 4 ص 78.

(3) الطبري (أبو جعفر ـ محمد ـ ابن جرير): 838 ـ 933 ولد في أمل (طبرستان) جنوبي بحر قزوين. مؤرخ وموسوعي. تنقل بين إيران والعراق وسوريا ومصر. وأقام أخيراً في بغداد حيث توفي. له «جامع البيان في تفسير القرآن» و«أخبار الرسل والملوك في 13 جزءاً».

(4) الطبري ـ تاريخ ج 4 ص 218.

(5) سعد بن أبي وقاص (595 ـ 674) صحابي. هو سابع من اعتنق الإسلام من قادة الفتح العربي على الجبهة الفارسية. انتصر في القادسية والمدائن وجلولاء (637) اتخذ الكوفة مقراً له. وأنشأ فيها أول مسجد في العراق. اعتزل الحكم وأقام في المدينة.

ذمة إذا أدّى المسلم زكاة ماله، وأدّى صاحب الذمة جزيته التي صالح عليها...»[1].

وكان عمر يوصي المسلمين بحسن معاملة النصارى ولا يكلّفونهم فوق طاقتهم. فقال: «إني سمعت رسول الله يقول: لا تعذبوا الناس فأما الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة»[2].

ولما شعر عمر بن الخطاب بدنوّ الأجل قال وهو على فراش الموت: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمواطنين طوعاً... وأوصيك ألّا ترخِّص نفسك، ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة... ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم، هذه وصيتي إياك وأشهد الله عليك»[3].

وقد بلغ من تقدير النصارى في سوريا لعمر بن الخطاب واحترامهم له لكونه أنقذهم من الروم كما يروي الطبري: «أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر «الفاروق» ومعناه المنقذ والمخلّص»[4].

وأما في عهدي عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب فقد تمتّع النصارى بالحرية، والتسامح، كما كانوا يتمتعون به في عهد عمر ما داموا يؤدون الجزية، والخراج ويلتزمون بعهودهم مع المسلمين[5]. فكان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان إلى عماله عقب توليه الخلافة: «أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة...»[6].

وقد أكّد عثمان على ضرورة التسامح مع النصارى. وكان الوليد بن عقبة

---

(1) ابن آدم ـ الخراج ـ ص 49 و121. الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ـ الجزء الأول ص 9.
(2) أبو يوسف ـ الخراج ـ ص 125.
(3) الجاحظ ـ البيان والتبيين ـ ج 2 ص 46 ـ 48.
(4) الطبري ـ تاريخ ـ ج 4 ص 195.
(5) الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ ص 1228.
(6) الطبري ـ تاريخ ـ ج 5 ص 44 (حوادث سنة 34 هـ).

أحد ولاة عثمان بالعراق يدخل النصارى المساجد ويجري عليهم كل شهر، وضمن له أرزاقهم شهرياً[1].

ولما ورد على عثمان عاملاه على العراق، قال لهما: «لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق. فقال عثمان بن حنيف: حملت الأرض أمراً هي له مطيقة. ولو شئت لا ضعفت[2].

وكتب عثمان بن عفان إلى عمال الخراج: «أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلّا بالحق. خذوا الحق، وأعطوا الحق به ولا تكونوا أول من سلبها، والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم»[3].

وفي عهد علي بن أبي طالب، بسط العدل، والتسامح لأهل الذمة النصارى. ويتجلّى هذا في وصاياه إلى عماله وقواده، فمن وصيته إلى قائد جيشه معقل بن يونس عند خروجه إلى الأهواز لقتال الخوارج والمرتدّين من أهل الذمة قوله له: يا معقل اتّق الله ما استطعت، فإنها وصية الله للمؤمنين، لا تبغ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمّة، ولا تتكبّر فإن الله لا يحب المتكبرين[4].

وأما في وصيته إلى عامله في النصارى فقال: «انظر إذ قدمت عليهم، فلا تبعن لهم كسوة شتاء، ولا صيفاً، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربنّ أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درّه، ولا تبع لأحد منهم عرضاً من الخراج فإنّا إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»[5].

---

(1) البلاذري ـ أنساب الأشراف ـ ج 5 ص 31.

(2) الطبري ج 5 ص 44.

(3) المصدر السابق، ج 5 ص 44.

(4) الطبري، ج 5 ص 122.

(5) أبو يوسف ـ الخراج ـ ص 15 ـ 16.

وروى اليعقوبي: «أن الخليفة علي بن أبي طالب أعطى النصارى من العطاء وساواهم بالعرب والموالي»[1]. كما وأمر الخليفة علي بن أبي طالب عاملاً له بحفر نهر لأهل الذمة يروون منه أرضهم.

وقد تسامح الخلفاء الراشدون مع أهل الذمّة في ممارسة شعائرهم الدينية. وتركوا لهم تمتعهم بحقوقهم الدينية، والقضائية بالرجوع إلى رؤسائهم الروحانيين وسمحوا لهم ببناء الأديرة والبيع والكنائس، فقد كان لهم في الموصل بيع وكنائس وأديرة كثيرة. وقد ترك لهم المسلمون دورهم ومعابدهم وعاشوا جميعاً بسلام[2]. كما وأذنوا لهم في اختيار رؤسائهم الروحانيين.

وقبل أن نتكلم عمّا نسب إلى عمر بن الخطاب من (عهد عمر)، ومناقشة ما جاء في نصوصه، نودّ إلى الاستشهاد بآراء النصارى من أهل الذمة وآراء المستشرقين النصارى وهي بلا شك رد مفحم على دعاة الباطل والتفرقة الذين صوّروا الإسلام والحكّام المسلمين بالسيف المسلّط على رقاب أهل الذمّة.

فيروي لنا صاحب التاريخ السعردي[3]: أن الجاثليق يشوعياب (النسطوري) أرسل إلى الرسول العربي هدايا مع جبرائيل أسقف ميسان. وسأله الإحسان إلى النصارى، وكان جواب الرسول: أن برّه بعدّة من الإبل، وثياب عدنية[4]. وقال توما المرجي: إن الجاثليق الجدالي بعث برسالة إلى أحد أساقفة الفرس يقول فيها: إن العرب الذين وهبهم الله الملك يحترمون الديانة المسيحية ويودون القسس، والرهبان ويكرمون أولياء الله ويحسنون إلى الكنائس والأديار[5].

---

(1) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج 2 ص 59.
(2) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص 340.
(3) مؤلف مجهول ـ التاريخ السعردي ـ ج 2 ص 618 ـ 619.
(4) ماري بن سليمان ـ أخبار فطاركة كرسي المشرق ـ ص 6.
(5) ماري بن سليمان ـ كرسي المشرق ـ ص 16 ـ 62. بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 249 ـ 250.

ولما وصلت الجيوش الإسلامية أثناء فتح العراق إلى تكريت[1]، فتح رئيس الأساقفة (المفريان) السرياني الأرثوذكسي ماروثا[2]، أبواب قلعة تكريت، واستقبل الجيوش الإسلامية[3]. ولما سارت هذه الجيوش إلى الموصل حمل مار آمه الأرزوني النسطوري الميرة والمؤن إلى جيش المسلمين، وساعد رئيسهم عبد الله بن المعتم على الفتح[4].

وقال الجاثليق يشوعياب الحديابي الذي كان يرأس طائفته في أيام عثمان وعلي (إن العرب أعطاهم الله حكم العالم اليوم ليسوا أعداء للنصرانية، فهم يحترمون ديننا ويكرمون القديسين والكهنة ويساعدون الأديرة والكنائس»[5].

وأشار الكتّاب النصارى إلى العهود التي منحها الخلفاء لهم تكريماً لمواقفهم من المسلمين «فقد حظي الجاثليق يشوعياب الجدالي بين يدي الخليفة عمر بن الخطاب، وكتب له عهداً ولطائفته عهداً وذماماً»[6].

وكتب علي بن أبي طالب إلى (الجاثليق مار آمه الأرزوني كتاب توصية كان يظهره لكل من تولّى رؤساء الجيوش وأمرائهم فيمتثلونه)[7].

هذا بعض ما كتبه رؤساء النصارى في العراق في معاملة المسلمين لهم، وما أشاروا إليه من العهود والمواثيق التي أعطاها الخلفاء لرؤسائهم.

---

(1) راجع عن فتح تكريت مقالنا المنشور في المجلة البطريركية سنة 1970 عدد 71، 72، 73، 74.

(2) انظر عن ماروثا التكريتي ـ اللؤلؤ المنثور ـ للبطريرك افرام برصوم ودفقات الطيب للبطريركية عدد 75، 76 سنة 1970.

(3) بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 331.

(4) ماري بن سليمان ـ كرسي المشرق ـ ص 66. نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 249 ـ 253.

(5) ترتون ـ أهل الذمة ـ ترجمة حسن حبشي ص 149.

(6) ماري بن سليمان ـ أخبار كرسي المشرق ـ 62. نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 249 ـ 253. كلدو واثور ج 2 ص 251 ـ 255.

(7) ماري بن سليمان ـ أخبار كرسي المشرق ـ 62. نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 259 ـ 260.

وأما ما كتبه المستشرقون المسيحيون ليعطي الدليل القاطع على تسامح الإسلام وعلى حسن معاملة الحكّام المسلمين المسيحيين، فقد كتب المستشرق الفرنسي دوفال[1]، في كتابه «تاريخ الرها»: «إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلياً بن أبي طالب أحسنوا إلى النصارى وقرّبوهم منهم، وولّوا بعضهم على البلاد التي كان معظم سكانها نصارى واكتفوا بطلب الجزية منهم»[2].

ويقول المستشرق الفرنسي لومون: «ومن يتتبع سير التاريخ يرى أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يحترمون النصارى، ويدافعون عن حقوقهم. فازدهرت الديانة النصرانية في أيامهم»[3].

ويؤيد المستشرق لوبون ذلك فيقول: «والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين مسالمين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم»[4].

ويوضح المستشرق دوزي مواقف الحكّام المسلمين من أهل الذمة فيقول: «إن تسامح ومعاملة المسلمين لأهل الذمة أدّى إلى إقبالهم على الإسلام»[5].

«وقد أشار المؤرخ الشهير لوبون في كتابه (حضارة العرب) إلى جملة آراء من المستشرقين، وكلها تؤكّد على تسامح المسلمين لأهل الذمة عامة، وللنصارى خاصة[6]. فقد ذكر أن القرآن الكريم قد أوضح تسامح الرسول العربي مع النصارى، وأنها كانت عظيمة للغاية. وقال الراهب ميشود في كتابه

---

(1) دوفال (روبنس 1839 ـ 1911) مستشرق فرنسي، درس السريانية في معهد فرنسا. له «المعجم السرياني العربي» و«النفيس في الآداب السريانية».

(2) انظر مجلة النجم ج 1 ص 57.

(3) مختصر تواريخ الكنيسة ترجمة المطران يوسف داود ص 385 ـ 386.

(4) لوبون ـ حضارة العرب ـ ص 72.

(5) دوزي ـ نظرات في ماري بن سليمان ـ أخبار كرسي المشرق ـ 62. نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1. الإسلام ـ ص 411 ـ 412.

(6) لوبون ـ حضارة العرب ـ حاشية 1 ص 128.

ـ تاريخ الحروب الصليبية ـ إن القرآن الذي أمر بالجهاد تسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرّم محمد قتل الرهبان لعكوفهم على العبادات ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس. . .»[1].

ويقول لوبون أيضاً: إن التسامح الديني كان مطلقاً في دور ازدهار حضارة العرب، وسنشير هنا إلى ما ترجمه المستشرق دوزي من قصة لأحد علماء الكلام العرب الذي كان يحضر في بغداد دروساً كثيرة في الفلسفة يشترك فيها أناس من الزنادقة واليهود والمجوس والمسلمين والنصارى وغيرهم فيستمع كل واحد منهم باحترام عظيم، ولا يطلب منه، إلّا أن يستند إلى الأدلّة الصادرة عن العقل لا إلى المأخوذ من أي كتاب ديني كان[2].

ويردف المستشرق لوبون قائلاً: ولم يبد عدم التسامح بين المسلمين إلّا بعد أن اضمحلّ سلطان العرب في القرن الثالث عشر الميلادي وصارت سلطتهم في قبضة شعوب شرسة غير مهذبة من أتراك وبربر وفرس وغيرهم، وقد أشار إلى ذلك بحق العلامة رينان بقول: «وليست المذاهب مصدر عدم التسامح في الغالب، بل الأشخاص. وكان العرف العربي من التهذيب والسماحة ما لا يحيد معه عن هذا التسامح الذي أقام الدليل عليه في كل مكان منذ بدء فتوحه».

أما بالنسبة إلى الضرائب التي فرضها المسلمون على أهل الذمّة فقال المستشرق فان فلوتن: «إن الضرائب لم تكن فادحة بالنسبة إلى ما كانت تقوم به الحكومات العربية من بناء الطرق وحفر الترع، وتوطيد الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح، والحقيقة أن الجزية لم تكن عقاباً لأهل الذمّة، فهي نظير إعفائهم من الجندية، ومقابل حماية المسلمين لهم».

---

(1) المصدر السابق، ص 127 ـ 128.

(2) ذات المصدر ص 570.

وقد فرض الإسلام على المسلم الزكاة حتى يتكافأ الذمي والمسلم في الواجبات، وكان نظام الجزية عادلاً بحسب مقدرة الفرد المالية ففرّق بين الغني والفقير والمتوسط الحال، كما أعفى النساء والصبيان وذوي العاهات. وكان لأهل الذمة نصيب من العطاء[1].

ويروي الخربوطلي رأي المستشرق جولد تسهير في الإسلام[2]: «إن مبادىء الحرية الدينية التي منحت لأهل الذمة في مباشرة أعمالهم الدينية وروح التسامح في الإسلام... كان لها أصل في القرآن ـ لا إكراه في الدين ـ».

وأكّد المستشرق بارتولد[3]: «إن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين، إذ إن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمّة، مبدأ الرعاية والتساهل».

وقال المستشرق لوبون[4]: في تسامح المسلمين مع أهل الذمة في العبادة: «فقد احترم المسلمون عقائد أهل الذمة وعاداتهم وعرفهم، مقابل جزية زهيدة عمّا كانوا يدفعونه إلى ساداتهم السابقين من الفرس والروم من الضرائب».

ويقول المستشرق ديمومبين[5]: «ولم يطبّق العرب على أهل الذمة ما كانوا يفرضونه على المسلمين من عقوبات كشرب الخمر».

ويقول المستشرق أرنولد[6]: «من تسامح المسلمين في رسالة بعث بها إلى أحد رجال الكنيسة وهو البطريرك النسطوري يشوع فانا الثالث، وقد

(1) فان فلوتن ـ السيادة العربية ـ ص 30.
(2) الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ ص 19 ـ 220.
(3) بارتولد ـ الحضارة الإسلامية ـ ص 19 ـ 20.
(4) لوبون ـ حضارة العرب ـ ص 169.
(5) ديمومبين ـ النظم الإسلامية ـ 66.
(6) أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ـ 75.

تضمنت الرسالة الدليل القاطع على الهدوء والمسالمة التي اتبعها العرب في نشر الإسلام».

ويشير المستشرق ماسينيون[1] إلى رأيه في الإسلام فيقول: «يمتاز الإسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بالعشر في وارد الجماعة. وللإسلام ماضٍ بديع من تعاون الشعوب، وتفاهمها، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام كله التوفيق في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات»[2].

أما المستشرق كاهن Cahen[3] فيقول: «من النظرة العقائدية فإن الذميين كانوا يمنعون من دخول الوظائف الحكومية، والواقع كان مخالفاً لذلك إذ ساعد الذميون المسلمين في إدارة المناطق التي فتحها المسلمون».

وقال المطران إيليا برشينايا[4]: «إن الذي نعتقده في المسلمين هو أنه يلزمنا طاعتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم وذلك لأنهم يرون صيانتنا وإعزازنا والإحسان إلينا ديانة وفرضنا لأن كتابهم ـ القرآن ـ يأمرهم بذلك ويعتقدون أن من ظلمنا وآذانا وتعدّى علينا منهم كان صاحبهم ـ النبي محمد ـ خصمه يوم القيامة، وشرعهم يحمدنا ويجيزنا من بين سائر أهل الملك».

إن سياسة التسامح مع أهل الذمة كان لها الأثر الإيجابي الفعّال حيث أقبل أهل الذمة نتيجة حبهم للعرب المسلمين إلى التقرّب إليهم ووجدوا أن

---

(1) ماسينيون (لويس 1883 ـ 1962) مستشرق فرنسي. عضو في المجامع العلمية في بلدان عديدة شرقية وغربية. اهتم بنشر مؤلفات الحلاج. ترك آثاراً جمّة في مختلف الشؤون الإسلامية، ولا سيما الصوفية منها.

(2) الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ ص 99.

(3) Cahen Ency of Islam (Dhimma) P.229.

(4) ابن شينايا ـ المجالس السبعة ـ مخطوط ورقة 235.

أولى هذه الوسائل هو تعلّم لغتهم، والتقلّد بنظمهم العربية وتقاليدهم فأصبحت اللغة العربية بمرور الزمن لغة جميع النصارى في حوض دجلة والفرات[1].

ويقول المستشرق ديورانت[2]: «. . .وبلغت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين درجة من المودة تتيح للمسيحيين الذين يضعون الصلبان على صدورهم أن يؤمُّوا المساجد ويتحدثوا فيها مع أصدقائهم المسلمين».

ويقول المستشرق شيد Shedd[3]: «إن العرب عاملوا النصارى واليهود معاملة تمتاز بالتسامح، وقد كان المسلمون قد جنحوا إلى ترك كل جماعة غير إسلامية تحكم نفسها بإشراف رئيسها، وهذا الرئيس حلقة الاتصال بين الجماعة وبين الحكومة الإسلامية».

وقال صاحب التاريخ السعردي: «فطالبوا أهل الذمة بالجزية فأدوها وأحسنوا إليهم وتقررت الأمور بفضل الله تعالى، وطابت قلوب النصارى في مملكته ثبتها الله ونصرها»[4].

وهكذا رفّه النصارى في ظلال تسامح المسلمين وخاصة في العراق حيث بقوا في عهد الخلفاء الراشدين ينعمون بحرية تامة، وعاملهم الولاة المسلمون معاملة حسنة وقد اكتنفتهم الحماية وظللهم التسامح[5].

في العهد الأموي:

سبق أن قلنا إن خلفاء العهد الأموي اتبعوا مُنتهى التسامح مع

---

(1) Shedd. Islam and Oriental Churches p.97.

(2) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 6 ـ 7.

(3) Shedd. Islam and Oriental Churches P.103. ودائرة المعارف الإسلامية (مادة ذمة) ج 1 ص 391.

(4) مؤلف مجهول ـ التاريخ السعردي ـ ج 2 ص 582.

(5) بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 265 ـ 266.

النصارى وقرّبوهم إليهم، فازدهرت الدولة في أيام معاوية بن أبي سفيان[1]، وعمّ السلام، وتمتّع الناس بحرية مطلقة، فإن المسلمين قاموا بحق النصارى والرهبان، فكانوا يطالبونهم بالجزية ويطلقون لهم الحرية في أمور دينهم. وقد أسند معاوية الإدارة المالية في الدولة لأسرة مسيحية توارث أبناؤها الوظيفة لمدة قرن من الزمان، بعد الفتح العربي، ومن أفرادها مار يوحنا الدمشقي[2]، المعاصر لمعاوية ولابنه يزيد[3] كما أسند معاوية إلى طبيبه المسيحي ابن آثال جباية خراج حمص، وهي وظيفة مالية لم يسبق نصراني قبل أن وصل إليها[4].

وفي ولاية الوليد بن عتبة على الكوفة ولّى إدارة سجن قريب من الكوفة سنة 26 هـ رجلاً مسيحياً[5]. وكان سرجون كاتباً مسيحياً لمعاوية. قيل لما نقلت الدواوين إلى العربية قال سرجون لأبناء جلدته «اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم»[6]. ومن هذا يظهر أن أغلب كتّاب الدواوين والموظفين كانوا من النصارى. ومع هذا فقد بقوا يشغلون مناصب

---

(1) معاوية بن أبي سفيان 661 ـ 680 زعيم بني أمية، مؤسس السلالة الأموية في الشام. اشترك في فتح سوريا، حاكم سوريا في عهد عمر وعثمان. عارض علياً وقاتله في صفين 657 فانتهت المعركة بقبول التحكّي الذي انتهى بانتقال الخلافة إليه، حارب البيزنطيين وأتمّ فتح شمالي إفريقيا، اشتهر بدهائه.

(2) يوحنا الدمشقي، معلم الكنيسة الجامعة. حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية الأول، ألّف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر، دافع عن إكرام الصور المقدسة.

(3) يزيد بن معاوية (680 ـ 683) اشترك في حياة والده في حملة على القسطنطينية 669. في عهده قُتل الحسين بن علي (يوم كربلاء 10 تشرين الأول 660) أرسل حملة إلى المدينة ومكة بقيادة مسلم بن عقبة والحصين بن نمير لإخضاع منافسه ابن الزبير (683). انصرف إلى اللهو والخمرة غير أنه أصلح الإدارة المالية.

(4) فيليب حتي ـ تاريخ العرب ـ ج 2 ص 259 طبعة 1953.

(5) للأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 4 ص 183.

(6) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص 193 وص 3. ترلون أهل الذمة ص 169.

كبيرة في الدولة وظلوا يعاملون أحسن معاملة[1]. وقد أباح بنو أمية لهم ممارسة الاحتفال بأعيادهم والاحتفاظ بمعابدهم[2].

وعامل المختار الثقفي[3] النصارى بالعراق معاملة حسنة، وفي ولاية الحجاج[4] الثقفي على العراق. كان عامله بخراسان يبني لأهل الذمة البيع، وقد سمح له الحجاج بذلك[5].

وكان الأخطل[6] الشاعر النصراني يدخل المساجد في دمشق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[7] فيقف له المسلمون إجلالاً؛ وكان يدخل عليه بغير إذن، وهو مخمور، وفي صدره الصليب، ولا يعترضه الخليفة ولا غيره[8].

واتّصف عهد عمر بن عبد العزيز[9] بالعدل، والإحسان لأهل الذمة.

---

(1) صبحي الصالح ـ النظم الإسلامية ـ 365. حتي ـ الدولتان الأموية والعباسية ص 59.

(2) ريسلر ـ ترجمة غنيم ـ الحضارة الإسلامية ص 78.

(3) المختار الثقفي: ابن أبي عبيد اشترك في ثورة مسلم بن عقيل فسجنه عبيد الله بن زياد. انضم إلى ابن الزبير وحارب في حصار مكة. دعا لمحمد ابن الحنفية صاحب الكوفة سنة (685). أعلن الثورة على الأمويين. انتصر قائده ابن الأشتر على الجيش الأموي في معركة الخازر حيث قتل عبيد الله بن زياد. قتل في دفاعه عن الكوفة سنة (686).

(4) يوسف الثقفي: ولد في الطائف واشتهر بولائه للبيت الأموي. حارب عبد الله بن الزبير. عينه عبد الملك بن مروان والياً على العراق. أسس مدينة واسط. قضى على الخوارج. اشتهر بالخطابة.

(5) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 315.

(6) الأخطل (غياث التغلبي): 640 ـ 710. هكذا لقّب لطول لسانه أو لارتخاء أذنيه. كان نصرانياً من بني تغلب، من المنتمين إلى الكنيسة الأرثوذكسية. اتصل بالأمويين فغدا شاعرهم الخاص ينصرهم بلسانه كما ينصرهم قومه برجالهم. يفيض بمدحهم ويندفع في هجوم أعدائهم حتى جاء بفن يجدر أن يسمى بالشعر السياسي. ديوانه كبير مشهور دَوّن قصائده أبو سعيد السكري ومحمد بن عباس اليزيدي.

(7) الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 16، ص 36.

(8) الأغاني ج 7، 74، 269، 178. ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 2 ص 160.

(9) عمر بن عبد العزيز بن مروان (682 ـ 720) ولد بالمدينة. أمير الحجاج 706 خليفة أموي سنة 717 اشتهر بتقواه.

فيقول المستشرق دوزي[1]: «والحقيقة إن أهل الذمة تمتعوا بالكثير من عدل عمر ورحمته، فقد أمر عماله بأن لا يهدموا كنيسة أو بيعة، صولح أهل الذمة عليها، فهو طبّق العدل بالحفاظ على مقدسات أهل الذمة، وبنفس الوقت راعى مصالح الإسلام بأن منع أهل الذمة من بناء البيع والكنائس تطبيقاً للعهود السابقة بينهم وبين المسلمين في الوقت الذي لم يعمل أي خليفة على تطبيقها قبلاً.

كما منع الخليفة عمر بن عبد العزيز عماله من اتخاذ النصارى يتصرفون في مصالح المسلمين مستنداً إلى قول القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾[2].

يقول المستشرق بارتولد[3]: «لم يطلب أهل الذمة، تنفيذ الشروط حرفياً كارتدائهم ثوباً مميزاً لهم طبقاً لما ورد فيما نسب إلى عهد عمر، فكان العمال النصارى يلبسون أثواباً كأثواب عظماء المسلمين ويجعلون لأنفسهم مقاماً عالياً أمام العامة»[4].

ويُعقّب سعيد بن بطريق (ت 328 هـ/ 939م) على زي النصارى في العهود الإسلامية فيقول: «ولم يترك النصارى يلبسون السواد، ويركبون الخيل حتى أيام المتوكل»[5].

وكان نصارى العراق يلبسون الثياب كغيرهم من السكان. وقد وردت في المعاجم العربية والشعر مفردات في وصفهم النصارى، أو شرحوها بقولهم

---

(1) دوزي (راينهارت) 1820 ـ 1884 مستشرق هولاندي مدرس العربية في كلية لايدن، درس تاريخ الدول الإسلامية في الأندلس والمغرب. من أهم مؤلفاته «ملحق وتكملة القواميس العربية».

(2) انظر دوزي ـ نظرات في تاريخ الإسلام ـ ص 402 ـ 403.

(3) بارتولد (باسيل وليم) 1860 ـ 1930 مستشرق روسي. له المقالات في دائرة المعارف الإسلامية ودراسات قيّمة عن شعوب آسيا الوسطى.

(4) بارتولد ـ تاريخ الحضارة الإسلامية ـ ص 55.

(5) سعيد بن بطريق ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص 59.

إنها من ثياب النصارى، وكانت كل طبقة من النصارى تلبس زياً، ونوعاً خاصاً من الملابس، فالبطاركة كانوا يلبسون (الربط) وهي الملاءة المنسوجة قطعة واحدة. فقال الشاعر:

يعلو الظواهر لا أليف له مشي البطريرك عليه ربط كتان ومن ألبسة النصارى أيضاً (الموف) وهو ضرب من الخفاف يلبس فوق الخف كان ينتعل به السادة من النصارى. وأما الزهّاد والرهبان فكانوا يلبسون المسوح (المسح) وهو من الشعر[1].

ويقول المستشرق ديورانت في أهل الذمة: «لقد كان أهل الذمة يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أثر من ارتداء زي ذي لون خاص، وكان ذلك فقط في زمن عمر بن عبد العزيز»[2].

ويقول المستشرق جولد تسهير: «إن روح التسامح في الإسلام قديماً تلك الروح التي اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً كان لها أصلها في القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[3] وكثيراً ما كان الخلفاء يوصون بالتسامح الديني إزاء أهل الأديان، ومع هذا فإن بعض التحديد والتقييد قد تمّ، فقد جاء مثلاً بتحريم بناء الكنائس، أو إصلاح ما تهدم منها وقد حصل على ما يظهر أول مرة في عهد عمر بن عبد العزيز الذي اتخذ هذه التدابير، وتابعه على سُنّته المتوكل العباسي، وقد اتخذ هؤلاء الحكّام بهذه السياسة ضد معابد أهل الكتاب، والتي كان قد أذن فيها منذ إخضاعهم وفي هذا نفسه دليل على أن إقامة هذه المعابد قبل ذلك لم يقف في طريقها مانع من الموانع».

نستخلص من هذه الإجراءات أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرمي

---

(1) شيخو ـ النصرانية وآدابها ـ ص 218 ـ 219.
(2) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 من 130.
(3) سورة البقرة، الآية: 256.

إلى تشجيع انتشار الإسلام كقول المستشرق ديورانت: «إن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت ترمي إلى تشجيع المسيحيين واليهود والزرادشتيين على اعتناق الإسلام»[1]. ويؤيد هذا ما رواه الطبري (ت 310هـ/ 922م) حيث شكا إليه أحد عماله فقر بيت المال أجابه بقوله: «والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حرائين نأكل من كسب أيدينا»[2].

ومن أبرز القضايا التي عالجها عمر بن عبد العزيز مشكلة الضرائب فألغى بعضها، كما ونظَّم أوقات جباية الخراج فذكر أبو يوسف[3] (ت 182هـ/ 897م) أنه: «قيل لعمر بن عبد العزيز ما بال الأسعار غالية في زمانك، وكانت في زمن من كان قبلك رخيصة؟ قال: إن الذين كانوا قبلي يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم فلم يكونوا يجدون بدّاً من أن يبيعوا ويكدسوا في أيديهم، وأنا لا أكلّف أحداً إلّا طاقته فباع الرجل كيف شاء»[4].

وبهذا الإجراء استطاع الخليفة أن يرفع مستوى معيشة جماهير كبيرة من سكان البلاد الإسلامية وهم الفلاحون، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة أن يعطي أهل الذمة ما بقي من خراج الكوفة فيسددوا دَيْنَهم، ويساعد من أراد الزواج منهم»... وختم رسالته بقوله: «قوِّ أهل الذمة، فإننا لا نريدهم لسنة، ولا لسنتين...»[5].

وكانت غايته أيضاً التخفيف عن كاهل أهل الذمة، ورفع مستواهم الاقتصادي، فقد أمر واليه على العراق «أن يدع لأهل الخراج، من أهل الفرات ما يستختمون به الذهب، ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين». وقد

---

(1) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 130.
(2) الطبري ج8 ص148.
(3) أبو يوسف مؤلف كتاب الخراج في الفقه الحنفي بأمر هارون الرشيد، توفي سنة 798 ونقل الكتاب إلى الفرنسية.
(4) أبو يوسف ـ الخراج ص 132.
(5) ابن عبد الحكيم ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ص 67.

نصح الولاة وحذّرهم من الإساءة والاعتداء على أهل الذمة أو اضطهادهم، وأوصى بحسن معاملتهم، فكتب إلى واليه على خراسان «لا تضربن مؤمناً، ولا معاهداً[1]، سوطاً إلّا في الحق»[2].

كما كتب إلى عامله على البصرة عدي بن أرطأة، يوصيه بالإنفاق من بيت مال المسلمين على من عجز عن العمل، وأصابته فاقة من أهل الذمة فقال: «أما بعد. . . وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنّهُ وضعفت قوّته، وولّت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»[3].

وروى ابن كثير[4] (ت 774 هـ/ 1372م) قصة مفادها أن عمر بن عبد العزيز انتصف لذمي في أرض له اغتصبها العباسي بن الوليد. . وسأل الذمي عمر بن عبد العزيز كتاب الله وقد اعترف العباس بأن الوليد اقتطعها له، فقال عمر إن كتاب الله أحقّ أن يتبع من كتاب الوالي. وقال للعباس قم واردد عليه ضيعته»[5].

ويعطي المستشرق فلهاوزن[6] جانباً من سياسة وأخلاقية عمر بن عبد العزيز السامية فيقول: «حقيقة أن عمر كان مسلماً متحمساً حسن الإسلام، وكان مع النصارى على حدود العدل إطلاقاً وقد حماهم، وحفظ لهم كنائسهم، غير أنه لم يسمح لهم بأن يحدثوا كنائس جديدة»[7].

وفي عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك[8]، نَعِمَ النصارى بالتسامح

---

(1) المُعاهد هو الذي عاهد المسلمين على الصلح شرط أن يدفع الجزية ويبقى على دينه ويقوم بشعائره الدينية كيفما شاء.

(2) الطبري ج 6 ص 569.

(3) أبو عبيدة ـ الأموال ـ ص 45 ـ 46.

(4) ابن كثير القرشي (إسماعيل بن ـ أبو الفداء) 1300 ـ 1372 ولد في جندل وأقام في دمشق وتوفي فيها. مؤرخ قرأ على الآمدي وابن عساكر. له «البداية والنهاية في التاريخ».

(5) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج 9 ص 213.

(6) فلهاوزن مستشرق ألماني شهير من أشهر مؤلفاته «الدولة العربية».

(7) فلهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ـ ص 242.

(8) سليمان بن عبد الملك. تسلم الخلافة بعد أخيه الوليد.

والاعتماد عليهم في أمور الدولة، فقد اتخذ له كاتباً نصرانياً يقال له: «البطريق ابن النقا» وقد استعمله سليمان ناظراً على مبانيه في الرملة من أعمال فلسطين، ومراقبة القنوات والآبار والمسجد القائم بها[1].

وفي عهد هشام بن عبد الملك[2]، عهد بولاية العراق إلى خالد العشري (105 ـ 120 هـ) فعامل نصارى العراق معاملة طيبة واستخدمهم في وظائف الدولة، وقد حقد عليه المسلمون لأنّه قرّبهم وفضّلهم على المسلمين، وامتدّ عندهم إلى الخوارج الذين اشتهروا بتسامحهم مع أهل الذمة، وقد حاولوا اغتياله، كما قالوا عنه إنه كان يهدم المساجد ويبني البيع... وينكح أهل الذمة المسلمات[3]، وقيل إن سبب تسامحه مع النصارى لكون أمه كانت نصرانية، وظلّت على النصرانية فأقام لها كنيسة في الكوفة، وسمح للنصارى أن يبنوا كنائس جديدة[4].

ويقول سيدة كاشف: «إن حكومة العرب في العصر الأموي تركت معظم وظائف الدولة في أيدي الذميين»[5].

وبلغ من الادياد التسامح أن الخلفاء الأمويين أعطوا امتيازات لرؤساء أهل الذمة في جباية الضرائب من أبناء ملتهم، ويقول المستشرق فلهاوزن في ذلك: «إن الوليد الثاني جعل الجماعات الدينية من أهل الذمة تقوم بجباية الخراج، فرأس المطران من النصارى...»[6].

ويعلّق الخربوطلي على أحوال أهل الذمة في العصور الإسلامية بقوله: «إن أساليب التسامح، والمعاملة الحسنة كانت تختلف باختلاف الخلفاء، والعصور،

---

(1) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ 143.
(2) هشام بن عبد الملك: خليفة أموي اشتهر عهده بالهدوء والاستقرار وتشجيع العلم والعلماء والشعراء.
(3) الطبري - ج 7 ص 131.
(4) فلهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ـ ص 265.
(5) سيدة كاشف، الوليد بن عبد الملك ـ ص 965..
(6) فلهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ـ ص 378.

والأوضاع السياسية المتعلقة بين المسلمين وأهل الذمة من جهة، وبين المسلمين والدول المجاورة، ولا سيما الأمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى»[1].

ويقول المستشرق ديمومبين: «إن أهل الذمة احتلّوا مكانة بارزة في حياة الدولة الأموية، وكثر عددهم في الدواوين والمصالح...»[2].

وإن نظام الضرائب كان عادلاً، وأقلّ مما كان يدفعه أهل الذمة للفرس والبيزنطيين. فيقول المستشرق فون كريمر[3]: «إنه لم يلاحظ في نظام الضرائب شيئاً مجحفاً»[4].

وأشار المستشرق فان فلوتن إلى عظم الخدمات التي كانت تقدمها الدولة العربية إلى رعاياها، ومن ضمنهم أهل الذمة إذا ما قورنت بالنسبة إلى الضرائب القليلة التي تجبى منهم، فيقول: «إن الضرائب ليست فادحة بالنسبة إلى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق، وحفر الترع، وتوفير الأمن، وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح»[5].

ويقول ابن أبي أصيبعة (668 هـ/ 270م): «من الأدلة الطيبة على ما كانت تسترشد به الحكومة الإسلامية في معاملتها الذميين أن البطريرك كان يحضر المراسيم لكل خليفة جديد، أو والٍ، ويظهر أن حضور البطريرك كان متطلباً»[6].

---

(1) الخربوطلي ـ تاريخ العراق ـ ص 2273.

(2) فون كريمر: (1828 ـ 1889) ولد في فينا. مستشرق نمساوي. كان قنصلاً في مصر وبيروت. نشر كتاب «الاستبصار في عجائب الأمصار» وألّف «تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد الخلفاء».

(3) فون كريمر ـ الحضارة الإسلامية ـ ص 83.

(4) فان فلوتن ـ السيادة العربية ـ ص 20.

(5) ابن أبي أصيبعة (1199 ـ 1296) ولد في دمشق وتوفي في صرخد. تعلم الطب على أبيه ثم كمل علمه في المارستان الناصري في القاهرة له «عيون الأنباء في طبقات الأطباء».

(6) ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء، ج 2 ص 161.

في العهد العباسي:

أما في العصر العباسي فقد سار الخلفاء على سياسة الراشدين والأمويين في معاملتهم النصارى، واعتمدوا عليهم في تنظيم الحكومة وإدارتها، وترتيب دواوينها، لما كانت لهم من خبرة في الكتابة والخراج والدواوين، وفي بعض فنون العلم، وأغدقوا عليهم الأموال والهبات. فعاشوا برفاه، وتقاطروا على بغداد ـ يخدمون الدولة العباسية بأقلامهم وعقولهم بعد أن لمسوا من العباسيين تسامحاً في الدين وحرية في العقيدة، فولوهم أمر الدواوين، والخزائن. وقد تولّى بعضهم المناصب المالية في الدولة. ففي القرن الثالث الهجري ولي في بعض الأحيان ديوان الجيش نصراني[1]. كل ذلك ساعدهم على ممارسة حرياتهم الدينية بصورة واسعة جداً. وعلى إقبالهم على بناء البيع والكنائس والأديار وعلى إظهار أعيادهم الدينية بحرية تامة أمام المسلمين.

يذكر الشابشتي[2] (ت 388 هـ/ 998م) في كتابه ـ الديارات ـ عدداً كبيراً من الأديار التي بنيت خلال العصور العباسية، وكيف أنها كانت ملجأ ليس للرهبان والمتدينين من النصارى فحسب، وإنما أصبحت منتزهات يقصدها المسلمون أيضاً في أعياد النصارى للمتعة، والأنس وشرب الخمور، وقول الشعر. وحتى أن بعض الخلفاء العباسيين كان يقصدها في بعض المناسبات، فقد نزل الرشيد يوماً بدير مار ذكّا الواقع على ضفّة البليخ، فاستطابه الخليفة وبرّ أهله من الرهبان[3] كما نزل المأمون في دير جبرائيل (الأعلى) جوار الموصل.

ففي خلافة أبي عباس السفاح (المتوفى 136 هـ/ 745م) ازداد تعلّق رؤساء النصارى بالمسلمين، كما أن المسلمين غالوا في ملاطفتهم. فقد شاركوهم في إقامة الجثالقة وساعدوهم في انتخاب المطارنة، وفوّضوا إليهم

---

(1) الصابىء ـ تاريخ الوزراء ـ ص 95.

(2) الشابشتي (علي بن محمد) أمين دار الكتب الفاطمية في مصر. توفي سنة 998 ينسب إليه كتاب «الديارات» في العراق والجزيرة ومصر.

(3) البطريرك أفرام برصوم ـ اللؤلؤ المنثور ـ ص 150.

سلطات واسعة على طائفتهم، ومنحوهم العطايا السنية، ووهبوهم الثقة البالغة، ولمّا حاول أبان عامل أبي العباس أن يتدخّل في تنصيب سورين جاثليقاً على النساطرة ودون رغبتهم، وعلم بذلك أبو العباس، غضب على واليه أبان، وأعطى الحرية التامة في الانتخاب وفق أحكام البيعة[1].

وقد أذن الخليفة المنصور لطبيبه جرجيس بن بختيشوع[2]، في الدخول على حَرَمِه وحظاياه[3].

وكان للنصارى نفوذ كبير، ومكانة مرموقة لدى الخلفاء، بما نالوه من حظوة ونفوذ، إلى درجة أنهم اضطهدوا المسلمين، وظلموهم، فاجتمع جماعة من المسلمين إلى شبيب بن شيبة وسألوه مخاطبة المنصور، أن يدفع عنهم المظالم، ولا يُمَكِّن النصارى من ظلمهم وعبثهم في ضياعهم[4].

وكان الخليفة المهدي[5] (269 هـ/ 785م) يكرّم النصارى ويحسن إليهم فقويت شوكة أهل الذمّة في عهده، ويروي ابن القيم وابن النقاش، أن المسلمين اجتمعوا إلى الهادي وإلى من كان يحضر مجلسه ويستمع نصائحه، متظلّمين من ظُلم أهل الذمّة، فقال الهادي للمهدي: يا أمير المؤمنين إنك تحملت أمانة هذه الأمة، وقد عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها. ثم سلّمت الأمانة التي خصّك الله بها إلى أهل الذمة دون المسلمين، فكتب المهدي إلى أحد عماله: «لا تترك أحداً من الذمة يكتب لأحد من العمال، واعلم أن أحداً من المسلمين استكتب أحداً منه قطعت يده»[6].

---

(1) روفائيل بابو إسحاق ـ أحوال نصارى بغداد ـ ص 45.

(2) جرجيس بن بختيشوع: طبيب سرياني نسطوري. عالج المنصور الخليفة العباسي.

(3) القفطي ـ أخبار العلماء ـ ص 2144.

(4) ابن القيم الجوزية ـ أحكام أهل الذمة ـ ص 2144.

(5) المهدي (775 ـ 785) ثالث الخلفاء العباسيين، ابن المنصور وخلفه، أنشأ الطرق العامة وحسّن جهاز البريد فازدهرت التجارة في عهده. تعقّب الخوارج في خراسان ولاحق الزنادقة. حارب البيزنطيين فتوغّلت جيوشه حتى أنقرة والبوسفور.

(6) ابن القيم الجوزية ص 251. ابن النقاش ـ المذمّة في استعمال أهل الذمة ورقة 4 مخطوط.

ويبدو أن هذه الإجراءات كانت محدودة ومؤقتة حُددت في حالة غضب الخليفة، ولم تلبث الأمور أن عادت إلى حالتها الأولى، فقد اعتمد المهدي على النصارى وقرّبهم إليه، حتى أن جواريه كانت منهم، فقيل كانت له جارية نصرانية تعلّق على صدرها صليباً من ذهب، في أثناء دخولها على المهدي[1]. وهذا دليل على أن الخلفاء العباسيين تركوا حتى لجواريهم، وعبيدهم، في بيوتهم وقصورهم حرية ممارسة تقاليدهم الدينية، فيلبسون أزياءهم وصلبانهم، ويتكلمون أحياناً بلغاتهم، وازدهر في عهد المهدي بناء الكنائس والأديار فيروي المستشرق لسترنج[2]: «إن النصارى في حكم الخلفاء كانوا يتمتعون بتسامح تام، يملكون أديرة عديدة، فكان في محلة الروم دير كبير شيّد في عهد المهدي، وفي الكرخ على الجانب الغربي من دجلة ـ دير العذارى، ودير درتا، ودير القباب، وفي شمالي المدينة دير شموني، وفي غربيها ديران إحداهما دير حدياب الواقع على ضفة نهر كرخايا، وكان يعرف بدير سرجيوس، وثانيهما دير الثعالب، وفي شرقيها ما عدا دير الروم خمسة أديرة منها ديران خارج باب الشماسية وهما دير درمالس، وفي شمال هذا الموضع دير سابور، وعلى مسافة أربعة فراسخ من بغداد دير مار جرجس، وثمة المحلات الجنوبية التي تحت قصور الخلفاء الدير القديم أو دير الزندورد.. وبعد الغزو المغولي الذي حدث سنة 1258 لم يبق أثر لأي دير فقد زال».

وأما الخليفة الهادي[3] (ت 169 هـ) فقد كان يكرم الأساقفة ويجالسهم، بل كان يستدعي الأسقف طيمثاوس في أكثر الأيام ويحاوره في الدين، وله معه مباحثات طويلة، وكذلك كان يفعل معه الرشيد[4]. وسمح للنصارى بإحداث الكنائس والاحتفال بالأعياد، والخدمة في وظائف الدولة[5].

---

(1) الطبري ـ تاريخ ج 10 ـ ص 20.

(2) لسترنج ـ بغداد في عهد الحكومة العباسية ـ 108 و180 و184.

(3) الهادي (785 ـ 786) الخليفة العباسي الرابع. حاول إكراه الرشيد على التنازل عن ولاية العهد فقتل بدار الحريم بالموصل بتحريض من أمه الخيزران في 15 أيلول سنة 786.

(4) جرجي زيدان ـ التمدن الإسلامي ـ ج 2 ص 138.

(5) المقريزي ـ السلوك ـ ج 2 ص 115.

وفي خلافة هارون الرشيد (193 هـ/ 809م) كان النصارى يخرجون في موكب كبير، وبين أيديهم الصليب يتقدمهم رؤساء دينهم[1]. وقد أعطى الرشيد سلطات واسعة لرؤساء أهل الذمّة على ملّتهم، فكان عند تنصيب رئيس لإحدى طوائف أهل الذمة يقترن انتخابه بموافقة الخليفة عند تعيينه بنصب الرئاسة. وبعد انتخاب جاثليق النساطرة مثلاً كانوا يسيرون إلى دار الخليفة حيث كان يحظى بالاذن الشريف، أو بكتاب العهد الحاوي على حقوقه وسلطاته[2]. ثم يأمر له الخليفة بالهدايا من الثياب الثمينة، وبعد ذلك يتوجّه إلى مقرّه تصحبه ثلّة من الجنود وجماعة من عظماء الدولة والمطارنة والأساقفة[3].

وقد قرّب الرشيد[4] إليه نخبة من أطباء النصارى، ووكّل إليهم الإشراف على المستشفيات ودور العلاج، ووضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه[5]، وكانت إدارة المدارس في البلاد مفوّضة إلى النساطرة تارة وإلى اليهود أخرى[6]. بالإضافة إلى ذلك فقد ولّى الرشيد يوحنا بن ماسويه الإشراف على ترجمة الكتب الطبية القديمة[7]. وبلغ من حظوة ومكانة الطبيب جبرائيل بن بختيشوع[8] أن الرشيد قال لأصحابه فيه: كل من كانت له حاجة فليخاطب فيها جبرائيل، لأني أفعل كل ما سألنيه ويطلبه مني[9].

وقد حدث في بعض الأحيان أن بعض الخلفاء في العصر العباسي اشتدّ

---

(1) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 239.

(2) روفائيل العبري بابو إسحاق ـ أحوال نصارى العراق ـ 575.

(3) المصدر السابق.

(4) ماري ـ فطاركة كرسي المشرق ـ ص 129.

(5) يوحنا بن ماسويه: من أطباء العهد العباسي والمترجمين من السرياني إلى العربي. عاش على أيام الرشيد وولديه الأمين والمأمون.

(6) محمد كرد علي ـ الإسلام والحضارة العربية ـ ص 43.

(7) كامل الحنفي ـ جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمة ـ ورقة 27 مخطوطة.

(8) جبرائيل بن بختيشوع: من أطباء العهد العباسي والمترجمين من السرياني إلى العربي. عاش على أيام الرشيد وكان ذا شرف واقتدار.

(9) القفطي ـ أخبار العلماء ص 95.

في معاملة أهل الذمّة، وخاصة النصارى، وهذا يعود إلى علاقة الدولة الإسلامية بالبيزنطيين. فقد روى الطبري (ت 310 هـ/ 922م) في حوادث سنة 191 هـ: الروم أغاروا على ثغر مرعش، وأصابوا المسلمين، فأمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور، وكتب إلى السندي بن شاهنك يأمره يأخذ أهل الذمّة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم[1].

ويرى أحمد أمين: «أن هذا الإجراء وأمثاله كان أثراً من آثار سوء العلاقة السياسية بين الدولة الإسلامية، والمملكة البيزنطية، ولا أثر للتعاليم الدينية فيه»[2].

يذكر السيّد Fattal[3]: «أن الرشيد سمح ببناء الكنائس والأديرة وكانت زوجته زبيدة أم الأمين قد ساعدت سرجيوس أسقف البصرة ليبني الكنائس فيها، وقد حصلت من زوجها على هذا السماح للنساطرة ليعيدوا بناء صوامعهم المائلة للانهدام وأنها كانت تعطي للنساطرة واليعاقبة الهدايا من الصلبان من الذهب والفضة».

وفي عهد الأمين[4] نال النصارى الحرية الواسعة في ممارسة عقائدهم الدينية وشعائرهم فيقول Fattal: «يعتبر عصر الأمين عصر ازدهار بالنسبة إلى بناء الكنائس والصوامع المسيحية»[5].

ويعتبر عصر المأمون[6](198 ـ 218 هـ) عصر إصلاح بالنسبة إلى

---

(1) الطبري ـ تاريخ ـ ج 1 ص 324.

(2) أحمد أمين ضحى الإسلام ـ ج 1 ص 362.

(3) فتّال، المصدر نفسه ص 100.

(4) الأمين ابن هارون الرشيد. جاء الحكم سنة 809. أمه زبيدة بنت أبي جعفر المنصور. قام بينه وبين أخيه المأمون نزاع حول الخلافة قتل خلاله سنة 813.

(5) Fattal P.18 a.

(6) المأمون 813 ـ 833 ابن هارون الرشيد من جارية فارسية. عهد إليه أبوه القسم الشرقي من الأمبراطورية. احتلّ بغداد وقتل الأمين. قضى على الخوارج في خراسان حارب الأمبراطور البيزنطي تيئوفيل وأجبره على قبول الصلح. عني بالثقافة والأدب والفلسفة والعلوم فأنشأ «بيت الحكمة» انحاز إلى المعتزلة.

الكنائس والمعابد إذ إنه سمح بإنشاء كنائس جديدة، وإصلاح الكنائس القديمة[1].

وكان المأمون لا يؤثر مذهباً، أو ديناً خاصاً، بل أباح استخدام الجميع في مناصب الحكومة. ويقول المؤرخ أولستر في ذلك: «إن المأمون أنشأ مجلساً استشارياً للدولة يتألف من ممثلي جميع الطوائف، وأصبح هذا الديوان يضم المسلمين، واليهود، والمسيحيين، والصابئين، والزرداشتيين على حدٍّ سواء، وكانت حرية الاعتقاد والعبادة مضمونة للجميع، وأضحت سياسته مضرب الأمثال في التساهل حتى بلغ عدد الكنائس التي شيّدت في عهده أحد عشر ألف كنيسة علاوة على مئات الهياكل. وكان البطاركة والأساقفة والكهان يتمتعون بامتيازات وحصانات كاملة، كالتي يتمتع بها أمثالهم في الدول المسيحية التي تدين بدينهم»[2].

ويقول كرد علي: «إن المأمون لما أراد تدوين العلوم في بغداد استدعى ثلاثمائة عالم من أهل كل دين وجنس. وحظّر عليهم في اجتماعهم مسلمهم وغير مسلمهم أن يستشهدوا بآي القرآن، والإنجيل، والتوراة، وأن لا يتعرّضوا للأديان في مباحثهم»[3].

وبرز في عصر المأمون شخصيات نصرانية منهم يوحنا بن ماسويه السرياني، ويوحنا بن البطريق، فكان ابن البطريق أميناً على ترجمة الكتب الحكمية. وأشهر أطباء المأمون جبرائيل الكحال فكان له في كل شهر ألف درهم، وكان أول من يدخل على المأمون جبرائيل في كل يوم[4].. فأكرم المأمون العلماء والأدباء والأطباء والفلاسفة. وترجم في عصره كثيراً من كتب الفلسفة وعقد مجالس المناظرة[5]. وقد أدّت هذه السياسة إلى نشاط الحركة

---

(1) Fattal P. 18 a.

(2) سيد أمير علي ـ مختصر تاريخ التمدّن الإسلامي ـ ص 2365.

(3) محمد كرد علي ـ الإسلام والحضارة العربية ـ ص 435.

(4) كامل الحنفي ـ جلاء الظلمة عبر حقوق أهل الذمة ـ مخطوطة ورقة 27.

(5) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ـ ج 1 ص 57. رفاعي ـ عصر المأمون ـ ج 1 ص 353 ـ 359.

العلمية والفكرية بصورة خاصة في عهده. وظهرت روح المناقشات بين المسلمين وطوائف أهل الذمة، وبين أيدينا رسالة كتبها عبد الله بن إسماعيل الهاشمي وهو ابن عم الخليفة إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي، وكانت له منزلة في بلاط المأمون يدعوه فيها إلى الإسلام. وقد تحدّث المستشرق أرنولد عن هذه الرسالة فقال: «وفي هذه الرسالة يرجو ابن عم الخليفة صديقه المسيحي أن يدخل في الإسلام بلهجة تنمّ عن الودّ، في لغة وضوح مسلك المسلمين تجاه النصارى»[1].

وفي عصر الخليفة المعتصم[2]، ساد التسامح الديني بين طوائف أهل الذمّة ولم يتعرّضوا فيه لأيّ اضطهاد أو مضايقات، كما أنه قضى شطراً كبيراً من حياته في قتال الخارجين عن الإسلام، وعلى الدولة، ومع ذلك فقد قرّب الأطباء والعلماء. وكان من أشد المقرّبين إليه طبيبه سلمويه، فلما مرض عاده المعتصم في داره وبكى عنده، ولما مات سلمويه قال المعتصم: سألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدبّر جسمي وامتنع عن الأكل في ذلك اليوم، وأمر بإحضار جنازته إلى قصر الخلافة وأن يُصَلّى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى[3].

والحقيقة أن الفترة الواقعة بين خلافة السفاح، وحتى نهاية عصر المعتصم، تعتبر من العهود الزاهرة في تاريخ نصارى العراق، لما لاقوه من التسامح في ممارسة شعائرهم الدينية، وفي بناء الكنائس والأديرة، وفي مساواتهم مع المسلمين في الوظائف، فكانت طوائف الموظفين الرسميين تضم مئات من المسيحيين. وقد بلغ عدد الذين رقوا منهم إلى مناصب الدولة العليا من الكثرة لدرجة أثارت شكوك المسلمين[4]. فكان إبراهيم أخو سلمويه بن بنان طبيب المعتصم خازن بيوت المال في البلاد، ولم يكن عنده مثل سلمويه

(1) أحمد أمين فجر الإسلام ـ ص 132 ـ 162. ظهر الإسلام ـ ج 1 ص 88 ـ 89.

(2) المعتصم بالله الخليفة العباسي الثامن (833 ـ 842) ابن هارون الرشيد من جارية تركية. تولّى حكم مصر قبل خلافته. قضى على الزط الذين عاثوا فساداً بين البصرة وبغداد، كما قضى على حكم بابك. أنزل في البيزنطيين هزيمة نكراء واحتلّ عمورية بني سامراء.

(3) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 140.

(4) ديورانت ـ قصة الحضارة ج 13 ص 132.

وأخيه إبراهيم في المنزلة[1]. وصار إبراهيم بن هارون النصراني قهرماناً[2] لمحمد بن عبد الله طاهر[3].

ويقول الجاحظ (ت 255 هـ/ 868م) في أحوال النصارى آنذاك «إنهم نافسوا المسلمين في لباسهم، وركوبهم وألقابهم، وتسمّوا بالحسن والحسين، العباس، الفضل، علي، واكتنوا بذلك أجمع. . فرغب إليهم المسلمون، وترك كثير منهم عقد الزنانير، وامتنع كثير من كبرائهم من إعطاء الجزية، وألغوا مع اقتدارهم على دفعها، وسبّوا من سبّهم، وضربوا من ضربهم ومالأهم، يفعلون ذلك، وأكثر منه وقضائنا، وعامتهم يرون أن دم الجاثليق والمطران والأسقف وفاء يوم جعفر وعلي وحمزة. . . وكان منهم كُتّاب السلاطين وفرّاشو الملوك وأطباء. . .».

ويقول الجاحظ أيضاً: «إن النصارى اتخذوا البراذين الشهيرة والخيل العتاق، واتخذوا الجوّقات، وضربوا بالصوالجة وتمنطقوا بالعدني ولبسوا الملحم»[4]، «والمطبقة واتّخذوا الشاكرية»[5].

وكانت الجامعات والمعاهد الإسلامية مفتوحة للدراسة فيها للنصارى، وقد تتلمذوا على أيدي علماء وفقهاء مسلمين فدرس يحيى بن عدي على يد الفارابي ودرس ثابت بن قرة على يد محمد بن موسى[6].

وسكن النصارى مع المسلمين في أحيائهم، وكانت الأديرة والكنائس في كل نواحي بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحية[7]. وشارك المسلمون أعياد الشعانين عيداً يحتفلون به معاً[8]. ووصف المستشرق ترتون: حالة النصارى

---

(1) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ج 1 ـ ص 165.
(2) القهرمان: وكيل أو أمين الدخل والخراج.
(3) الشابشتي ـ الديارات ـ ص 79.
(4) الجاحظ ـ ثلاث رسائل ـ ص 18.
(5) الجاحظ ـ الحيوان ج 2 ص 130.
(6) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ج 1 ص 185.
(7) متز ـ الحضارة الإسلامية ـ ص 57.
(8) ترتون ـ أهل الذمة ـ ترجمة حسن حبشي ـ ص 121.

في ظل الإسلام[1]، فيقول: «. . . فقد كان النصارى في بعض الأحايين يؤثرون العيش في ظل الحكم الإسلامي على العيش في ظل إخوانهم المسيحيين، ومع هذا التسامح العظيم الذي شهده تاريخ أهل الذمة في العراق في عصر الراشدين والأمويين والعباسيين، فقد تعرّضوا لأزمات ومضايقات في عهد المتوكل سنة 235 هـ بأمر النصارى بلبس الطيالسة العسلية، وبشد الزنار، وركوب السروج الخشبية ونهى أن يُستعان بهم في أعمال الدولة، وأمر بهدم الكنائس المحدثة بعد الإسلام، ومنعهم من إظهار الصلبان في الشعانين، وأمر أن يجعل على أبوابهم صور الشياطين من الخشب وأن يرقعوا لباس رجالهم برقعتين تخالفان لون الثوب، ولون كل واحدة تخالف الأخرى ومن خرج من نسائهم تلبس إزاراً عسلياً، ومنعوا من لبس المناطق، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، ولا يعلمهم مسلم. وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض[2]؛ وكتب بذلك إلى عماله في الآفاق وحذّرهم بإنزال العقوبة بمن خالف ذلك. وقد شمل هذا الإجراء النساء أيضاً فلبسن الأزر العسلية، وأن تخالف المرأة منهم بين لون خفّيها فيكون الواحد أسود والآخر أبيض، وأن يضعن في أعناقهن أطواقاً من حديد إذا دخلن الحمّام. فأسلم بعضهم ـ رجالاً ونساء ـ هرباً من هذا الأسلوب[3].

ويعزو سعيد بن بطريق هذا الإجراء إلى سخط المتوكل على بختيشوع الطبيب، فكتب إلى جميع البلدان بأخذ النصارى في ذلك[4].

ولكن ـ والحق يقال ـ رغم سياسة الشدّة هذه التي اتبعها المتوكّل في معاملة أهل الذمة فإنه لم يستغن عن النصارى في أعمال الدولة ودواوينها، فكان مالك بن الوليد النصراني صاحب ديوان النصر. كذلك أسند ديوان

---

(1) المصدر السابق ص 165.

(2) الطبري ج 9 ص 171 ـ 174. ابن الأثير ـ الكال ج 7 ص 52. ابن خلدون ج 3 ص 275. ابن زير القاضي ـ الشروط العربية على أهل الذمة ورقة 5 ـ 6. ابن النقاش الذمة في استعمال أهل الذمة ـ ورقة 4 مخطوط ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج 1 ص 317. ديورانت ـ قصة الحضارة ج 13 ص 2022.

(3) ابن الأثير ـ الكامل ـ ج 10 ص 68.

(4) سعيد بن بطريق ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ـ ص 63.

الخاصة وبيت المال إلى نصرانيين هما أبو الغنائي وأخوه. وكان بنان وهو نصراني أيضاً كاتباً لصاحب الديوان[1]. وكان من أطبائه حنين بن إسحاق النصراني مكرماً لديه وقد غمره بالإحسان وأقطعه الإقطاعات[2].

وقد امتلك النصارى الأموال الطائلة نتيجة مزاولتهم المهن الحرة كالهندسة والصيدلة والطب، واشتغلوا بالتجارة والزراعة والحرف الأخرى فبنوا القصور الشاهقة المفروشة بالأثاث النفيس. وقيل إن الطبيب بختيشوع بن جبرائيل كان يضاهي المتوكل في اللباس وحسن الحال والجواري والعبيد، ولما دعاه إلى قصره أحضر كل ما في بغداد من الخيش ورطبه بالماء ليصير كل مكان يمرّ به الخليفة رطباً، وكان من عادته أن يجلس في عربة من الآبنوس ويخرج من قصره وبين يديه ألف من الرجال ويقال إنه كان يصرف كل ليلة خمسمائة دينار على الشموع والزيت والبخور[3].

وأخيراً فإن المجتمع الإسلامي كان قد استساغ مخالطة النصارى ومصادقتهم بفعل التسامح الذي يحمله المسلمون والمسيحيون بعضهم تجاه البعض.

قال أحمد أبو الطحان الأسدي في ندامة النصارى:

وإني وإن كانوا نصارى أحبّهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

وقد كان لهذا الترابط بين أبناء المجتمع الواحد أثره البالغ في نشر السلام والمحبة والاطمئنان بينهم لبناء دولة متكاملة من كل النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

هكذا كان النصارى، وهكذا كانت أحوالهم في العصر العباسي، يعيشون مع إخوانهم المسلمين بالمحبة والصفاء والأخاء.

---

(1) ترتون ـ أهل الذّمة ـ ص 20.
(2) جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمة ورقة 27.
(3) ترتون ـ أهل الذمّة ـ ص 170 ـ 171.

دور النصارى في الحضارة الإسلامية

تتمة لما سبق فنشرناه على صفحات المجلة ـ البطريركية الغراء ـ حول «موقف النصارى من الفتح الإسلامي»[1] و«موقف الخلفاء المسلمين من نصارى العراق»[2] وزيادة في الفائدة والإيضاح، رأينا من اللزام علينا أن نكتب ولو بإيجاز كبير عن «دور النصارى في الحضارة العربية» ليقف القارىء العزيز ـ عن كثب ـ ويتعرّف إلى تاريخ أجداده النصارى العرب والسريان في العراق منذ الفتح الإسلامي ـ في القرن السابع الميلادي[3] ـ وحتى سقوط بغداد في العاشر من شباط 1258 وعلى يد هولاكو المغولي[4].

فنقول:

إن النصارى العرب جزء لا يتجزأ من الأمة العربية. فقد كانوا قبل ظهور الإسلام منتشرين في أصقاع مختلفة من الجزيرة العربية والعراق وبادية الشام، فدان بالنصرانية عدة قبائل عربية جزيلة العدد ورفيعة المقام كبني كلب وتنوخ

(1) انظر المجلة ـ البطريركية ـ دمشق ـ 1974 الأعداد 117 ـ 120.

(2) المصدر السابق ـ دمشق ـ 1975 ـ الأعداد 121 ـ 130.

(3) جرى فتح العراق على مراحل فمن فتح القادسية إلى فتح المدائن ثم تكريت عام 637م إلى فتح الموصل 638م.

(4) هولاكو: (نحو 1217 إلى 1265) فاتح مغولي ومؤسس دولة المغول في إيران حفيد جنكيزخان. قطع نهر أموداريا وأخضع أمراء الفرس والإسماعيلية في الأموت (1256). قضى على الخلافة العباسية في بغداد 1258 واحتلّ سورية، قابله في حلب المغريات ابن العبري متشفعاً.

وسليح وقضاعة وقبيلة جذام وتغلب وبكر وتميم والحارث بن كعب وكندة والمناذرة والغساسنة والعباد وغيرهم[1]. وقام منهم شعراء فطاحل[2] وبرز فيهم أساقفة كبار حضروا المجامع المسكونية منذ القرن الرابع الميلادي. وكانت الحياة المسيحية عندهم زاخرة بالتقوى والصلاة بدليل جماعات الرهبانية ليس من الرجال فحسب، بل من النساء أيضاً في ديارات نسائية أشهرها دير هند الصغرى[3] ودير هند الكبرى[4] في العراق.

وكان الفتح الإسلامي: وكان لقدوم العرب المسلمين إلى بلاد الرافدين أكبر الأثر في تغيير الحياة الفكرية لدى العرب المسيحيين، إذ أحدث توسعاً وتمازجاً ثقافياً وحركة علمية جديدة من تزاوج الأفكار، مما جعل سكان العراق يقبلون على دراسة اللغة العربية وآدابها وعلى المراجع الإسلامية وعلى القرآن الكريم والحديث الشريف، فأنشئت مدارس تركت بدورها نتائج عظيمة انعكست على المسلمين والمسيحيين على حد سواء: إذ برز العديد من العلماء واشتغلوا بالثقافة العربية على مستوى رفيع حتى لمعت أسماء كثيرين منهم في كتب التاريخ[5].

قلنا، أقبل المسيحيون بعد الفتح الإسلامي للعراق على تعلّم اللغة العربية ودراسة آدابها[6] وأخذوا يصوغون أفكارهم، وعلومهم وآدابهم بما

---

(1) انظر مقالنا في المجلة البطريركية دمشق ـ 1969 عدد 67 ـ 69.

(2) لويس شيخو ـ النصرانية وآدابها قبل الإسلام ـ بجزأين بيروت 1919 ـ 1923.

(3) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج 2 ص 33. ابن فضل الله العمري ـ مسالك الأبصار في الممالك والأبصار ـ القاهرة 1924 ص 377. البكري ـ معجم ما استعجم ـ 1876 ص 362 ـ 363. وهي هند بنت النعمان الأصغر.

(4) البكري ـ معجم ما استعجم ـ ص 364. ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ ج 2 ص 709 وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر وقد بني هذا الدير في زمن كسرى أنو شروان وأفريم الأسقف.

(5) ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء ـ ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ ابن جلجل ـ أخبار الحكماء ـ.

(6) راجع مقالنا في المجلة البطريركية ـ اللغة العربية لدى النصارى العراق ـ العدد سنة 1969 ـ Goitein, Jews and Arabs P.127.

ينسجم والتقاليد العربية والفكر الإسلامي: فأصبحت اللغة الحضارية السائدة في العراق هي العربية ولذلك فإن الشعوب المحكومة ـ من فرس وسريان ـ فقدت ذاتيتها اللغوية. وقد أخذ العرب من ثقافات البلاد المفتوحة ما يتلاءم ودينهم الإسلامي وتقاليدهم العربية، فأخذوا من اليونان مثلاً عن طريق الترجمات السريانية، مثل الرياضيات والحساب والفلك والهندسة والجبر والفلك والفلسفة والطب، واقتبسوا قليلاً من الثقافة الهندية. وتأثروا بالتقاليد الفارسية ونظام الحكم ونظام الطبقات[1]، في الحياة السياسية والاجتماعية، فيقول الجاحظ[2]: «وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً، ولو حوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن مع أنهم لو حولوها في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبه التي وضعت لمعاشهم وفطنتهم وحكمهم».

إن إقبال المسيحيين على تعلّم اللغة العربية، إنما كان للتقرّب من الفاتحين ولتبوء المناصب. وليس بسبب الإكراه أو الإجبار، كما يقول المستشرق بارتولد[3]: إن غلبة اللغة العربية كان بالاختيار لا بسلطان الحكومة، وإن تسامح العرب أدّى إلى انتشار العربية فدرس حنين بن إسحاق[4] كتب

---

(1) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ـ ج 1 ص 377.

(2) الجاحظ (أبو عثمان عمرو) ـ نحو 775 ـ 868 ـ ولد في البصرة وتوفي فيها. درس في البصرة وبغداد واطلع على جميع العلوم المعروفة في عصره. نسبت إليه فرقة الجاحظية وهي إحدى الفرق المعتزلة. كان ثاقب البصيرة، متّزن العقل ودقيق التعليل، حرّ الفكر، كتبه تلقن العلم والأدب. وكان ذا ملاحظة دقيقة وروح مرحة فكهة وقلم رشيق فصوّر أحوال عصره وحياة أهل زمانه وأخلاقهم وعاداتهم تصويراً يمتزج فيه الجد بالدعابة. والجاحظ من أئمة الأدب العباسي بل العربي من مؤلفاته الكثيرة «الحيوان» في سبعة أجزاء «البيان والتبيين» بجزأين.

(3) بارتولد ـ الحضارة الإسلامية ـ ص 30.

(4) حنين بن إسحاق (809 ـ 873) طبيب نصراني نسطوري من قبيلة عباد العربية. ولد في الحيرة. درس الطب في بغداد وتضلّع من اليونانية. عينه المأمون على «بيت الحكمة» انصرف إلى الحكمة والترجمة فنقل إلى السريانية والعربية بعض كتب أفلاطون وأرسطو وجالينوس وديوسقوريدس. له كتاب «عشر مقالات في العين».

الخليل بن أحمد الفراهيدي[1]، وسيبويه[2]، حتى أصبح حجة في العربية[3]، وتتلمذ يحيى بن عدي[4] في المنطق على يد الفارابي[5] حتى أصبح أفقه رجال عصره[6]؛ ودرس ثابت بن قرة[7]، على يد محمد بن موسى[8]، وتلقّن ابن جذلة علومه على يد ابن الوليد من رجال المعتزلة[9]. ويقول الخربوطلي[10]: «كان أهل الذمة ـ المسيحيون ـ مضطرين إلى تعلم العربية لصلتهم بالعرب في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة، كما أدّى تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وتعريب الثقافة إلى انتشار العربية على نطاق واسع بين أهل الذمة فقد كان عليهم اتقانها حتى يحتفظوا بوظائفهم في الدولة».

وبعد أن قطع المسيحيون مرحلة كبيرة في تعلّم العربية وآدابها أخذوا

---

(1) الخليل بن أحمد: سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وهو الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. هو أول من استخرج العروض. علم سيبويه والأصمعي وغيرهما من أئمة العربية. توفي في البصرة نحو سنة 786. له كتاب «العين» وهو أول قاموس عربي.

(2) سيبويه: هو ابن رشد بن عثمان ولد في البيضاء قرب شيراز وتوفي نحو سنة 796. كان منشأه في البصرة. تعلم على الخليل يعدّ إمام البصريين وكتابه في النحو هو «الكتاب».

(3) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 185 ـ 189.

(4) يحيى بن عدي: 893 ـ 974 منطقي تكريتي مسيحي من السريان الأرثوذكس تلميذ أبي بشر والفارابي. نقل إلى العربية كتاب «النفس» لأرسطو.

(5) الفارابي (أبو نصر محمد) ولد في فاراب وتوفي في دمشق سنة 950م من أعظم فلاسفة العرب. درس في بغداد وحران وأقام في حلب في بلاط سيف الدولة الحمداني. حاول التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من جهة، وبين الدين والفلسفة من جهة أخرى. لقّب بالمعلم الثاني وكان متضلعاً من الرياضيات والموسيقى. أهم مؤلفاته «آراء أهل المدينة الفاضلة» كتاب «الموسيقى الكبير» و«السياسة».

(6) ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ ص 296.

(7) ثابت بن قرة: طبيب صابئي من أصل حراني. نشأ في بغداد.

(8) ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ ص 296.

(9) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 2 ص 192.

(10) الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ ص 116.

ينقلون علومهم إلى العربية، فاستطاعوا بذلك، إضافة علومهم وأفكارهم إلى ما عند العرب المسلمين، فتكوّن من ذلك مزيج من الحضارات أصبحت في ذاتها تختلف عن غيرها من الحضارات السابقة، مصوغة بالطابع العربي والأسلوبين الإسلامي والمسيحي، أخذت تنمو وتزدهر منذ العصور الأولى للفتح العربي، وأتت ثمارها في العصر العباسي الأول حيث أصبحت بغداد حاضرة الأمبراطورية العباسية، فتهافت عليها رجال العلم والثقافة، والأدب والاقتصاد والمال، لما كانت تتمتع به من المركز الثقافي والعلمي والسياسي والاقتصادي، فنبغ أعداد كبيرة من الشعراء والعلماء والفلاسفة وكان أبرزهم في هذه الميادين النصارى[1]. وأهم ما برزوا فيه، الترجمة من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية.

النصرانية في الثقافة العربية:

لقد نعم النصارى بعد الفتح الإسلامي بالتسامح الديني والحرية الكاملة، وبحكم عروبتهم وللروابط القومية واللغوية التي تربطهم بإخوانهم العرب المسلمين، التقوا حولهم وأقبلوا على بعث التراث العربي، وذلك بالعناية البالغة باللغة العربية وآدابها، وأخذوا ينقلون إليها من اللغة السريانية، ولما كانت السريانية لغتهم الطقسية، أرادوا أن يعرّفوا العرب المسلمين إلى ما لديهم من تراث فكري وديني من جهة، ومن جهة أخرى إلى لاهوتهم الدين المدوّن باليونانية، فعرّبوه أيضاً. وهنا نريد أن ننوّه ببعض الكتب النصرانية المعرّبة عن السريانية واليونانية والقبطية التي عثرنا عليها في أبحاثنا، ما لم يذكره من تقدمنا أو لم يعبأ به لخروجه عن نطاق أشغاله. ثم نورد أسماء الكتّاب النصارى الذين ساهموا بأقلامهم في إقامة الصرح الحضاري العربي وهو وليد المسجد والجامع والدير والكنيسة معاً[2].

---

(1) روفائيل بابو إسحاق ـ أحوال نصارى بغداد ـ 135.

(2) نستند في قائمتنا هذه إلى البحث القيم الذي نشره الأب الدكتور رشيد حداد المخلصي في مجلة «الوحدة» السنة الرابعة عشر 1975 ـ ع 1 ـ 2 ص 29 ـ 36.

في التراث اليوناني انصبّ اهتمام النصارى على تعريب الفكر اللاهوتي للآباء[1] فضلاً عن اشتغالهم الكتب الفلسفية والطبية.

أقدم كاتب تعرّض له المترجمون هو إكليمنضوس، تلميذ مار بطرس هامة الرسل. له رسالتان نقلتا إلى العربية[2]. وينسب إليه أيضاً كتاب الأسرار وهو محفوظ في مخطوط في طور سينا يرتقي إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي وقد نشرته السيدة جبسون[3]. وعرف لأغناطيوس الأنطاكي (+107) سبع رسائل[4]، شاعت بنصها العربي قبل القرن العاشر، إذ ذكرها ساويريوس بن المقفع القبطي مطران الأشمونيين في مصر واستشهد بها.

عرف العرب أيضاً بوليكربوس أسقف أزمير (+155) من خلال رسالته حول المسيح. أما إيريناوس أسقف مدينة ليون في فرنسا، وهو من النصف الثاني من القرن الاثني، فإن مؤلفاته ترجمت إلى السريانية ومنها إلى العربية، ولاكليمنضوس الاسكندري (+215) تفسير الأناجيل نقل إلى العربية وما زالت بعض آثاره محفوظة في الفاتيكان[5]. ومن مؤلفات هيبوليطس الروماني (+235) نقل إلى العربية شرح التوراة، وتفسير إنجيل القديس متى وتفسير سفر الرؤيا[6]. أما غريغوريوس العجائبي (+270) فلنا منه منقولاً إلى العربية كتاب الإيمان ودحض الهرطقات وبعض الخطب والرسائل العقائدية.

وللبطاركة الإسكندريين: ديونوسيوس (+265) والشهيد بطرس (+311)

---

(1) يعتبر النصارى «آباء الكنيسة» المؤلفين الذين ظهروا في العصور الأولى المسيحية وكانت كتاباتهم مقبولة عند كل الفرق النصرانية.

(2) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة لشمس الرئاسة أبي البركات ابن كبر القبطي ـ القاهرة 1971.

(3) الدراسات السينائية الجزء الخامس لندن 1896 ص 14 ـ 30.

(4) راجع مقال باسيل باسيل: «مصدر عربي قديم لرسائل أغناطيوس الأنطاكي بالفرنسية مجلة كلمة الشرق (ملتو) 1968 ص 107 ـ 191 و5 (1969) ص 269 إلى 2287.

(5) انظر مخطوط رقم 410 و452.

(6) ابن كبر ـ مصباح الظلمة ـ ص 288.

واسكندر (+328) مؤلفات عديدة معرّبة، منها ما هو منشور، والجزء الأكبر لا يزال طي المخطوطات[1]. وأما اثناسيوس الاسكندري (+373) الذي يعدّ من أكابر اللاهوتيين في مصر فقد لاقت مؤلفاته المعرّبة منذ القرن التاسع الميلادي رواجاً كبيراً عند النصارى، خصوصاً رسالته ضد الأريوسيين وتفسيره لكتاب المزامير (الزبور) ورسائله، والقسم الأكبر من خطبه الدينية وقد أربت على الستين خطبة[2]، تلميذه تيوفيلوس الاسكندري (+412) عرّب له الأقدمون بعض الأقوال الروحية وقسماً كبيراً من خطبه اللاهوتية. وثمة بعض تفاسير للأناجيل منها قسم لاوسابيوس القيصري (+340) وديديموس الأعمى (+398) وتيطس أسقف بصري[3] (المتوفى قبل سنة 378) أما معربو هذه الكتب فمجهولون، ولا يستبعد أن يكون بعض هؤلاء ممّن تصدّوا لكتب فلاسفة اليونان، كما يثبت لنا ذلك تعريب الكاتب النصراني المشهور حنين بن إسحاق[4]، لكتاب طبيعة الإنسان وقد نسبه إلى غريغوريوس أسقف نيصص، وورد ذكره عند ابن النديم[5] وهو في الحقيقة لنماسيوس الحمصي[6].

مؤلفات باسيليوس الكبير[7] اللاهوتية والنسكية ظهرت في اللغة العربية منذ القرن التاسع الميلادي، وقام بتعريب الجزء الكبير من خطبه الروحية الشيخ عبد الله بن الفضل النصراني في القرن الحادي عشر الميلادي[8] باللغة اليونانية، ثم نقلت إلى العربية، ويرجح أن التعريب كان عن السرياني،

(1) راجع المصادر التي نوّه بها غراف في كتابه ص 309 ـ 310.
(2) ذكر له ابن كبر ـ مصباح الظلمة ـ ص 292 خمسة كتب معربة.
(3) لائحة مخطوطة دير السريان في المتحف القبطي التي أعدها يسّى عبد المسيح لم تنشر بعد.
(4) مجلة (كلمة الشرق) ج 1، 2 السنة الرابعة 1973 عدد خاص.
(5) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ ص 95.
(6) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طرفة التغلبي الحيري (انظر الأصفهاني في الأغاني ج 7 ص 162).
(7) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ 95.
(8) الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 7 ص 162 ـ 167.

وشاعت بعنوان «مسائل وأجوبة باسيليوس وغريغوريوس» فقد كثر نساخها في العراق وسوريا وخصوصاً في مصر[1]. ولغريغوريوس هذا، وعرف بغريغوريوس اللاهوتي أو النزينزي (+390)[2] مجموعة من ثلاثين خطبة عرّبها إبراهيم بن يوحنا الأنطاكي في أواخر القرن العاشر الميلادي. وأما عبد الله ابن الفضل فقد عرّب لغريغوريوس نصيص، (+394)[3] شرحه لستة أيام الخِلْقة. ومواعظ كيرللس الأورشليمي (+386) نقلت إلى العربية قبل القرن الثاني عشر الميلادي[4].

أما يوحنا الملقّب بالذهبي الفم[5]، فإنه نال قسماً وافراً من عناية المترجمين العرب الذين نقلوا له عدّة خطب وعظية ومقالات لاهوتية ورسائل كتابية. وإنك لا تجد مجموعة مخطوطات عربية في دير أو مكتبة مسيحية خالية من مؤلفات هذا اللاهوتي[6]. ولكيرلس الاسكندري[7]، كتاب الكنوز، ومجادلة مع نسطوريوس، نقلت كلها إلى اللغة العربية ولاقت أوسع انتشار بين المسيحيين[8].

---

(1) المصدر السابق ص 169.

(2) المدور ـ حضارة الإسلام في دار السلام ـ ص 36.

(3) يوحنا فم الذهب (347 ـ 404) ولد في أنطاكية. مارس مدة الحياة النسكية. بطريرك القسطنطينية (398 ـ 404) اضطهدته الأمبراطورة أفدوكيا. لقب بالذهبي الفم لبلاغته. إليه تنسب الليتورجية» أو مراسيم الخدمة الدينية المشهورة في الكنيسة اليونانية. من آباء الكنيسة ومعلميها.

(4) قسطنطين الباشا: القديس يوحنا فم الذهب في الأدب العربي، بالفرنسية في كتاب «كريزو ستوميكا دراسات وأبحاث حول القديس يوحنا فم الذهب» روما سنة 1907/ 1908. ص 173 ـ 187.

(5) كيرلس الإسكندري بطريرك الاسكندرية (412 ـ 444) معلم الكنيسة. ترأس مجمع أفسس الذي حرم نسطور سنة 431. ترك مؤلفات دفاعية وعقائدية.

(6) غراف ص 358 ـ 365.

(7) مجلة الوحدة 1975 ع 1، 2 ص 32، 33.

(8) يوحنا الدمشقي: حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية. ألّف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. دافع عن اكرام الصور المقدسة.

لقد طالت اللائحة وتوجب علينا الاختصار. فلنذكر عابرين المؤلفين الآخرين الذين نقلت كتبهم من اليونانية إلى العربية، وهم:

بركلس بطريرك القسطنطينية (+446)، وتيودروتوس أسقف أنقرة (+446) وتيودوريطوس القورشي (+ حوالي 458) وأنسطاسيوس الأنطاكي (+569)، وأوستراتيوس الكاهن القسطنطيني (+ آخر القرن السادس) والكاتب المعروف بديونوسيوس الأريوباغي، وصفرونيوس الأورشليمي الذي حضر فتح بيت المقدس سنة 638 على يد عمر بن الخطاب ومكسيموس المعترف (+662) وأنسطاسيوس رئيس دير طورسينا (+حوالي 700) وأندراوس الدمشقي أسقف كريت (+740) وجرمانوس بطريرك القسطنطينية (+733) وخصوصاً يوحنا الدمشقي (+749) وهذا الكاتب، نديم الخلفاء الأمويين قبل ترهبه[1]، عاش في بيئة عربية، بيد أنه حصل على ثقافة يونانية وفيها ألّف كتبه التي نقلت إلى العربية في القرنين العاشر والحادي عشر. ومن مؤلفاته المعرّبة كتاب في الفلسفة والمنطق وفي علم الكلام[2].

زِد على هذا التراث العلمي الضخم مجموعات مهمة من المؤلفات الصوفية أو النسكية ككتاب بستان الرهبان، وكتاب مفتاح باب فردوس الله، وآخر بعنوان فردوس الرهبان، وأيضاً كتاب البستان في إحضار الرهبان، والمؤلفات المنسوبة إلى مكاريوس المصري ويوحنا التبائيسي (أي الأسيوطي)، وكذلك اسطيفانوس التبائيسي وموسى الحبشي (+ حوالي 395) وأفاغريوس النبطي (+399) والأنبانيلس (+ حوالي 430) ومعاصره مرقس الناسك واشعيا المتوحد (+488) ودنيال الأسقيطي (القرن السادس) وسمعان العمودي الجديد (+392) والأنبا دوروثاوس (+ حوالي 540)، وقد عرّبت ميامره منذ القرن التاسع، ومعاصره برصنوفيوس، ومن القرن السابع ثالاسيوس ويوحنا الكرباتي وغيرهم. ولا ننسى يوحنا السلمي (+ حوالي 649) رئيس دير

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - القاهرة 1928 - ج 16 ص 70.
(2) مخطوطة الفاتيكان العربية رقم 1223 ص 7 - 63.

طورسينا صاحب الكتاب المشهور «سلم الفضائل» وأنطيوخوس الراهب الذي من دير مار سابا مؤلف كتاب الحاوي[1].

وقد ظهرت عدّة مقاطع من مؤلفات أبو ليناريوس اللاذقي (+ قبل 392) وتلميذيه فيتاليس وتيموثاوس أسقف بيروت في مجموعة لاهوتية تعرف بكتاب اعتراف الآباء. وأما يحيى النحوي، وهو من النصف الأول من القرن السادس فقد عُني النصارى بتعريب الكثير من مؤلفاته الفلسفية والدينية حتى ارتفعت منزلته كثيراً عند العرب وحيكت حوله عدة روايات حكى لنا بعضها القفطي[2] وسرد لنا شيئاً من مؤلفاته مثل رده على نسطوريوس إنما أغفل ذكر رسالة له في النسك[3].

ومن هذه الحقبة نذكر أيضاً البطريرك الأنطاكي ساويروس (+538)، الذي اهتمّ السريان والأقباط بتعريب مؤلفاته العقائدية وخطبه الدينية ورسائله وكتبه الطقسية، فإنه كان من أكبر المناضلين عن الكنيسة السريانية الأنطاكية الأرثوذكسية[4].

النصارى والأدب العربي:

عني النصارى بدراسة الأدب العربي، فلما قامت الدولة العربية في العصر الأموي، وقبض الأمويون على مقاليد الأمور، اعتمدوا على الأحزاب السياسية لضرب خصومهم، فقرّبوا الشعراء والأدباء، وأغدقوا عليهم الأموال لمدحهم، ولتأييد حقهم في الخلافة[5]. ومن مشاهير شعراء النصرانية في العصر الأموي، الأخطل[6]، الملقّب بـ (ذي الصليب) لأنه كان يعلّق صليباً

---

(1) غراف: ص 380 ـ 414.

(2) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 232 ـ 234.

(3) لائحة مخطوطة دير السريان في المتحف القبطي التي أعدّها يسّى عبد المسيح لم تنشر بعد.

(4) مجلة (كلمة الشرق) ج 1، 2 السنة الرابعة 1973 عدد خاص.

(5) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ ص 95.

(6) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طرفة التغلبي الحيري (انظر الأصفهاني في الأغاني ج 7 ص 162).

على صدره[1]. من أهل الحيرة ومن السريان الأرثوذكس، وموضعه من الشعر كبيراً من أن يحتاج إلى وصف. فهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة. وقد لقّبه عبد الملك بن مروان بـ «أشعر العرب». وقال فيه الخليفة نفسه أيضاً: «لكل قوم شاعر، وإن شاعر بني أمية الأخطل»[2]. وقد هجا أعداء الأمويين من قيسيين وزبيريين فقيل فيه: يا عجب للأخطل النصراني يهجو المسلمين. وكان يدخل على الخليفة عبد الملك بن مروان بغير إذن، وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب وتنفض لحيته خمراً[3]. وقال حماد الرواية فيه: حينما سئل عن الأخطل: ما تسألوني عن رجل حبّب إليّ شعره النصرانية[4].

واشتهر من شعراء النصرانية في العصر الأموي أعشى بني تغلب وكان مكرماً من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك وأقام مع بني قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة[5]. والتغالبة سريان أرثوذكس واشتهر أعشى ربيعة[6] أبي ربيعة، وهو من ساكني الكوفة. وكان مرواني المذهب شديد التعصّب لبني أمية، رحل إلى الشام ومدح الخليفة عبد الملك والخليفة سليمان بن عبد الملك ونال صلاتهم[7].

ومنهم مرقس الطائي واسمه عبد الرحمن، ظهر أيام الدولة الأموية. ومنهم أيضاً حنين الحيري الشاعر المغني وكان من نصارى الحيرة ويعتبره صاحب مسالك الأبصار من مشاهير أهل الموسيقى ومن سراة أهل الغناء[8].

---

(1) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ 95.
(2) الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 7 ص 162 ـ 167.
(3) المصدر السابق ص 169.
(4) المدور ـ حضارة الإسلام في دار السلام ـ ص 36.
(5) قيل اسمه ربيعة وقيل النعمان بن يحيى بن معاوية تغلب (الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 10 ص 93).
(6) المصدر السابق ج 16 ص 160.
(7) الجاحظ ـ التاج ـ ج 4 ص 163.
(8) لويس شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام ـ ص 162.

وذكره ابن النديم في الفهرست وإليه تنسب الحنينيات التي ورد ذكرها في شعر دعبل الخزاعي، وذكر الأصفهاني (966م) حنيناً: بأنه كان شاعراً ومغنياً. أما شعره فلم يبق منه إلّا القليل، وأما غناؤه فكثير، وله الأصوات المتعددة[1].

ومنهم الشاعر القطامي التغلبي[2] وكان أبوه من أصحاب خالد القسري والي الكوفة. قال الأصفهاني[3]: كان القطامي نصرانياً وهو شاعر إسلامي (عاش في العصور الإسلامية وذكر ديوانه حاجي خليفة (607 هـ/ 1656م)[4] في كشف الظنون ومات سنة 101 هـ/ 717م.

وكان الشاعر كعب بن جميل التغلبي موالياً لبني أمية كالأخطل وحارب مع قومه في صفين[5]. واتصل كعب بسعد بن العاص. وكان أمير الكوفة لعثمان وامتدحه بشعر، وعاصر الدولة الأموية، إلا أنه كان حسناً أيام خلافة معاوية وابنه يزيد، وقد ضاع ديوان شعره[6].

ومن شعرائهم العديل بن الفرخ البكري، وكان نصرانياً عاصر حكم الحجاج الثقفي بواسط. وعاش في البصرة، وكان ينادم الفرزدق ويصاحبه[7].

وأما العجاج بن رؤبة. وهو عبد الله بن رؤبة من تميم عاش في البصرة منذ أيام الراشدين والأمويين ومدح خلفاء بني أمية: يزيد بن معاوية وسليمان يوسف الثقفي وعاش إلى أيام الوليد ومات سنة 90 هـ/ 705م[8].

---

(1) الأصفهاني ـ الأغاني ج 20 ص 122.

(2) اسمه عمير بن شييم بن عمر وأحد بني بكر بن تغلب. والقطامي لقب غَلَبَ عليه وهو من أسماء الصقر.

(3) الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 20 ص 118.

(4) حاجي خليفة ـ كشف الظنون ـ ج 3 ص 302.

(5) صفين موقع حدثت فيه المعركة الحاسمة بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية الأموي.

(6) شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 203 ـ 208.

(7) الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 20 ص 19.

(8) شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام، ص 228 ـ 229.

كما برز شعراء آخرون منهم هدية من الخشرم من رهط بني عامر النصارى، وموسى بن جابر أحد شعراء بني حنيفة أهل اليمامة، وصرّح صاحب خزانة الأدب بنصرانيته. وشمعلة التغلبي كان في أواسط عهد بني أمية أي من أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن في أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وهشام. كان رئيساً لبني تغلب ذا قدر وفضل عميم عريقاً في نصرانيته كقومه التغلبيين. وذكره مار ميخائيل الكبير في تاريخه، وكذلك ابن العبري، إذ أبى أن يعلن إسلامه رغم ما ألحق به من أذى حيث نزع من فخذه قطعة لحم وشويت بالنار أمامه وأطعمها له أعداؤه[1].

كذلك اشتهر بالشعر نابغة بني شيبان كان نصرانياً ويدعى بابن النصرانية مدح عبد الملك مروان ومن بعده ولده[2].

أما في العصر العباسي فقد برز لنا كثيرون من النصارى الذين اهتمّوا بدراسة اللغة العربية وآدابها وتنافسوا في صناعة الإنشاء العربي وتفننوا في أساليبه ومقاصده ومعانيه[3].

فعرف من شعراء النصرانية في العصر العباسي أبو قابوس في عهد الرشيد، وكان منقطعاً إلى البرامكة وبهم تقرّب إلى الرشيد. قال فيه البغدادي (463 هـ/ 1070م)[4] «دخل أبو قابوس النصراني في يوم بارد فأصابه البرد فقال: يا غلام اطرح عليه كساء من أكسية النصارى؛ فطرح عليه كساء من خزّ قيمته ألف دينار».

ومن أشهرهم أبو تمام الطائي. وهو حبيب بن أوس ويكنّى بأبي تمام،

---

(1) تاريخ مار ميخائيل الكبير 2: 451 ـ 452. وابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ص 115.

(2) انظر أخبار هؤلاء الشعراء لدى الأب لويس شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 95 ـ 228.

(3) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ ص 96. لويس شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام ص 241.

(4) البغدادي ـ تاريخ بغداد ـ 83.

وتمام ابنه. كان يعمل بدمشق عند حائك ثم رحل إلى العراق وبلغ الخليفة المعتصم خبره فحمل إليه أبو تمام بقصائد عدّة فأجازه المعتصم وقدّمه على شعراء عصره[1]. وأعتقد أنا بأن أبا تمام أعلن إسلامه في عهد المعتصم.

وظهر شعراء وأدباء آخرون من النصارى بعد عصر المتوكل منهم ثابت بن هارون وبشر بن هارون وعيسى بن فرخنشاه الذي اشتهر في أيام الخليفة المستعين والمهتدي والمعتزّ والمعتمد، واسمه يدلّ على أن أصله من نصارى العجم[2]؛ وابن بطريق، وقد تسمّى غير واحد بابن بطريق كسعيد بن بطريق صاحب التاريخ، ويحيى أو يوحنا بن بطريق، وعيسى بن بطريق. وكلهم نصارى عاشوا في القرن الثالث الهجري والأرجح أن أحدهم هو الشاعر.

كذلك برز في ميدان الشعر إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي. وسعيد التستري ذكره ابن النديم في الفهرست قال: «ابن التستري. . . ويكنّى أبا الحسين كان نصرانياً. . . يلزم السجع في مكاتباته». وأبو الحسن بن غسان الطبيب البصري. ويحيى بن عدي التكريتي ذكره القفطي وابن أبي أصيبعة. وابن بطلان المتطبب الراهب وقد ذكره القفطي. وصاعد بن شماس، وعون الراهب، وابن مرغر الإشبيلي، وزبينا النصراني، وربيب النصراني، وسعيد النصراني وأمين الدولة العلاء بن موصلايا، وأبو نصر بن موصلايا، وابن بابي، وابن أبي سالم النصراني وأبو الفرج يحيى ابن التلميذ وهبة الله ابن التلميذ ومحفوظ النيلي والقس يعقوب المارداني وبنو مماتي النصارى الأقباط، وهم أسرة قبطية شريفة أصلها من أسيوط في صعيد مصر تنتمي إلى أبي مليح الملقّب بمماتي قال ابن خلكان[3]: «كان أبو مليح نصرانياً وإنما قيل له ممّاتي لأنه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام لصغار المسلمين فكانوا إذا رأوه ناداه كل واحد منهم ممّاتي».

---

(1) شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام، ص 257.
(2) المصدر السابق ص 264.
(3) انظر مقالنا في المجلة البطريركية (1969) اللغة العربية لدى نصارى العراق ص 19.

وهناك شعراء نصارى كثيرون ممن عاشوا في القرنين الرابع والخامس للهجرة، وعلى أيام الدولة العباسية، لكننا نكتفي بما ذكرناه من أسماء[1].

الثقافة العلمية في العصر العباسي:

نتناول هنا العصر العباسي تاركين العهد الأموي، إذ لم نجد فيه للثقافة العلمية من الأهمية بمكان. وذلك لعدم وجود متّسع آنذاك لنشر هذه الثقافة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت الدولة الأموية منهمكة في الحروب وفي إخماد الفتن الداخلية فلم تكترث كثيراً للناحية العلمية أما العهد العباسي فقد أضحت فيه بغداد ولعدّة قرون مهداً للعلم والمعرفة ومناراً لنشر الحضارة والثقافة في كل الأصقاع[2].

قام السريان النساطرة في العراق بدور كبير في نشر الثقافة بين الفرس قبل الفتح الإسلامي، وبين العرب بعده، فأنشأوا مدرسة طبية في الرها. وبعد خرابها انتشروا في بلاد فارس حيث أحرزوا نفوذاً سياسياً وأسسوا في جنديسابور من أعمال الأحواز كلية طبية جديدة[3]. وأول من علّم الطب فيها أطباء من بلاد الروم. روي أن الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب، تعلّم قبيل الإسلام في مدرسة جنديسابور[4]. وكانت تدرس فيها الثقافة الهندية إلى جانب الثقافة اليونانية. واشترك بعض الهنود في التدريس فيها باللغة الفهلوية[5].

يقول المستشرق ديورانت[6]: كان بنو أمية حكماء إذ تركوا المدارس

(1) انظر سيديو ـ تاريخ العرب العام ـ ص 286.
(2) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 161.
(3) انظر سيديو ـ تاريخ العرب العام ـ ص 286.
(4) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 161.
(5) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ـ ج 1 ص 256.
(6) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 177.

الكبرى المسيحية أو الصابئة أو الفارسية، قائمة ولا سيما في حران ونصيبين وجنديسابور وغيرها ولم يمسّوها بأذى فاحتفظت بأمهات الكتب الفلسفية والعلمية ومعظمها في ترجمته السريانية، وما لبث أن ظهرت ترجماتها إلى العربية على أيدي النساطرة المسيحيين. وقد ظلت هذه المدارس تؤدي عملها في العصور الإسلامية. وزاد اتصالها بالمسلمين في العصر العباسي، وذلك منذ عهد المنصور حيث تعذّر على أطبائه علاج معدته، فدلوه على جيورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء مدرسة جنديسابور[1]. وتعاقب غيره من خيرة أطباء مدرسة جنديسابور على الانصراف إلى معالجة خلفاء بني العباس، وكانوا جميعاً نصارى.

أما في العراق فقد أنشأ النصارى خمسين مدرسة، كانت تدرّس فيها العربية وآدابها والسريانية الآرامية واليونانية والفارسية. وكانت تقام في الكنائس والبيع والديارات[2] مدارس أخرى كمثيلاتها.

شجع الأمويون حركة الترجمة إلى العربية وأول كتاب طبي ترجم إلى العربية كان في خلافة مروان بن الحكم (64 ـ 65 هـ) وهو كناش[3] أهرن القسن بن أعيُن، وقد احتوى على ثلاثين مقالة نقلها من السريانية إلى العربية ماسرجويه الطبيب البصري، وزاد عليه مقالتين[4].

وقد أنشأ الرهبان المدارس في الأديار، فكانت في دير مارفتيون مدرسة كبيرة. قال المؤرخ ماري بن سليمان: «لما بنى المنصور مدينة ـ في الكرخ ـ

(1) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 175. روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ ص 78.

(2) روفائيل بابو إسحاق ـ مدارس العراق قبل الإسلام ـ ص 37.

(3) كناش، جمعها كناشات: أوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفرائد والشوارد. (تاج العروس ج 4 ص 347).

(4) ابن القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 57.

ونزلها الناس هدم الجاثليق سبريشوع وجدد بناء بيت الشهداء، والأروقة، ونصب اسكولا ـ مدرسة ـ وجمع فيها المتعلمين»[1].

وكان للنصارى في الكرخ مدرسة أخرى فذكر ابن القفطي[2] (646 هـ/ 1248م) (أن ابن بطلان الطبيب البغدادي قرأ الطب على علماء زمانه من نصارى الكرخ). وذكر ابن العبري[3] (685 هـ/ 1286م): (أن الطبيب البغدادي يحيى بن عيسى بن جزلة درس الطب لدى نصارى الكرخ الذين كانوا في أيامه). وكانت في محلة دار الروم[4]، ودرب القراطيس[5] وبيعة الكرخ[6]، ودرب دينار، وسوق الثلاثاء[7]، مدارس واسعة، تضم بين جدرانها مئات من الطلاب، وأكبر هذه المدارس مدرسة مار ماري، التي تقع بعيداً عن بغداد في دير قني، وقد نبغ فيها أعظم مشاهير علماء النصارى[8]. ويبدو أن هذه المدارس كانت دينية خاصة بالنصارى، وتدرّس بالإضافة إلى العلوم الدينية اللغات السريانية واليونانية لذا أصبحت من مراكز الثقافة اليونانية والسريانية حتى بعد الفتح الإسلامي.

واشتهرت الموصل بمدارسها كمدرسة دير مار جبرائيل المعروف بالدير الأعلى على نهر دجلة في جوار الطابية العليا ـ باشطابية[9] ـ حالياً. ومدينة دير مار ميخائيل الواقع شمالي الموصل ومدرسة النبي يونس (يونان) في (دير يونان

---

(1) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق 78.
(2) ابن القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 19.
(3) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 339.
(4) بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 391.
(5) يقع غربي الكرخ ببغداد. كانت فيه مدرسة (انظر بطاركة كرسي المشرق لماري بن سليمان ص 85).
(6) انظر الجد ص 119.
(7) راجع أخبار بطاركة المشرق ص 131.
(8) انظر مجلة الشرق البيروتية ج 10 ص 445.
(9) راجع بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ـ ج 1 ص 191.

ابن متّى)، ومدرسة مار إيليا الحيري في غربي الموصل[1]. وكانت هذه المدارس تدرّس مختلف العلوم والفلسفة واللاهوت واللغات.

ومن المدارس التي أسسها النصارى في العراق مدرسة قطسفون أو طيسفون أو المدائن[2]. واشتهرت في أوائل القرن السابع للميلاد مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان وهي للسريان الأرثوذكس. وأبرز تلامذتها الأسقف ساويرس سابوخت الذي نقل بعض علوم الفلسفة واللاهوت إلى السريانية. والأرقام الهندية للعرب. وبرز من تلامذته مار يعقوب الرهاوي. واضع علميّ النحو السرياني. وجيورجيس المعروف بأسقف العرب ترجم بعض كتب أرسطو[3].

وكان لهذه المدارس أثر كبير في نشر الثقافة بما أنجبته من العلماء والأدباء والمؤلفين. وكان أبرزهم في العصر العباسي يوحنا بن ماسويه رئيس أعظم مدرسة في بغداد يومذاك، ويعقوب الكندي أول فلاسفة العرب المسلمين، وحنين بن إسحاق شيخ تراجمة عصره ورئيس الفلاسفة والأطباء[4]. وقد تأثر هؤلاء إلى حد كبير بتشجيع العرب المسلمين لهم في ميادين العلوم والمعارف. يؤيد ذلك المستشرق ديورانت بقوله[5]: «كان المسلمون شديدي التحمّس لتوسيع ونشر علوم الطب والعلوم الصيدلانية. فأنشأوا مدارس للطب والصيدلة، وأنشأوا لذلك المستشفيات (المارستانات). ولدينا أسماء أربعة وثلاثين مارستان كانت قائمة في البلاد الإسلامية في ذلك الوقت».

ولم تقم هذه المدارس بمهمة تدريس مختلف صنوف العلم والمعرفة

---

(1) سليمان صائغ ـ تاريخ الموصل ـ ج 1 ص 13، ج 2 ص 44.
(2) الفيكونت فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي ـ ص 7.
(3) جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الإسلامي ـ ج3 ص150.
(4) فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي ـ ص 6.
(5) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 190.

وحسب، بل كانت دوراً للترجمة والتأليف أيضاً. فتعتبر الفترة الواقعة بين ظهور الفِرَق المسيحية، وبين الفتح الإسلامي للعراق غنية بالترجمات من اليونانية إلى السريانية. ذلك أن الفرق المسيحية استخدمت الفلسفة اليونانية لتأييد معتقداتها. وكانت الترجمة مُنصبّة على علم اللاهوت والدراسات الدينية ـ كما سبق وأشرنا إلى ذلك في «النصرانية والثقافة العربية» ـ زد على ذلك المجموعات الضخمة والمؤلفات العديدة المفضّلة في التصوّف أو النسك»..

وقد ظهرت عدّة مقاطع من مؤلفات أبو ليناريوس اللاذقي (+302) وتلميذيه فيتاليس وتيموثاوس أسقف بيروت في مجموعة لاهوتية تعرف بكتاب اعتراف الآباء. وأما يحيى النحوي وهو من النصف الأول من القرن السادس، فقد عُني النصارى بتعريب الكثير من مؤلفاته الفلسفية والدينية حتى ارتفعت منزلته كثيراً عند العرب وحيكت حوله عدّة روايات حكى لنا بعضها القفطي[1]، الذي سرد لنا شيئاً من مؤلفاته مثل ردّه على نسطوريوس إنما أغفل ذكر رسالة له في النسك[2].

ومن هذه الحقبة نذكر أيضاً البطريرك مار سويريوس الأنطاكي (+53) الذي اهتم السريان الأقباط بتعريب مؤلفاته العقائدية وخطبه الدينية ورسائله وكتبه الطقسية. فقد كان من أكبر المناصرين للكنيسة السريانية الأنطاكية[3].

وما دمنا في هذا المضمار نرى من الضرورة مواصلة حديثنا إتماماً للفائدة آملين ألّا يكون مملاً للقارىء الكريم. ذلك أن إعطاء البحث حقه أكثر فائدة من الاقتصار والاقتضاب. فتلك المؤلفات النصرانية اللاهوتية والصوفية والفلسفية التي نقلها العرب من اليونانية إلى لغتهم العربية، إذا ما قوبلت

---

(1) القفطي ـ أخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ ص 232 ـ 234.
(2) لائحة مخطوطات دير السريان بمصر في مخطوط رقم 60.
(3) غراف ص 418 ـ 420.

بالمؤلفات اليونانية المعرّبة في الطب والفلسفة، نراها لا تقلّ عنها شيئاً، بل هي أوفر منها عدداً. إنما بقيت ردحاً طويلاً من الزمن مطموسة في مخطوطات الديارات النصرانية. فالتعريب عن اليونانية كان ذلك التيار الذي حمل إلى العرب سيلاً من الكتب اليونانية، المسيحية منها وغير المسيحية[1].

فالسريان الأرثوذكس والنساطرة والملكيون هم الذين اشتغلوا في هذا المضمار وكانت لهم اليد الطولى في التعريب عن اليونانية؛ أما الملكيون فكنيستهم هي امتداد البطريركيتين الأنطاكية والاسكندرية من العالم البيزنطي إلى العالم العربي[2]. وأما الأرثوذكس والنساطرة فلهم الفضل الأكبر بخلق تيار مماثل نقل الكثير من الكتب السريانية العربية[3].

إن أول الكتبة السريان الذين عرفت مؤلفاتهم هو مار افرام السرياني[4]، (+373)، فلنا منه في مخطوطات القرن التاسع الميلادي عدّة كتب. وما إن انقضى القرن العاشر حتى كان القسم الأكبر من إنتاجه الأدبي بين أيدي النصارى العرب يحتلّ المقام الأول في الصوامع والديارات، إلى جانب مؤلفات يوحنا سابا المعروف عند العرب بالشيخ الروحاني وقد نسك في بيت دلياطا، ومؤلفات مار إسحاق المعروف بالأنطاكي ومار يعقوب السروجي. هؤلاء الأربعة هم الكتبة السريان الكبار الذين انتشرت كتبهم أوسع انتشاراً بين أيدي النصارى عموماً والرهبان خصوصاً[5].

وتجدر الإشارة إلى كتّاب آخرين نقلت مؤلفاتهم السريانية إلى العربية نظير يوحنا الرهاوي، وإبرهيم النفتري، وقرياقوس النصيبيني، وسهدون الأسقف، وزيد بن شمعون طيبونه[6]، وفيلوكسينوس المنبجي (+523) وبولس

---

(1) رشيد الحداد ـ مجلة الوحدة ـ عدد 1، 2، 1975 ص 34.
(2) المصدر السابق ـ ص 34.
(3) ذات المصدر ص 34.
(4) مجلة ـ كلمة الشرق ـ 1973 العدد الخاص بمناسبة يوبيل مار افرام.
(5) مجلة الوحدة عدد 1، 2 سنة 1975 ص 35.
(6) ابن أبي أصيبعة ج 1 ص 109. ودعاه ابن طيبويه.

البصري مطران نصيبين، ومار يعقوب البرادعي[1] (+578)، وماروثا التكريتي[2] (= 649) ويعقوب الرهاوي[3] (+708) وداود بن بولس وهو من القرن الثامن الميلادي[4].

أما الأدب القبطي في مصر فقد نال هو الآخر نصيبه من التعريب إذ انتشرت عربياً في مصر مؤلفات مار أنطونيوس أبي الرهبان[5] (+356) وباخوميوس (+346) وشنودة (+451) وتيموتاوس الاسكندري (+477) وبيزنتيوس القفطي (+632) وقسطنطين الأسيوطي ويوحنا البرلسي، وهما من أوائل القرن السابع، والبطريرك بنيامين الذي استقبل عمرو بن العاص[6] في الاسكندرية وحظي منه بإكرام بالغ وقرياقوس البهنسي وغيرهم كثيرين[7].

بهذا نكتفي، ونضرب صفحاً عن مؤلفات سير الأولياء والنسّاك التي

---

(1) يعقوب البرادعي: أسقف الرها 541 ـ 578 والمطران المسكوني قضى حياته عاملاً على إقرار الأرثوذكسية خاصة في بلاد سوريا وما بين النهرين. رسم أكثر من مائة ألف قسيس وسبعة وعشرين أسقفاً ومطراناً وبطريركين الواحد لأنطاكية والآخر للاسكندرية ومطراناً عاماً هو مار احووادامه الشهيد الذي أصبح مفرياناً للمشرق.

(2) ماروثا التكريتي (+649) ولد في بيت نوهادري وتنسك في دير مار متى قرب الموصل، درس في الرها وأقام في البلاط الفارمي. مطران تكريت 629 تنسب إليه بعض الرسائل والمؤلفات. كتب سيرته خلفه مار دنحا 649 ـ 660 ترجمت إلى الفرنسية وطبعت في باريس سنة 1905.

(3) يعقوب الرهاوي (نحو 633 ـ 708): ولد في عينديبا (منطقة أنطاكية) ودرس في دير قنسرين، لاهوتي وفيلسوف ومؤرخ سرياني. تتلمذ لساويرس سابخت الرياضي المشهور مطران الرها. أعاد النظر في ترجمة العهد القديم المعروفة بـ «البسيطة» له تاريخ ينتهي بعام 692 ومؤلفات طقسية ومواعظ.

(4) رشيد حداد ـ مجلة الوحدة ـ عدد 1، 2 عام 1975 ص 35.

(5) أنطونيوس الكبير 250 ـ 356 ولد في مصر. أبو الرهبان وتلميذ بولا أول الحبساء. تنسك في الصعيد فجذب الكثيرين إلى الحياة الكنسية فانتسبوا إليه في قوانينهم.

(6) عمرو بن العاص 542 ـ 684 قائد عربي شهير. انتصر على البيزنطيين في أجنادين. فتح مصر وألحق بالأعداء هزيمة منكرة في عين شمس وبابليون احتلّ الاسكندرية 642. حاكم مصر، بنى الفسطاط. اشترك في التحكيم الذي عقب صفين فرجّح بدهائه كفة معاوية.

(7) مجلة الوحدة ـ عدد 1، 2، 1975 ص 35.

ظهرت في اليونانية والسريانية والقبطية، ومنها انتقلت إلى اللغة العربية، فإنها أكثر من أن تحصى. كما أننا نمرّ مرّ الكرام على كل تلك الرتب الطقسية المختلفة التي يقترب بها المصلون النصارى من الله وقد عرّبت كلها من اللغات القديمة التي كتبت فيها، وعلم القوانين أو الفقه الذي نشأ عند النصارى العرب مما سنّه الأقدمون في مجامعهم المسكونية أو المحلية وقرره القديسون والحكّام قبل الفتح العربي، ومما زيد عليه بعد الفتح حسبما اقتضت الحاجة إلى إقراره ونشره بين المؤمنين[1].

تدلّنا هذه اللمحة على أهم الأسماء التي انتقلت إلى العربية وساعدت على خلق ذهنية مسيحية عربية لها أبعادها الثقافية وأصولها الحضارية. كل هذا التراث القديم انتقل إلى أيدي العرب فأعملوا فيه الفكر واستلهموا وراحوا يكتبون بهدية صفحات رائعة خلّدت ذكرهم. وهكذا نشأت إلى جانب المكتبة المعرّبة، مكتبة أخرى كوّنها الكتبة النصارى العرب وهي تمثل أبهى تمثيل الأدب المسيحي العرب الأصيل.

---

(1) المصدر السابق ص 36.

الترجمة بعد الفتح الإسلامي

بعد الفتح الإسلامي ابتدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية تنشط وذلك منذ العصر الأموي بتأثير المسيحيين في القرن الأول الهجري، فإن خالد بن يزيد الأول (توفي سنة 85 هـ) كان أول المحبين لعلوم اليونان، فأمر بترجمة الكتب في علم الهيئة والطب والكيمياء. ومما يروى عنه أنه وجد الحجر الفلسفي الذي يصنع به الذهب الاصطناعي[1].

ومن أشهر النابغين في العصر الأموي من المترجمين يعقوب الرهاوي الذي ترجم كثيراً من كتب الإلٰهيات اليونانية إلى العربية[2].

ودخلت علوم اليونان وفلسفتهم إلى العرب في العصر العباسي منذ خلافة المنصور إذ كان شغوفاً بالطب والهندسة والفلك والنجوم، وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث إليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات[3]. وجمع حوله صفوة مختارة من العلماء في مختلف نواحي المعرفة. وشجّع على ترجمة العلوم من اللغات الأخرى. نقل حنين بن إسحاق[4] كتب أبقراط وجالينوس في الطب، وترجم يحيى بن بطريق كتاب المجسطي، وترجم جورجيس بن جبرائيل الطبيب كتب المنطق

---

(1) بارتولد ـ تاريخ الحضارة الإسلامية ـ 69.

(2) أحمد أمين ـ فجر الإسلام ـ ص 162.

(3) حاجي خليفة ـ كشف الظنون ـ ج 1 ص 679.

(4) لقد أقام مجمع اللغة السريانية ببغداد مهرجاناً ضخماً بمناسبة ذكرى وفاته الألفية وأصدرت لجنة المهرجان كتاباً ذهبياً بالبحوث التي ألقيت فيه ـ بغداد 1974.

لأرسطوطاليس، واعتنى كل من يوحنا بن ماسويه[1] وسلام الأبرش وباسيل المطران بكتب الطب[2].

وقد زادت عناية الرشيد[3]، واهتمامه بترجمة الكتب، فأمر بترجمة جميع ما وقع في حوزتهم من الكتب اليونانية، كما وسّع ديوان الترجمة الذي كان قد أنشأه المنصور[4]، لنقل العلوم العربية وزاد عدد موظفيها[5].

ولما تولى المأمون[6]، الخلافة اهتم بالترجمة والتأليف وأخذ يضمن شروط الصلح مع ملوك الروم إرسال كتب الحكمة، فكان أحد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث أن ينزل له (المأمون) عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية وكان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس في الفلك فأمر المأمون بنقله إلى العربية وسماه المجسطي[7].

---

(1) يوحنا بن ماسويه: طبيب سرياني عهد إليه الرشيد ترجمة الكتب الطبية. طبيب البلاط العباسي منذ عهد المأمون حتى أيام المتوكل. توفي سنة 857.

(2) رفاعي ـ عصر المأمون ـ ج 1 ص 379.

(3) هارون الرشيد: الخليفة العباسي الخامس 786 ـ 809 ابن المهدي والخيزران. جاء إلى العرش بعد اغتيال أخيه الهادي 785 ـ 786 حارب البيزنطيين وهو لا يزال حاكماً على المقاطعات الغربية 797 ـ 802 وبلغ أبواب القسطنطينية. حمل مرات على البيزنطيين بعد خلافته وأمّن الأمن في المقاطعات الفارسية. ازدهرت في عهده التجارة والأدب والعلوم. توفي في طوس بإيران.

(4) المنصور (أبو جعفر): 754 ـ 775 خلف أخاه السفاح. انتصر على عمه عبد الله ثم أطاح بأبي مسلم الخرساني. أخضع ثورات العلويين. بنى بغداد ودعاها «دار السلام» نظم الشؤون الإدارية والمالية والبريد. توفي بعد عودته من الحج.

(5) رفاعي ـ عصر المأمون ـ ج 1 ص 379.

(6) المأمون 813 ـ 833 ابن هارون الرشيد من جارية فارسية، عهد إليه أبوه بالقسم الشرقي من الأمبراطورية. احتلّ بغداد وقتل الأمين 819 قضى على الخوارج في خراسان. حارب الأمبراطور تيئوفيل 829 ـ 842 وأجبره على قبول الصلح. عني بالثقافة والأدب والفلسفة والعلوم. فأنشأ بيت الحكمة. ازدهرت في عهده حركة النقل والترجمة. انحاز إلى المعتزلة. توفي في طرطوس عام 833.

(7) المجسطي ومعناه الترتيب الكبير في علم الفلك. وكان المرجع المهم في الفلك عند المسلمين والأوروبيين في القرون الوسطى.

وأنشأ المأمون في بغداد بيت الحكمة وهو مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة وأقام فيه طائفة من المترجمين المسيحيين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال[1]. وأرسل المأمون بعد ذلك بعثة علمية لشراء كتب الحكمة من بلاد الروم مكوّنة من الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلم صاحب دار الحكمة (توفي 215 هـ/ 830م) فأخذوا مما اختاره عدداً كبيراً وحملوه إلى بغداد فأمرهم المأمون بنقلها إلى العربية، فاجتمع عند المأمون في دار الحكمة مجموعة كبيرة من كتب الفلسفة والمنطق والموسيقى والفلك وغيرها[2].

إلى جانب المترجمين هؤلاء في العلوم والطب، برزت جمهرة ضخمة من المؤلفين النصارى كان لهم كبير الأثر في الفكر العربي الإسلامي إذ كانوا ينعمون بحضارة عريقة وفكر متطور كالأدب السرياني والأدب اليوناني. نكتفي بذكر الكبار منهم الذين عاشوا قبل القرن الحادي عشر الميلادي[3].

أول السريان الملكيين، في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع، ثيودوروس أبو قرة أسقف حرّان (+825). له كتابات في اليونانية والعربية[4]، والسريانية. مذهبه الفلسفي شبيه بمذهب يوحنا الدمشقي. تبعه في أوائل القرن العاشر قسطا بن لوقا البعلبكي الذي ناظر، مع حنين بن إسحاق، أبا الحسن علي بن يحيى المنجم (+888)[5].

وفي مصر عاش سعيد بن البطريق وهو أفتيخيوس الاسكندري، كان بطريركاً على الملكيين في الاسكندرية (+940) له كتاب تاريخ دعاه «نظم

(1) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 177.
(2) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 339.
(3) مجلة «الوحدة» مقالة الأب رشيد حداد 1، 2 سنة 1975 ص 37 ـ 38.
(4) نشرها قسطنطين الباشا بعنوان «ميامر تاودورس أبو قرة أسقف طران» بيروت 1904.
(5) مجلة ARADICA مقالة الأب رشيد حداد ـ محاضرة في مؤتمر المستشرقين الدولي 1973.

الجوهر»[1]. ومن المعاصرين له محبوب بن قسطنطين صاحب كتاب «العنوان» وهو كتاب تاريخ تقف حوادثه عند سنة 941م[2].

أما أنطونيوس[3] رئيس دير مار سمعان العمودي قرب أنطاكية (النصف الثاني في القرن العاشر)، فقد اشتهر كمترجم إذ عرّب عن اليونانية ميامر غريغوريوس اللاهوتي وعظات يوحنا فم الذهب والفصول الفلسفية وشرح الأمانة المستقيمة ليوحنا الدمشقي وكتباً أخرى له مع بعض تعاليم روحانية للآباء. نعرف من معاصريه إبراهيم بن يوحنا الأنطاكي[4] وقد نقل عن اليونانية 52 كتاباً للقديس افرام السرياني كما أنه عني بتعريب ثلاثين ميمراً لغريغوريوس النزينزي. والقس نظيف ابن يمن الكاهن ـ والفيلسوف والطبيب البغدادي، وقد اشتهر بتعريب كتب فلسفية من اليونانية وله مقالة في ماهية اعتقاد النصارى[5].

من أنطاكية خرج يحيى بن سعيد بن يحيى صاحب كتاب الذيل لتاريخ سعيد بن البطريق الذي كانت تربطه به قرابة على ما أخبر ابن أبي أصيبعة[6]. وتمتد حوادث الذيل من سنة 938 إلى سنة 1028[7]. وليحيى أيضاً ثلاثة كتب لاهوتية[8].

وتيوفيلوس ابن توفيل الدمشقي أسقف الملكيين في القاهرة النصف

---

(1) نشره لويس شيخو بجزأيه في بيروت سنة 1906 وسنة 1909.

(2) نشره لويس شيخو في بيروت سنة 1902 واسكندر فاسيليف في باريس في سلسلة الآباء الشرقيين.

(3) غراف ـ تاريخ الأدب المسيحي العربي ـ ج 2 ص 41 ـ 45.

(4) أبو البركات بن كبر ـ كتاب مصباح الظلمة ـ ص 214.

(5) راجع مخطوط 173 ص 92 ـ 99 من المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس. مجلة الوحدة عدد 1، 2 ص 39.

(6) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج 2 ص 87.

(7) نشر كتاب الذيل في باريس سنة 1924 مع ترجمة فرنسية بعناية أغناطيوس كراتشكوفسكي وفاسيليف.

(8) راجع بولس سباط الفهرس رقم 2527 ـ 2529.

الأول من القرن الحادي عشر، أعاد تعريب الأناجيل عن الأصل اليوناني كما حكى أبو الفرج هبة الله ابن العسّال في مقدمة كتابه عن الأناجيل.

أما الشيخ أبو الفتح عبد الله بن الفضل الأنطاكي المتوفى بعد سنة 1052 بقليل[1]، فكانت له اليد الطولى في إعلاء شأن الأدب النصراني بما عرّب وألّف على السواء. فمن معرّباته سفر الزبور وخطب يوحنا فم الذهب وبعض مؤلفات باسيليوس القيصري وغريغوريوس نيصص ومكسيموس المعترف وأندراوس أسقف كريت ويحيى الدمشقي (يوحنا) وإسحاق السرياني.

أما نتاجه الخاص فنذكر منه كتاب المنفعة وهو كتاب ضخم يجمع بين دفّتيه زبدة العلوم الكلامية والفلسفية والعلمية.... وكتاب بهجة المؤمن يقدم به المؤلف الأدلة الفلسفية لمعتقدات النصرانية وكتاب الروضة وهو يضم أقوالاً اقتطفها ابن الفضل من الكتب المقدّسة ومن خمسة وثلاثين فيلسوفاً يونانياً تقريباً ومن أكابر آباء الكنيسة حول واحد وسبعين موضوعاً أخلاقياً لتهذيب النفس. هذا فضلاً عن كتب أخرى وصلت إلينا وغفلنا عن ذكرها أو ضاعت ولم تصل[2].

لا نعرف أحداً من السريان الموارنة في هذه الحقبة سوى المؤرخ قيس الماروني وله كتاب تاريخ العالم تنتهي حوادثه في خلافة المقتفي[3]، وهذا الكتاب الذي ضاع، ذكره واستفاد منه المسعودي[4].

أما المؤلفون السريان النساطرة فعددهم وفير ومقامهم رفيع. أولهم تلك الأسرة الراسخة في علم الطب والفلسفة آل بختيشوع من جنديسابور وقد تناقلت العلم من جيل إلى جيل على مدى ثلاثة قرون تقريباً في عهد

(1) غراف ـ تاريخ الأدب المسيحي العربي ـ ص 52 ـ 64.
(2) مجلة الوحدة مقالة رشيد حداد عدد 1، 2 سنة 1975 ص 39 ـ 40.
(3) المقتفي لأمر الله 1096 ـ 1160 الخليفة العباسي الثالث عشر. خلف أخاه الراشد الذي عزل السلجوقيون. تمكّن من استعادة سلطته على العراق بفضل نزاع السلجوقيين.
(4) كتاب التنبيه والاشراف (طبعة دي غويه) ليدن 1894 ص 154.

العباسيين. مؤسسها جوارجيس بن جبرائيل[1]، وابنه بختيشوع[2] وحفيده جبرائيل[3] وابن حفيده بختيشوع[4] وحفيد حفيد يوحنا[5].

ومن أنسباء الأسرة جبرائيل بن عبيد الله[6]، وابنه أبو سعيد عبيد الله[7].

هؤلاء كلهم خدموا الطب والفلسفة والمنطق والديانة النصرانية بما عرّبوا وألّفوا. نقل إلينا أخبارهم ابن أبي أُصيبعة[8]، وأبو الفرج ابن العبري[9]،

(1) قال ابن أبي أصيبعة: (جورجيوس بن جبرائيل كانت له خبرة بصناعة الطب ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج وخدم بصناعة الطب المنصور. وكان حظياً عنده رفيع المنزلة. ونال من جهته أموالاً جزيلة. وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربي) (عيون الأنباء 1: 123).

(2) خدم جبرائيل الأمين والمأمون ونال سخاءهما النعم والعطايا. توفي سنة 828.

(3) خدم جبرائيل الأمين والمأمون ونال سخاءهما النعم والعطايا. توفي سنة 828.

(4) كان نبيل القدر جم الأخلاق ونال من المكانة والجاه والثروة ما لم ينله أحد من سائر الأطباء في زمانه. وكان مقرباً إلى الخليفة المتوكّل إلا أنه في آخر الأيام حقد عليه ونكبه وصادر أملاكه ثم أقصاه إلى البحرين، ولما ملك المهتدي أذن له في العودة وردّ عليه أمواله. ويعدّ أول من استعمل طريقة تكييف الهواء والحرارة. توفي سنة 870م.

(5) كان طبيباً متميزاً خبيراً باليونانية والسريانية. نقل عدة أسفار من اليونانية إلى السريانية وله كتب كثيرة، توفي في أوائل القرن العاشر الميلادي.

(6) جبرائيل بن عبيد الله (المتوفى سنة 396 هـ/ 1005م) من أطباء الخلفاء العباسيين غادر بغداد مع أخته ووالدته إلى عكبرا، لأن الخليفة المقتدر أنفذ ليلة وفاة أبيه ثمانين فراشاً وحملوا كل ما في داره من أثاث ورياش وآنية. وبعد زمن رجع إليها وهو في خاصة عضد الدولة. وضع مؤلفات جليلة في الطب. قال ابن أبي أُصيبعة: «جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع كان فاضلاً عالماً، متقناً لصناعة الطب جيداً في أعمالها حسن الدراية بها» (عيون الأنباء 1: 146 ـ 148).

(7) عبيد الله بن جبرائيل (المتوفى سنة 450 هـ/ 1058م). جاء في عيون الأنباء: «وكان فاضلاً في صناعة الطب مشهوراً بجودة الأعمال فيها متقناً لأصولها وفروعها من جملة المتميزين من أهلها والعريقين من أربابها، وكان جيد المعرفة بعلوم النصارى ومذاهبهم، وله عناية بالغة بصناعة الطب» (عيون الأنباء 1: 148).

(8) عيون الأنباء ج 1 ص 123 ـ 148.

(9) تاريخ مختصر الدول ـ بيروت ـ 1890 ص 213 ـ 215. 225 ـ 228، 249 ـ 250.

والقفطي[1]، من القدماء، ولويس شيخو[2]، وسليمان صائغ[3]، ويوسف غنيمة[4]، وروفائيل بابو إسحاق[5]، وبروكلمان[6]، ودائرة المعارف الإسلامية[7] من المستشرقين الغربيين[8].

قلنا ازدهرت الترجمة على أيدي النصارى في الفترة الواقعة بين (750 ـ 900). فقد عكفوا على ترجمة أمهات الكتب السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية إلى العربية، وكان على رأس أولئك المترجمين في بيت الحكمة حنين بن إسحاق الطبيب النسطوري الذي ترجم إلى اللغة السريانية مائة رسالة لجالينوس، وإلى العربية تسعاً وثلاثين رسالة أخرى، وكتب المقولات الطبيعية والأخلاق الكبرى لأرسطو، وكتب الجمهورية وطيماوس والقوانين وكتاب السياسة لأفلاطون[9].

وقام ابنه إسحاق أيضاً في أعمال الترجمة، فنقل إلى العربية من كتاب أرسطو الميتافيزيقا أو النفس وفي توالد الحيوانات وفسادها، وشرح الاسكندر الأفروديسي وهو كتاب له أثر كبير في الفلسفة الإسلامية[10]. وكان يعمل معه نقلة مجيدون أمثال اصطفان بن باسيل، وموسى بن خالد، ويحيى بن هارون، وحبيش بن الأعسم، وعيسى بن يحيى بن إبراهيم[11].

---

(1) تاريخ الحكماء ـ ليبزك ـ 1903 ص 102 و146.
(2) مجاني الأدب في حدائق العرب ـ بيروت 1900 ج 4 ص 298 ـ 300.
(3) راجع مقالة في مجلة المشرق البيروتية 8 ـ 1905 ص 1097 ـ 1107.
(4) راجع كتابيه ـ أحوال نصارى العراق ـ وأحوال نصارى بغداد.
(5) راجع مجلة ايزيس 8 ـ 1925 ص 717 وما يتبع.
(6) حنين بن إسحاق ـ حول ترجمات كتب جالينوس السريانية والعربية ـ ليبزك ـ سنة 1925.
(7) تاريخ الأدب العربي ـ انظر الفهارس.
(8) مجلة الوحدة 1975 ص 40، مقالة الأب الدكتور رشيد حداد.
(9) ديورانت ـ قصة الحضارة ج 13 ص 178.
(10) المصدر السابق، ج 13 ص 178.
(11) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 145. القفطي ـ أخبار العلماء ـ ص 118.

وكان قسطا بن لوقا يشرف على الترجمة من اللغتين اليونانية والسريانية إلى العربية. كما كان يحيى بن هارون يشرف على الترجمة من الفارسية إلى العربية[1]. وقد أقام المأمون يوحنا بن البطريق الترجمان أميناً على ترجمة الكتب الفلسفية من اليونانية إلى العربية. فتولّى ترجمة كتب أرسطو وبقراط الفلسفة وغيرها[2].

لم يكن الخلفاء وحدهم يهتمون بالترجمة والنقل إلى العربية، بل نافسهم في ذلك الوزراء والأمراء والأغنياء أيضاً وأخذوا ينفقون الأموال الطائلة عليها، فيقول ابن الطقطقي[3]: «إن البرامكة شجّعوا تعريب صحف الأعاجم حتى قيل إن البرامكة كانت تعطي المعرّب زنة الكتاب المعرّب ذهباً».

وبالغ الفتح بن خاقان في إنفاق الأموال على الترجمة والتأليف. وكان عبد الملك بن الزيات لا يقلّ عنه سخاء في هذا المجال.

وممّن اشتهر من الأغنياء بتشجيع حركة الترجمة والتأليف محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر المنجم، الذين أنفقوا الأموال الضخمة للحصول على كتب الرياضيات. وكانت لهم آثار قيّمة في الهندسة والموسيقى والفلك، وقد أنقذوا حنين بن إسحاق إلى بلاد الروم فجاءهم بطرائف الكتب وفرائد المصنفات[4].

ولم يقتصر اهتمام النصارى على الترجمة ولا سيما ترجمة فلسفة اليونان، بل تعدّاها إلى غيرها من العلوم. فقد اهتموا بالطب، وشادوا قبل الإسلام المستشفيات في العراق وأنشأوا المدارس الطبية واعتنوا بصناعة الأدوية. واهتمّ الخلفاء عامة برعاية الطب والأطباء قبل غيره من العلوم.

(1) حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي ـ ج 2 ص 299.
(2) القفطي ـ أخبار العلماء ص 248.
(3) ابن الطقطقي الفخري ص 235.
(4) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 340.

ولا يسعنا هنا إلّا إن نذكر أسماء بعض المترجمين النصارى في العلوم الأخرى ومدى تأثيرهم في الفكر العربي الإسلامي ذلك أنهم لعبوا دوراً كبيراً في الحركات الفكرية عصرئذٍ ومدّوا مفكري الإسلام بالمادة والموضوعية خاصة في الجدل الفلسفي والمنطقي. وقد ظهر ذلك جلياً في أفكار المعتزلة الذين اقتبسوا بل مزجوا الفكر الإسلامي بالفكر اليوناني المسيحي عن طريق الكتب التي ترجمها نصارى العراق خاصة، ومنهم:

أبو الحسن عيسى بن حكم المسيحي الدمشقي[1]، والراهب هارون بن عزور[2]، وأبي زكريا يحيى بن البطريق المترجم[3]، ويوسف بن إبراهيم الحابس بن دايه[4]. وقد بزهم جميعاً في علم الطب يوحنا بن ماسويه (= 857) الذي كان طبيباً مقدماً عند المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وأخباره مشهورة[5]، وجاثليق النساطرة تيموثاوس الكبير (+823)[6]، الذي بالإضافة إلى ترجمته لكتاب أرسطو في الشعر له محاورة معروفة مع الخليفة المهدي حول العقائد النصرانية وموقف النصارى في الإسلام. حول هذا الجاثليق. نرى صديقه أبا نوح بن الصلت الأنباري[7] وكاتبه أبا الفضل علي بن النصراني[8]، وخليفته على كرسي الجثلقة يشوع بن نون[9]، وكلهم من الكتبة المبدعين.

---

(1) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ـ ذيل ج 1 ص 416.
(2) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 72.
(3) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 239. ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 205.
(4) مجلة المشرق البيروتية 12 (1909) وما يتبع.
(5) انظر المراجع في بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ج 1 ص 232 والذيل الأول ص 416.
(6) رافائيل بيداويد ـ رسائل البطريرك النسطوري تيموثاوس الأول (بالفرنسية) الفاتيكان 1956. هانس بوتمان: الكنيسة النسطورية في بطريركية الجاثليق تيموثاوس الأول. راجع مجلة الوحدة عدد 1، 2 سنة 1975 مقالة رشيد حداد ص 41.
(7) ابن النديم ـ الفهرست ص 144. بولس سباط، الفهرس، الذيل رقم 2530 ـ 2532.
(8) بولس سباط، الفهرس، ج 1 رقم 418، طبعة القاهرة (1938).
(9) ادوار ساخو ـ كتاب الفقه السرياني ـ ج 2 برلين 21 ـ 24 و121 ـ 177.

وأما حبيب بن بهريز فكان أولاً أسقفاً على حران ثم انتقل إلى كرسي الموصل، وعاش في زمن المأمون، ولهذا الخليفة عرّب كتباً في المنطق والفلسفة. وللأسقف حبيب هذا عدة نظريات قريبة من الإسلام[1].

وفثيون بن أيوب الترجمان الشامي، نقل إلى العربية بعض الأسفار المقدّسة وعاش في بغداد في منتصف القرن التاسع الميلادي، وكانت تربطه صداقة حميمة بعبد الله بن كلاب، كما أخبر ابن النديم[2].

وكبير علماء قومه هو دون شك ـ كما سبق وأشرنا ـ حنين بن إسحاق[3]، الذي أدّى للحضارة العربية خدمات جليلة بما عرّب هو وابنه إسحاق[4]، وتلميذه حبيش بن الأعسم الدمشقي[5]، واصطفان بن باسل[6]، وعيسى بن يحيى بن إبراهيم[7]، وعيسى بن علي[8].

أثر النصارى في الطب العربي:

في العصر الأموي استخدم الخلفاء، الأطباء النصارى في بلاطاتهم وقصورهم. من هؤلاء ابن آثال وكان طبيباً لمعاوية بن أبي سفيان[9]. يقول ابن أبي أُصيبعة (668 ـ/ 270): «إن الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر بنشر كتاب الطب الشرعي الذي نقله إلى العربية متطبب البصرة ماسرجويه في عهد الخليفة مروان بن الحكم، وقد وجده في خزائن الكتب بالشام»[10].

---

(1) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 205.
(2) ابن النديم ـ الفهرست ـ ج 241 و180 و244.
(3) غراف ـ تاريخ الأدب المسيحي العربي ـ ج 2 ص 122 و129.
(4) المصدر السابق ص 129 ـ 130 ـ ج 2.
(5) القفطي ـ أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص 122.
(6) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي المسيحي ـ الذيل الأول ص 370.
(7) برغشتراسر ـ حنين بن إسحاق ومدرسته ـ ليدن 1913 ص 14.
(8) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1، 247.
(9) أحمد علي أمين ـ فجر الإسلام ـ ص 200.
(10) ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 163.

ومن أشهر أطباء النصارى في العراق في العهد الأموي تثاذوق، وكان طبيباً فاضلاً وله نوادر في صناعة الطب، وكان مشهوراً عند الأمويين بالطب، صحب الحجاج الثقفي إلى العراق، وخدمه بصناعة الطب، وكان الحجاج يعتمد عليه ويثق بمداواته[1]. ولتثاذوق من الكتب «كناش» كبير ألّفه لابنه، وكتاب أبدال الأدوية وكيفية صنعها وإذابتها، وشيء من تفسير أسماء الأدوية[2].

وقد دأب خلفاء بني أمية على رعاية الأطباء وتشجيع دراسة الطب، فأنشأوا لأجل ذلك المستشفيات لمعالجة المرضى من الناس، وأول مستشفى شاده الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 88 هـ/ 705م لمعالجة المجذومين[3].

كما اتخذوا لأنفسهم الأطباء من النصارى للإشراف على علاجهم.

وفي العصر العباسي أكثر الخلفاء من إنشاء المستشفيات واختاروا لها الأماكن التي تمتاز بالهدوء والهواء البليل والماء النقي[4]، وجعلوا فيها أماكن خاصة للرجال وأخرى للنساء، وخصصوا لكل مرض قاعات خاصة ووضعوا للإشراف عليها أطباء متخصصين. ومن أشهر المستشفيات في العصر العباسي الأول مستشفى العميان الذي أنشأه المنصور[5]. ومستشفى الرشيد الذي أنشأه سنة 170 هـ ومستشفى علي بن عيسى الوزير. وأخذ الخلفاء فيما بعد ينشئون المستشفيات بأسمائهم لعلاج العامة، ويوقفون لها الأموال الطائلة، ويشرفون أحياناً بأنفسهم على رعايتها[6]. فكان الأطباء والصيادلة خاضعين للامتحان ليحصلوا على إجازة التطبب، وكان بكل مدينة مفتش خاص للصيدليات وتحضير الأدوية[7].

---

(1) المصدر السابق ج 2 ص 32.
(2) ذات المصدر ج 2 ص 35.
(3) الطبري - تاريخ - ج 8 ص 66.
(4) ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - ج 1 ص 309 - 310.
(5) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي - ج 2 ص 366.
(6) روفائيل بابو إسحاق - أحوال نصارى بغداد - ص 156.
(7) ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - ج 1 ص 133.

ومن أبرز الأسر المسيحية التي اشتهرت بالطب وبقي أحفادها يتوارثون معالجة خلفاء بني العباس ـ سبق وأشرنا ـ أسرة بختيشوع. فكان أبناؤها أطباء ومترجمين وفلاسفة[1]، وعالجوا المنصور والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. كما عالجوا الوزراء والأمراء والقوّاد.

قال فيهم ابن أبي أُصيبعة[2]: «إن جورجيس وولده كانا من أجلّ أهل زمانهما بما خصّهما الله من شرف النفوس ونبل الهمم، ومن البرّ المعروف، والأفضال والصدقات، وتفقّد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين، والمرهوقين على ما يتجاوز الحدّ من الصفة والشرح».

وقد كان المنصور قد استقدم جورجيس من مدرسة جنديسابور وكان رئيس الأطباء فيها، وعيّنه طبيبه الخاص[3]. ومنذ ذلك الوقت توارث الأطباء النساطرة وظيفة التطبب في قصور الخلفاء العباسيين وأسسوا مدرسة الطب في بغداد، وكان منهم بختيشوع بن جورجيس الذي استقدمه المهدي ـ هو الآخر ـ من جنديسابور أيضاً فظلّ في خدمة ولده الهادي والرشيد إلى أن توفي[4]. وقد قرّبه الرشيد إليه كثيراً وقال له: تكون رئيس الأطباء ولك يسمعون ويطيعون[5].

واشتهر من هذه الأسرة جبرائيل بن بختيشوع (توفي سنة 213 هـ) الذي كتب مدخلاً لعلم المنطق ورسالة للمأمون في التغذية والمشاريب وكتب في وصايا طبية كثيرة وفي الروائح[6]. وقد بلغ مقدار ثروته خلال عهود الرشيد والمأمون 89 مليون درهم[7].

---

(1) راجع مقالنا في مجلة «المسرة» عدد 597، 598 (بيروت 1974) «الطب في العصر العباسي» ص 754 ـ 763، 819 ـ 829.

(2) ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ج 1 ص 136.

(3) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء ـ ص 64.

(4) المصدر السابق ص 64.

(5) ابن القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 100.

(6) إسماعيل مظهر ـ تاريخ الفكر العربي ص 17.

(7) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 190.

واشتهر منهم أيضاً بختيشوع بن جبرائيل (توفي سنة 257 هـ) وقد أنعم المتوكل عليه حتى أنه كان يضاهيه في ملابسه وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة، ومباراته في الطيب والجواري والعبيد[1].

ومنهم أيضاً يوحنا بن بختيشوع، وبختيشوع بن يوحنا (توفي سنة 329 هـ/ 947م).

واشتهر من أطباء المنصور عيسى بن شهلا وهو تلميذ جورجيس بن جبرائيل[2]. ومن أطباء المهدي أبو قريش ويعرف بعيسى الصيدلاني. ولم يذكر في جملة الأطباء لأنه كان ماهراً بصناعة الأدوية[3]. ومن أطباء الهادي المتطبب الطيفوري. نقل له حنين عدة كتب في الطب، وكان أحظى الناس عند الهادي[4]. ومن الأطباء الكحالين وقد اختصّ بخدمة الرشيد وكانت وظيفته في كل شهر ألف درهم الكحال جبرائيل[5]. ووضعه المأمون رئيساً لبيت الحكمة، وله مقالة في الحميّات أصبحت المعوّل عليها في دراسة الأمراض، ونقلت من بعد إلى اللاتينية والعبرية[6].

ويذكر ابن جلجل (توفي سنة 384 هـ/ 994م): «أن له ثلاثين كتاباً، منها كتاب البرهان وكتاب الكمال والتمام وكتاب في الفصد والحجامة وفي الأدوية والجذام، والأغذية، وفي علاج المعدة وفي الطب النسائي وتركيب الأدوية[7].

واشتهر منهم ماسويه بن يوحنا وقد رأس مدرسة الطب في بغداد وله

---

(1) الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ ص 145 ـ 146.
(2) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 124.
(3) ابن القفطي ـ أبخار الحكماء ـ ص 430.
(4) المصدر السابق ص 219.
(5) نفس المصدر ص 152.
(6) إسماعيل مظهر ـ تاريخ الفكر العربي ـ ص 47.
(7) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء ـ ص 65.

مترجمات ومؤلفات، ويوحنا بن ماسويه الذي اشتهر بالطب والصيدلة واستخصّه المأمون لمهارته.

وكان سلمويه بن بنان طبيب المعتصم، وقد قرّبه إليه، وكان يرد إلى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخطه، وكان كل ما يرد على الأمراء والقواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين بخط سلمويه[1]. ولما مرض سلمويه بعث المعتصم لزيارته. ولما مات أمر بأن تحضر جنازته القصر، وأن يصلّى عليه بالشموع والبخور جرياً على عادة النصارى، وامتنع المعتصم يوم موته عن أكل الطعام[2]. وقال المعتصم سألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي[3]. وله عشر مقالات في الطب (طب العين)[4]. وفي الأغذية وفي تدبير الناقهين وفي الأدوية[5].

ومن أطباء النصارى المشهورين أيضاً حنين بن إسحاق العبادي وقد برز بالإضافة إلى الطب بالفلسفة وقد جعله المأمون رئيساً لدار الحكمة ومشرفاً على المترجمين. وفي خلافة المتوكل قرّبه إليه وأقطع له الإقطاعيات[6]. واشتهر ابن أخته حبيش بن الأعسم وابنه إسحاق (توفي سنة 298 هـ/ 911م) بالطب، فقال ابن القفطي عن إسحاق «كان أبو يعقوب النصراني في منزلة أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية، وكان فصيحاً يزيد على أبيه في ذلك»[7]. وقال فيه ابن خلكان (توفي سنة 681 هـ/ 1282م)[8]: «كان أوحد عصره في علم الطب، ويلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات، وفصاحته فيها، وكان يعرّب

(1) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 295. ابن أبي أُصيبعة ج 1 ص 164.
(2) الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة ـ ص 145.
(3) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 296.
(4) ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج 13 ص 190.
(5) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء ـ 69.
(6) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 251.
(7) ابن القفطي ـ أخبار الحكماء ـ 57..
(8) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ ج 1 ص 185.

كتب الحكمة التي بلغة اليونان، إلى العربية «كما كان يفعل أبوه». وله من الكتب: «كتاب كناش، وكتاب تاريخ الأطباء، وكتاب الأدوية المفردة»[1].

وألّف بعض النصارى كتباً طبية بالعربية منهم إبراهيم بن باكوس، ويحيى بن عدي[2]. وعيسى بن زرعة[3]، والبيرودي، والفضل بن جرير[4]، ويحيى بن جرير[5]، وسابور بن سهل من جنديسابور، وتيودوروس أسقف الكرخ، وعيسى بن ماسة من مرو، ويحيى بن سرابيون، وخالد بن يزيد بن رومان النصراني، والقس يوسف الساهر، وأبو الحسين بن كشكرايا، ولوقا بن سرابيون، وعيسى بن يوسف ابن العطار النصراني الموصلي[6]، وقسطا بن لوقا، وكان حاذقاً في الطب والفلسفة، والتنجيم، والهندسة، والحساب، وله تآليف في الطب منها الفرق بين النفس والروح، وكتاب بين الحيوان الناطق والصامت، وكتاب في غلبة الدم[7]، ونقل إلى العربية مؤلفات اليونان واشتغل في صنع الآلات الفلكية ومن مؤلفاته في هذا المجال «المرايا المحرقة» و«الفلاحة اليونانية» عاش ما بين سنة 820 وسنة 912م.

---

(1) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 298.

(2) يحيى بن عدي 893 ـ 974 منطقي تكريتي مسيحي سرياني أرثوذكسي، تلميذ أبي بشر والفارابي. نقل إلى العربية كتاب «النفس» لأرسطو. انظر مقالنا «تكريت» في المجلة البطريركية عدد 71 ـ 80 سنة 1970. ومقالنا «يحيى بن عدي التكريتي» في مجلة «بين النهرين» الموصل عدد 11 سنة 1975.

(3) عيسى بن زرعة 981 ـ 1056 منطقي نصراني سرياني أرثوذكسي ولد ببغداد وتوفي فيها. أتقن العربية والسريانية واليونانية اشتهر بترجماته في الفلسفة والطبيعيات. له في عقيدة المسيحية كتاب «مقالة في التثليث». وأبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة الملكي 943 ـ 1008. ولد ومات في بغداد. تاجر انصرف إلى العلم والترجمة والتأليف تحت إشراف أستاذه يحيى بن عدي له «رسالة في الخالق والصفات الإلٰهية».

(4) البطريرك افرام برصوم ـ اللؤلؤ المنثور ـ ص 203.

(5) يحيى بن جرير التكريتي: كاتب سرياني أرثوذكسي ألّف بالعربية مختصراً للاهوات سماه «كتاب المرشد».

(6) مجلة الوحدة «مقالة رشيد حداد» عدد 1، 2 سنة 1975 ص 42.

(7) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء ص 76.

أثر النصارى في الفلسفة والعلوم الأخرى:

اهتم النصارى بالفلسفة منذ فجر المسيحية وخاصة لدى انقسامهم إلى فرق ومذاهب فكانت كل فرقة تعتمد المنطق والفلسفة في تثبيت المعتقد الخاص بها. فراحوا يترجمون فلسفة أرسطو وأفلاطون للبرهان والمحاججة. وبعد الفتح الإسلامي نشطت حركة الاهتمام بالفلسفة اليونانية إذ نشطت محافل الجدل والمناقشة بين النصارى والمسلمين، فقام السريان بتدريس الفلسفة اليونانية في مدارسهم[1]، وعلّقوا عليها، وشرحوها ولا سيما فلسفة أرسطو وأفلاطون.

وأبرز فلاسفة السريان، القس سرجيس الراسعيني، ورهبان دير قنسرين الذين تعلّقوا بدراسة فيلون[2] الاسكندري. كما ترجم السريان الكتب الفلسفية التي تناولت حكم فيثاغورس في الفضيلة، وحدود أفلاطون وحكمه التي كتبها لتلاميذه والحدود عن الله والإيمان والمحبّة والعدل وحكم الفلاسفة في النفس ونصائح الفلاسفة.

ومن الذين كان لهم الأثر الواضح في الفلسفة العربية المسيحية والإسلامية الجاثليق النسوري يوحنا بن عيسى بن الأعرج (+950)[3] الذي وإن لم يترك أثراً في كتب المؤلفين المسلمين، إلا أنه كان كاتباً كنسياً مشهوراً في عالم الفقه المسيحي وكذلك أبو بشر متى بن يونس الذي[4] ينعم بشهرة

---

(1) من مدارس السريان: مدرسة المدائن، مدرسة الرها، مدرسة نصيبين، مدارس أنطاكية وجوارها، مدرسة دير قنسرين، مدرسة رأس العين، مدرسة دير قرتمين، مدرسة دير مار برصوم بملطية، مدرسة دير البارد.

(2) فيلمون: (20ق.م ـ 54م) ولد في الاسكندرية. فيلسوف يهودي حاول أن يشرح الدين بتعابير الفلسفة اليونانية. وأكثر استعمال الطريقة الرمزية. له تأثير جدي على آباء الكنيسة الشرقية وعلى فلاسفة العرب.

(3) تاريخ مار ميخائيل الكبير طبعة شابو ـ باريس ـ ج 3 ص 121 و463.

(4) متى أبو بشر يونان المنطقي: ولد في دير قنّى قرب بغداد وتوفي فيها سنة 940. أستاذ يحيى بن عدي. أول من نقل عن اليونانية «بوتيكا» أو كتاب الشعر لأرسطو. وعن السريانية كتاب «البرهان» لإسحاق بن حنين.

نادرة. حكى القفطي عنه وقال: «عالم بالمنطق... وعلى كتبه وشروحه اعتماد أهل هذا الشأن في عصره»[1]. وقد شهد له ابن النديم فقال: «إليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره»[2] وهو من أكابر شرّاح الفلسفة الأرسطوطاليسية[3]. تعلم في مدرسة مار ماري في دير قني[4] حيث كانت تدرس علوم المنطق والنحو والشعر والهندسة والفلك والطب والفلسفة وعلوم الدين باللغة العربية إلى جنب اللغتين السريانية واليونانية[5].

وقد قام بين السريان النساطرة في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد، عدّة أساقفة ألّفوا أو عرّبوا كتباً هامة في التاريخ والمنطق والفلسفة والفلك والجدل والدين، خلّدت أسماءهم، ومنهم جرجيس مطران الموصل[6] وإسرائيل أسقف كشكر[7] وإيليا الأول الجاثليق[8]. (+1049) وخاصة إيليا برشينايا مطران نصيبين[9]، (+1046) صديق أبي القاسم الحسين بن علي المغربي وله معه مجالس مشهورة[10]. ولمطران نصيبين مؤلفات كثيرة في العقائد الدينية والتاريخ والأخلاقيات والفقه واللغتين السريانية والعربية.

وإن ننسى لا ننس ذكر الراهب قرياقوس بن زكريا الحراني، جبرائيل بن نوح،

---

(1) انظر أخبار الحكماء بأخبار العلماء ص 212.

(2) راجع الفهرست لابن النديم ص 368.

(3) راجع كتاب غراف ص 153 ـ 154.

(4) دير قني: موضع في جنوبي بغداد كان فيه دير عظيم في العهد العباسي، اشتهر بكرومه. اندثر قبل القرن الثالث عشر الميلادي مسقط رأس الكثيرين من الرجالات الذين لعبوا دوراً كبيراً في البلاط العباسي.

(5) راجع الشابشتي ـ كتاب الديارات مع الذيل للناشر الأستاذ كوركيس عواد بغداد ـ 1966 ـ 395.

(6) راجع المخطوط الفاتيكان العربي رقم 110.

(7) ماري بن سليمان ـ المجدل ج 1 ص 81 وما يتبع و98. ج 2 ص 73 وما يتبع و91.

(8) يوسف السمعاني ـ المكتبة الشرقية ـ ج 3 قسم 1 ص 262 ـ 265.

(9) غراف ـ تاريخ الأدب المسيحي العربي ـ ج 22 ص 177 ـ 189.

(10) لهذه المجالس السبعة عدة خطية نشر إحداها الأب لويس شيخو في مجلته (المشرق). نشر كتاب «تاريخ إيليا برشينا» الأب الدكتور يوسف حبي في بغداد عام 1975.

وعيسى بن علي النصراني صاحب قاموس سرياني - عربي، وأبي الحكيم يوسف بن البحيري من ميارفرقين، وبشر بن السري الدمشقي مفسر الكتب المقدسة[1].

أما أبو الفرج عبد الله بن الطيب[2] فكان من الرجال البارزين في عصره وبين قومه. فهو الفيلسوف والطبيب والقس الذي شغل منصب كاتب الجاثليق أيام يوحنا بن نازوك (+1022) وتوفي سنة 1043. إليك ما كتبه عن القفطي: «فيلسوف فاضل مطّلع على كتب الأوائل وأقاويلهم، مجتهد في البحث والتفتيش... وقد أحيا من هذه العلوم - أي فلسفة أرسطو وطب جالينوس - ما دثر وأبان منها ما خفي.. وشيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه مرضه كاد يلفظ نفسه فيها...»[3] فهذا الذي قدم شروحاً قيّمة لكتب أرسطوطاليس وفرفوريوس الصوري وجالينوس وأبقراط، اهتمّ أيضاً بتفسير الكتب المقدسة النصرانية بأجمعها، كما أن له عدّة كتب عقائدية وأخلاقية وفقهية، قسم منها نشره علماء أوروبيون[4]، وقسم ما زال طي المخطوطات.

هؤلاء هم المؤلِّفون النساطرة وقد كانوا من نخبة القوم علمياً واجتماعياً[5].

أما «اليعاقبة»[6]، فقد برز منهم مفكرون كبار يتقدمهم أبو رائطة حبيب التكريتي[7]، المعاصر لأبي قرة أسقف حران وتيموتاوس الكبير جاثليق

---

(1) راجع ما ورد حول هؤلاء المؤلفين في كتاب غراف ص 154 - 159.

(2) عبد الله بن الطيب: طبيب عراقي مسيحي. درس في المارستان المنصوري في بغداد. توفي سنة 942م له كتاب «النكث والثمار الطبية والفلسفة».

(3) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص150 - 151.

(4) اهتم بنشر مؤلفات ابن الطيب العالم الهولندي سندرز والعالم الفرنسي جيرار تروبو خاصة في مجلة «كلمة الشرق» الصادرة عن جامعة الروح القدس في الكسليك قرب بيروت.

(5) لويس ماسينيون - السياسة الإسلامية المسيحية للكتّاب النساطرة ج 1 ص 250 - 257.

(6) لفظة «اليعاقبة» أطلقها النساطرة والملكيون على أتباع كنيسة أنطاكية السريانية. وبالحقيقة إنهم أبناء كنيسة السريان.

(7) انظر مقالنا «تكريت» في المجلة البطريركية سنة 1970، عدد 71 - 80.

النساطرة. له عدة رسائل دينية ونشرها العالم جورج غراف مع ترجمة ألمانية[1]؛ وقد اهتم بتربية نسيبه نونوس رئيس شمامسة نصيبين الذي ألف تفسيراً لإنجيل مار يوحنا، ما عدا كتاباته باللغة السريانية[2].

اشتهر كذلك عبد المسيح ابن ناعمة الحمصي معرّب المغالطات السفسطائية والسماع الطبيعي لأرسطو والكتاب المنحول «إيثولوجيا»[3]. ثم موسى بن كيفا، صاحب التفاسير الكتابية والخطب الدينية، ومعاصره يوحنا الداراني[4]، وله مقالة عن الشياطين وكتاب في الكهنوت، وهنا نصل إلى قمّة الفكر النصراني أعني به يحيى بن عدي التكريتي نزيل بغداد[5] (+974) ولقد أعطى القفطي[6] لائحة كتبه الفلسفية وأهمل كتبه اللاهوتية النصرانية. وحوالي سنة 920 اهتم العالم الفرنسي أغوسطينوس بيريه بدراسة هذا الكاتب، إذ خصّه بكتاب لنيل درجة الملفنة (الدكتوراه) في السوربون، وكانت مؤلفات يحيى الفلسفية مفقودة آنذاك. فما كان من الباحث إلا أن درس مذهب يحيى من خلال كتبه اللاهوتية فقط. إلا أن الدكتور الأب رشيد حداد يقول في مقالة «الوجه النصراني للثقافة العربية» إنه عثر في هذه السنوات الأخيرة على مخطوطات في طهران وأصفهان تحتوي على كتبه الفلسفية وهي في غاية الخطورة[7]، ولا عجب في هذا فإن شهادة القفطي بحقه واضحة: «إليه انتهت رئاسة أهل المنطق في زمانه». ومن تلاميذه الفيلسوف فرج بن جرجس بن أفريم، وأبو الخير الحسن بن سوار، وأشهرهم أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة (+1008)[8]: «أحد

(1) مؤلفات حبيب ابن خدمة أبي رائطة ـ لوفان ـ 1951.
(2) بروكلمان ج 1 ص 2222 الذيل الأول ص 264 وما يتبع وص 956.
(3) المصدر السابق ج 1 الذيل الأول ص 222. 264 و956.
(4) السمعاني ـ المكتبة الشرقية ـ ج 2 ص181 ـ 238.
(5) غراف ـ تاريخ الأدب المسيحي العربي ـ ج 2 ص 233 ـ 249.
(6) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص 236 ـ 2238.
(7) مجلة الوحدة عدد 1، 2 سنة 1975 مقالة الأب رشيد حداد ص 45.
(8) كيرللوس حداد ـ عيسى بن زرعة ـ بالفرنسية بيروت 1971.

المتقدمين في علم المنطق والفلسفة»[1]، وأحد النقلة البارعين. كتبه في الفلسفة المعرّبة أو المؤلفة تحتلّ مقاماً سامياً بين المؤلفات العربية. عنه كتب معاصره أبو حيان التوحيدي[2]. وتلميذه أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي (+1080) كان كثير الاطلاع في العلوم وذا فضل في صناعة الطب. له كتب في الطب وعلم النجوم ذكرها ابن أبي أصيبعة[3]، وكتاب المرشد وهو مختصر مفيد لأهم العقائد النصرانية.

أما من الأقباط فنكتفي بذكر أبي بشر ساويروس ابن المقفع أسقف الأشمونيين (بمركز ملوى) وهو أول كاتب قبطي ألّف باللغة العربية ناشراً عقائد الإيمان ومدافعاً ضد انتقادات الغرباء. ذكر له ابن كبر 26 مؤلفاً[4].

وقد اهتم النصارى بدراسة علم الفلك وعلم التنجيم[5]، مثل الكسوفات وتغيير الأزمنة والأهوية والحر والبرد وغير ذلك، مما يتعلّق بقرب الشمس وبعدها واتصال القمر بالكواكب. وإن هذا العلم مبني على جميع ما يجري في العالم من حركة الكواكب، ويتعلّق هذا العلم بالحساب وعلم الهيئة[6].

وأول من عُني بدراسة علم الفلك والتنجيم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي كان شغوفاً به. وقد تابع الخليفة المأمون ما بدأ به جدّه

---

(1) القفطي ص 163.

(2) أبو حيان التوحيدي 922 ـ 1023. فقيه وفيلسوف ومتصوف وصاحب مصنفات مختلفة صرف الجزء الأكبر من حياته في بغداد وكان فيها منبوذاً فلم يقدروا قيمته واتهموه بالزندقة. من مؤلفاته «الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي».

(3) كتاب الإمتاع والمؤانسة ـ القاهرة ـ ج 1 ص 33.

(4) عيون الأنباء ج 1 ص 243.

(5) مصباح الظلمة ص 306 ـ 307.

(6) علم التنجيم: وهو ما يعبّر عنه بعلم الهيئة الذي يُعرف بأسماء مختلفة مثل علم التنجيم أو الأفلاك وإن كانت كلمة التنجيم اليوم قد انحصرت في قراءة الطالع في التنبؤ بالحوادث المستقبلة. وهذه أطلق عليها صناعة. وبذلك فصل بين علم الهيئة والتنجيم. وعلم الهيئة نظري وعلمي يرمي إلى رصد حركات الكواكب لأهميتها في تحديد الوقت والمواقيت وفي الحياة العلمية مثل السير في الصحارى والبحار مثلاً.

المنصور، فأقبل على طلب العلم، وأرسل إلى ملوك الروم رسلاً فبعثوا إليه ببعض منها، فاستجاد لها مهرة التراجمة، وشجّع الناس على قراءتها والرغبة في تعليمها.

ومن أوائل المنجمين في أيام الخليفة المهدي، توفيل بن توما النصراني المنجم الرهاوي وكان رئيساً للمنجمين في عهد المهدي(1).

ومن مشاهير المنجمين في عهد المأمون حبش الحاسب المروزي وله ثلاثة أزياج أولها المؤلف على مذهب السند هند، والثاني الممتحن، والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاه.

ثم عبد الله بن سهل بن نوبخت الفارسي كبير المنزلة في علم النجوم وله في الأسطرلاب سِفر أودعه أموراً في علم الكواكب وسيرها وحركاتها، ويعيرها العلماء جانب الثقة والاعتبار ويرجعون إليها في علم التنجيم والفلك وكان في عهد الرشيد بدار الترجمة، فقام بتعريب الكتب التي تبحث في علم الأفلاك(2).

وفي الوقت الذي جدّ فيه فريق من النصارى في ترجمة كتب اليونان في مختلف العلوم، انكبّ فريق آخر على تأليف الكتب في صنوف المعرفة. المترجمة وقد قام بهذا المجهود بالدرجة الأولى الرهبان الذين تركوا هذه الكتب المترجمة أو المؤلفة في مكتبات البيع والأديار بالإضافة التي ترجمت في عهود الخلفاء وأودعت المكتبات ودور العلم وخاصة في العصر العباسي. وقد أحصى الأب شابو المستشرق الفرنسي كتب النصارى سواء أكانت دينية أم علمية أم أدبية، فبلغت نيفاً وثلاثة آلاف في سبع خزائن من مكتبات أوروبا(3)،

---

(1) ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 127.
(2) المدور ـ حضارة الإسلام ـ ص 178.
(3) فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي ـ ص 92 ـ 108 ومجلة المشرق البيروتية ج 22 ص 423.

ولقد كانت المكتبات منتشرة في أرجاء كثيرة من الأديار السريانية[1]. وقد امتازت هذه المخطوطات بنقوشها وزخارفها وخطوطها الرائعة[2].

ومن المآثر الفنية عند النصارى، الموسيقى والغناء. ويرجع ازدهار الموسيقى إلى أنها جزء من الطقوس الدينية عندهم، وكانوا يطلقون عليها «الموسيقى الكنسية»[3]. وذاعت وشاعت بينهم صناعة الألحان أو الموسيقى وذلك في أنحاء بلادهم. قال مار سويريوس يعقوب البرطلي: «تشبث المسيحيون بترنيم المَزامير وترديدها لا في الكنائس فقط بل في البيوت والساحات والطرق أيضاً. استعملوا في إنشادها الكنارات والقيثارات والدفوف والصنوج والأبواق»[4].

ومن أشهر ناظمي الترانيم السريانية وأساتذتها ومنشديها: مار افرام الكبير الذي أطلق عليه بكل جدارة لقب «كنارة ـ الروح القدس» و«أسونا» الذي نظم أناشيده بالبحر السداسي وأجاد فيها. و«ربولا مطران الرها» (+435) الذي ينسب إليه نظم الابتهالات (التخشفتات) و«مار إسحاق الأنطاكي» (+460) و«مار يعقوب السروجي» (+520) و«مار يعقوب الرهاوي»[5] و«مار جورجي أسقف الكوفة» (+724) وغيرهم كثيرون[6].

أما أسماء الترانيم السريانية وتقاسيمها وعددها فمنها: المداريش

---

(1) أشهر مكتبات السريان: مكتبة الرها الملكيّة، مكتبة المفارنة في تكريت، مكتبة آمد، مكتبة دير مار متى الشيخ، مكتبة دير قرتمين، مكتبة دير والدة الإله في وادي النطرون بمصر، مكتبة دير سرجيسية. مكتبة دير الزعفران، مكتبة دير مار مرقس في القدس، مكتبة دير الشاغورة في صيدنايا، مكتبة دير قنسرين، ودير مار برصوما بملطية ودير مار بهنام الشهيد وغيرها كثير.

(2) إيليا النصيبيني ـ المجالس السبعة ـ مخطوط وجدناه في دير ما بهنام الشهيد.

(3) انظر مجلة المشرق البيروتية ج 10 ص 845. البطريرك افرام برصوم ـ اللؤلؤ المنثور ص 41. فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي ـ ص 56 ـ 57.

(4) روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى العراق ـ ص 26. وفي نيتنا أن ننشر قريباً إن شاء الله بحثاً مفصلاً عن الموسيقى في الكنيسة السريانية.

(5) كتاب الديالوغ: ص 178 مخطوط.

(6) انظر فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي ـ ص 63 ـ 66.

والتخشفتات والمعبرانات والسهريات والبواعث والعنيانات والعونيثات والغنيزات والموربات والقوانين والمعانيث والقاتسمات والزومارات والمنادات والقوقليونات والتهاليل والاسطيخونات... الخ[1].

وقد استعمل السريان آلات موسيقية في أناشيدهم وأنغامهم: منها آلات اتخذوها من الكتاب المقدس كالعيدان والطبول والدفوف والصنوج والأبواق[2]، والعود والمزمار[3]، ومنها آلات استنبطوها هم وتفرّدوا باستعمالها في عصورهم السالفة أهمها: الكنارة المزدوجة. الدف المربع. القيثارة المفردة. المشروق أو المشروقيت وهو نوع من الأبواق. الزرناية. الصفارة. الهدرول. الصافون وهو آلة موسيقية لها عدّة أنابيب. الناقوس وقد استعمله السريان أولاً من خشب ثم من معدن[4].

ومن أشهر المؤلفين السريان في فن الموسيقى ساويراسابوخت (+667) وأنطون التكريتي الفصيح ويعقوب بن صليبي مطران آمد (+1171) ويعقوب البرطلي (+1241) وابن العبري (+1286)[5] وهؤلاء كلهم ألّفوا كتباً في الموسيقى البيعية الدينية.

غير أنه لم يقتصر استعمال الموسيقى للأغراض الدينية، فقد نبغ فيها جم غفير من النصارى تفرّدوا برخامة الصوت واستعمال آلات الطرب. وأول من استعملها نصارى الحيرة في أعراسهم ومجالسهم ومآدبهم. وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أسماء رهط من أهل الحيرة اشتهروا في صدر الإسلام بالأغاني الشجية والضرب على الأوتار أخصّهم برصوما المزمّر[6]، وعون

---

(1) المصدر السابق ص 66 ـ 69.

(2) سفر الأيام الأول 13: 8.

(3) سفر التكوين 4: 21.

(4) فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي ـ ص 70.

(5) انظر عصر السريان الذهبي ص 71 ـ 72. اللؤلؤ المنثور ص 2284 ـ 285، 405، 54، 56 و90 ـ 93.

(6) الأصفهاني ـ الأغاني ـ ج 5 ص 34 و46.

الحيري[1]. ومنهم أيضاً حنين الحيري الذي عاش في عصر بني أمية[2] وغيرهم في أنحاء أخرى من العراق الذين كانوا يستعملون الطبول والدفوف والصنج والجلاجل والأبواق والنواقيس. واقتبسوا من البيزنطيين الأرغن[3] والبريط[4] والسنطور والقانون والقيثارة. وأخذوا من الحجاز المزهر والمعزف والقصبة[5].

وقد درّس فن الموسيقى في مدارس الحيرة. فقد أرسل بهرام جوار إليها وبرع في العلوم العربية والموسيقى وتعلّم في الحيرة النادر بن الحارث الموسيقى وأجاد الضرب على العود[6].

بقي أن نختم بحثنا هذا في الفنون الجميلة عند السريان أو بالأحرى لدى النصارى في الدولة العربية، والتي تشمل التطريز والتصوير والنقش والحفر على الخشب والزخرفة والنحت والهندسة مع تجويد الخط وتزويق الكتب. وقد برع النصارى في هذا الميدان الواسع براعة كبيرة وكان لهم الأثر الكبير ـ ولا يزالون ـ في الفن العربي الإسلامي سواء أكان ذلك في الريازة أم البناء أم التصوير والتزويق. يذكر لنا التاريخ عن ذلك الشيء الكثير. لا بل ما زالت آثار البعض ماثلة للوجود.

ففي بلاد الشام مثلاً كنيسة مار تئودورس الشهيد في بحديدات مزدانة بالرسوم الجميلة منها صور الكاروبين يحملون بين أيديهم تسبيحة التقاديس الثلاثة مكتوبة بحروف اسطرنجيلية. وكنيسة مار جرجيس في إهدن بلبنان، وكنيسة مار كوركيس في رشكيدا بلبنان أيضاً[7].

(1) المصدر السابق ج 2 ص 124 وج 10 ص 135.
(2) المجلة الآسيوية الفرنسية سنة 1873. ص 425 ـ 433.
(3) أجاز ابن العبري استعمال الأرغن أحياناً في الكنائس السريانية كما ذكر في كتابه «الايثيقون» قسم 5 فصل 3 ص 64 ـ 65 من طبعة الأب بولس بيجان.
(4) البريط آلة تشبه العود أو المزهر.
(5) تاريخ نصارى العراق لروفائيل بابو إسحاق ص 28.
(6) الدينوري ـ الأخبار الطوال ـ ص 53.
(7) عصر السريان الذهبي ص 51 ـ 52.

أما التصاوير في الكنائس فكانت كثيرة، فهنالك مثلاً كنيسة جرجيس وباخوس في تكريت[1]، التي أسسها المفريان بريشوع (669 ـ 684) الذي عني كثيراً بزخرفتها وزينها بتصاوير رائعة تبهر الأبصار حتى أصبحت كما قال المفريان بن العبري من أطرف الكنائس وأبدعها[2]. وكنيسة بغداد السريانية الكبرى في عهد الخلفاء العباسيين التي احتوت من عجائب الصور ما أدهش الناظرين وقد قصدها الناس من الآفاق[3].

وأما التصاوير الزخرفية والنقوش الهندسية في كنيسة دير مار بهنام جوار الموصل التي ما زالت ماثلة إلى اليوم فحدث عنها ولا حرج، ومن ألطف ما فيها في القاشان وتحتها لوح رخام حفر عليه بحروف سريانية «هذا ديرمار بهنام ابن سنحاريب الملك»[4].

وهناك تصاوير كنيسة دير قرتمين التي كانت تشمل على صور الإنجليين الأربعة ورموزهم أعني بها الإنسان والأسد والثور والنسر. وكانت مزدانة أيضاً بثلاثمائة صورة تمثّلت فيها حياة السيد المسيح وأعماله ومعجزاته[5]. وتصاوير كنيسة قلث[6].. وكنيسة والدة الإله في حاح، وكنيسة مار شمعون في حبسناس[7]، وكنيسة عرناس[8].

أما فن الهندسة فقد برع فيه النصارى براعتهم في فن التصوير والنقش

---

(1) انظر مقالنا «تكريت» في المجلة البطريركية سنة 1970، عدد 17 ـ 80.

(2) عصر السريان الذهبي ص 53.

(3) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ ج 4 ص 141.

(4) انظر عن وصف مباني دير مار بهنام كتاب «اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد» تأليف الخوري أفرام عبدال. ومقالة البطريرك أفرا رحماني في مجلة الآثار الشرقية مجلد 3 سنة 1928.

(5) مخطوطة دير الشرفة رقم 11 ـ 6.

(6) المشرق البيروتية، مجلد 16 سنة 1913. ص 575.

(7) المصدر السابق ص 97.

(8) المصدر السابق ص 67.

والزخرفة. وهذه معابدهم العلمية والدينية التي استعصت رسوم أطلالها على الدهر تشهد لهم بطول الباع في تلك الحلبة، وهي مزية أهّلتهم أن يكونوا بهندسة البناء في مستوى سائر الأمم الراقية. وقد أثّروا في ريازة البناء العربي الإسلامي أيضاً إذ كان منهم أغلب المهندسين الذين شيّدوا ولا يزالون يشيّدون حتى اليوم الجوامع والمساجد من قبب ومنائر.

ومن أشهر المهندسين السريان والنصارى والرهبان شموئيل وشمعون اللذان شيّدا سنة 397 دير قرتمين في طور عبدين. وبطرس بن يوسف الحمصي الذي اختطّ سنة 480 دير مار باسوس بين أفاميا وحمص. وعلي بن الخمار (+977) الذي ابتنى قبة كنيسة القيامة بالقدس. ويوحنا مطران ماردين والخابور (1125 ـ 1165) الذي أفنى عمره في عمارة المعاهد السريانية. والربان حبقوق الذي بالغ في هندسة كنيسة ديرفسقين على الفرات. والقس يوسف وأبو الفضل وجبرائيل والأخ حسن الذين أتقنوا سنة 1159 هندسة جانب من دير مار بهنام بجوار الموصل. وعيسى الرهاوي الذي كان نابغة في فن هندسة البناء وهو الذي تولّى سنة 1244 عمارة كنيسة «سيس» الكبرى وكانت من أفخم الكنائس وأروعها. والمطران جبرائيل البرطلي (+1300) كان له حظ من فن الهندسة الوافر. وهو الذي تولى بناء دير الشهيد يوحنا بن النجارين وأخته سارا في برطلي سنة 1284[1].

ولم يقتصر نشاطهم على حقليّ الهندسة المعمارية والفنون الأدبية والجميلة، بل تعدّاها إلى فن التزويق الذي قطعوا فيه شوطاً كبيراً كما تدلّ على ذلك الأناجيل العديدة، المحفوظة في مكتبات لندن وفلورنسا والفاتيكان ولا سيما الإنجيل المخطوط المحفوظ في مكتبة الفاتيكان[2] وهو إنجيل مرتب

(1) نفس المصدر ص 674.
(2) راجع أخبارهم على التوالي في اللؤلؤ المنثور ص 512 و434، يحيى بن سعيد الأنطاكي ج 2 ص 125، 240، المكتبة الشرقية ج 2 ص 230، مجلة الحكمة مجلد 4 سنة 1930 ص 201 ومجلة الآثار الشرقية المجلد 3 سنة 1928 ص 196، 193.

للقراءات اليومية من مشاهد مزوقة بالألوان رسمتها أصابع فنان كبير لا يزال يثير انتباه الدارسين حتى اليوم.

إننا نورد هنا وصف هذا المصحف البديع النفيس المكتوب بالخط الأسطرنجيلي المتقن. وهو تحفة من التحف الفنية بالصور المزين بها ذات النقش الزاهي تعبّر عن معجزات السيد المسيح وعن بعض مناظر الكتاب المقدّس، تخيّل للناظر إليها أن الفنان فرغ منها قبل عهد قريب، نقشها صافي الألوان أبدعه. وهو دليل واضح عن رقي هذا الفن لدى النصارى.

كتبه الراهب مبارك بن صليوا بن يعقوب من قاسطرة برطلي سنة 1531 يونانية (1220 ميلادية)(1). وهو إنجيل كنسي زيّنه ناسخه بأربع وخمسين صورة ملوّنة في غاية التأنق والاتقان.

تمثل الصورة الأولى موسى الكليم وبيده القلم. وفي أسفلها صورة يوحنا الإنجيلي وإلى جانبها أرزة جميلة لطيفة من أبدع ما نمقته ريشة نقاش فنان.

وتمثل الصورة الثانية زكريا الكاهن عند مذبح البخور وجبرائيل الملاك يبشره بولادة يوحنا.

وتمثل الثالثة العذراء وجبرائيل يبشرها.

والرابعة زيارة العذراء لإليصابات.

والخامسة زكريا وبيده لوح مكتوب عليه (يوحنا اسمه).

والسادسة يوسف خطيب مريم والملاك جبرائيل.

والسابعة ميلاد يسوع المسيح.

وهكذا نجد صور قتل أطفال بيت لحم، وهرب يسوع إلى مصر، ورجم

(1) هو الراهب مبارك بن داود بن صليبا بن يعقوب ترهب في دير مار متى واشتهر بجمال الخط.

مار أسطيفانوس أول الشهداء، ومار أنطونيوس رئيس الرهبان، ومار شمعون الشيخ، وعرس قانا الجليل، وابن أرملة نائين، والسامري، والمرأة الخاطئة، وغسل أقدام الرسل، والعشاء السري، وقيامة المسيح، وصعوده إلى السماء، وصورة قسطنطين الملك وأمه هيلانية يتوسطهما صليب قد أمسكه كل منهما بيمينه... وغيرها من الصور الفنية الجميلة[1].

وإن هذا المصحف كان قد نسخه كاتبه لكنيسة الطاهرة مريم لبلدة باخديد[2] (قره قوش).

بهذا نأتي إلى ختام بحثنا هذا، عسى أن يكون عند حسن ظن القارىء الكريم وعسانا أن نكون قد قدّمنا خدمة ـ متواضعة ـ للمطالع المسيحي لكي يقفد على دور أجداده في الحضارة العربية الإسلامية من خلال استعراضنا لدورهم في الأمبراطورية العربية الإسلامية فكرياً واجتماعياً وثقافياً وخاصة من خلال ذكرنا لأسماء جمهرة كبيرة من الأطباء والفلاسفة والمنطقيين والمؤرخين كيف بثّوا رسالتهم السامية الخافقين، فكتب بذلك التاريخ أسماءهم بكل إجلال وتقدير. كيف لا وهم حلقة الوصل بين الفكر اليوناني والعربي. بل هم الذين صانوا الفكر اليوناني من الضياع بترجماتهم الثمينة له.

مما تقدم نخلص إلى الاستنتاج، أن وجه الحضارة العربية الكامل كان لم ينجل بعد، فإذا كان الوجه الإسلامي ناصعاً، فالملامح النصرانية تنبىء عن غنى حضاري لا يستهان به. فالنصارى هم الذين ترجموا أكبر قسم من الكتبة اليونانيين، والسريان والأقباط الذي سبقوهم، وأضافوا إلى هذا التراث من وحي أقلامهم، حتى أضحت مؤلفاتهم من العناصر الأساسية التي ساعدت

---

(1) رقم المخطوط 53، يقع في 476 صحيفة بحجم 33×13 سم. (انظر مخطوطات مكتبة كنيسة قره قوش للمؤلف ص 145 ـ 146).

(2) بيع هذا المخطوط خلسة مرتين للسيد أنطون زبوني الذي كان يتاجر بالمخطوطات، وفي كل مرة كان يسترجعه أهالي البلدة. وفي عام 1938 أخذه المطران جرجس دلال وأهداه لقداسة البابا بيوس الحادي عشر ولا زال في خزانة المكتبة الفاتيكانية تحفة نادرة.

على خلق الحضارة العربية. فهذه لا تبدو لعين الباحث كصورة تعلّق على الحائط فتزينه وترمق بنظرة واحدة، إنها لعمري أشبه بتمثال رائع يجذب التأمل والباحث إلى استجلاء ملامحه من كل جهاته. فالوجه النصراني يكمل الوجه الإسلامي، وكلاهما لا ينبذان حضارياً الشعوب الأخرى التي ساهمت بخلق الفكر العربي، هذا الفكر الذي يرتفع حتى ينصب في خضم الحضارة الإنسانية الشاملة[1].

(1) ورد وصف هذا المخطوط في عدة كتب تاريخية منها اللؤلؤ المنثور.

الطب في العصر العباسي

شجعت الدولة العباسية العلوم والآداب، ورفعت على يديها الطب وأصحابه، وأغدقت عليهم آلاءها أكثر من جميع المشتغلين ببقية العلوم، فازدهرت بغداد وتوقّل أطباؤها سلم السؤدد، حتى فاق بعضهم أساتذتهم اليونان في نظريات طبية كثيرة.

ومما يجدر ذكره أن هذه الدولة العربية الإسلامية، لم تفرق بين جنس وجنس، ولم تفضل أهل دين على أهل دين آخر، من الوجهتين الاجتماعية والثقافية، ولم يكن لديها فضل لعربي على أعجمي إلا بتحصيله العلمي، وسموّه العقلي، وإنتاجه الثقافي، وهذه الأسباب التي ساعدتها على بلوغ أوج المعالي.

ابتدأت الدولة العباسية ترفع صروح سؤددها على أسس العلم الصحيح منذ أوائل نشوئها. وأول خليفة باشر في تشجيع العلوم على اختلاف أنواعها هو «أبو جعفر المنصور» الذي يعتبر بحق رجل عمل وعلم: فقد شاد من الوجهة العمرانية العلمية مدينة مثلت أعظم الأدوار في تاريخ المدينة الشرقية.

سارت الحركة العلمية في بغداد سيراً وئيداً مقتصرة على الطب تقريباً وهي بغداد الخالدة ورفع من جهة ثانية دولته السامية العماد على أساس العلم من جميع العلوم لما له من المساس بحياة الأفراد العلمية.

حتى جاء إلى العرش المأمون الخليفة العالم الأديب الفيلسوف الذي أكمل الخطوات العلمية المباركة التي بدأ فيها جدّه العظيم المنصور. قال ابن

العبري[1]: «لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد. تمم ما بدأ به جده المنصور. فأقبل على طلب العلم في مواضعه. وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة. فبعثوا إليه منها ما حضرهم، فاستجاد لها التراجمة وكلفهم أحكام ترجمتها. فترجمت له غاية ما أمكن. ثم حرّض الناس على قراءتها. ورغّبهم في تعليمها، فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويتلذذ بمذاكرتهم»[2].

وإذا تصفحنا كتب التاريخ، نرى أن خلفاء بني العباس، لم يقبلوا إلى الطب لعلاقته الوثقى بحياة الأفراد وحسب، بل إن هناك شيئاً أسمى من هذا وهو كونه علماً مثل بقية العلوم ثم كون هذا العلم ممكناً أن يخرج إلى حيّز العمل، فهو إذن من جهة علم، ومن جهة ثانية عمل مفيد، ولذلك كنت ترى بلاط الخلافة، بما فيه من الهيبة الدينية والجلال السياسي يغص بالأطباء من جميع الملل والنحل.

أما أهمية بغداد من الوجهة الطبية، فأصبحت في أسمى الذرى لأن معظم أطباء جنديسابور[3]، وأساتذة بيمارستانها، نقلهم الخلفاء لمعالجتهم أولاً، لبث علم الطب بين الراغبين فيه ثانياً، وهكذا كانت بغداد تزداد رفعة يوماً بعد يوم لما يدخلها من طلاب العلوم والعلماء والأدباء والشعراء، وهيهات نرى عصراً من عصور التاريخ يضاهي عصر الدولة العباسي علماً وثقافة ونوراً.

---

(1) العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن): 1226 ـ 1286 ولد في ملطيّة وتوفي في مراوغة (آذربيجان). من رجالات الأدب والعلم لدى السريان. هاجرت عائلته إلى أنطاكية بعد الغزو المغولي 1243. درس الطب والفلسفة في طرابلس. أسقف حلب ثم مفريان تكريت 1264 كتب في اللاهوت والفلسفة والنحو والشعر. له «مختصر تاريخ الدول» و«التاريخ الكنسي».

(2) ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ بيروت 1890.

(3) جنديسابور: مدينة في عربستان أسسها سابور الأول وأسكن فيها الشعوب اليونانية التي أسرها. فتحها موسى الأشعري سنة 638 في عهد عمر بن الخطاب. اشتهرت بمدرستها الطبية ولغتها السريانية.

البيمارستانات والتلمذة والشهادة الطبية:

كان البيمارستان عندهم يقوم مقام ما نسميه اليوم «الكلية الطبية والمستشفى التعليمي والمستشفى العادي». ففيه كان يتلقّى طلاب الطب علمهم، وبين جدرانه كانت تجري الاختبارات الطبية العملية الكثيرة على أساس علمي صحيح. فلم يكن الطبيب يخرج من هناك إلا وقد أتقن الطب علماً وعملاً. كان يجتمع طلاب الطب حول أستاذ خاص يتلقون عليه النظريات العلمية في هذا العلم، ويشهدون أبحاثه العلمية مدة معيّنة من الزمن، وما تأتي عليه المدة المعينة حتى يطلقه أستاذه طبيباً، ويشهد له بالمقدرة على المعالجة والتطبيب.

يحدثنا العلامة ابن العبري أن طلاباً للعلم كانوا يجتمعون حول الطبيب الشهير جيورجيس بن بختيشوع في بيمارستان جنديسابور[1]، وحول الطبيب الحاذق يوحنا بن ماسويه[2].

ولم يكن يسمح بتعلم الطب إلّا للأذكياء من الطلاب ومن كان يظن أنهم أذكياء، أما إذا أساء الأستاذ الظن في طالب فكان بإمكانه طرده من التلمذة حالاً. حدثنا ابن العبري عن حنين بن إسحاق الطبيب في عهد تتلمذه ليوحنا بن ماسويه قال:

«كان إسحاق والد حنين صيدلانياً بالحيرة، فلما نشأ حنين أحب العلم فدخل بغداد وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه وجعل يخدمه ويقرأ عليه. وكان حنين صاحب سؤال وكان يصعب على يوحنا، فسأله حنين في بعض الأيام مسألة مستفهم فحرد يوحنا وقال: ما لأهل الحيرة والطب؟ عليك ببيع الفلوس في الطريق، وأمر فأُخرج من داره، فخرج حنين باكياً»[3].

---

(1) تاريخ مختصر الدول ص 214.

(2) المصدر السابق ص 227.

(3) ذات المصدر ص 205.

هكذا كان يطرد الطبيب تلميذاً مثل هذا، إلا أنه كان يحترمه إذا أظهر تفوّقاً ونبوغاً، وهكذا في قصة يوحنا بن ماسويه مع تلميذه حنين. يتابع المؤرخ قوله:

«وتوجه حنين إلى بلاد الروم وأقام بها سنتين، حتى أحكم اللغة اليونانية. وتوصّل في تحصيل كتب الحكمة، غاية إمكانه، وعاد إلى بغداد بعد سنتين ونهض في بغداد إلى أرض فارس ودخل البصرة حتى برع في اللسان العربي، ثم رجع إلى بغداد. قال يوسف الطبيب: دخلت يوماً على جبرائيل بن بختيشوع فوجدت عنده حنيناً. وقد ترجم له بعض التشريح وجبرائيل يخاطبه بالتبجيل ويسميه «الربان»[1] فأعظمت ما رأيت وتبيّن ذلك جبرائيل مني فقال: لا تستكثر هذا مني في أمر هذا الفتى فوالله لئن مدّ له في العمر ليفضحنّ سرجيس»[2].

واستأنف يوسف الطبيب حديثه على ما نقل عنه ابن القفطي قوله:

«وخرج حنين من عنده - من عند جبرائيل - ثم خرجت فإذا حنين قائم ينتظرني فقال لي: قد كنت سألتك ستر أمري، وأنا الآن أسألك إظهار ما سمعت من أبي عيسى جبرائيل. فقلت له أخبر يوحنا ما سمعت من مدحك، فأخرج من كمّه نسخة وقال تدفع هذه إلى يوحنا فإذا رأيته قد اشتدّ إعجابه بها، أعلمه أنها إخراجي، ففعلت ذلك في يومي فلما قرأ يوحنا تلك الفصول وهي المسماة (الجوامع) كثر تعجّبه وقال: ترى أوحى الله تعالى في دهرنا إلى أحد؟ فقلت له كيف؟ قال ليس هذا إلّا إخراج مؤيد بروح القدس. فقلت هذا إخراج حنين بن إسحاق الذي طردته من مجلسك، وأمرته أن يبيع فلوساً، وحدثته بما سمعته من جبرائيل فتحيّر، وسألني التلطف في إصلاح ما بينهما، فقلت ذلك، فانفصل عليه يوحنا وأحسن إليه»[3].

---

(1) ربان كلمة آرامية بمعنى الأستاذ.

(2) يقصد سرجيس الراسعيني الطبيب الشهير والمترجم لكتب فلاسفة اليونان.

(3) ابن القفطي - أخبار العلماء - ص 130 - 131.

هذه حال التلميذ من أستاذه في تلك الأيام، جفاه فطرده، ثم لما تأكد نبوغه عاد إلى نفسه فطلب الصفح وأحسن إليه وأعظم شأنه.

وهذه كانت حالة الطالب في تلك الغضون، يقرأ كل علم على أستاذ خاص وينتقل في طلبه من بلد إلى بلد، ووسائل النقل يومئذٍ على ما هو معلوم.

أما التطبيب فكان في أول أمره مباحاً لكل متطبب دون قيد أو شرط، ولكن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين، فمات الرجل، فأصرّ الخليفة بمنع سائر المتطببين من التصرف، إلّا من امتحنه سنان بن ثابت، فصاروا إليه وامتحنهم، وأطلق إلى كل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف به، وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيف وستين رجلاً، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره في التقدم بصناعته، وسوى من كان في خدمة السلطان[1].

وكان سنان يدقق هذا الامتحان، بحيث لا يدع مجالاً للطبيب الناشيء أن يتصرّف بالطب إلّا بعد التحفّظ الزائد والتفكير العميق، وقد حدّثنا المؤرخون على دقّة هذا الامتحان، وأورد منه أمثالاً طريفة لا بأس أن نورد بعضها.

قال ابن العبري: «ومن ظريف ما جرى لسنان في امتحان الأطباء عند تقدم الخليفة إليه بذلك إذ أحضر إليه رجل مليح الوجه والهيئة ذو هيبة ووقار، فأكرمه سنان على موجب منظره ورفعته، ثم التفت إليه سنان فقال: قد اشتهيت أن أسمع من الشيخ شيئاً أحفظه عنه، وأن يذكر شيخه في الصناعة، فأخرج من كمّه قرطاساً فيه دنانير صالحة ووضعها بين يدي سنان وقال: والله ما أحسن أن أكتب، ولا أقرأ شيئاً جملة، ولي عيال ومعاشي دائر دائره، وأسألك أن لا تقطعه عني، فضحك سنان وقال: على شريطة أنك لا تهجم على مريض

(1) مختصر تاريخ الدول ص 181. ابن القفطي ص 130.

بما لا تعلم، ولا تشير بقصد ولا بدواء مسهل، إلّا بما قرب من الأمراض. قال الشيخ: هذا مذهبي مذ كنت، ما تعدّيت السكنجبين والجلاب وانصرف».

«ولما كان في الغد حضر إليه غلام شاب حسن البزة، مليح الوجه ذكي فنظر سنان فقال له: على من قرأت، قال: على أبي. قال: ومن يكون أبوك؟ قال: الشيخ الذي كان عندك بالأمس. قال: نِعم الشيخ، وأنت على مذهبه. قال: نعم، قال: لا تتجاوزه، وانصرف»[1].

هكذا كانوا يدرسون الطب ويجازون فيه، أما عدد البيمارستانات فكان في بادىء الأمر قليلاً جداً، وربما لم يكن بيمارستان مهم إلّا بيمارستان جنديسابور، ولكن بعد أن احتلّ الطب مكانة مرموقة في الحياة الاجتماعية كثرت البيمارستانات وازداد عدد المتعلمين والمتطببين حتى غصّت بهم أندية دار السلام.

واشتهر أيضاً بيمارستان الري[2]، وبيمارستان بغداد[3]، والبيمارستان العضدي ببغداد[4]، وبيمارستان القدس[5]، والبيمارستان النوري بدمشق[6]، إلا أن هذه البيمارستانات كانت أقلّ شهرة من بيمارستان جنديسابور.

ويروي صاحب كتاب «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» أن سنان بن ثابت، في سنة 306 هـ/ 918م، أشار إلى المقتدر بأن يتّخذ بيمارستاناً ينسب إليه، فأمره باتخاذه، فاتخذه في باب الشام وسمّاه البيمارستان المقتدري وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار[7].

---

(1) مختصر تاريخ الدول ص 281 ـ 282، ابن القفطي ص 130.
(2) مختصر تاريخ الدول ص 174.
(3) المصدر السابق ص 274 ـ 296.
(4) المصدر السابق ص 299، و474.
(5) المصدر السابق ص 443.
(6) المصدر السابق ص 480.
(7) ابن القفطي ص 133.

وأسس سنان بن ثابت بيمارستاناً آخر. ويتابع القفطي قوله:

«في أول محرم سنة 306 هـ، فتح سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى وجلس فيه ورتّب المتطببين به وكانت النفقة عليه في كل شهر ست مائة دينار على يدي يوسف بن يحيى المنجم لأن سناناً لم يدخل يده في كل شيء من نفقات البيمارستان»[1].

أنواع المستشفيات:

تكامل تقسيم المستشفيات في العقد الثاني من فترة حكم الدولة العباسية، فكان ثمة مستشفيات للمجانين وأخرى سفرية (متنقلة)[2]، وعسكرية (مستشفيات ميدان) ومستوصفات تقام بالقرب من المساجد حيث يقوم الصيادلة والأطباء بالعلاج وصرف الدواء مجاناً[3]، وكان ثمة مآوٍ للعجزة والنساء (كالتي أمر ببنائها المأمون)[4]، ثم وجدت المستشفيات الملحقة بالمدارس والسجون وعلى رأس هذه المعاهد تقوم المستشفيات العمومية الكبيرة وتشاد في العواصم عادة. يعين لإدارتها الأطباء المهرة الاختصاصيون ويلحق بها كليات الطب والصيدلة والكحالة والجراحة وتوقف على الأوقاف العظيمة لا لإدامة حياتها.

والمستشفى الكبير في العادة يتألف من جناحين: واحد للرجال والآخر للنساء. ويلحق بهما معهد الأمراض العقلية. وفي أغلبها ردهات مخصوصة للتوليد وجبر الكسور والجراحة والعيون، وفيها غرف خاصة للنقاهة، وصيدلية مملوءة بكل صنوف الأدوية دائماً.

---

(1) المصدر السابق ص 133.
(2) ابن أبي أصيبعة ج 1 ص 221.
(3) المقريزي ج 2 ص 24.
(4) ابن خلكان ج 1 ص 493.

المعاهد العلمية:

يجمل بنا أن نلقي نظرة على المعاهد العلمية في غضون هذا العصر الذهبي للعلم الإسلامي. وجدت المستشفيات في زمن متقدم ربما كانت على نمط المستشفى التعليمي الشهير في جنديسابور. ومن الاسم الفارسي لهذا المستشفى (بيمارستان) اشتق الاسم الذي عرف به المستشفى في أرجاء العالم الإسلامي كافة. لدينا معلومات وثيقة لأربعة وثلاثين معهداً من هذه المعاهد على الأقل كانت منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي من بلاد فارس حتى مراكش ومن شمالي سوريا حتى مصر. وأنشىء مستشفى في القاهرة سنة 872 بأمر من ابن طولون وظلّ قائماً حتى القرن الخامس عشر، وأنشئت ثمة عدة مستشفيات بعده. وأول مستشفى أنشئ في بغداد كان بأمر هارون الرشيد في مطلع القرن التاسع، ثم أشفع بخمس مستشفيات أخرى في القرن العاشر. وعرفت المستشفيات المتنقلة في القرن الحادي عشر. إن التواريخ الإسلامية تتحفنا بمعلومات جد دقيقة عن كيفية إدارة تلكم المعاهد. وإننا لنعرف الآن فضلاً عن ميزانياتها السنوية مقدار الرواتب الممنوحة للأطباء والجرّاحين والكحالين والموظفين. كان رؤساء الأطباء وكبار الجراحين يلقون دروسهم على الطلبة والمتخرجين ويمتحنونهم ويعطونهم (الدبلوم). وكان رجال الطب والعطارون (الصيادلة) والحلاقون عرضة للتفتيش وللفحص. فمجبرو الكسور مثلاً كانوا يمتحنون بدرجة معرفتهم في أصول التشريح والجراحة الخاصة ببولس الأجنيطي واتخاذ جميع التطبيقات العملية. وكانت المستشفيات مقسمة إلى جناحين للرجال والنساء ولكل جناح مدبروه وموظفوه كما كان لبعض المستشفيات مكتبات. ويتدرب معظم الأطباء على مهنتهم بالتتلمذ على ممارس يكون في أغلب الأحيان أباً أو عماً أو قريباً لهم. آخرون يرتحلون إلى مدن بعيدة ليتتبعوا دروس أحد الأطباء المشهورين.

الكحالة:

كانت الكحالة فرعاً آخر من فروع الطب بلغ أوجه حوالى سنة 1000م.

لقد خلّف لنا الكحال عيسى بن علي[1] البغدادي المعروف لدى اللاتين باسم (Jesu Halg) وعمّار الموصلي[2] المعروف باسم (Canamusali) رسالتين ممتازتين أضافا بها إلى معلومات الإغريق في علم طب العيون، زيادات وعمليات وملاحظات شخصية عديدة لا تحصى وترجمتا كلتاهما إلى اللاتينية، كانتا من أحسن الكتب المدرسية في أمراض العين حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر عندما بدأ عهد الأحياء في طب العيون بفرنسا.

المعالجة:

كان يقبل في المستشفيات الإسلامية كافة، كل شخص بغضّ النظر عن دينه أو لونه أو جنسيته أو طبقته، ذكراً أم أنثى مهما بلغت مرحلة مرضه... أمر قد يستغرب منه في عصرنا الحديث عصر المساواة. وإليك نتفاً من وقفية المستشفى المنصوري الذي بناه منصور قلاوون عام 1282م:

«...وتقيم المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم... ويفرّق على القوي والضعيف والغني والفقير والمأمور والأمير والمترف والصعلوك من غير اشتراط تعوض من الأعواض بل لمحض فضل الله الكريم...»[3].

وكان الاهتمام بمراتبة الأرزاق والجرايات وتوزيعها هَمّ كل مسؤول وكان المتعهد الغشاش يعاقب ويعزل، كما فعل الوزير عيسى بن علي مع مدير

---

(1) من تلاميذ حنين بن إسحاق، قدم بغداد سنة 961 وكتابه (تذكرة الكحالين) طبع مع ترجمة إلى اللاتينية باعتناء الأستاذ هل في K.A.Hill في درسون سنة 1845. انظر عنه في ابن أبي أصيبعة ج 1 ص 247 والقفطي ص 164.

(2) هو أبو القاسم عمار بن علي، ولد في الموصل وتعاطى الطب في القاهرة وتوفي سنة 1009 في كتابه «المنتخب في علاج العين» مكتشفات طبية رائعة منها ممارسته العملية الكتراكتا (قدح العين) بنجاح واختراعه لذلك إبرة مجوّفة لا يشكّل استعمالها خطراً على الأغشية العينية.

(3) تاريخ البيمارستانات في الإسلام ـ أحمد عيسى ـ 152.

أرزاق المستشفى العضدي بناء على شكوى الساعور (العميد ثابت بن قُرّة) الطبيب المعروف:

«... عرفني أكرمك الله. ما النكتة في قصور المال ونقصانه، في تخلّف نفقة البيمارستان... خاصة مع الشتاء واشتداد البرد؟ فاحتلّ بكل حيلة لما يطلق لهم ويعمل حتى يدفأ من في البيمارستان من المرضى بالدثار والكسوة والفحم... واعنِ بأمر المستشفى أفضل عناية...»[1].

وكانت الخفارة واجبة على الأطباء كبيرهم وصغيرهم رفيعهم وقد تمتد ثمانٍ وأربعين ساعة[2].

كان المرضى قبل دخولهم المستشفى يفحصون أولاً في القاعة الخارجية (العيادة الخارجية). فمن خفّت علّته، أسعف وكتب له العلاج وصرف له من صيدلية المستشفى[3]، أما الباقون فكانوا بعد أن تقيد أسماؤهم في سجل المرضى، يدخلون الحمام ويغتسلون، ثم يلبسون ثياباً مطهرة نظيفة. أما ثيابهم التي جاؤوا فيها فتحفظ في المخزن حتى خروجهم.

إن المرء لا يسعه إلّا أن يعجب أشدّ العجب لشدة حرص السلطات في ذلك الزمن على الاهتمام بتغذية المرضى. كانت علامة الشفاء عند الأطباء هي أن يأكل المريض رغيفاً ودجاجة كاملين في كل وجبة. وكان المرضى قبل خروجهم من المستشفى يعطون بدلة ثياب ومبلغاً من المال. لهذا تكثر حالات (التمارض). كما روى صاحب (الإفادة) من أن شاباً عجيباً تظاهر بالمرض ولكن أمره لم يخف على الطبيب الفاحص فأدخله المستشفى رغم ذلك وأبقاه ثلاثة أيام وبعدها جاء وقال ممازحاً: «إن مدة الضيافة العربية قد انتهت»[4].

---

(1) ابن أبي أُصيبعة ج 1 ص 222.
(2) القفطي ص 148.
(3) ابن أبي أُصيبعة ج 2 ص 243.
(4) المصدر السابق ج 2 ص 243.

ولقد غصّت أندية بغداد بمئات من الأطباء منذ فجر الدولة العباسية، وكانوا يتسابقون إلى إتقان صناعتهم، والقيام بواجبهم الإنساني العظيم، فنالوا منزلة عليا، ومكانة معروفة في الهيئة الاجتماعية، حتى أن الخلفاء بما لهم من الأبهة الدينية والسياسية كانوا يجالسونهم ويستأنسون بهم، ويواكلونهم ويدخلون بيوتهم. وهذه لعمري منزلة سامية لا يطمع بها كل رجل في الدولة. وكان الخليفة العباسي يستخلص الأطباء ولا سيما أهل الحذق بينهم ويسلّم إليهم أقدس أسراره الخاصة والعامة. وقد روى التاريخ أخبار خيانات كثيرة من جميع أصناف البشر، أما الأطباء فهو يجلّ ذكراهم ويكبر روحهم، لأن مهنتهم الإنسانية الرفيعة توحي إليهم بالأمانة والوفاء والإخلاص.

المعالجة والكهرباء:

أما طريقتهم في المعالجة ـ إضافة إلى ما ذكرنا ـ فكانت عامة تتناول الحجامة والجراحة وإعطاء الأدوية المختلفة. ولست أبالغ إذا قلت إنهم اكتشفوا المعالجة بالكهرباء. وقد يستغرب البعض من هذا لعدم وجود الكهرباء في أيامهم ولكن الكهرباء موجودة في هذا الكون منذ وجوده، وكل مادة تحوي شيئاً من الكهربائية قلّ أو كثر ما عدا الخشب اليابس.

اهتدى أولئك الأطباء إلى معالجة بعض المرضى بالقوة الكهربائية وهي أنهم كانوا يضعون على رأس المريض المصدوع السمك المسمى بالرعّاد[1]، وهذا النوع من السمك فيه قوة كهربائية كثيرة يشعر من يلمسه بتيار كهربائي قوي يسري في مفاصله فينتفض له، وهو سمك معروف عندنا اليوم ويسمى إلى الآن «السمك الرعّاد».

حدثنا المسعودي في مروج الذهب، أن السمك المعروف بالرعّاد إذا وقع في شبكة الصياد رعدت يداه فيعلم بوقوعها، فيبادر إلى أخذها، ولو

---

(1) المقريزي ج 1 ص 150.

أمسكها بخشبة أو قصبة فعلت ذلك (وهذا غريب بالنسبة إلى الكهربائية العادية، لأن هذه القوة لا تسري في خشبة يابسة) ثم يتابع المسعودي قوله: وهذا السمك إذا وضع وهو حي على رأس من به صداع قوي شفي»[1].

وقال ابن سيده: «الرعّادة إذا قربت من رأس المصروع وهي حية نفعته»[2].

وقال ابن يونس: «الزيت الذي يطبخ فيه السمك الرعّاد يسكن أوجاع المفاصل الحريفة إذا دهنت به».

وقال ابن البيطار:

«رأيت بساحل مدينة مالقا في بلاد الأندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعّاد مصر، وباطنها أبيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعّاد مصر أو أشدّ إلا أنها لا تؤكل البتة، وإذا وضعت على رأس الذي له الصداع المزمن سكّن شدة وجعه»[3].

وحدثنا صاحب طبقات الأطباء:

«إن الطبيب الشيخ السديد ابن أبي البيان مولود القاهرة سنة 556 هـ، كان طبيباً محققاً للصناعة الطبية متقناً لها متميزاً في عملها وعلمها خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة».

ثم يقول: «ولقد شاهدت منه ما يعجز عن الوصف وكان أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها، وقد توصّل في صناعة الطب أن يصنع الأدوية أقراصاً ويعطيها لمرضاه، وهي في نهاية الجودة»[4].

---

(1) مروج الذهب ج 1 ص 17.
(2) كمال الدين الدميري ج 2 ص 26.
(3) مقررات ابن البيطار ج 2 ص 141.
(4) طبقات الأطباء ج 2 ص 118.

وكان لديهم طريقة خاصة بتجفيف النزيف. حدثنا القفطي قال: «إن الطبيب الحكم وابنه عيسى ركبا مرة في مدينة دمشق فمرّا بحانوت حجام وقد وقف عليه بشر كثير، فلما أبصر بهما بعض الجماعة قالوا: أفرجوا هذا الحكم المتطبب وعيسى ابنه. فلما أفرج القوم فإذا برجل قد فصد الحجام في العرق الباسليق فصداً واسعاً، وكان الباسليق على السريان فلم يحسن الحجام أن يعلق العرق فأصاب الشريان ولم يكن عند الحجّام حيلة في قطع الدم».

ثم تابع عيسى بن الحكم قوله:

«فاستعملنا الحيلة في قطعه بالرفائد ونسيج العنكبوت والوبر فلم ينقطع» فسأل الحكم ولده عيسى ما الحيلة فعلمه أن لا حيلة عنده، قال عيسى فدعا أبي بفستقة فأمر بفتحها وطرح ما فيها، ثم أخذ يصفي القشرة فجعله في وضع الفصد ثم أخذ حاشية كتان غليظ فلفّ بها موضع الفصد على قشر الفستق لفاً شديداً وأمر بحمل الرجل إلى نهر بردى، فأدخل يده في الماء ووطأ له على شط النهر ونوّمه عليه وأمر فحسا محّات بيض، ووكّل به تلميذين من تلاميذه وأمرهما بمنعه من إخراج يده من وضع الفصد وعن حلّ الشدّ قبل استتمام خمسة أيام، ففعل ذلك»[1].

وهكذا استمرّ على هذه الحال حتى اليوم السابع، وبعد أربعين ليلة، برأ الرجل[2]:

وكانوا يقطعون جريان الدم في الحال بمعجون خاص[3].

وكانت لهم علاجات صائبة في مقاومة سموم الأفاعي، فكانوا يداوون الملسوع، فيشفى. حكى صاحب أخبار العلماء بأخبار الحكماء أن زكريا الطيفوري الطبيب وقعت له حادثة مع بعض أصحابه، إذ إنهم شربوا خمراً من

---

(1) القفطي ص 128 ـ 129.

(2) المصدر السابق ص 103.

(3) ذات المصدر ص 103.

دنّ اختفت فيه أفعى سامة. فانتفخوا ولم يموتوا، بينما مات أحدهم كان قد قدم من المدينة إلى بستانهم حديثاً. فعلموا أنهم نجوا لأنهم أكلوا من البستان شيئاً من التفاح الجلفت. وحكى يوحنا تلميذ جهاربخت عن أستاذه أنه قال: «إن التفاح الجلفت شفاء من الأفاعي والحيات بنواحي خراسان فإنهم يتخذونه في وقته ويصيّرونه في سمن البقر ويعالجونه به كما يعالج بالترياق». ثم قال: وهو ذا يستعمله أهل عسكر مكرم في مسح الجروح. وظهر هذا بالعراق وصار دواء مقاوماً للسموم. وذكر اللبوس في كتابه في خواص الحيوان أن الإبل إذا أكل حية يخشى سمها عمد إلى شجرة التفاح الجلفت فيأكل منها فيسلم[1].

وكان الأطباء يعالجون المرضى كل بمفرده كما هي العادة الآن، ولكن عند استعصاء الداء وعدم اعتماد الطبيب على خبرته الخاصة كان يشير إلى أهل المريض باستقدام غيره من الأطباء للمشاورة في أمر المرض. أو كان المريض وأهله يطلبون ذلك. ونرى في تاريخ الطب أن جمعيات طبية من هذا النوع قد اجتمعت وفحصت المريض فأصدرت قراراً مشتركاً في تعيين الداء ووصف الدواء[2]، ولا حاجة لإيراد أقوال المؤرخين في ذلك لشهرته وذيوعه عندهم.

وكان الطبيب بكل جرأة يعين وقت المريض ويقطع فيه كما يفعل أطباء عصرنا تماماً[3]، وقلّما كانت تخطىء قراراتهم في ذلك.

وكان لكل طبيب في البيمارستان نوبة خاصة يقوم بها ـ كما أشرنا سابقاً ـ فإذا انقضت المدة غادر البيمارستان فيحلّ محله طبيب آخر، وهذا ما يفعله اليوم أطباؤنا بتعيين طبيب خاص في غير أوقات الدوام الرسمي يعرف «بطبيب الخفر» وقد كانت نوبة جبريل بن عبد الله بن بختيشوع في الأسبوع يومين وليلتين في بيمارستان بغداد تحت إشراف عضد الدولة[4].

---

(1) القفطي ص 102.
(2) ابن القفطي ص 78، 99.
(3) المصدر السابق ص 101، 104.
(4) المصدر السابق ص 103. وطبقات الأطباء ج 1 ص 145.

هذه الأمور التي مررنا بها لا تمتاز عن كل شيء نعرفه الآن عن طبنا الحديث، فكان لديهم ما لدينا من الفحوص وتركيب الأدوية وشتى المعالجات واجتماع في لجان خاصة أطباء إلى إما هناك من شؤون طبية راهنة، وليس ما لدينا إلّا ثمرة جهودهم لأنهم وضعوا الأساس ونحن الآن نبني عليه، ولا زلنا نبني.

توزيع الأدوية ومراقبة الصيدليات:

يذكر ابن أبي أُصيبعة في معرض تنويهه بدراسته عن أساتذته: «. . .وكان في ذلك الزمان في البيمارستان الشيخ رضى الدين الرجي أشهرهم ذكراً، وكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيمارستان ويستوصف منه للمرضى أوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون من البيمارستان الأشربة والأدوية التي يصفها. . .»[1].

والوصفات: إما داخلية وهي التي يصرفها صيدلي المستشفى الرسمي ويسجلها لمحاسبته عنها. وإما خارجية وهي التي يحتفظ المريض بها لمراجعة الصيدليات (الدكاكين) الخاصة في المدينة. ومما تجدر الإشارة إليه أن سائر الصيدليات الخاصة كانت خاضعة للتفتيش الحكومي الدقيق من قبل مفتش الصيدليات (رئيس العشابين) فوجد قيد خاص بأسماء الصيادلة وثبت بالإجازات والرخص لفتح هذه الدكاكين[2].

الدراسة وتخريج الأطباء:

ذكرنا وجود كلية ملحقة في كل مستشفى عام. كان الطلبة يقصدونها لدراسة الطب والتخرج. كانوا عادة في القاعة الكبرى يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية، وعدا المحاضرات التي كانت تعطى من قبل

(1) الإفادة والاعتبار ص 132.

(2) ابن أبي أُصيبعة ج 1332.

الأساتذة. كان باب التطبيق لهم مع المرضى مفتوحاً على مصراعيه. كان الأطباء المسؤولون يكتبون التعليمات والعلاج اللازمين لكل مريض فيقوم التلاميذ على تنفيذها واكتساب الخبرة. ولم يكن يصرّح لأحد بتعاطي الطبابة إلّا بعد اجتيازه الفحص على يد عدّة أساتذة مختصّين ومنحه شهادة (إجازة علمية) موقّعة تؤيد حقه في تعاطي مهنة الطب. ويروى أن الخليفة الطائع بلغه سنة 949م أن أحد أطباء بغداد أخطأ في علاج مريض فتوفي فأصدر أمره بفحص جميع الأطباء ما عدا القائمين بخدمته وكان عددهم في بغداد وحدها 860 طبيباً[1]، عدا أطباء الخليفة.

وكان اختيار عمداء المستشفيات الكبيرة لا يجري اعتباطاً كما يجري اليوم أو على أساس المحسوبية والتوسّط وبذل الرشوة، بل الامتحان والفحص الدقيقين والشهرة المتواترة[2].

أمانة الأطباء في تلك الأيام:

كما أن الكاهن طبيب الأرواح، كذلك الطبيب كاهن الأجساد، لذلك اتّصف الأطباء منذ أوائل التاريخ الطبي بالأمانة والإخلاص وكتمان السر، وتكريس هذه الصناعة للفائدة والخير فقط، ولا نحتاج إلى شديد عناء في إيراد البراهين التأريخية لإثبات ما نحن بصدده، ونكتفي بحادثة مثلت على مسرح الحياة الطبية في بغداد وقعت للطبيب الشهير حنين بن إسحاق.

كان قد تلقى دراسته الطبية في بلاد الروم، أعداء العرب المسلمين، فلما ذاع صيته في بغداد اتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر بإحضاره ولما حضر أقطع له إقطاعاً سنياً. . . وأحبّ امتحانه ليزول عنه ما في نفسه عليه إذ ظن أن ملك الروم ربما كان قد عمل شيئاً من الحيلة فاستدعاه وأمر أن يخلع عليه وأخرج له توقيعاً فيه إقطاع على خمسين ألف درهم فشكر حنين هذا

(1) المصدر السابق ج 1 ص 222.
(2) ذات المصدر ج 1 ص 310.

الفعل، ثم قال له بعد أشياء جرت: أريد أن تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله، وليس يمكن إشهار هذا، ونريده سراً. فقال حنين: ما تعلّمت غير الأدوية النافعة، ولا علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها، فإن أحبّ أن أمضي وأتعلّم فعلت. فقال: هذا شيء يطول بنا، ثم رغّبه وهدده وحبسه في بعض القلاع سنة، ثم أحضره، وأعاد عليه القول، وأحضر سيفا ونطعاً. فقال حنين: قد قلت لأمير المؤمنين ما فيه الكفاية. قال الخليفة: فإني أقتلك، قال حنين: لي رب يأخذ لي حقي غداً في الموقف الأعظم فابتسم المتوكل وقال له: طب نفساً، أردنا امتحانك والطمأنينة إليك. فقبّل حنين الأرض وشكر له؛ فقال الخليفة، ما الذي عندك من الإجابة، ما رأيته من صدق الأمر منا في الحالين؟ قال حنين: شيئان هما الدين والصناعة، أما الدين فإنه يأمرنا باصطناع الجميل مع أعدائنا فكيف ظنّك بالأصدقاء، وأما الصناعة فإنها موضوعة لنفع أبناء الجنس ومقصورة على معالجتهم، ومع هذا فقد جعل في رقاب الأطباء عهد مؤكد بإيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالاً لأحد، فقال الخليفة: إنهما شرعان جليلان، وأمر بالخلع فأفيضت عليه، وحمد الله معه، فخرج وهو أحسن الناس حالاً وجاهاً[1].

هذه أمانة الطبيب منذ عهده الأول، وهذه شيمته إلى الآن وستبقى كذلك ما زال الطبيب موجوداً.

الأبحاث الطبية:

لم يكن الطبيب يومئذٍ يعتمد على ما يتلقاه من شيخه فحسب، بل كان هناك كثيرون من ذوي التفكير الصائب والنبوغ الطبي يعتمدون على تجاربهم وأبحاثهم الخاصة فيطلقونها بعد استفادتهم منها نظريات طبية يعتمد عليها من يأتي بعدهم من الأطباء المتخرجين.

إن أبحاثهم كانت تتناول التجارب الكثيرة في عالم الحيوان والنبات،

---

(1) مختصر الدول ص 251 ـ 252. ابن القفطي ص 121.

فيأخذون من هذه الأبحاث أدوية كثيرة يستخدمونها في المعالجات. حدث جمال الدين أبو الحسن علي المعروف بالقفطي المتوفى سنة 646 هـ/ 1248م عن تجارب أحد الأطباء في السمك قال:

«إن إبراهيم بن فزارون... كان طبيباً مذكوراً في زمانه، واختصّ بصحبة غسان بن عباد، وخرج معه إلى بلد السند، وأقام به، ثم عاد بعد برهة وذكر أنه أكل بالسند لحماً استطابه إلا لحوم الطواويس. قال إبراهيم بن فزارون وذكر غسان أن في النهر المعروف بمهران بأرض السند سمكة تشبه الجدي، وأنها تصاد ثم يطين رأسها وجميع بدنها إلى موضع مخرج النفل منها، ثم يجعل ما يطين منها على الجمر ويمسكها ممسك حتى يستوي منها ما كان موضوعاً على الجمر، وينضج ويؤكل منها ما نضج، أو يرمى به، وتلقى السمكة في الماء ما لم ينكسر العظم الذي هو صلب السمكة. فتعيش السمكة وينبت على عظمها اللحم، وأن غسان أمر بحفر بركة في دار ملأها ماء وأمرهم بامتحان ما بلغه إبراهيم فكنا نؤتي في كل يوم بعدّة من السمك فنشويه على الحكاية المذكورة لنا، ونكسر من بعض عظم الصلب ونترك بعضه لا نكسره، وكان من كسرنا عظمه يموت وما لم نكسر يسلم، وينبت عليه اللحم ويستوي عليه الجلد، إلا أن جلد تلك السمكة يشبه جلد الجدي الأسود، وكان ما قشرنا من جلد السمك التي شويناها ورددناها إلى الماء يكون على غير لون الجلدة الأولى ويضرب إلى البياض»[1].

هذه التجربة تخص عالم الحيوان دون الإنسان، ولكن الطب كان يمد يده إليه لكي يستخرج منه معلومات تفيده في أبحاثه الطبية، وأجروا كذلك تجارب كثيرة في العالم البشري وتناولت أبحاثهم هذه عملية التشريح فشرّحوا القرود للدرس والتطبيقات العلمية وشرّحوا الجثث لمعرفة أسباب الخوارق الطبيعية وشرّحوها للبحث أيضاً وللتعليم.

وحدّث صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن يوسف بن إبراهيم ما يأتي:

---

(1) ابن القفطي ص 53 ـ 54.

«قدم جرجا بن زكريا ملك النوبة سنة 221 هـ/ 836م، إلى سامراء وأهدى إلى المعتصم هدايا منها قردة، فأرسل الخليفة المعتصم إلى ابن ماسويه الطبيب رسولاً، ومعه قرد من القرود التي أهداها ملك النوبة، لا أذكر أني رأيت أكبر منه جثة، وقال له: يقول لك أمير المؤمنين زوّج هذا القرد من قردتك «حماحم». وكان لابن ماسويه قردة يسميها حماحم، كان لا يصبر عنها ساعة. فوجم لذلك وقال للرسول: قل لأمير المؤمنين، اتخاذي لهذه القردة غير ما تتوهمه، وما غايتي من تربيتها إلا لتشريحها ودرس عروقها وأدرارها وأعصابها وأعضائها، ولأضع بذلك كتاباً، وأما إذ قد وافى هذا القرد، فسيعلم أمير المؤمنين أني سأضع كتاباً لم يوضع في الإسلام مثله، ثم فعل ذلك بالقرد فظهر منه كتاب حسن استحسنه أعداؤه فضلاً عن أصدقائه»[(1)].

وهناك دلائل في كلام ابن القفطي تؤيد معرفتهم بتشريح القرود للدرس والبحث العلمي[(2)].

أما تشريحهم للبحث لمعرفة أسباب الخوارق الطبيعية، فهناك حادثة هامة يرويها صاحب العقد الفريد عن أحد أبطال العرب هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي، أنه عندما قتل شقّ صدره فإذا له فؤاد كبير، وكانوا إذا ضربوا به أرض ينزوِ كما تنزو المثانة المفتوحة[(3)]. وهذه العملية الجراحية الترشيحية إنما أجريت على فؤاد شبيب لغرابته ومعرفة سر هذه القوة الكامنة فيه وفي عضلاته. ودرست الجثث بعد تشريحها درساً دقيقاً واستنتج الأطباء من ذلك نتائج طبية مفيدة.

حدّث القفطي عن اهتمام أطباء بغداد في التشريح قال:

«إن يوحنا بن ماسويه قال: إني بليت بطول الوجه وارتفاع قحف الرأس

---

(1) طبقات الأطباء ج 1 ص 178.
(2) ابن القفطي ص 255.
(3) العقد الفريد ج 1 ص 61.

وعرض الجبين، وزرقة العين، ورزقت ذكاء وحفظاً لكل ما يدور في مسامعي، وكانت ابنة الطيفور زوجتي أحسن أنثى رأيتها وسمعت بها، إلا أنها كانت درهاء بلهاء لا تعقل ما تقول، ولا تفهم ما يقال، فتقبّل ابنها مسامجها جميعاً. ولم يرزق شيئاً من محاسننا، ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرّحت ابني ذا حيّاً مثلما كان جالينوس يشرّح الناس والقرود، فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلادته وأريح الدنيا من خلقته وأكسب أهلها بما أضع في كتابي من صفة تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوراده وأعصابه علماً، ولكن السلطان يمنع من ذلك»[1].

ولكن بعد أيام يموت هذا الولد بطريقة لا نعرفها، فأقسم جده الطيفوري ولداه أن يوحنا تعمّد قتله[2]، لكي يستفيد من تشريحه. هذه القصة إذا صحّت يكون هذا الطبيب مديناً للعدالة، ولا أدري ماذا يحكم عليه أطباؤنا اليوم.

وكانت أبحاثهم الطبية هذه تتناول أيضاً تركيب الأدوية واستخراجها من بعض أعضاء الحيوانات، وقد نجحوا فيها نجاحاً على جانب مهم من الكمال والإتقان.

ذكر صاحب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، أن بيمارستان جنديسابور كان يستحضر أدوية كثيرة يموّن بها البيمارستان نفسه، وقال: إن ماسويه والد يوحنا الطبيب الشهير كان يعمل في دقّ الأدوية في هذا البيمارستان[3]. وكذلك كان ابنه ميخائيل الطبيب شقيق يوحنا في خدمة المأمون، وكان المأمون يكرمه غاية الإكرام ولا يشرب دواء إلّا من تركيبه وإصلاحه[4]. وذكر أيضاً أن يونس الحراني الطبيب نزيل الأندلس رحل من المشرق إلى المغرب

(1) ابن القفطي ص 255 ـ 256.
(2) المصدر السابق ص 215.
(3) المصدر السابق ص 215.
(4) المصدر السابق ص 215.

ونزل الأندلس في أيام محمد الأموي المستولي على تلك الديار وأدخل إلى الأندلس معجوناً كانت القنينة منه بخمسين ديناراً فكسب به مالاً[1].

وكان لديهم مثلما لدينا مختبرات ومعامل لتركيب الأدوية واستخراجها. ذكر صاحب طبقات الأطباء: «أن الطبيب أحمد بن يونس الحراني خدم المستنصر بالله، وغزا معه غزواته سنة 351 هـ وأسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء» ثم يردف نقلاً عن ابن جلجل أن: «للطبيب أحمد بن يونس بن أحمد الحراني اثني عشر صبياً صقلبياً يطبخون الأشربة ويصنعون المعجونات بين يديه وكان قد استأذن أمير المؤمنين المستنصر أن يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى، فأباح له ذلك، وكان يداوي العين مداواة نفسية»[2].

وكانوا يستخرجون الأدوية من بعض أعضاء الحيوانات فيأخذون غددها أو أعضاء أخرى، ويستخرجون منها أدوية يطببون بها مرضاهم. وهناك في كتب الطب القديم إيضاحات كثيرة لهذه العمليات[3]، وكانوا كثيراً ما يأخذون بعض أعضاء السمور للأبحاث الطبية واستخراج الأدوية[4]، وهذه التجارب كانت معروفة لدى كثيرين من الأطباء والكتّاب والمؤرخين[5].

الترجمة والتأليف في الطب:

لم تكتف المدنية العباسية بما أخذته من طب جنديسابور وأطبائها الأولين من إيرادات التوسّع والتوصل إلى قلب الطب اليوناني الذي كان في ذروة الكمال بالنسبة إلى تلك العصور، وكما شرّع الخلفاء بترجمة كل العلوم

---

(1) نفس المصدر ص 258.
(2) طبقات الأطباء ج 2 ص 422.
(3) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج 6 ص 166.
(4) نفح الطيب للمقريزي ج 1 ص 92.
(5) طبائع الحيوان ومنافع النبات ـ حاجي خليفة ـ ج 3 ص 121.

اليونانية شرّعوا كذلك بترجمة الطب وهو أقرب العلوم جميعاً إلى الفرد البشري من جهة وإلى الهيئة الاجتماعية من جهة ثانية. وهو يتعلق بصحة الإنسان وقوام حياته الزمنية، لذلك اختار الخلفاء من التراجمة أحذقهم وأعرفهم بعلم الطب، لكي يفهموا العبارة جيداً فينقلوها إلى لغة الضاد بأمانة وإخلاص. وهكذا مكان.

انبرى لهذا العمل الخطير كثيرون من أساطين الطب فأشبعوا الطب اليوناني درساً وتمحيصاً، ثم أقبلوا على ترجمته إلى السريانية ثم إلى العربية، لأن جُلّ هؤلاء المترجمين كانوا من الأطباء السريانيين الذين كانوا ذوي إخلاص وأمانة شديدين للدولة العباسية وللغة العربية وللمبادىء الشرقية، فجاءت نقولهم وجهودهم ذات طابع خاص هو طابع الأمانة والإخلاص للعلم نفسه من جهة، وللغة العربية من جهة أخرى، وللخلفاء الميامين الذين أغدقوا عليهم نعمهم من جهة ثالثة، ولنفوسهم كأناس شريفي المبدأ من جهة رابعة، هؤلاء كانوا وهذه كانت أعمالهم، والتاريخ يسجّل لهم هذه المآثر بمداد الشكر والإعجاب حاثاً أبناء هذا العصر للاقتداء بهم.

إن الذين كتبوا عن تاريخ الطب العباسي أشباه ابن النديم في «الفهرست» والقفطي في «أخبارالعلماء بأخبار الحكماء» وابن أبي أُصيبعة في «طبقات الأطباء» وابن العبري في «تاريخ مختصر الدول» وابن جلجل في «طبقات الأطباء والحكماء» وغيرهم، جميع هؤلاء المؤرخين يحدثوننا حديثاً مستطاباً عن الأعمال الطبية في النقل والترجمة والتأليف من اليونانية والسريانية إلى العربية بذلك.

ولا نستطيع في وقفتنا هذه ـ لضيق المقام ـ التحدّث بإسهاب عن جميع هؤلاء النقلة والمؤلفين في علم الطب في هذا الدور بل نكتفي بذكر أشهرهم فقط وهم آل بختيشوع، ويوحنا بن مساويه الطبيب المشهور، وجبرائيل بن عبد الله، وجبرائيل الحكال، وحنين بن إسحاق شيخ المترجمين، وحبيش بن الأعسم، وصاعد بن يحيى، وسنان بن ثابت الذي نال شهرة واسعة جداً في الطب والترجمة والتأليف. . .

وهناك أطباء يعدّون بالمئات لا نستطيع إلا الإشارة إليهم، ومنهم ابن سينا، والرازي اللذان اعتمدت جامعات أوروبا على كتبهما في كلياتها الطبية إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

أما الكتب المترجمة والمؤلفة فهي كثيرة جداً ويمكن الرجوع إلى المؤرخين الذين ذكرناهم أعلاه للوقف على أسمائها وأوصافها، فهي مكتبة عامرة من التراث نهيب بالمسؤولين لإحيائها ونشرها بين الملأ للاستفادة منها[1].

---

(1) أضف إلى المراجع المذكورة آنفاً حضارة العرب لغوستاف لوبون، وتراث الإسلام لجمهرة المستشرقين.

يحيى بن عدي التكريتي
٨٩٣ هـ/٩٧٤م

امتاز القرن العاشر المسيحي بنضوج العقل العلمي عند المسيحيين العرب، فنال الأدب أكبر نصيب من النضوج، وارتقى الفكر الأدبي إلى مستوى الفلسفة، فظهر فيه الطبري (+922) والرازي (+932) والفارابي (+951) والمسعودي (+956) وأبو فراس الحمداني (+968) وابن العميد (+997) وغيرهم كثيرون.

من هنا نعلم أن عصر يحيى بن عدي عصر نور. فلا غرابة إن تجلّت فيه عبقرية هذا الفيلسوف السرياني المسيحي بين معاصريه العلماء المسلمين الذين درس عليهم، وأخذ منهم، وأعطاهم في ميدان العلم والأدب.

نسبته ونشأته:

هو أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريّا المنطقي، نزيل بغداد[1] أبصر النور في تكريت[2]. وقد رزق ذكاء وقاداً، وهمّة بعيدة وطموحاً إلى العلم والعلى عظيماً. فلم تكف تكريت لتغذية عبقريته فتركها إلى بغداد وفيها قرأ على أبي بشر متى بن يونس وأبي نصر الفارابي الفيلسوف الكبير، وغيرهما

---

(1) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 383، القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 361. ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ص 318. ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 296. شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام ـ ص 254. أفرام برصوم ـ اللؤلؤ المنثور ـ ص 444.

(2) خير الدين الزركلي ـ الاعلام ـ ج 6 ص 194.

من مشاهير فلاسفة بغداد وكبار علمائها وأدبائها[1]. ثم توغل في المسائل اللاهوتية فتقنها وتضلع بالأدب العربي ولغة الضاد، فتعاطاها زمناً طويلاً ونال منها حظاً وافراً فنبغ وفاق أهل زمانه بتضلعه من المنطق خاصة، حتى أصبح من أكبر كتبة بغداد وفلاسفتها يوم كان الكُتّاب والأدباء فيها يعدّون بالألوف، وإماماً لحكمائها الذي لا ينازع في إمامته منازع، ولا يطمع في مجاراته طامع، وبعد جهود جبارة أصبح أوحد دهره وإليه انتهت رئاسة أصحابه المنطقيين[2] فأكبرت قدره محافل بغداد العلمية والأدبية ورفع منزلته الوزراء والأعيان والعلماء.

كان جيد النقل من السريانية إلى العربية[3] ملازماً للنسخ بيده، كتب الكثير من الكتب بخط قاعد بيّن، وكان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة، وأقل.

واشتهر يحيى بن عدي بشدّة تعلّقه بأهداب الدين فدافع وناضل بقلمه عن إيمان الكنيسة السريانية اليعقوبية[4]، والمعتقدات النصرانية ولا سيما فيما يتعلق بالتثليث والتوحيد[5]، ببراهين قاطعة وحجج دامغة فنّد بها آراء من

---

(1) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 383، القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 361. ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ص 318. ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ ص 296. شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام ـ ص 254. برصوم ـ اللؤلؤ المنثور ـ ص 444.

(2) المصادر السابقة عدا القفطي.

(3) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 383، أخبار الحكماء ـ ص 361. ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ص 318. نقلاً عن القفطي. أما ابن العبري فينفرد في تاريخ مختصر الدول بالقول «مائة ورقة وأكثر».

(4) اليعقوبية: طائفة السريان الأرثوذكس اليوم نسبت إلى مار يعقوب البردعي أسقف الرها 541 - 578 لأنه قضى حياته عاملاً على إقرار هذا المذهب في سوريا. كما وأن جميع المؤرخين يؤكدون أن مذهب يحيى بن عدي هو اليعقوبية حتى أن ابن العبري يقول: «وكان نصرانياً يعقوبي النحلة» (انظر تاريخ مختصر الدول ص 296).

(5) اشتهر يحيى بن عدي بدفاعه الشديد عن أن الله ثلاثة أقانيم وهي إله واحد. وقد نشر قسماً من مقالاته بهذا الصدد (انظر مقالات دينية قديمة لمشاهير كتبة النصارى) عُني بنشرها الأب لويس شيخو في مجلة المشرق البيروتية سنة 1920.

تعرّض لها. ومما يجدر بنا ذكره ـ من باب المفاكهة ـ في هذا الصدد، وأن أبا الحسن علي بن عيسى الجراح[1] وزير الخليفة المقتدر استحضر أبا مسلم محمد بن بحر الأصبهاني ليوافقه على ما كان يتولّاه من الأعمال، فجرى بينهما خطاب اختلفا فيما يجب فيه الحكم واتفقا على أن يرجعا فيه إلى من يوثق ببصيرته بأحكام الديون من كتاب الحضرة، فذكر الوزير ابن الحسين رجلاً من وجوه النصارى. فقال أبو مسلم: لا يرضى به لأنه لا يحسن الحساب، فقال الوزير منكراً عليه: أتقول في يحيى بن عدي إنه لا يحسن الحساب؟ قال: نعم! لأن الواحد عنده ثلاثة، والثلاثة واحد[2].

وكان مع وسع علمه ورسوخ قدمه في علوم عصره، قليل الادعاء، يؤيد لنا هذا ما رواه عنه جمال الدين القفطي حيث قال: «سمعت أن يحيى بن عدي حضر مجلس بعض الوزراء ببغداد في يوم هناء، واجتمع في المجلس جماعة من أهل الكلام فقال لهم الوزير تكلموا مع الشيخ يحيى فإنه رأس متكلمي الفرقة الفلسفية، فاستعفاه يحيى، فسأله عن السبب، فقال يحيى: هم لا يفهمون قواعد عباراتي وأنا لا أفهم اصطلاحهم. وأخاف أن يجري لي معهم ما جرى للجباء»[3]. في كتاب التصفح فإنه نقص كلام أرسطوطاليس وردّ عليه ما تخيّل له من فهمه ولم يكن عالماً بالقواعد المنطقية، ففسد الرد عليه وهو يظن أنه قد أتى بشيء ولو علمها لما تعرّض لذلك الرد، فأعفاه لما سمع من كلامه واعتقد فيه الإنصاف[4].

وحكى ابن النديم في الفهرست: «. . .وكان أوحد دهره، ومذهبه من مذاهب النصارى اليعاقبة، قال لي يوماً في الوارقين، وقد عاتبته على كثرة

---

(1) تولى الوزارة في محرم سنة 301 هـ حتى ذي الحجة 304هـ إذ تولاها ابن الفرات.

(2) يقصد أن يحيى يؤمن بإله واحد في ثلاثة أقانيم وهو إيمان المسيحية كلها.

(3) الجبائي (أبو هاشم عبد السلام) من المعتزلة، إليه تنتمي فرقة الجبائية. قال: إن صفات الله عين ذاته، توفي سنة 993م.

(4) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ 237.

نسخه فقال: من أي شيء تعجب في هذا الوقت؟ من صبري! قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقلّ. وقال لي: مولدي... (كذا) توفي سنة... (كذا)[1] وقد أورد عنه هذه الرواية القفطي[2]، وابن أبي أُصيبعة[3] وغيرهما.

ويقول البيهقي في كتابه «صوان الحكمة»: «أبو زكريا يحيى بن عدي كان حكيماً كاملاً، وهو أفضل تلامذة أبي نصر، وله تصانيف كثيرة وكان يشرح أرسطو ويلخص تصانيف أبي نصر ومن كلماته: العاقل مع خشونة العيش عند العقلاء أسرّ منه مع تلين العيش مع السفهاء. العاقل لا يغترّ بالمرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً لم يعرف من لم يفصله من الباطن»[4].

وقد جاء في ترجمة الحكيم أبي سهل المسيحي بذات المصدر (صوان الحكمة) ما يلي: «...وقال كيف أعدل عن حكم المسيح والنار نازلة في كنيسة القيامة في المسجد الأقصى (قصة) تلك النار أن الليلة التي رفع فيها عيسى (المسيح) إلى السماء ليلة النصف من نيسان. وفي هذه الليلة كل (سنة) تنزل نار من الأثير بحيث يراها الناس تشتعل قناديل القيامة من غير أن يكون كوة ولا فرجة في سقف ذلك البيت بل تغوص الناس في السقف من غير أن تحرق الخشب ثم توقد السرج والمشاعل فإذا طلع الفجر انطفأت، وقد صنّف أبو زكريا يحيى بن عدي تلميذ أبي نصر الفارابي في ذلك كتاباً وبيّن الأمر الطبيعي في ذلك»[5].

وهاك ما كتبه شهاب الدين العمري في كتابه «مسالك الأبصار» في

---

(1) ابن النديم ـ الفهرست ـ 383.
(2) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 361.
(3) ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ 318.
(4) البيهقي ـ صوان الحكمة ص 90.
(5) المصدر السابق ص 88 ـ 89.

طبقات الأطباء: «. . .ومنهم يحيى بن عدي أبو زكريا المنطقي، حكيم علمه والودق شيان، وقلمه والبرق سيان. كان أول حاله علماً في ملّته، ومعلماً لأهل قبلته، وعرف بالمنطق مع أنه بعض علومه ومن جملة ما دخل من الحضائض في عمومه، وأضاءت له من الأدب لمع نمت فضائله وأتمّت هلاله والبدور الكوامل متضائلة[1]. وما هذا الكلام إلا اطراء من العمري على يحيى لنبوغه الأمر الذي يدلّ على سموّ منزلته في قلوب القوم.

أما أبو حيان التوحيدي فيقول في كتابه «الإمتاع والمؤانسة»[2]:

«. . .وأما يحيى بن عدي ذاته كان شيخاً لين العريكة، فروقه مشوّه الترجمة رديء العبارة، لكنه كان متأتياً في تخريج المختلفة، وقد برع في مجلسه أكثر هذه الجماعة، ولم يكن يلوذ بالإلهيات، كان ينبهر فيها ويضلّ في بساطتها، ويستعجم عليه ما جل فضلاً عمّا دق منها. وكان مبارك المحبس».

وكان يحيى بن عدي شاعراً مجيداً، غير أنه لم يترك إلّا القليل من الشعر، ومما قاله في أسرار الدين وعدم فهمها (من البسيط).

أنعمت فحص المعاني عن حقائقه فلم يبن لك إذا لم تحسن النظرا
فالشمس تخفى على من ليس ذا بصرٍ وليس تخفى على من أُعطيَ البصرا

بلغ يحيى من العمر عتيّاً ـ الحادية والثمانين ـ وتوفي سنة 1285 يونانية 974 ميلادية في الثالث عشر من شهر آب. يقول القفطي: «مات الشيخ أبو زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة سنة 364 هـ لثلاث عشرة من آب سنة 1285 للإسكندر (974م). ورأيت في بعض التعاليق بخط من يعنى بهذا الشأن وفاته كانت في اليوم المقدم ذكره من الشهر المقدم ذكره من سنة 363 هـ/ 973م[3].

(1) عن نسخة المكتبة الخديوية ص 336 ـ 327.
(2) التوحيدي ـ الإمتاع والمؤانسة ـ ج 1 ص 37.
(3) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 364.

قال الأمير أبو الوفاء بن فاتك: حدثني شيخ أبو الحسن المعروف بابن الآمدي أنه سمع من أبي علي عيسى بن زرعة يقول: إن أبا زكريا يحيى بن عدي أوصى إليه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة هذين البيتين (من الخفيف):

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقى قد مات جهلاً وعيا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تصدق الحياة في الجهل شيا

ووفى التلميذ الوعد لأستاذه فنقش البيتين على ضريحه، وقد دفن في كنيسة مار توما ببغداد[1].

آثاره ومؤلفاته:

كانت حياة يحيى بن عدي كما رأينا إذن سلسلة جهود متواصلة في سبيل العلم والفلسفة، فنقل كتباً كثيرة من السريانية إلى العربية يوم كانت لغة الضاد في أوج مجدها، وكان يكتب وينسخ بيده، عدا ما وضعه هو من كتب ومقالات بالعشرات فقد معظمها كما سنرى.

في أوائل القرن العشرين، اهتم بعض الذين يعنيهم أمر الكتبة النصارى الدماء في نفض الغبار عن تصانيف هذا الفيلسوف السرياني وفي مقدمتهم المستشرق الأب أوغست بريبه من أساتذة المعهد الكاثوليكي بباريس[2]، فقد نشر ثماني مقالات ليحيى بن عدي مع ردوده على عبد المسيح الكندي[3]، عن عقيدة الثالوث، ونصها العربي ينشر لأول مرة متناً وترجمة[4]. ثم ألف كتاباً

---

(1) بيعة مار توما في باب المحول من جانب الكرخ وهي كاتدرائية وتسمى أيضاً كنيسة قطيعة الدقيق، وكانت مجاورة لدار الروم (انظر لمعة تاريخية عن الكنيسة السريانية في العراق).

(2) له أيضاً كتاب عن الحجاج بن يوسف الثقفي (باريس 1902) وقواعد العربية الجديدة 1911 والكندي (باريس 1920).

(3) عبد المسيح الكندي، كاتب نصراني. نسبت إليه (رسالة إلى عبد الله الهاشمي) يدعوه بها إلى المسيحية. عاش في القرن التاسع.

(4) انظر (مجلة الشرق المسيحي 1920 ـ 1921) مقالة الأب بريبه.

تحت عنوان (يحيى بن عدي) بحث فيه عن حياة يحيى وذكر مؤلفاته وشرح آراءه في الفلسفة، وقد قدم الكتاب المذكور سنة 1921 إلى جامعة باريس (السوربون) للحصول على شهادة الدكتوراه.

ومن الذين اهتموا بيحيى بن عدي أيضاً الأب لويس شيخو اليسوعي إذ كتب عنه في كتابه الشهير - شعراء النصرانية بعد الإسلام - ثم نشر قسماً من مقالاته في مجلته (المشرق) البيروتية[1].

وكذلك درسه وأحصى مؤلفاته في ترجمة له العلامة البطريرك مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم. ونشر كتابه (تهذيب الأخلاق) مع شرح وتعليق[2].

وأخيراً ترجم له ترجمة بسيطة مع تعليق الأستاذ مراد فؤاد جقي حيث نشر هو الآخر كتاب يحيى (تهذيب الأخلاق)[3].

وإليك جدولاً بتصانيف ونقول وشروح مترجمنا هذا على الوجه التالي:

أولاً: ما نقله من السريانية إلى العربية:

1 - كتاب النواميس لأفلاطون[4].

2 - كتاب ثاوفرسطس.

3 - كتاب ما بعد الطبيعة[5].

---

(1) منها مقالته في التوحيد. ومقالته في صحة اعتقاد النصارى في الباري تعالى (المشرق) البيروتية عدده ص 368.

(2) نشره في مجلة (اللغات السامية) سنة 1928 في شيكاغو كما كتب عنه في كتابه اللؤلؤ المنثور ص 444 - 445.

(3) نشره بالقدس سنة 1930.

(4) ابن النديم - الفهرست - ص 370.

(5) المصدر السابق ص 370.

4 ـ كتاب تفسير كتاب الجدل.

5 ـ الكلام عن سوفسطيقا.

6 ـ الكلام عن الشعر.

7 ـ المقالة في البحوث الأربعة.

8 ـ المقالة الثانية من كتاب السماع الطبيعي وحرف (مو).

9 ـ كتاب الإلٰهيات لأرسطو.

10 ـ الكلام عن الآثار العلوية[1].

ثانياً: ما أصلحه من نقول مترجمة:

1 ـ كتاب تفسير الاسكندر لكتاب السماء والعلم، نقل بشر بن متى[2].

2 ـ المقالة الأولى من كتاب السماع الطبيعي، نقل أبي روح الصابئي.

3 ـ كتاب الحروف لأرسطو.

4 ـ قول لأفلاطون سماه طيماوس[3] وهو الكتاب الذي نقله ابن البطريق (يوحنا) وأصلحه حنين بن إسحاق أيضاً.

ثالثاً: ما منسفه من التأليف على شكل كتب أو مقالات في الدفاع عن العقائد النصرانية في التثليث والتوحيد والتجسد، أو الردّ على بعض النساطرة دفاعاً عن مذهبه اليعقوبي.

---

(1) ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ ص 93. ومصباح الظلمة لابن القفطي باب 7 وابن النديم في الفهرست.

(2) القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 363.

(3) ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 183.

إن هذه المصنفات تشهد ببعد نظر صاحبها وغزارة علمه ووفور فضله وعلوّ طبقته لم يسلم من آفات الزمان إلّا اليسير منها وهي[1]:

1 ـ كتاب نقض حجج القائلين بأن الأفعال خلق الله واكتساب العبد.

2 ـ كتاب تفسير طوبيقا لأرسطو طاليس.

3 ـ كتاب في تبيين الفصل بين صناعتي المنطق الفلسفي والنحو العربي.

4 ـ كتاب في فضل صناعة المنطق.

5 ـ كتاب هداية من تاه إلى سبيل النجاة.

6 ـ كتاب في تبيين أن العدو والإضافة ذاتين موجودتين في الأعداد.

7 ـ كتاب جواب يحيى بن عدي عن فصل من كتاب أبي الحبش وقيل (الحسن) النحوي فيما ظنه أن العدو غير متناهٍ.

8 ـ كتاب أجوبة بشر اليهودي عن مسائله.

9 ـ كتاب شرح للاسكندر في الفرق بين الجنس والمادة.

10 ـ كتاب إثبات طبية الممكن وأقوى الحجج على ذلك والتنبيه على فسادها.

11 ـ كتاب الشبهة في إبطال الممكن.

12 ـ كتاب في منافع الباه ومضاره وجهة استعماله[2].

13 ـ كتاب الشذور الذهبية في مذهب النصرانية.

---

(1) اعتمدنا في ترتيب جدولنا هذا على: ابن النديم ـ الفهرست ـ ص 383. القفطي ـ أخبار الحكماء ـ ص 361 ـ 464. ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ ص 318. ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ـ ص 93 وص 296 ـ 297. شيخو ـ شعراء النصرانية ص 254 ـ 256. برصوم اللؤلؤ المنثور ص 444 ـ 445. مقدمة تهذيب الأخلاق لبرصوم أيضاً. مقدمة تهذيب الأخلاق لجقي ص 9 ـ 16. إسحاق أرملة ـ الطرفة في مخطوطات دير الشرفة ص 345 ـ 346. شيخو ـ المخطوطات العربية لكتبه النصرانية ص 833. بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان ج 1 ص 449. الزركلي ـ الأعلام ـ ج 6 ص 194.

(2) كتبه بحسب اقتراح الشريف أبي طالب ناصر بن إسماعيل صاحب السلطات المقيم في القسطنطينية.

14 ـ مقالة في البحوث الخمسة عن الرؤوس الثمانية.

15 ـ مقالة في استخراج العدد المصخر.

16 ـ مقالة في ثلاثة بحوث غير المتناهي.

17 ـ مقالة في أن كل متّصل إنما ينقسم إلى منفصل.

18 ـ مقالة في الكلام في أن الأفعال خلق الله واكتساب العبد.

19 ـ مقالة في غير المتناهي.

0ف ـ مقالة في أن حرارة النار ليست جوهر للنار.

21 ـ مقالة في الرد على من قال بأن الأجسام مجلبة على طريق الجدل.

22 ـ مقالة في أنه ليس شيء موجود غير متناهٍ لا عدداً ولا عظماً.

23 ـ مقالة في تزييف قول القائلين بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ.

24 ـ مقالة في تبيين ضلالة من يعتقد أن علم الباري بأمور الممكنة قبل وجودها.

25 ـ مقالة في أن الكم ليس فيه تضاد.

26 ـ مقالة في أن القطر غير مشارك للضلع.

27 ـ مقالة في أن الشخص اسم مشترك.

28 ـ مقالة في الكل والأجزاء.

29 ـ مقالة في الحاجة إلى معرفة ماهيات الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض في معرفة البرهان.

30 ـ مقالة في الموجودات.

31 ـ مقالة في أن كل متّصل ينقسم إلى أشياء دائماً بغير نهاية.

32 ـ مقالة في التوحيد.

33 ـ مقالة في أن المقولات عشرة لا أقل لا أكثر.

34 ـ مقالة في أن العرض ليس جنساً للتسع المقولات العرضية.

35 ـ مقالة في تبيين وجود الأمور العامية.

36 ـ مقالة في قسمة الأجناس الستة التي لا يقسمها أرسطوطاليس إلى أجناسها المتوسطة وأنواعها وأشخاصها.

37 ـ مقالة في البحوث العلمية الأربعة عن أصناف الموجود الثلاثة الإلٰهي والطبيعي والمنطقي.

38 ـ مقالة في نهج السبيل إلى تحليل القياسات.

39 ـ مقالة في أن الجسم جوهر وعرض[1].

40 ـ مقالة في جواب إبراهيم بن عدي الكاتب.

41 ـ مقالة في صحة اعتقاد النصارى في الباري عزّ وجل أنه جوهر واحد ذو ثلاث صفات.

42 ـ مقالة في تمثيل النصارى الابن بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل وحل الشك في ذلك.

43 ـ مقالة في تبيين الوجه الذي عليه يصحّ القول في الباري إنه جوهر واحد الخواص تسميها النصارى أقانيم.

44 ـ مقالة في وجوب التأنس.

45 ـ مقالة في غلط من يقول إن المسيح واحد بالعرض.

46 ـ مقالة في صدق الإنجيل بالبرهان والدليل.

---

(1) كتبها بينه وبين إبراهيم عدي الكاتب حيث ناهضه فيها رأيه. ج 4 ص 141.

47 ـ مقالة في سياسة النفس.

48 ـ مقالة في تثبيت ضلالة النسطوري المعجب بكلام أبي الحسن المعروف برمق الذي قاله في نصرة النسطورية.

49 ـ مقالة عنوانها دليل عقلي في أن الله تعالى يعلم الجزئيات والكليات والفرق بين العلمين.

50 ـ تفسير الألف الصغرى من كتب أرسطو فيما بعد الطبيعة.

51 ـ تفسير فصل من المقالة الثامنة من السماع الطبيعي لأرسطوطاليس.

52 ـ تعليق في بحث غير المتناهي.

53 ـ تعليق في بيان ضلالة من يعتقد أن علم الباري تعالى بالأمور ممكن قبل وجودها.

54 ـ تعاليق عدة من أبي بشر متى في أمور جرت بينه وبين يحيى في المنطق.

55 ـ تعاليق عدة في معانٍ كثيرة.

56 ـ قول في الجزء الذي لا يتجزأ.

57 ـ قول في تفسير أشياء ذكرها عند ذكره فضل صناعة المنطق.

58 ـ قول في إن النصارى يطلقون لفظة إلٰه.

59 ـ جواب الدارمي وأبي الحسن المتكلم عن المسألة في إبطال الممكن.

60 ـ جواب عن مسألة جرت بين يدي علي بن عيسى بن الجراح من جهة التأنس.

61 ـ أجوبة عن ثلاث مسائل عنها سأله صديقه أبو علي سنة 358 هـ/ 968م.

62 ـ رسالة كتبها لأبي بكر الآدمي العطّار فيما تحقق من اعتقاد الحكماء بعد النظر والتحقيق.

63 ـ رسالة في الرد على النسطورية ومن جملتها إحدى عشر مسألة لهم وعليهم تليها إضافة أخرى في ذلك[1].

64 ـ رسالة في تهذيب الأخلاق[2].

65 ـ حل حجة من أراد أن يلزم اتحاد الكلمة بالإنسان في حال موته غير ممكن.

66 ـ رد على أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وهو دفاع عن عقيدة التثليث[3].

67 ـ احتجاج إلى محمد بن هارون بن عيسى الوراق في صحة النصرانية. ورد اعتراض المسلمين على التثليث والتجسد، وعدم تحريف الإنجيل في جزأين.

68 ـ المسائل: وهي سبع عشرة مسألة[4].

كتاب تهذيب الأخلاق:

لهذا الكتاب قيمة لا تنكر، فهو من عيون مؤلفات أبي زكريا يحيى بن عدي حجة دين النصرانية، وأحد فلاسفة القرن العاشر الميلادي الذي انتهت

---

(1) سأله وضع هذه الرسالة أبو القسم (القاسم) حبيب وقيل (ابن الحسن) ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية مجلد 2 ص 153 ـ 154 واستشهد بها البطريرك يوحنا الأنطاكي في رسالته إلى البطريرك خرسطوفولس الإسكندري.

(2) ذكرها في السمعاني في المكتبة الشرقية ج 2 عدد 153 من المخطوطات العربية في الفاتيكان.

(3) نشر في مجلة الشرق المسيحي عدد 1 سنة 1920 وطبع الأب بيريه ترجمته الفرنسية في كتاب مقالات يحيى.

(4) نسخة في مكتبة دير الشرفة بلبنان والمخطوطة هذه تبدأ بالمسألة السابعة. وقد نسق الكتاب نسق سؤال وجواب بين المؤلف وبين عمار البصري.

إليه رئاسة أهل المنطق في زمانه، وقد خلف هذا الفيلسوف زهاء مائة من المصنفات والتفاسير والنقول، والتعاليق بين مختصر وطول في المنطق والفلسفة واللاهوت والطب، غير أن يد الغير قد لعبت وتبعثرت في مكاتب العالم منها مكاتب أوروبا أخصّها المكتبة الوطنية في باريس والمكتبة الفاتيكانية في روما. ومصنفاته كلها من الأهمية بمكان ولا عجب في ذلك فقد كان إمام المتكلمين في زمانه ونابغة المجودين من النقلة والمؤلفين ولم ينشر حتى الآن بالطبع من مصنفاته الممتازة بجلال أسلوبها وجمال تأليفها سوى ثماني مقالات لاهوتية مع ترجمتها الفرنسية. وكتابه هذا الذي نشر مراراً، مع صغر حجمه عبارة عن كنز حكمة وبحر أدب يغترف منه العاقل والجاهل وقد حوى من أنواع التعليم والإرشاد والنصح ما لا يستغني عنه أرباب الطبقات في المجتمع الإنساني، وفي وسع كل فرد مهما كانت حرفته في المجتمع أن يسترشد بما جاء فيه ويجني منه في الوقت ذاته فرائد جمّة وفقاً لسبيله في الحياة، أما إنشاء الكتاب فعلى جانب عظيم من البلاغة قد تجلّت فيه روح البيان والذي يتفحصه ويتبيّن مغازيه ومراميه يشعر وكأنه يقرأ كتاباً عصرياً لأحد فلاسفة الأخلاق الأخصائيين في عصرنا الحالي ويكاد المطّلع لا يجد فيه مسألة تناقض ما قرره علماء الأخلاق في عصرنا مع ما بيننا وبين عصر المؤلف من البعد الشاسع.

طبع هذا الكتاب في مصر أربع طبعات، الطبعة الأولى نشرتها إدارة المطبعة القبطية الأهلية منسوبة إلى الفيلسوف أبي زكريا يحيى وذلك سنة 1872م وكان باكورة مطبوعاتها. وقد دعا الكتاب بتهذيب الأخلاق، وقد أعاد نشر هذه الطبعة للمرة الثانية جرجس فيلوثاوس عرض الكتاب القبطي سنة 1913م بمقدمة ذكر فيها ترجمة المؤلف باختصار مع أسماء مؤلفاته، ودعي بذات الاسم. وأما الطبعتان الثالثة والرابعة فقد نشرتا في سنتي 1907 هـ/ 1322م منسوبتين إلى محيي الدين بن عربي، ودعي الكتاب في الثالثة باسم كتاب «الأخلاق» وفي الرابعة بـ «فلسفة الأخلاق». كما طبع أيضاً في آخر كتاب «تحفة الزمان في أدب الفتيان» وكذلك طبع قسم كبير منه في كتاب «مقالات لمشاهير كتاب العرب على الجزء الثاني من علم الأدب» للأب لويس

شيخو اليسوعي سنة 1887 في بيروت منسوباً إلى صاحبه الحقيقي يحيى صاحب الترجمة ونشر الكاتب يوسف شلفون في بيروت أيضاً نبذة مقتضبة منه، ثم نشره أيضاً سنة 1924 في دمشق العلّامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الأسبق منسوباً للجاحظ مستنداً إلى مخطوطة قديمة دخلت حديثاً مكتبة المجمع العلمي وقد عدل بعدئذٍ عن نسبته للجاحظ[1]؛ ونشره أيضاً العلّامة البحّاثة المطران سويريوس (البطريرك) افرام برصوم سنة 1928 في شيكاغو في مجلة (اللغات السامية) الأمريكية مستنداً إلى مخطوطة المكتبة المرقسية منسوباً إلى يحيى بن عدي، وقد امتازت هذه الطبعة الأخيرة عن شقيقاتها الطبعات السالفات بإيصالها عدد مصنفات المؤلف عند ذكر ترجمته إلى السبعين[2]. ونشره أخيراً الأستاذ مراد فؤاد جقي رئيس تحرير مجلة الحكمة سنة 1930 في المطبعة المرقسية بالقدس وقد قدّمه بترجمة مختصرة عن المؤلف مع ذكر جدول بمؤلفاته.

تقدم معنا القول إن في بعض الطبعات نسب الكتاب غلطاً إلى محيي الدين بن عربي شيخ المتصوفة (توفي سنة 1240) وإلى الجاحظ شيخ المعتزلة (توفي سنة 868م) وقد عدّل العلّامة كرد علي ناسب الكتاب إلى الجاحظ عن رأيه بتنبيه السيد غريغوريوس الرابع حداد ورجّح نسبته إلى يحيى بن عدي استدلالاً بعبارات لا يقول مثلها الجاحظ أو ابن عربي وخاصة عند ذكر الرهبان والنسّاك. كذلك رجّح المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشفوفسكي نسبة الكتاب إلى يحيى في مؤلفه عنه ومؤلفاته وقد نشر مؤلفه المذكور مختصر ترجمة تهذيب الأخلاق إلى الفرنسية إذ ذكر الأب بيريه في كتابه هذا أنه وجد في مكتبة الفاتيكان مجموعة خطية فيها كتب ليحيى بن عدي تقع في 165 صحيفة وفي كل صحيفة (12) سطراً قد حوت كتاب تهذيب الأخلاق من

---

(1) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد الرابع ـ 1930 ونشره تباعاً، والنص من ص 17 إلى ص 60.

(2) The American Journal of semitic Languages and Literatcree Vol XIV October 1928.

ص 147 ـ 153 وقد صدر الكتاب بهذه الجملة «هذا كتاب تهذيب الأخلاق تأليف الحكيم الأجلّ الأفضل أبي زكريا يحيى بن عدي» وأكد في الصحيفة 119 من مؤلفه أن نسبة الكتاب إلى يحيى صحيحة لا ريب فيها لأن النسخ المخطوطة التي تنسب له كثيرة في الشام ومصر وذكر أيضاً ناشر الكتاب الطبعة الثالثة في مصر تجاهل مؤلفها الحقيقي يحيى ونسبها إلى ابن عربي عمداً.

فكل ما تقدم يؤكّد لنا بصورة لا تترك مجالاً للريب في صحة نسبته إلى يحيى بن عدي.

توجد نسخ كثيرة مخطوطة لهذا الكتاب منبثة في مكاتب أوروبا والشام ومصر ونخص بالذكر منها:

1 ـ نسخة مكتبة دير مار مرقس في القدس هي موسومة بالرقم 272 وقد كتبت سنة 1273م.

2 ـ نسخة في خزانة البطريرك غريغوريوس حداد، ذكر فيها أن مؤلفها يحيى بن عدي وهي مضبوطة بالشكل الكامل ويظن أنها نسخت في القرن التاسع عشر الميلادي.

3 ـ نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت منسوبة إلى يحيى صاحب بحثنا ذكرها العلّامة الأب لويس شيخو في كتابه «المخطوطات العربية لكتبه النصرانية».

4 ـ نسخة في مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق وهي التي استند إليها السيد العلّامة محمد كرد علي في نشره الكتاب في المجلد الرابع من مجلة المجمع الذكور وقد كتبت بخط جميل وجاء في آخرها أن ناسخها يدعى يوسف معتوق الخواجا تاج الدين البعلبكي وقد فرغ من نسخها في أواخر جمادى الآخرة من شهور سنة 1047 هـ والنسخة على ما روى السيد كرد علي قليل تحريفها تغلب عليها الصحة، وفي كل صحيفة منها «14» سطراً وفي كل سطر نحو عشر كلمات.

5 ـ نسخة في مكتبة أحمد تيمور باشا في مصر منسوبة إلى يحيى بن عدي ذكرها العلّامة عيسى اسكندر المعلوف في مقالة «من نفائس الخزانة التمورية» المنشور في المجلد الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي.

6 ـ نسخة الفاتيكان وقد ذكرها السمعاني في مكتبة الشرقية والأب أوغست بيرييه في كتابه «يحيى بن عدي» وهي موسومة بالرقم ـ 153 ـ وقد صدرت بهذه العبارة: «كتاب تهذيب الأخلاق للحكيم الأجلّ الأفضل أبي زكريا بن عدي».

فصل من كتاب تهذيب الأخلاق:

بين أيدينا النسخة التي نشرها الأستاذ مراد فؤاد جقي[1]، مقسمة إلى سبعة أبواب هي:

1 ـ تمهيد.

2 ـ في تعريف الأخلاق.

3 ـ في العلّة الموجبة لاختلاف الأخلاق.

4 ـ في الأخلاق الحسنة.

5 ـ في الأخلاق الرديئة التي تعدّ نقائص ومعايب.

6 ـ في بعض الأخلاق التي تكون في بعض الناس فضيلة، وفي بعضهم رذيلة.

7 ـ أوصاف الإنسان التام.

وزيادة في التعريف بالكتاب، ولكيما يقف المطالع ـ ولو عن كثب ـ على سمو نفير يحيى صاحب الترجمة، وفهمه لفلسفة الأخلاق، وقوة سبكه

---

(1) كتاب «تهذيب الأخلاق» مطبعة دير مار مرقس السريان بالقدس سنة 1930.

للجمل بوضوح العبارة ومتانة الأسلوب، ورفعة الإنشاء، أجد من الضرورة أن نبسط أمامك عزيزي القارىء ولو فصلاً من هذا الكتاب الثمين وليكن الفصل الثاني الموسوم بـ «في تعريف الأخلاق».

يقول يحيى بن عدي:

«وهذا حين ابتدأنا بذكر الأخلاق فنقول ـ إن الأخلاق هو حال النفس به يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختبار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعض الناس لا يكون بالرياضة والاجتهاد، وقد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمّد. كالشجاعة والحلم، والعفّة والعدل، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة. وكثير من الناس من يوجد فيهم ذلك، فمنهم من يصير إليه بالرياضة ومنهم من يبقى على عادته ويجري على سيرته».

«فأما الأخلاق المذمومة فإنها موجودة في كثير من الناس كالبخل والجبن والتشرد، فإن هذه العادات غالبة على أكثر الناس، مالكة لهم، بل قلّما يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه ويسلم من جميع العيوب، ولكن يتفاضلون إلا أن المجبولين على الأخلاق الجميلة قليلون جداً والمبغضين لها كثيرون».

«فأما المجبولون على الأخلاق السيئة، فأكثر النساء، لأن الغالب على طبيعة الإنسان الشر، وذلك أن الإنسان إذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر ولا التمييز والحياء، ولا التحفّظ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم، وذلك لأن الإنسان إنما يتميّز عن البهائم بالفكر والحياء غائب عنه. والغضب يستفزه، والسكينة غير حاضرة له، والحرص والاحتشاد ديدنه، والشر لا يفارقه».

«إذاً فالناس مطبوعون على الأخلاق الرديئة، منقادون للشهوات الدنيئة، ولذلك وقع الافتقار إلى الشرائع والسنن والسياسات المحمودة، وعظم الانتفاع بالملوك الحسني السيرة ليردعوا الظالم عن ظلمه ويمنعوا الغاصب عن

غضبه، ويعاقبوا الفاجر على فجوره، ويقمعوا الجائر حتى يعود إلى الاعتدال في جميع أموره».

«فالأخلاق المكروهة في طباع الناس إلا أن يفهم من يتظاهر بها، وينقاد إليها، وهم أشرار الناس، وفيهم من يتنبّه بجودة الفكر، وقوة التمييز على قبحها، فيأنف ويتصنّع لاجتنابها، وذلك يكون عن طبع كريم ونفس شريفة، وفيهم من لا يتنبه لذلك إلا أنه أذنبه عليه حسّ بقبحه فربما حمل نفسه على تركه. والوضيع إذا تنبه إلى ما فيه من النقائص أو نبه عليها ورام العدول عنها، تعذر عليه ذلك ولم يطاوعه طبعه ولو كان مؤثراً للعدول عنها مجتهداً في ذلك. وهذه الطائفة تحتاج إلى أن ترشد إلى طريق التدريب والتعمل للعادات المحمودة حتى تصير إليها على التدريج. ومن الناس من إذا ينتبه على الأخلاق الرديئة أو ينبّه عليها فلا ينأى إلى تجنبها ولا تسمح نفسه لمفارقتها بل يؤثر الإصرار عليها مع علمه برداءتها وقبحها وهذه الطائفة ليس إلى تهذيبها طريق إلّا بالقهر والعقوبة إن لم يردعها التخويف والترهيب».

«فأما الأخلاق المحمودة، فإنها وإن كانت في بعض الناس غريزة فليست في جميعهم، وإن الباقين قد يمكن أن يصيروا إليها بالتدريب والرياضة ويترقّوا إليها بالإلفة. ومع هذه الحال فقد يكون في بعض الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة، وله الخلق الجميل وذلك يكون لرداءة جوهره وخبث عنصره، وهذه الطائفة من جملة الأشرار الذين لا يرجى صلاحهم وكثير من الناس من يقبل كثيراً من الأخلاق المحمودة وينبو طبعه عن بعضها وليس بعد هذا شريراً بل تكون رتبته في الخير بحسب محاسنه».

حنين بن إسحاق
من مشاهير المفكرين السريان في القرن التاسع

لكل عصر رجاله كما لكل حركة فكرية روّادها. فلا يجدر بكتبة اليوم أن ينسوا أو يتناسوا سابقيهم، فالتاريخ عمل كل البشر؛ وغالباً ما تُبنى ثقافة على أنقاض أخرى أو تُعيدها بلغة جديدة. كذا الحال، إذا صحّ القول، مع القرنين الثامن والتاسع؛ ففي هذه الحقبة نُقل العديد من المؤلفات اليونانية والسريانية إلى العربية؛ ومن هنا أهميتها، بحيث إن إغفالها يُشكّل فراغاً في دوّامة التقدّم الفكري. ومن أكبر روّاد هذه الحركة حنين بن إسحاق الذي لعب دوراً فاعلاً في إدخال روح البحث النقدي في عصر لم يعرف إلّا الجدل الدفاعي، فنشأت المدارس والفرق التي أعطت الأولية للنقد العقلاني. زد على ذلك أن مؤلفات حنين الطبّية وغيرها انتقلت إلى أوروبا أيضاً، وتركت أثراً بارزاً في حضارتها.

لقد اعتاد الكتبة الذين عنوا بدرس حياة حنين أن يبرزوا على حياته ونشاطه الفكري في مجال الفلسفة والدين، دون أن نهمل مكانته في حركة النقل.

١ ــ حياته ونشاطه الفكري:

حنين بن إسحاق العبادي[1] من مشاهير حكماء القرن التاسع ومن أكبر

(1) اعتمدنا في دراسة حياة حنين بن إسحاق على المصادر الآتية:
ابن أبي أُصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق أوغست مولر، القاهرة، 1884.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق م.م. عبد الحميد، القاهرة، 1948.

مترجمي الفلسفة والطب اليونانيين إلى اللغة العربية. ولد سنة 808 في مدينة الحيرة والبصرة، ثم درس الطب على يوحنا بن ماسويه في مدرسة جنديسابور. إلا أنه ترك معلمه، إثر خصام وقع بينهما، وغادر إلى بلاد الروم، حيث أمضى قرابة السنتين، تعلم وأتقن خلالها اللغة اليونانية. وبعد عودته إلى بغداد لقيه معلمه ابن ماسويه وأكبر فيه العلم والتضلّع من اليونانية، فشجّعه على الترجمة، ثم قدّمه إلى الخليفة المأمون (813 ـ 833) الذي وكّل إليه إدارة بيت الحكمة. فأقدم حنين على الترجمة والكتابة.

دار دولاب الزمن حتى خلافة المتوكّل (847 ـ 861) الذي عيّنه رئيساً لأطباء البلاط. ولكن سرعان ما أن ألقاه في السجن لمدة سنة، لسوء تفاهم حصل بينهما. ثم عاد إليه شأنه ومكانته، مما جلب عليه غضّ خصومه؛ فوشوا به لدى الخليفة، وسجن ثانية. وفي السجن وضع كتابه «الرسالة»، الذي هو وثيقة عن تألّمه لفقدان مكتبته كلها[1]. بعد سنتين أطلق الخليفة المتوكّل سراحه وأعاده إلى وظيفته. فتابع العمل في الكتابة والترجمة حتى وفاته سنة 873.

كان لحنين ابنان، هما داود وإسحاق. انصرف الأول إلى الطب والثاني إلى الفلسفة[2]. وكانا يعملان مع والدهما في بيت الحكمة، المركز الحضاري الذي أعطى ترجمات عديدة، سريانية وعربية، انتشرت في بغداد وفي غيرها من مراكز العلم.

لحنين ترجمات عديدة ومؤلفات في شتّى الميادين: الطب والصيدلة، الفلسفة، الدين، الأدب، اللغة، الفلك، علم الحيوان. ويحوي نشاطه الفكري

ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، 1955.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب صالحاني، بيروت، 1890.

ابن النديم: كتاب الفهرست، تحقيق غوستاف فلوغل، ليبزك، 1871.

القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق يوليوس ليّبرت، ليبزك، 1903.

حنين بن إسحاق: رسالة إلى علي بن يحيى المنجم، تحقيق غ. برغشتراسر، ليبزك، 1925.

(1) ابن أبي أصيبعة، ص 187 ـ 197؛ القفطي، ص 176.

(2) ابن جلجل، ص 69؛ القفطي، ص 172.

150 عنواناً، كما جاء في كتب المؤرخين[1]. وله أيضاً ثمانية كتب في مواضيع فلسفية وحوالي خمسين مصنفاً في مسائل طبية، خاصة في طب وأمراض العين، ونقل إلى العربية والسريانية معظم كتب جالينوس، وإن لم نقل كلها، وعدداً كبيراً من مؤلفات أبقراط وأرسطو وأفلاطون[2].

٢ ــ فكره الفلسفي والديني:

نعتمد في دراستنا لهذه الناحية من فكر حنين على مقالين وصلانا منه، هما: في كيفية إدراك حقيقة الديانة، و«الضوء وحقيقته». نقدم أولاً هذين المقالين بصورة مختصرة ليتسنى لنا، فيما بعد، دراسة فكر حنين الديني والفلسفي، تاركين جانباً المؤلفات التي فقدت أو التي لم تنشر بعد بالطبع.

أ ـ في كيفية إدراك حقيقة الديانة:

للمقال طابع فلسفي وديني معاً[3] يعطي حنين الأولوية للنقد العقلاني،

---

(1) ابن أبي أصيبعة، ص 100، 197 ـ 200؛ ابن النديم، ص 246، 248، 249 ـ 251، 255، 268، 288، 295؛ القفطي، ص 17، 35، 36، 38، 40 ـ 42، 74، 94، 95، 99، 129 ـ 132، 171، 173 ـ 174، 262؛ ابن جلجل، ص 62، 69. ومن الكتّاب المعاصرين، عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد العلوجي: آثار حنين بن إسحاق، من مطبوعات مجمع اللغة السريانية في العراق، بغداد، 1974؛ الدكتور يوسف حبي: آثار حنين، بغداد، 1973؛

1943 - 1937, BROCKELMANN: Geschichte der Arabisichen Litteratur, Leiden, C 1922, BAUMSTARK: Geschichte der Syrischen Litteratur, Bonn, A DE LACY O'LEARY: HOw Greek Science passed to the Arabs, London 1949: G. GRAF: Geschichte der Christlischen Arabischen Litteratur, Vatican, 1949 - 1953.

(2) انظر أيضاً الفهارس في كتاب آثار حنين بن إسحاق، ص 205 ـ 213، 217، 240، مع ما يقابلها في نص الكتاب من شروح ومعلومات قيّمة عن محتوى كل مقال أو ترجمة لحنين، المطبوع منها والمخطوط وما قد ضاع أو وصل منها إلينا.

(3) طبع الأب لويس شيخو نص المقال مع ترجمة فرنسية في مجموعة دار نشر ألمانية تسمى: «Orientalische Studien Theodore Noeldeke Zum Siebsysten Geburstag»، تحت عنوان: Un traité inédit de Honein, المجلد 1، 1906، ص 284 ـ 290.

هادفاً إلى تبيان الأسباب التي منها تُقبل حقيقة الديانة المسيحية. والمقال عبارة عن جواب على رسالة «البرهان» وجّهها إليه رجل مسلم، هو علي بن يحيى المنجّم، يدعوه فيها إلى اعتناق الدين الإسلامي. فيجيب حنين بفطنة ودراية شارحاً أسباب قبول الحق أو الضلال. أسلوبه بسيط ومنسق، له طابع عقلاني ودفاعي. والتطور المنطقي يظهر في طريقة التحليل والاستنتاج.

فيشرح لسائله كيف أنه لا يكفي للإنسان أن يبرهن حقيقة معتقده بحُجَج مشتركة بين أصحاب جميع الأديان. ثم يسرد الأسباب التي منها يقبل الحق أو الباطل. فأسباب قبول الباطل ستة: قبوله عن مضض، أو رغبة في الهرب من الضيق والشدّة، أو تفضيل العزّ على الذلّ والضِّعة، أو نتيجة إغراء، أو عن جهل، أو بدافع غيرة النسب والقرابة. أما أسباب قبول الحق فأربعة: المعجزات، الأدلّة عن حقيقة المعتقد، البرهان المقنع، والاستدلال المنطقي الذي ينطلق من المبادىء الأولى المقبول بها. فعن قناعته الإيمانية يقول: «إنما جعلت (عبادتي) عن الأسباب التي منها يُقبل الحق»، شارحاً ذلك ببراهين منطقية وعقلانية وسارداً أسباب قبوله الإيمان المسيحي، الذي لم يُقبل بقهر سلطان، بل بقناعة وثبات، ولا عن رغبة في طيب العيش وفي العزّ بل محبة في تحمل الضيق والذلّ، ولا بإقناع واعظ محتال أو عن جهل، بل عن إدراك ودراية ومن سماع بشرى نادى بها أصحاب عيّ وصيّادو سمك، ولا بدافع صلة القرابة بل بقبول الابتعاد عن الأهل والأصدقاء. ثم يضيف سبباً آخر ليبين حقيقة ديانته، ألا وهو المعجزات والآيات، ويفهم مخاطبه أنه يخرج لو أراد تطبيق ذلك على دينه أو على دين غيره.

ب ـ في الضوء وحقيقته:

هدف المقال البرهنة على أن الضوء ليس بجسم. المصدر الرئيسي للمؤلف هو أرسطو. وخاصة ثلاثة من كتاباته: «في النفس». و«في السماء»، «في الحس والمحسوس». ويظهر أن لحنين معرفة واسعة لأرسطو وغيره من الفلاسفة اليونان، ووضوح العرض مع قوة الاستدلال، يقدّم فيه ثلاثة عشر

برهاناً على أن الضوء ليس بجسم. أسلوبه فصيح ومقتضب، طريقة التعبير والتركيب تبيّن لنا أن حنيناً كتب مقاله هذا بالسريانية، ثم نقله إلى العربية. في الجيل العاشر، القيّم هلال بن هيثم الصابئي (965 ـ 1039)[1]. ولقد نشر الأب لويس شيخو الترجمة العربية[2]، ثم عاد فنشرها مع ترجمة فرنسية[3]. وهناك أيضاً ترجمة ألمانية للمقال[4].

لا يتبنّى حنين خطاً فلسفياً معيّناً ففكره الفلسفي يظهر من خلال نشاطه والتزامه المتواصلين في نقل الثقافة اليونانية إلى العالم السرياني والعربي. وفكره هذا يُستخلص من شروحاته لمؤلفات أرسطو وجالينوس وغيرهما، ومن حواشي بعض الترجمات التي حققها، وخاصة من المقالين المذكورين.

لم يصلنا من تراثه الثقافي سوى ربعه من طب وفلسفة ودين وترجمات. وهو في معظم مؤلفاته يتّبع طريقة واحدة، ونبدي هنا ملاحظتين، توصلنا إليهما من خلال تحليلنا لطريقته في البحث والتأليف:

أولاً ـ طريقة البحث مبنية على قواعد منطقية. فإنه، في مطلع كل كتاب، يعرض أولاً المشكلة التي يريد درسها وحلّها، ثم يضع مخططاً لبحثه، بعد ذلك يدرس موضوع البحث بالتفاصيل، دون أن يتطرّق عادة إلى مواضيع جانبية لا صلة مباشرة لها بالموضوع الرئيسي. أما الاستنتاجات فتظهر تدريجياً من خلال البحث؛ لذلك فإن قسماً كبيراً من مؤلفاته هو على طريقة السؤال والجواب.

ثانياً ـ اهتمامه الأول هو إعطاء البراهين العقلانية الأكيدة لنظرياته واقتراحاته، وهو غالباً ما ينطلق من فكرة لأرسطو أو لغيره من الفلاسفة اليونان. ونلاحظ أيضاً، في مؤلفاته وبحوثه، أن سياق الأفكار التدريجي ينتهي

---

(1) ابن النديم، ص 244، 267؛ ابن العبري، ص 195؛ حنين: في الضوء وحقيقته، ص 8 - 11.

(2) راجع المشرق، 1889، ص 1105 ـ 1113.

(3) Actes du XIe congres internant, des Orientalistes, Sect. III, 1899, Paris, pp.142 - 125.

(4) PRUFER et MAYERHOF, dans Istina, II, 1911, pp.117 - 128.

إلى خلاصة منطقية، وأن النقد العلمي هو بمثابة الشريان الذي يصل الأجزاء بالكل، لذلك لا خلل ولا بتر في بنية الأفكار. فإن استدلاله ينطلق من المبادىء الأولى، وبرهانه مبني على التعليلات المنطقية، واستنتاجه يتأتى من العقل ذاته وغالباً ما يثير فضولية القارىء وحبه للاستطلاع. خلاصة القول: عند حنين، العقل البشري يسأل، ثم يحلّل، ثم يجيب.

أمّا أهم المبادىء الفلسفية والدينية فتلخّص في ثلاث نقاط[1].

١ ـ مفهوم الحقيقة:

الإنسان ميّال إلى معرفة الحق وتمييزه من الضلال. هذا مما يحدده على مقارنة المجردة بواقع الأشياء، بغية التأكد من أن بينهما تكاملاً لا تضاد. كل هذه الأفكار هي موضوع بحثه: «في كيفية إدراك حقيقة الديانة».

إن هدف كاتبنا هنا هو البرهنة على صدق معتقده، فيقول في الأسطر الأولى: «من أين يعلم الإنسان أن ما يعتقده هو الحق؟»[2]. هناك إذن أمران يتساءل عنهما حنين، هما: مدى مطابقة المعتقد الشخصي للحق وموافقة معرفة الإنسان لإيمانه. لا يكفي أن يقول الإنسان بصدق معتقده لأنه أتاه من آبائه أو من كتاب أو من نبي، لأن جميع أصحاب الأديان يؤكدون مسبقاً حقيقة دينهم وباطل غيرهم[3]. أما هو فيتبع طريقة المقارنة للبرهنة على صدق ما يعتقد به،

(1) لم نجد في مؤلفات حنين أخرى ما يخص مباشرة النقاط الثلاث من الفكرة التي ندرسها في بحثنا هذا، بل إشارات طفيفة فقط. وإننا نأخذ بعين الاعتبار ما اكتسبناه، من خلال قراءتنا عن حنين، من معلومات عن فكره الفلسفي والديني. عدا المقالين المذكورين، هناك كتابات مخطوطة لحنين تشير إلى نشاطه الفكري، وهي: نوادر الفلاسفة والحكماء، وآداب المعلمين والقدماء، مخطوط ميونخ، رقم 65، 5؛ مخطوط اسكوريال، رقم 756؛ مخطوط جامعة طهران، رقم 2165؛ اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة، مخطوط ميونخ، رقم 651، 2؛ مخطوط المتحف البريطاني، رقم 8681 شرقي؛ للمزيد من المعلومات انظر آثار حنين بن إسحاق، ص 50، 203 ـ 204؛ المشرق، 1899، ص 1012.

(2) حنين: في كيفية إدراك حقيقة الديانة، ص 284.

(3) حنين، المرجع السابق، ص 284.

شأنه شأن العديد من الكتّاب المسيحيين الذين سبقوه والذين جاؤوا بعده[1]، ويجيب أولئك في المقطع التالي من مقالة: «فنقول لمن قال هذا القول إن الحق والباطل من جميع الأقاويل إنما يُعلم من الأسباب التي عنها قبولها منذ أول أمرها، والأسباب التي منها يُقبل الكذب غير الأسباب التي يُقبل منها الحق»[2].

لا بد إذن من المقارنة والتمييز بين الكذب والحق. ولكي يتوصل الإنسان إلى ذلك، عليه أن يدرس الأسباب ذاتها إذا كانت مطابقة لمعلولها أم لا. فإن هكذا يعلّم أيضاً أرسطو وشارحوه بأن مفهوم الحقيقة مبنيّ على الكامل الحاصل بين المعرفة البشرية والواقع الوجودي، بين العاقل والمعقول[3]. وبهذا الصدد يقول القديس توما الاكويني: «يُحدد الحق بمطابقة العقل والشيء. إذن، معرفة هذه المطابقة هي معرفة الحقيقة»[4].

وكما أن الحق يُعرف من أسبابه، كذلك الباطل يُعرف من الأسباب التي

---

(1) من هؤلاء الكتّاب نذكر: طيماتاوس الأول بطريرك كنيسة المشرق المسماة النسطورية، الذي كتب حوالى 200 رسالة وصلتنا منها 59 رسالة فقط عن مواضيع لاهوتية وفلسفية وقانونية ورعائية. انظر: HANNA P.J. CHEIKHO: Dialectique du langage sur Dieu. Letter de Timothée I (728 - 823) a Serge, étude, traduction et édition critique, Rome 1983; R. BIDAWID: Les letters du patriarche nestorien Timothée I, dans Studi e Testi, n 125 - 91, 187, Vatican, 1956, pp.1 - 47 et:

هناك كتّاب آخرون اتّبعوا طريقة البرهنة بالمقارنة، هم: عبد يشوع بن بهريز؛ راجع عنه: GRAF: Geschichte der Christlischen Arabischen Litteratur, dans Studi e Testi N 133, Vatican, 1949, pp.119;

تيودورس بركوني من القرنين الثامن والتاسع؛ راجع: BARKoni: Leber sxoliorum, dans. T 188 - 187/26 C.S.C.O, Scriptores Syri, t. 19 et SAMIR: Elie de Nisibe, dans Islamo-creistiana, 5(1979) pp. K إيليا النصيبيني؛ .40 - 117

(2) حنين، المرجع السابق، ص 285.

(3) انظر أرسطو: في النفس؛ في الحس والمحسوس؛ ومن شرح هذين الكتابين.

(4) مار توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، الجزء الأول، المسألة المقال 2.

توجده غير أن هناك فرقاً بينهما: «إن الحق هو الذي يقبل من تلقاء نفسه وإن الباطل يحتاج إلى أسباب يثبت بها عند قابله»[1]. إن هذه الأسباب تنطلق من مبادىء مغلوطة، فليس للعقل حينئذٍ حرية الحكم والاختيار، وخاصة عندما تلعب الظروف القاسية دورها في تحديد الحرية الشخصية: «فأسباب قبول الكذب ستة: أولها أن يضطر لقابل أن يقبل ما يُحمل عليه من غير إرادة منه. والثاني أن يقرّه الإنسان من الضيق والشدّة بإرادته إذ لم يقدر على احتمالها فينتقل منها إلى ما يرجو منه السهولة والسعة. والثالث أن يؤثر العزّ على الذلّ والشرف على الضِّعة والقوة على الضعف فيدع دينه وينتقل لغيره. والرابع أن يكون صاحب القول رجلاً خبيثاً محتالاً في الكلام فيموّه ويطغى من يدعوه. والخامس أن يستعين بجهل من يدعوهم وقلّة آدابهم. والسادس أن يكون بين المدعوين غيرة لسبب طبيعي فلا يجب قطع ذلك النسب فيما بينه وبين مُوافقه في الدين»[2].

نستنتج من هذه الأقوال أن لا أحد يقبل الباطل بملء حريته، لأن العقل البشري ميّال إلى استقصاء الأمور لمعرفة صوابها وحقيقة واقعها. فعندما لا يتسنّى للإنسان إلمامه لمطابقة حكمه للأشياء، فلا يقدر أن يقول ما الحق وما الضلال، وعندما يكون ملزماً بقبول الباطل يرضخ وضيعاً. وليس الأمر كذلك فيما يخص قبول الحق: «وأما الأسباب التي بها يُقبل الحق فهي أربعة: الأول أن يرى القابل آيات تعجز عنها طاقة الإنسان. والثاني أن يكون ظاهر ما يدعو إليه الداعي دليلاً شاهداً على حقيقة ما هو خفي عنه. والثالث البرهان المضطر إلى قبوله. والرابع أن يكون آخر الأمر موافقاً لأوانه»[3].

للعقل إذن دور أساسي في الحكم على أن ما يسمعه الإنسان من حق أو

(1) حنين، المرجع السابق، ص 286.
(2) حنين، المرجع السابق، ص 285.
(3) حنين، المرجع السابق، ص 285.

باطل. فيحكم أولاً على صحة الأسباب والبراهين التي تُعرض له، ثم يستدل ويستنتج، مقارناً ذلك بالواقع، فيدرك الحقيقة ويقبلها.

وخلاصة القول: إن مفهوم الحقيقة عند حنين هو الحق ذاته، أي مطابقة ما يصدّقه ويقبله العقل لصحة الأمور الواقعية، كما هو الحال فيما يخصّ الديانة المسيحية.

٢ ـ بين العقل والإيمان:

لا نغالي إذا قلنا إن هدف حنين من مقاله «في كيفية إدراك حقيقة الديانة» هو عرض فكرته في الموضوع. ولا شك في أن هدفه الآخر هو الإجابة على اعتراضات ابن المنجّم ضد الإيمان المسيحي. أيٌّ من الهدفين أساسي وأيّهما ضمني؟ مهما يكن في الأمر، فإن طريقة كاتبنا في العرض واستنتاجه تجعلنا نظن أن غايته ليست فقط دفاعية بل «بناء قناعته المسيحية على أسس عقلانية قوية»[1]. لنسمع أيضاً ما يقول هو نفسه في هذا الصدد: «فأمّا أنا فأدع ذكر سائر العبادات وأبيّن في عبادتي أنها إنما قُبلتْ عن الأسباب التي منها يُقبل الحق إما من جميعها وما من بعضها»[2].

إذن، قبول الحق هو الأمر الذي يجعل مترجمنا يتبنّى الديانة المسيحية، والعقل هو المنطلق الأول للبرهنة على صحّة إيمانه. ورغم كل شدة وضيق، هناك أسباب قوية ومقنعة تجعله يتمسّك بالديانة المسيحية: «لننظر في كل واحد من الأسباب: الأول فإنها لم تُقبل بعزّ ملك ولا بقهرِ سلطان لكنّ ناصبتم جميع ملوك الأرض وسلاطينها ومنعوا منها جميع الناس بسائر الأنواع من العذاب والقتل المستشنع وأجْلوهم عن الأرض فَغَلَبَتْ جميع أولئك وثبتتْ. وأما الثانية فإنها لم تدعُ إلى الخروج من الأمر الضيّق الصعب إلى الأمر الواسع السهل ولكنها دعتْ من جميع الأمور التي أسهلْ وأوسعْ إلى

---

(1) NWYLA: Actualité du concept de religion chez Hunayn I. Ishaq, pp. 314.

(2) حنين، المرجع السابق، ص 286؛ راجع أيضاً الترجمة الفرنسية للأب نويا المذكور في الرقم السابق.

الأمر الذي هو أضيق وأصعب فقُبلت أحسن قبول. وأما الثالثة فإنها لم تدعْ من الضعة إلى الرفعة ومن الذلّ إلى العزّ لكنها دعتْ من العزّ إلى الذلّ فقُبلتْ حتى كان من يقبلها يجب أن يموت على أن يحيا بسببها. وأما الرابعة فإنها لم تؤخذ من قومٍ معهم خبث وصدق بالكلام لكنها اتّخذتْ عن جهّال وأصحاب عيّ وصيادي سمك هم أبكم وأشدّ عيّاً من السمك مثلاً. وأما الخامسة فإنهم لم يكونوا قابلوها لا جهّال ولا أعياء ولا عوام ولا همج لكنهم كانوا أصحاب المنطق والفلسفة أكثر من العلم كله وأصحاب تمييز وبحث ومن فاق في الحكمة سائر الناس. وأما السادسة فإنه لم يكن من يقبلها يتصل بأحباء وأصدقاء بقبوله، لكنه كان يُفارق بها إذا قَبِلَها جميع من بينهم وبينه نسب أي نسب كان بالقرابة بالمودة. فإن أحببتَ أن تزدْ خلة سابعة فإنه ضروري لما كان الحواريّون أذاعوه من أمر، هذا الذي في ظاهره لم يكن شيء أضعف منه، وليس ينبغي لأحد أصلاً يقول قائلاً إنه (إذا) كانت هذه الأمور كلها على هذا المثال ثم كان قبول ما نحن عليه سوى الآيات والمعجزات. فلا يمكن إلّا من مناصب تقدّم بخبرته»[1].

هنا تتضح الروح العقلانية في حكمه على الأمور. وهذا ما يجعله يؤكد صوابية إيمانه، مستنداً إلى أدلّة مقنعة، هي: قبول الحقيقة بملء الإرادة وليس طمعاً بالعزّ والعيش الرغيد أو بدعوة محتال أو عن جهل، زِد على ذلك الآيات والمعجزات. هذه هي صفات الديانة الحقيقية التي يراها متجسدة في المعتقد المسيحي، وهذا ما يدفعه إلى اعتناقه. إن معرفة الحق من أسبابه هي تلك المعرفة التي لا تحتاج إلى أدلة، لأنها تطابق الواقع، فإن العلة أساس الواقع الوجودي. يقول أرسطو[2] ومار توما الأكويني[3] لذلك يقارن حنين الدين الحق مع أسبابه والعلل مع معلولاتها، فيصل إلى معرفة مفهوم الحق الذي هو أساس الإيمان؛ وفي كل ذلك للعقل دور كبير. إن حنيناً «يستعمل

(1) حنين، المرجع السابق، 286 ـ 287.

(2) أرسطو: التحليلات الأولى؛ كتاب ما وراء الطبيعة.

(3) مار توما الأكويني: ما وراء الطبيعة، الجزء 6، المقال 1.

فقط لغة العقل، ذلك العقل الذي يأبى إلّا البحث عن علله في المبادىء الأولى المقبولة من الكل، تلك المبادىء التي علّمنا أرسطو كيفية فهمها»[1].

نستنتج مما سبق أنه أراد شرح العلاقة المتبادلة بين العقل والإيمان. فالعقل هو في منطلق إدراك حقيقة الديانة لأنه يصل بالإنسان إلى معرفة الحق، والحق مقبول من نفسه لأنه يغلب الباطل بقوة وجوده وحقيقة واقعه.

٣ ـ نظرية الضوء:

يبني حنين نظريته في ماهية طبيعة الضوء على أقوال أرسطو، كما يظهر في الحُجج الثلاث عشرة من مقاله «في الضوء وحقيقته». إلا أنه يأتي بتفاصيل وأمثلة لا نراها عند الفيلسوف اليوناني، بحيث إن مقالته هذه تكتسب طابعاً خاصاً. زد على ذلك أن أرسطو لم يكتب مقالاً خاصاً عن الضوء.

اهتمام حنين الأول هو إعطاء البراهين القوية لدعم نظريته القائلة إن طبيعة الضوء غير مادية، كما سبق أرسطو وشرح في كتابه «في النفس» أن الضوء ليس جسماً[2]. فإذا كان الضوء جسماً وتحتّم وجوده مع الجسم المضاء، تحتّم أيضاً وجود جسمين في مكان واحد وهذا مستحيل، لأن لكل جسم طبيعي مكاناً خاصاً به، أما الضوء فليس له مكان يطلبه. لماذا؟ يُجيب على ذلك في البرهان العاشر حيث يقول: «واحتجّ فقال إنّ المكان له قوة أثرها بيّن في الأشياء الطبيعية ولذلك يوجد لكل جسم مكان خاص به يطلبه بطبيعته. فالمكان أحد الأسباب المتقدمة في معرفة طبيعة الشيء. وإذا كانت الأجسام المستقيمة الحركة، والتي حركتها على الاستدارة، لها أمكنة طبيعية؛ وكان العلو مكان النار والهواء، والوسط مكان الأجسام التي يغلب على تركيبها الأرض أو الماء، والموضع المحيط بالوسط[3] للأجرام المستديرة

---

(1) NWYIA, op. cit. pp.316.

(2) أرسطو: كتاب النفس، الجزء 2، المقال 7، الرقم 418.

(3) تعني العبارة «الموضع المحيط بالوسط» المساحة الدائرية التي تحيط نقطة الوسط المركزية. راجع أرسطو: كتاب السماء الجزء 1، المقال 2.

الحركة؛ وكانت هذه الأمكنة الثلاثة هي الأمكنة الطبيعية؛ وكان محال أن يوجد جسم ليس له مكان طبيعي خاص به. وذلك أنه لمّا لم يكن جسم إلّا وله حركة طبيعية خاصة به وجب أن يكون له مكان طبيعي خاصّ به. فيجب من هذه المقدمات أن يكون الضياء ليس بجسم. وذلك أنه ليس شيء من هذه الأمكنة، أعني العلوّ والوسط وما أحاط بالوسط، أخص بالضياء من غيره؛ لأنه لا يوجد فيها كلها، ولا يطلب منها شيئاً إذا فارقه»[1].

يتضح مما سبق أن حركة الضوء تخالف حركة جسم مادي، بسيطاً كان أم مركباً، لأن حركة هذه الأجسام تكون باتجاه واحد، أما حركة الضياء ففي كل الاتجاهات[2]. في البرهان الأول من مقاله يفيد أن الضوء لا يتحرك في زمان مثل أي جسم طبيعي، بل يضيء الأفق كله معاً عند طلوع الشمس، دون أن يتجزأ مع الأشياء الفردية[3]، وينير الهواء إذا خالطه[4]. ولا يتداخل الضوء مع جسم كالحجرة[5]، ولا يفسد إلى طبيعة أخرى كالماء الذي يصير بخاراً[6]، ولا يزول بزوال النار[7].

ويأتي بخمسة أدلّة أخرى ليبرهن أن الضوء، الذي ليس بجسم، هو عرض. ففي البرهان الثالث يقول إن ضوء الشمس ليس له مكان خاص به، لأنه عندما يُنير الهواء يسلك فيه ويوجد معه، أي إنه محمول فيه «والمحمول

---

(1) حنين بن إسحاق، المرجع السابق، ص 8 ـ 11.

(2) البرهان الأول من المقال المذكور، ص 1108.

(3) البرهان الرابع، ص 1109.

(4) البرهان الثاني عشر، ص 1111.

(5) البرهان السابع، ص 1110.

(6) يشرح حنين في البرهان السادس، ص 1110، كيف أن ضوء النار لا يُحرق ولا يُلهب الأجسام إذا وقع عليها ولا يفسده ضدّ النار كالماء ولا يبقى بعد زوال النار. راجع أيضاً أرسطو: كتاب طوبيقا، الجزء 6، المقال 3، مار توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، الجزء الأول، المسألة 67، المقال 2.

(7) حنين، المرجع السابق، ص 1109.

في الجسم عرض فالضياء عرض»[1] كما أن الصقالة أيضاً ضرب من الضياء وهي عرض[2]. من ناحية أخرى، نعلم أن الشيء من ضده يُعرف. فالظلمة هي عدم النور[3]، والبياض يمحو هذا النقص أو الانعدام عندما يجعل الجسم الأسود مرئياً[4]. وبما أن «الوجود والعدم، يقول حنين، والأسباب المتضادّة هي من النعوت التي يقابل بعضها بعضاً... والجوهر لا مقابل له، فما كان ذا مقابل فليس بجوهر، والضياء مقابل للظلمة، فهو عرض»[5]. ويأتي برهانه التاسع دعماً واستنتاجاً لما سبق، «إن الضياء كيفية وذلك أنه يقبل الأشدّ والأضعف وهذا من خواص الكيفية. وبيان ذلك أننا نقل هذا الجسم ضعف ضياء من جسم آخر مضيء. (قال) وكذلك نجد لضياء يقبل لشبه وغير الشبه وهذه هي الخاصة والعامة لجميع أنواع الكيفية.. وذلك أنه يُقال ضوء النار غير مشبه لضوء الشمس، وضوء هذا الكوكب مشبه لضوء ذاك الكوكب، فالضياء إذن كيفية، والكيفية عرض»[6].

تظهر هذه الكيفية في الأجسام حسب تأثيرها فيها[7]. يقول أرسطو إن الضوء يحرّك الوسط الذي بين الرؤيا والشيء المنظور، ويجعله ملوّناً. لذلك فإن اللون متعلّق بالضوء من حيث وجوده وكونه منظوراً ومن حيث تأثيره في الهواء[8]؛ والاثنان متممان وإن كانا متمّمين للهواء إلا أن الهواء إنما يقبل اللون بتوسط الضياء إذا كان فيه الذي يجعله أولاً مضيئاً، فإذا صار مضيئاً قبل حينئذٍ الألوان. ولولا توسّط الضياء وتتميمه للهواء لم يقبل لألوان الأشياء»[9].

---

(1) البرهان الثالث عشر، ص 1111.
(2) أرسطو: كتاب الألوان، الفصل 1.
(3) أرسطو: كتاب النفس، الجزء 2، المقال 7، الرقم 418.
(4) البرهان الحادي عشر، ص 1111.
(5) البرهان التاسع، ص 1110.
(6) البرهان الثامن، ص 1110.
(7) أرسطو: كتاب الألوان، الفصل 7؛ في الحس والمحسوس، الفصل 2 ـ 3؛ كتاب النفس الجزء 2، المقال 7، الرقم 418.
(8) حنين، المرجع السابق، ص 1112.
(9) حنين، المرجع السابق، 1111.

للضياء إذن أثر في اللون، ولكليهما أثر في الهواء الذي يتغير بفعل هذا الأثر ويصبح قابلاً للألوان ومنظوراً: «الانفعال نوعان، أحدهما مفسد والآخر متمّم... وأما المتمّم فمثل انفعال الهواء من الضياء. فإن الضياء يصيّره مضيئاً من غير أن يفسد بتغير ذاته بل يصير الهواء بالضياء تاماً»[1]. إن طبيعة الهواء لا تتغير بل تكتسب كيفية تجعلها تبدو للنظر تامة. هناك انتقال من القوّة إلى الفعل، ومن الظلمة إلى الضياء. ويدعو أرسطو هذا الانفعال طبيعة الجسم الوسط بين النظر والمنظور[2]، ويدعوه حنين أثراً في الجسم الصافي أي الهواء المنظور[3]. نرى أن الفيلسوفين يتبنّيان خطأً فكرياً متكاملاً وأن حنيناً إذا كان يستقي من نظرية أرسطو في الضوء، فهو يكمّلها بشروح وتوضيحات خاصة. وهكذا يتوصّل في آخر مقاله إلى إعطاء التعريف التالي للضياء: «إنه أثر في الجسم الصافي به يتمّ ويكون قابلاً للّون»[4].

٣ ـ دوره كمترجم في تاريخ الفكر:

تظهر أهمية الدور الذي لعبه حنين في تاريخ الفكر السرياني والعربي، في نواحٍ خمس ندرس كلًّا منها على حدة، وهي:

أ ـ الترجمات التي حققها:

أهمها ما هو في حقل الفلسفة والطب، وهي تشمل كتابات جالينوس

---

(1) أرسطو: في الحس والمحسوس، الفصل 1، كتاب الألوان، الفصل 1. يشرح أرسطو كيف أن هذه الطبيعة في الهواء الوسط تظهر باختفاء الظلمة التي كانت سابقاً، فهي انعدام الظلمة ووجود الضياء الملوّن.

(2) حنين، المرجع السابق، ص 1112.

(3) حنين، المرجع السابق، ص 1113.

(4) حنين: رسالة إلى علي بن يحيى المنجم، تحقيق:

G > BERGSTRASSER: Hunayn Ibn Ishaq Uber die Syrichen und Arabischen Galen-Ubersetzungen, dans Abhandlungen für 1925 die Kinde des Morgenlandes. XVII, Band 2, Leipzig.

وأرسطو وشارحيه وأفلاطون وغيرهم من المفكرين اليونان. فقد ترجم لأرسطو: كتاب المقولات (قاطيغورياس)؛ كتاب العبارة في المنطق (باري إيرميناس)؛ التحليلات الأولى؛ التحليلات الثانية؛ في النفس؛ في الطبيعة؛ في الكون وفي الفساد؛ وكتابين منسوبين إلى الفيلسوف اليوناني هما: كتاب أمثال وحكم، وكتاب الفراسة. ومن شروح أرسطو ترجم رسالة اسكندر الأفروديسي في مبادىء الكل حسب رأي أرسطو الفيلسوف؛ وأخرى في الزمن؛ وثالثة في الفرق بين المادة والنوع وشرحه لكتاب الطبيعة لأرسطو، ومقال لأولمبيودوروس عن الفلك حسب أرسطو، وشرح فرفوريوس لكتاب الأخلاق لأرسطو. أما أفلاطون فترجم له كتاب الجمهورية؛ شرائع البلدان؛ وطيماوس. كما ترجم لجالينوس ما يقول أفلاطون في طيماوس؛ المحرك الأول لا يتحرك؛ ومعرفة الهفوات الشخصية. وله أيضاً ترجمات أخرى لمؤلفين مختلفين: مقدمة الإيزاغوغي لفرفوريوس المجسطي لبطليموس وكتاب تعبير الرؤيا لأرطاميدروس. ولم يصل إلينا إلّا القليل من كل هذه الترجمات.

أما ترجماته الطبية فتشمل معظم مؤلفات جالينوس وأبقراط. وهي تقارب المائة. كما كتب عن ذلك هو نفسه في رسالة يسرد فيها ما تُرجم[1]. وفي كتاب آثار حنين بن إسحاق، تتوفر المعلومات الكافية عن هذه الترجمات[2].

ب ـ طريقته في الترجمة:

يتبنى حنين طريقة عملية في ترجماته توافق المتطلبات المعاصرة. فإنه بعد أن يحقق النص اليوناني يترجمه، ثم يراجع الترجمة. فقد اعتاد أن يقابل أقلّه ثلاثة مخطوطات يونانية للنص الواحد بغية تحقيقه وترجمته. فكانت نقطة

---

(1) آثار حنين بن إسحاق، ص 205 ـ 213 مع ما يقابلها من شروح في متن الكتاب.
(2) ابن أبي أُصيبعة، ص 187، حنين: الرسالة...، رقم 3، 74، 84، 115.

الانطلاق، إذن، الحصول على المخطوطات. وفي حال عثوره على مخطوط واحد لنصٍّ ما، كان يؤجل ترجمته إلى وقت لاحق[1].

بعد تحقيق النص، تأتي الترجمة. ويشترط في كل مترجم أن يكون على ذات مستوى المؤلف، اللغوي والفكري. أما عن المستوى اللغوي، فإن حنيناً، كما يقول عنه ابن النديم: «فصيح بالعربية والسريانية واليونانية»[2]، وكما يظهر من إنشائه وتعابيره. لا بد أن نذكر أن له مؤلفات في اللغة منها: أول قاموس سرياني، يذكره غالباً ابن بهلول[3]. أما عن مستواه الفكري، فإنه كانت له معرفة جيدة بالكتبة اليونان، وخاصة جالينوس وأرسطو، بحيث إنه يحكم على صحة ما أتى في بعض مؤلفاتهم ويشرح غيرها[4].

ولم يكن يسلّم ما ترجمه إلى النشر أو إلى طالبه إلّا بعد إعادة النظر فيه ثانية. ويحدث أنه غالباً ما يعيد جزءاً من الترجمة التي حققها أحد تلاميذه، إذا اقتضت الحاجة. وإبان مراجعته لترجماته يجري عليها التصليحات اللازمة مقارناً إياها من جديد بالنص الأصلي. ولا تختلف هذه الطريقة عمّا يتّبعه المترجمون المعاصرون، ولا تقلّ عنها من حيث المستوى العلمي.

ج ـ مدرسة حنين بن إسحاق:

تأسس «بيت الحكمة» في عهد المأمون، وكان في بداية الأمر مركزاً يخلو إليه العلماء للقراءة والجدل. ومنذ أن عهد المأمون بإدارته إلى حنين أصبح مركزاً للنقل والترجمة، وعرف أيضاً «بمدرسة حنين». وإلى جانب النقل كان حنين يُعلّم

---

(1) ابن النديم، ص 424: ابن أبي أُصيبعة، ص 142؛ القفطي، ص 173؛ ابن جلجل، ص 68؛ ابن خلكان، ص 455.

(2) ابن بهلول: القاموس السرياني، الجزء 1، ص 2؛ 7، 8، 11 من المقدمة.

(3) حنين: الرسالة. . .، الرقم 1، 4، 6، 7، 21، 53، 115، 124؛ ابن القفطي، ص 175، حيث يشهد لتقدم حنين في العلم والإنتاج كما يُبان من ترجماته وشروحه، وينعته بمنبع العلوم ومنجم الفضائل.

(4) ابن النديم، ص 304؛ ابن أبي أُصيبعة، ص 147.

تلاميذه اللغات والطب وعلوماً أخرى، يساعده في ذلك أساتذة عصره. وامتلكت المدرسة أيضاً مكتبة غنية بشتى المصنفات العلمية[1]. غير أنها اشتهرت، فوق كل شيء، بنشاطها في مجال الترجمة. وكان حنين يدير هذه الحركة الثقافية، فيختار النصوص للنقل، ويوزّع العمل على مساعديه، كل حسب قابليته، ثم يراجع كل ما يُترجم ويُصلح ما يجب تصليحه، أو يترجمه من جديد[2]. هكذا كانت كل ترجمة تمرّ به قبل أن تأخذ طريقها إلى النشر أو إلى أصحابها.

وقد اتبع تلاميذه ومساعدوه طريقة معلمهم في الترجمة، فكانوا ينقلون من اليونانية إلى السريانية، أو من اليونانية إلى العربية، أو من السريانية إلى العربية، كل حسب تضلّعه من هذه اللغات. وغايتهم جميعاً أن يعطوا المعنى الكامل والصحيح للنص الأصلي. لذلك فضّل الخلفاء ومحبو العلم ترجمات مدرسة حنين على غيرها. أما المواضيع التي شملتها هذه المنقولات فهي عديدة: الفلسفة، الطب، الحساب، علم الفلك، علم الحيوان، علم الكون، وغيرها من علوم العصر. هكذا نرى أن هذه المدرسة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الفكر العربي والسرياني، خاصة في القرنين التاسع والعاشر. ويجدر بالذكر أن معظم الذين عملوا مع حنين في النقل كانوا من السريان والمسيحيين[3]. ومنهم ابنه إسحاق الذي كان الساعد الأيمن لوالده في المدرسة، وقد اتّبع طريقته في الترجمة، فأتت ترجماته علمية ونقدية بلغة عربية فصيحة وواضحة، وبتعبير صحيح وأمين للنص الأصلي؛ لذلك اعتُبِرَت ترجماته لمؤلفات أرسطو من أفضل الترجمات العربية[4]. ويعود الفضل في

---

(1) حنين: الرسالة...، عدد 3؛ BERGSTRASSER: Hunayn und Seine Schule, p.32.

(2) يقول ابن النديم، ص 304، إن عدد هؤلاء كان حوالى 100 من ناقل وخطاط.

(3) للمزيد من المعلومات عن إسحاق بن حنين ونشاطه في حقل الترجمة والتأليف، انظر: ابن النديم، ص 285، 298؛ القفطي، ص 80؛ ابن أبي أُصيبعة، ص 200 وما يليها؛ ابن خلكان، ص 117 ـ 119؛ ابن جلجل، ص 69.

(4) يقول حنين في الرسالة...، رقم 11، عن ترجمة سرجيوس لكتاب قاطغورياس حسب رأي أبقراط: «نقله دون أن يفهمه فأفسده». ويبدي عدم رضاه عن ترجمات أخرى لسرجيس الراسعيني انظر: الرسالة...، رقم 13، 17، 20.

اشتهار هذه المدرسة من حيث طريقتها وكثرة تلاميذها ومستواها العلمي إلى حنين بن إسحاق.

د ـ مراجعة ما نقله غيره من المترجمين:

لقد أصلح حنين العديد من ترجمات من سبقه وعاصره. وغالباً ما يُبدي نقده لما نقله غيره، مما يدلّ على أن مستواه العلمي واللغوي يفوق مستوى هؤلاء المترجمين جميعاً.

بدأ السريان بنقل الثقافة الهيلينية إلى لغتهم منذ النصف الثاني من القرن الرابع، وخاصة في مدرسة الرها. ومن أشهر مترجمي القرن السادس سرجيوس الراسعيني (+536) الذي حقق نقلاً لكتب أرسطو في المنطق، و26 كتاباً لجالينوس، و12 لأبقراط وغيره[1]. لقد راجع حنين معظم هذه الترجمات، وهو غالباً ما يعتبرها غير أمينة للنص الأصلي وغير واضحة من حيث التعبير والإنشاء[2].

اشتهر في العصر العباسي كثير من المترجمين الذين عاصروه. ويذكر المؤرخون أنه أصلح منقولات بعضهم، مثل يوحنا بن البطريق[3]، وموسى بن خالد[4]، وغيرهما. إن هدفه من كتابة رسالته إلى علي بن يحيى المنجّم هو معرفة ما تُرجم قبله وأصلحه هو أو أعاد ترجمته ومن هم المترجمون ومستوى كل منهم في النقل، وهذا ما أتى به إلى حيّز الواقع.

هـ ـ دوره في تاريخ الفكر العربي:

تذكر معظم كتب تاريخ الفلسفة العربية حنين بن إسحاق والدور الذي

---

(1) ابن النديم، ص 344.

(2) ابن النديم، ص 415؛ القفطي، ص 118؛ ابن أبي أُصيبعة، ص 160.

(3) حنين، رقم 11، 13، 43، 53، 63، 71، 74، 80، 89.

(4) BADAWI: La transmission de la philosophie grecque au monde Arabe, Paris, A 1968, p.18-20: Histoire de la philosophie en Islam. t. II. Paris 1977. p.395, 500-504; I. MADKOUR: L'Organon d'Aristote dans le monde Arabe. Paris. 1969. p.43.

لعبه في انتعاش الفكر الفلسفي عند العرب. ويمكننا القول إنه لولا احتكاك العرب بالفكر اليوناني لما كان عندهم فلسفة، ولما تقدموا في العلوم الأخرى. فإن حركة النقل هي التي مهّدت لهذا اللقاء، وكان دور حنين ومدرسته كبيراً في هذا المجال. فترجمات مدرسته هي نقطة الانطلاق للثقافة العربية، لأنها مهّدت الطريق للبحث العقلاني ولانبعاث الفلسفة والعلوم، كالطب والصيدلة والكيمياء والحساب وعلم اللغة والفلك. وقد اشتهر العرب في هذه العلوم كلها، لا سيما في الفلسفة مثل الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وغيرهم.

يظهر أن المعتزلة هم أول من عرف الفلسفة اليونانية المنقولة، فبدؤوا يعطون الأهمية للمنطق العقلاني وللبحث النقدي، سواء في تفكيرهم أم في جدالاتهم. وتبعهم في هذا الخط الأشعري وسائر الفرق في القرنين التاسع والعاشر. وهكذا نهج أيضاً الكندي، فيلسوف العرب، والفارابي، المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول، بهدف إعطاء فكرة جيدة عن الفلاسفة اليونان والفلسفة عامة. كل هؤلاء درسوا الترجمات التي حققها النقلة السريان، وأشهرهم حنين بن إسحاق؛ وهكذا لعب مترجمنا دوراً كبيراً في تاريخ الفكر العربي؛ فاستحق لقب شيخ المترجمين وفيلسوف عصره.

قسطا بن لوقا البعلبكي
٨١٧ ـ ٩١٢م[1]

الأمة تُعرف برجالها، الذي أثروا في نهضتها ونهضة الحضارة الإنسانية، فخُلدت وخلّدت ذكراهم، وشادت لهم ذكراً حسناً على مر الأيام، كيف لا وهم مفخرة لكل أمة، وعلامة بارزة في مسيرة نهضتها الحضارية التي أسهمت في بناء صرح الحضارة الإنسانية، ومن هؤلاء الرجال الذي تفتخر بهم الأمة العربية قسطا بن لوقا البعلبكي.

والحديث عن أي شخصية فيه صعوبات، ذلك لأنه يتطلّب من المتحدث أن يلمّ إلماماً كافياً بمآثر هذه الشخصية وإنجازاتها. وهذه الصعوبات تتضاعف عند الحديث عن قسطا بن لوقا، وسبب هذا التضاعف ينبع من:

ـ إن قسطا بن لوقا البعلبكي كان له دور بارز في عملية النهضة الحضارية للأمة العربية، بما قام به من دور بارز في عملية النهضة الحضارية للأمة العربية، بما قام به من دور مهم خلال عمله في بيت الحكمة البغدادي.

ـ كثرة الترجمات التي قام بها قسطا، ونُقوله فضلاً عن مؤلفاته الشاملية، الموسوعية، التي غطّت كل ميادين العلم والمعرفة في ذلك العصر.

ـ طول حياة قسطا، إذ عاش ما يقارب الـ (95) سنة، في وقت كانت فيه

---

(1) ستار عبد الحسن جبار الفتلاوي، مجلة بين النهرين، بغداد (2004) اعتمدناه كالعمود الفقري في بحثنا هذا، العدد 127 ـ 128 ص 239 ـ 257.

الحضارة العربية تمرّ بأزهى مظاهرها، واستطاعت أن تكون بحق الحضارة العالمية في ذلك الوقت.

نعم، لقد كان قسطا بن لوقا البعلبكي علماً من أعلام الأمة العربية، ونوراً وهّاجاً، ظلّ نوره يتوهّج، فاقتبس منه الصغير والكبير، وارتفع اسمه في سماء العلم والمعرفة حتى غدا نجماً لامعاً يشعّ على مدى الأجيال.

لذلك، سنتناول هذا العالم في هذه الدراسة، ونحن على يقين أننا لم نعطِ هذه الدراسة حقها، فعالم كقسطا لا يكفي أن نكتب عنه كتاباً، بل مجموعة كتب لدوره المهم، ولأثره البارز في تاريخ العرب.

تولُّدُهُ ونشأته:

هو أبو سعيد بن لوقا السوري من أهالي بعلبك، مسيحي سرياني. ولد في بعلبك عام (205 هـ/ 817م) وقد نشأ نشأة علمية فكرية. فقد نشأ محباً للعلم شغوفاً به، وخطا في العلم خطوات إلى أن أصبح طبيباً مرموقاً وعالماً كريماً. وفي هذا الخصوص يذكر الأستاذ أوليري: (قسطا بن لوقا السوري وهو من مواليد بعلبك، وقد درس في اليونان وأصبح مترجماً ممتازاً)[1].

وهناك من يرى أن أصله يوناني، ومن هؤلاء الأستاذ ماير هوف الذي يقول في ترجمته: (هو قسطا بن لوقا أحد المترجمين الكبار وكان ازدهاره حوالي سنة (900م) ويُقال عنه إنه نصراني يوناني من بعلبك سوريا)[2].

وفي الاتجاه نفسه ذهب ابن أبي أُصيبعة، فقال: (كان قسطا جيد

---

(1) Oleary, De Lacy. Arabic thought and its place in History. London 1958 p.113.

(2) ماير هوف، ماكس. من الاسكندرية إلى بغداد، ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، تأليف د. عبد الرحمن بدوي، ط 3 دار النهضة العربية، القاهرة 1965، ص 59.

العقل، فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي وأصلح نقولاً كثيرة، وأصله يوناني وكان جيد القريحة)[1].

فضلاً عن هذا، فإن قسطا بن لوقا البعلبكي، كان قد ذهب اليونان، ليدرس العلم الإغريقي في مكانه، فأخذ عن فلاسفة الإغريق وعلمائهم ما أمكن أن يأخذه حتى صار ينبوعاً للعلم ومعدناً للفضائل، كما أنه جلب معه الكثير من المخطوطات والمصنفات اليونانية، وعاد بها إلى الشام وبهذا الشأن يذكر القفطي: (وأخذ قسطا بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير، وعاد إلى الشام)[2].

إن دراسة قسطا في بلاد اليونان، كانت تنبع من اهتمام العرب اهتماماً خاصاً بالعلوم اليونانية المختلفة، مثل الطب والفلسفة والرياضيات... وما إلى ذلك، فاحتلّت بذلك مركز الصدارة عند العرب، وميّزوها عن غيرها من علوم الحضارات الأخرى، وهذا يرجع إلى براعة اليونان في هذه العلوم. وفي هذا الخصوص يذكر المسعودي: (وأما اليونانيون وهم حكماء الأمم، ولهم النجامة، والحساب والهندسة، والطب، وصناعات المنطق. وكل حكم مذكور... ومنهم الحكماء الذين تكلموا في علم الفلك والهندسة والطب والحساب... وكان أبقراط منهم وسقراط، وأفلاطون، وأرسطوطاليس، وإقليدس، وجالينوس...)[3].

لقد نشأ قسطا في سوريا، التي كانت ثقافتها يونانية، وبهذا الخصوص يذكر الأستاذ أوليري: «إن الثقافة اليونانية التي كانت في سوريا كانت ثقافة

---

(1) ابن أبي أُصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت 1975، ج 2، ص 171.

(2) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتجات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بغداد (د. ت) ص 262.

(3) المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، بيروت 1966، ص 93 ـ 94.

هيلنستية أي هيلّينية متأثرة بالشرق، ولكنها اتخذت صورة مختلفة. ذلك أن الفلسفة حتى عصر أفلاطون بدأت تنمو تحت لواء أرسطو إلى العلوم الطبيعية وتبلورت آخر المطاف في الطب والفلك والرياضيات، فقد كانت هذه الدراسات كلها وتعدّ نواحي من العلوم الطبيعية، وكانت الفلسفة تتناول الحقائق الكافية التي تعدّ هذه العلوم الفرعية صوراً منها لها تخصصها، كما كانت تهدف إلى الوصول إلى تفسير النظام الطبيعي الذي كان يسود الاعتقاد بأنه يؤلف وحدة عظيمة متجانسة، أما المنهج المنطق بدقّة. وهذا يعني بالطبع أن المنطق المستعمل في العلوم كان صالحاً لعلم اللاهوت أيضاً، وهذا الغرض جعل من الكنيسة رسولاً مبشراً بالثقافة العقلية اليونانية مثلما كانت رسولاً للدين المسيحي»[1].

قسطا الطبيب:

كان قسطا بن لوقا فاضلاً نبيلاً متقدماً في صناعة الطب، بل كان في طليعة هؤلاء الأطباء، كما يشير إلى ذلك ابن النديم فيقول: قسطا بن لوقا البعلبكي من الشام (كان يجب أن يُقدّم على حُنين ـ إمام عصره في الطب ـ لفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب)[2].

فقد كان قسطا من الأطباء الذين كان لهم سمعة وطيدة في العصر العباسي، ليس في مهنة الطب فحسب، بل في ترجمته للمصنفات اليونانية الطبية أيضاً، وفي رعايته لحركة الترجمة، حتى انضمَّ إلى فريق الأطباء الكبار في هذا العصر ممّن أخذوا على عاتقهم رعاية هذه الحركة[3].

(1) أوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: د .وهيب كامل، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1962، ص 22 ـ 32.

(2) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، كتاب الفهرس. تحقيق: رضا تجدد، طهران 1964، ص 353.

(3) الجميلي، رشيد حميد. حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986، ص 311.

وكان قسطا معروفاً بحسن سيرته وصاحب منزلة مرموقة بين أقرانه من أطباء وفلاسفة عصره، فقد برع في أكثر العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصره، كما يشير إلى ذلك صاعد الأندلسي: (كان قسطا بن لوقا البعلبكي مشهور التحقق بالعدل والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية)[1].

قسطا في بغداد:

وللشهرة التي كان يتمتع بها قسطا فقد تم استدعاؤه إلى حاضرة الثقافة بغداد ليقوم بترجمة الكتب اليونانية إلى العربية كما يشير إلى ذلك البيهقي: (وقد استدعي قسطا بن لوقا البعلبكي إلى بغداد ليترجم كتباً ويترجمها من لسان اليونان إلى لسان العرب)[2].

وبعد أن استدعي قسطا بن لوقا إلى بغداد، وكان قد أحضر معه مؤلفات كثيرة من المخطوطات والمصنفات اليونانية التي جاء بها من بلاد اليونان، وبدأ ترجمة هذه المخطوطات والمصنفات، ووجد في بغداد (بيت الحكمة) المكان الذي فيه يمكن أن يبدع ويؤدّي شيئاً في إمكانه أن يؤثر في تاريخ الحضارة الإنسانية[3].

وكان قسطا بن لوقا يتمتع بمكانة مهمة في بيت الحكمة لأنه كان ناقلاً خبيراً باللغات وهذا ما حدا الخليفة العباسي المأمون (813 ـ 833م) إلى جعله مسؤولاً عن أقسام الترجمة في بيت الحكمة في اليونانية والسريانية والكلدانية إلى العربية[4].

كان قسطا بن لوقا تلميذاً لأشهر ناقل مترجم عرفته حركة الترجمة وهو

---

(1) الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد التغلبي، طبقات الأمم. النجف الأشرف، 1967، ص 41.
(2) البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي. تاريخ حكماء الإسلام، دمشق 1946، ص 173.
(3) القفطي، تاريخ الحكماء، ص 262.
(4) ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج هارون. تاريخ مختصر الدول، بيروت 1890، ص 274.

حُنين بن إسحاق العبادي (194 هـ/ 810م/ 260 هـ/ 873م). إلا أنه كان من المقدرة والجودة بحيث إن هناك من يضعه في مرتبة الند لحُنين، ومن هؤلاء الأستاذ أرنولد، فيقول: «كان لحُنين بن إسحاق أنداد كثيرون يصحّ لنا أن نسميهم بالمترجمين العظام فضلاً عن تلاميذه الذين اضطلعوا بعمل كهذا، ولكنه يقل عنه أهمية، ومن الفئة الأولى ابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم، وابنه الطبيب الرياضي إسحاق بن حُنين وتلميذه ثابت بن قرة وتلميذه الآخر قسطا بن لوقا وقد ركّز حُنين في ترجماته على الكتب الطبية، أما رفاقه فقد انصرفوا إلى ترجمة الأبحاث الفلكية والطبيعية والرياضية والفلسفية الإغريقية»[1].

اتجه قسطا إلى بغداد ـ حاضرة العالم ـ التي كانت في ذلك الوقت تعيش حالة من حالات تطور الفكر، ولا سيما في عهد الخليفة المأمون في بيت الحكمة، وهي حركة الترجمة والنقل، تلك الحركة التي كان لها أثر بارز في تاريخ الحضارة الإنسانية، وقد كان للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكة الحق في أن تقول: «إن ما قام به العرب لهو عمل إنقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم، ولم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيداً عن النور والهواء، كلا، إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته، وقد ترجموه ليس إلى لغة جامدة غريبة عن الشعب لا يفهمها إلّا الخاصة، بل ترجموه إلى لغة حية في كل مكان آنذاك، وهي لغة القرآن»[2].

لقد كان قسطا من أعلام القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ذلك

---

(1) أرنولد، توماس. تراث الإسلام، ترجمة وتعليق: جورجيس فتح الله، بيروت 1972، ص 454 ـ 456.

(2) هونكة، زيغريد شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا) ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت 1969، ص 373 ـ 377؛ كذلك: كرادس، دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام، القاهرة 1939، ص 1 ـ 2.

القرن الذي كان لعلمائه الأثر الكبير في قيام النهضة الفكرية ليس فقط في الإسلام، وإنما في عصر النهضة الأوروبية، بما قاموا به من نقل كنوز الإغريق وحكمتهم، كما نقلوا الكثير من كنوز إيران والهند وأضافوا مما لديهم إلى ذلك، وفي هذا الخصوص يقول الأستاذ جورج سارطون: «ولا يسعنا هنا إلّا أن نعترف بالفضل لسابقينا من علماء العرب وبخاصة الروّاد منهم في الفترة من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر (من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري)، لقد مكّنونا من أن نبني لأنفسنا نحن أبناء الغرب، تقاليد ثقافية، هي أغلى تراث ورثناه عن آبائنا وأن أغلى ما في هذا التراث هو ما ورثناه من أسلافنا في العلم، من مختلف الأجناس ومختلف الشعوب، وأن خير ما نشكر به أسلافنا ونحيي ذكراهم به، هو أن نكمل ما بدأوا من عمل جليل، وأن نسير على طريقهم في صبر وأناة وثقة وأمانة»(1).

وفي هذا الخصوص يذكر الأستاذ ويلز: «والحق أن تأثير العرب في أوروبا من الناحية الحضارية عظيم جداً، وإننا لم نطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل العرب»(2).

مكانة قسطا في الترجمة:

لقد كان قسطا بن لوقا البعلبكي أحد الذين أسهموا في نقل التراث اليوناني وفكره إلى الحضارة العربية وكيف لا وهو من أهل سوريا التي كانت ضمن حدود الدولة البيزنطية، كما أن سوريا التي كانت أقرب إلى العرب وقد أشار بذلك الأستاذ أوليري إذ قال: «لقد عاش الفكر اليوناني المشتغل بالعلوم ردحاً طويلاً من الزمان في العالم قبل أن يصل إلى العرب وفي هذه الأثناء

(1) Starton, George. The Study of the History of Science, Harvard 1936, p.98.

(2) ويلز، هوبرت جورج. معالم تاريخ الإنسانية، تعريب: عبد العزيز جاويد، القاهرة 1950، ص 662؛ سيديو، لويس إميلي. خلاصة تاريخ العرب، ترجمة: علي باشا مبارك، القاهرة 1309 هـ، ص 233.

كان قد انتشر في الخارج في مختلف النواحي، وعلى ذلك فليس من عجب أن يصل إلى العرب عن أكثر من طريق واحد. فقد وصلهم أولاً ومن أقرب السبل عن طريق المسيحيين من الكتاب والمفكّرين والعلماء السريانيين»[1].

لقد قام قسطا بترجمة كل ما استطاع أن يحصل عليه من خلال رحلاته العلمية إلى بلاد اليونان من مخطوطات ومصنفات إلى السريانية والعربية، مما أدّى إلى إبراز وإظهار علوم الإغريق وتراثهم إلى من يرغب في الاطلاع على نظريات الإغريق في هذه المجالات ودراستها وبيان أوجه الإفادة منها، كما وقد صدق ابن خلكان حين قال: «إن كل كتاب لم يترجم وبقي في لغته اليونانية ذهبت فائدته»[2].

كان قسطا بن لوقا خبيراً باللغات جيد النقل في اليونانية والسريانية والعربية، فصيحاً فيها، كما يذكر ذلك ابن أبي أُصيبعة: «وكان قسطا ناقلاً خبيراً باللغات، فاضلاً في العلوم الحكمية وغيرها... وكان في أيام المقتدر بالله وقد نقل قسطا البعلبكي كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى اللغة العربية وكان جيد النقل، فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي»[3].

لقد كان قسطا بن لوقا أميناً في نقله، ولم يُعب قط في ترجمة ما، كما كان مريعاً على ترجمة ما يقوم بنقله ترجمة صادقة تعبر عن ما يقوم بترجمته وقد أعانه في طريقته هذه تمكّنه وبراعته في اللغات اليونانية والسريانية والعربية، كما يشير إلى ذلك ابن العبري إذ يقول: «كان قسطا بن لوقا البعلبكي بارعاً في الترجمة ولا يطعن عليه بنقل، ولا يُعاب في ترجمة»[4].

---

(1) أوليري، دي لاسي. مصدر سابق، ص 3.

(2) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت 1969، ج 2، ص 218.

(3) ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 2، ص 171، كذلك حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران 1387 هـ، ج 2، ص 682.

(4) ابن العبري، مصدر سابق، 274.

لم يقف قسطا بن لوقا البعلبكي موقف الناقل فحسب، بل ناقش ما نقله، وأكمله وتوسع فيه، ووضع مؤلفات عديدة في مجالات مختلفة وهذه سمة في بغداد وفي هذا الشأن يقول بولوس: «إن المسلمين أخذوا الكثير من علوم البيزنطيين، والهنود، والفرس، إلا أنهم حين ترجموا هذه العلوم إلى لغتهم عدّلوا فيها وأضافوا إليها وطبعوها بطابع جديد حتى بدت وكأنها علومهم»[1].

إن من عوامل ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، هو ما قام به قسطا وزملاؤه في حركة الترجمة والنقل، إذ لولا جهودهم في نقل تراث أعرق الحضارات القديمة لما استطاع الفكر العربي الإسلامي أن ينتج ويبدع. وفي هذا الصدد يقول الدكتور فيصل السامر: «إن الحضارة العربية الإسلامية إنما ازدهرت لأنها انفتحت على التيارات الحضارية الأجنبية. فالمسلمون القدامى ترجموا بحرية، تثير العجب والدهشة، علوم الإغريق وفلسفتهم، بل إنهم استخدمواالمنطق الأرسطوطاليسي بحرية ولباقة ووفقوا بينه وبين العقيدة الإسلامية»[2].

قسطا الفيلسوف:

جاء قسطا بن لوقا إلى بيت الحكمة، ذلك البيت الذي أصبح مستودع الفكر، مستقرّ الأفذاذ من المترجمين والنقلة، ومرجع أقطاب حركة الترجمة، فنبغ فيها وأصبح من المميزين في هذا البيت، بسبب نقوله الكثير، ولإتقانه عدة لغات فكان بحق أحد النجوم الساطعات في سماء بغداد الفكرية في العصر العباسي، الذي كان يزخر بالنجوم السواطع في كل ميادين العلم والمعرفة. وقد اشتهر قسطا باهتمامه بكتب الفلسفة ونقل مصنفات اليونان الفلسفية حتى أصبح يسمى بالفيلسوف، وفي هذا الخصوص أشار الأستاذ

(1) Bolus, E.J. The Influence of Islam, London. 1932. p.96.

(2) السامر، فيصل. الفكر العربي في مواجهة الفكر الغربي. بغداد 1972، ص 13.

ضيف: «كان قسطا بن لوقا البعلبكي أحد الفلاسفة المشهورين في العصر العباسي، وكانت مؤلفاته تمتاز بالجودة والأصالة في جميع مصنفاته»[1].

كان قسطا بن لوقا فيلسوفاً متوسعاً في العلوم متفنناً في ضروب الحكم متقلّداً لجوامع الفلسفة، معاصراً لأشهر فيلسوف عربي الأصل عرفته الفلسفة الإسلامية، وأعني به يعقوب بن إسحاق الكندي، كما كان معاصراً لأبرز أطباء ونقلة مدرسة حرّان الشهيرة وأعني به ثابت بن قرة الحرّاني. وفي هذا الشأن يذكر صاعد الأندلسي: «ومن فلاسفة اليونانيين المتأخرين الذين كانوا في عهد الإسلام وفي مملكة بني العباس معاصراً ليعقوب بن إسحاق الكندي، قسطا بن لوقا البعلبكي الشامي... وكان ثابت بن قرة الحراني ويعقوب بن إسحاق الكندي وقسطا بن لوقا البعلبكي يعاصر بعضهم البعض الآخر، وكانوا ثلاثتهم أعلاماً في مملكة الإسلام بعلم الفلسفة في وقتهم»[2].

كانت مصنفات قسطا من الجودة والنوعية، من الدرجة الأولى. وفضلاً عن هذا فإن مصنفاته كانت متنوّعة في مادتها. فقد بحث في الطب، والهندسة والفلسفة والمنطق، ولكن الغالب على قسطا هو الفلسفة، لذلك اشتهر بين من كتب عنه بالفيلسوف، وفي هذا الخصوص يذكر الأستاذ ميلي: «إن هذا الفيلسوف كان قد امتاز بالأصالة في جميع مصنفاته...»[3].

كان لقسطا بن لوقا أثر كبير في تاريخ الفلسفة الإسلامية، بما أضافه من ترجمات للمصنفات اليونانية وبما أضافه هو من مؤلّفات فلسفية ساعدت على إغناء الفكر الفلسفي الإسلامي[4].

---

(1) ضيف، شوقي. العصر العباسي الثاني، القاهرة 1975، 134.

(2) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 35، ص 48.

(3) ميلي، ألدو، العلم عند العرب وأثره في تطوّر العلم العالمي، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة 1962، ص 155؛ كذلك: طوقان، قدري حافظ. تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، القاهرة، 1963، ص 209.

(4) أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، بيروت 1970، ج 1، ص 94.

مؤلفاته:

كان قسطا عالماً موسوعياً بارعاً، فقد ألّف في جميع ميادين العلم والمعرفة التي كانت معروفة في عصره، وإن نظرة إلى مؤلفاته وكتبه التي ذكرها ابن النديم في الفهرست(1)، وإحصائية المستشرق الألماني بروكلمان(2)، ليؤكد ما قلناه على إن قسطا كان قد ألّف في أكثر من مجال وبرع فيه.

وفي هذا السياق ذكر القفطي: «وقال بعض المؤرخين إن قسطا بن لوقا كان فاضلاً في العلوم، مليح الطريقة في التصنيف. فلو قلت حقاً، قلت إنه أفضل من صنّف كتاباً بما احتوى عليه من العلوم والفضائل، وما رزق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني»(3).

أبرز مؤلفاته ومصنفاته:

كتاب الدم، كتاب البلغم، كتاب الصفراء، كتاب السوداء، كتاب المرايا المحرقة، كتاب السهر، كتاب في الأوزان والمكاييل، كتاب السياسة (وهو ثلاث مقالات)، كتاب علة الموت فجأة، كتاب الأعداء، كتاب معرفة الخدر وعلاجه، كتاب أيام البحران، كتاب علل الشعر، كتاب الفصل بين النفس والروح، كتاب في المروج، كتاب في المروحة وأسباب الريح، كتاب العلّة في اسوداد الحبش وتغيّره من الرش، كتاب في ما يشترك فيه الأخلاط الأربعة، كتاب القرسطون، كتاب في الاستدلال بالنظر إلى أصناف البول، كتاب المدخل إلى علم الهندسة، كتاب رسالته في الخضاب، كتاب رسالته في قوانين التغذية، كتاب شكوك كتاب إقليدس، كتاب المدخل إلى علم النجوم، كتاب الحمام، كتاب القصد (ثمانية عشر باباً)، كتاب الفردوس في التاريخ،

---

(1) ابن النديم. الفهرست، ص 353.

(2) بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة 1961، ج 4، ص 98 ـ 103.

(3) القفطي. تاريخ الحكماء، ص 263.

كتاب رسالته في استخراج مسائل عديدات من المقال الثالث من إقليدس، كتاب تفسيره لثلاث مقالات ونصف من كتاب ذيوفنطس في المسائل العديدية[1].

كما قام بتأليف رسالة في (ذات الكرسي الآفاقي) وهو كتاب يبحث فيه قضايا فلكية[2] كما قام بتأليف كتاب العمل بالإسطرلاب[3].

ومن مصنفاته الأخرى: المدخل إلى الهيئة وحركات الأفلاك والكواكب، كتاب غلبة الدم، كتاب نسبة الأخلاط، كتاب الفرق بين الحيوان الناطق والصامت، كتاب الفرق بين النفس والروح[4].

إن قسطا كان من أوائل العلماء العرب الذين ابتكروا الكثير من النظريات، وهذا ما يؤيد أن العرب لم يكونوا مجرد نقلة، ولم يكن دورهم مقصوراً على حفظ التراث القديم، بل لقد أضافوا وعلّقوا واستنبطوا الكثير من الأمور التي أغنت الحضارة الإنسانية[5]. فقد ابتكر الكثير من النظريات المتعلّقة بتأثير الطبيعة، وكتابه (المرايا المحرقة)، نقلة متقدمة في علم الحرارة، كما أن كتابه (العلة في اسوداد الحبش) فيه إشارات ذكية سبق بها عصره، عن تأثير الحرارة والأمطار والبيئة بما فيها من بخار وجبال وسهول على عادات الإنسان ولا سيما طروحاته في أسباب تغيير بشرة الإنسان وسواد لونه. كما يعدّ كتابه (المدخل إلى المنطق) وكتابه (شرح مذاهب اليونانيين)

---

(1) ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء، ج 1 ص 244 ـ 245؛ كذلك: ابن النديم. الفهرست، ص 353.

(2) الزركلي، خير الدين. الاعلام، ط 3، بيروت 1969، ج 2، ص 81.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 40.

(4) ابن جلجل. أبو داود سليمان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق: فؤاد سيد. القاهرة 1955، ص 76؛ القفطي. تاريخ الحكماء، ص 262.

(5) مرحبا، محمد عبد الرحمن. الموجز في تاريخ العلوم عند العرب بيروت 1970، ص 11 - 14؛ روزنتال، فرانتز. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. ت: أنيس فريحة، بيروت 1961، ص 199 ـ 200.

الذي يحتوي على آراء الفلاسفة اليونانيين في الأمور الطبيعية تأكيداً على أهمية الفلسفة واهتمامه بها.

أما كتابه الفرق بين النفس والروح فيُعَدُّ من أنفس الرسائل الفلسفية التي ترجمت إلى عدة لغات، وذكرها الباحثون كثيراً وانتفعوا بها، وفي هذا الخصوص يذكر الأستاذ دي بور: «ولقسطا بن لوقا رسالة قصيرة في الفرق بين النفس والروح، وترجمت إلى اللاتينية وبقيت إلى أيامنا، وقد ذكرها الباحثون كثيراً وانتفعوا بها. والروح عنده جسم لطيف مقره التجويف الأيسر من القلب، ومن هذا المكان تمد جسم الإنسان كله بالحياة وتنيله القدرة على الحركة والحس، وكلما كان الروح رقيقاً لطيفاً صاخباً كان صاحبه عاقلاً مفكراً سائساً مدبراً مميزاً»[1].

ومن مؤلفاته الباقية: كتاب الأبدان في السفر للسلامة من المرض والخطر. وبهذا الكتاب يعدّ قسطا أول من ألف مصنفاً في طب السفر بخاصة، إذ لم يسبقه أحد في ذلك، وقد ألّف قسطا البعلبكي كتاب تدبير الأبدان هذا لأبي الحسن محمد بن مخلد، عندما عزم على الحج، وقد جعل كلامه في هذا الكتاب على أربعة عشر باباً. كما قام بتأليف كتاب في العطش وكتاب في السهر لأبي الغطريف البطريق[2].

ترجماته:

لقد اضطلع قسطا بن لوقا بالكثير من الترجمات للكتب والمصنفات اليونانية، ولا سيما كتب فلاسفة اليونان، وقام بنقلها إلى اللغة العربية. فقد قام بترجمة كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس، كما قام بنقل المقالة الأولى

---

(1) De Boer, T. Jones. The History of philosophy in Islam, London, 1933, p.18 - 20.
دي بور، ت.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة: محمد أبو ريدة، القاهرة 1957، ص 37 - 39.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج 1، ص 244.

من كتاب الكون والفساد في جملة كتب المنطق والطبيعيات والإلٰهيات والأخلاق لأرسطوطاليس. وبخصوص هذه الترجمات يقول ابن النديم: «إن ما ترجم قسطا من كتاب السماع الطبيعي فهو تعاليم وإن ما ترجمه هو النصف الأول وهو أربع مقالات»[1].

وفي مكان آخر يقول ابن النديم أيضاً عن هذه الترجمة: «ونقل قسطا المقالات الثلاث من كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس، كما نقل المقالة الخامسة من كلام أرسطوطاليس في مقالة واحدة، والمقالة السادسة في مقالة واحدة والموجودة منها النصف وأكثر قليلاً والمقالة السابعة في مقالة واحدة ترجمة قسطا، والمقالة الثامنة في مقالة واحدة والموجود منها أوراق يسيرة[2].

ويذكر القفطي في هذا الصدد: «فأما ترجمة قسطا من كتاب السماع الطبيعي فهي تعاليم، والذي ترجمه قسطا هو النصف الأول وهو أربع مقالات»[3].

كما قام بنقل كتاب الآراء الطبيعية لفلوطرخس، وهو يحتوي على آراء الفلاسفة في الأمور الطبيعية، وهو خمس مقولات. وقام بنقل كتاب نوادر اليونانيين، كما قام بنقل كتاب أصول الهندسة لإقليدس، فضلاً عن هذا فقد وضع له شرحاً سمي بـ (شكوك كتاب إقليدس)، وقيامه بترجمة كتاب الأكر من تأليف ثاوذيوس. وكتاب العمل بالكرة النجومية، ويسمى أيضاً (العمل بالكرة الفلكية) وهو مرتب على خمسة وستين باباً، كتاب الفلاحة اليونانية، وبعض مقالات من كتاب المناظر لإقليدس[4].

---

(1) ابن النديم الفهرست، ص 311.
(2) ابن النديم الفهرست، ص 310.
(3) القفطي. تاريخ الحكماء، ص 39.
(4) الاعلام، ج 6، ص 40.

وفاته:

بعد خمس وتسعين سنة تقريباً، توفي قسطا بن لوقا البعلبكي، بعد خمسة وتسعين عاماً في طلب العلم والحثّ عليه، أفل نجم أحد الفلاسفة الذي كان له أثر كبير وواضح ليس في الفلسفة الإسلامية فحسب، بل في الفلسفة بصورة عامة، لما كان يتمتع به من مكانة علمية متميزة ولما قام به من نقل وترجمة المصنفات اليونانية الفلسفية.

ففي سنة (300 هـ/ 912م) فقد بيت الحكمة البغدادي أحد أهم روّاده وقد ظل في بغداد أكثر من ثلاثين سنة قضاها كمسؤول لقسم الترجمة في بيت الحكمة العباسي، ولكنه اضطر إلى أن يهجر العراق ويذهب إلى أرمينيا، بسبب اضطراب أحوال العراق السياسية خاصة بعد اغتيال المتوكل (847 ـ 861) وتدهور أوضاعه السياسية[1].

بعد نزوح قسطا من العراق ذهب إلى أرمينيا وكان أبو الغطريف البطريق، وهو من أهل العلم والفضل وكان مشهوراً بتشجيعه للعلم والعلماء، وكان قسطا قد جلب معه كتباً كثيرة من أصناف العلوم، فحدث أن احتضن أبو الغطريف قسطا وساعده وسهل له كل الطرق، فألّف له قسطا كتباً كثيرة في مختلف العلوم. وعن أخبار قسطا البعلبكي في أواخر أيامه، يذكر ابن أبي أُصيبعة: «إن قسطا كان قد رحل إلى أرمينيا وأقام بها، وكان بأرمينيا أبو الغطريف البطريق، فعمل له قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الألفاظ في أصناف من العلوم»[2].

ومات قسطا بأرمينيا. ولما كان يتمتع به من مكانة مرموقة بين أبناء مجتمع أرمينيا لعلمه ومعرفته، فقد بني على قبره قبة إكراماً له، وكان لا يبنى

(1) البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي. تاريخ حكماء الإسلام، دمشق 1946، ص 173 ـ 174.

(2) ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء، ج 1، ص 244.

على قبر قبة إلّا إذا كان من الملوك وأكابر القوم، وفي هذا الخصوص يذكر ابن أبي أُصيبعة: «ومات هناك وبنيت على قبره قبة إكراماً له كإكرام الملوك ورؤساء الشرائع»(1).

الخاتمة:

لقد استطاع قسطا بن لوقا البعلبكي أن يؤثر في عملية الازدهار الثقافي والتعامل الحضاري بسبب نقوله الكثيرة وجودته في هذه النقول. فقد كان الفيلسوف قسطا، أحد النَّقَلَة المشاهير الذين أسهموا في ازدهار حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي (الثالث الهجري - التاسع الميلادي) وذلك من خلال ترجماته العديدة لمصنفات اليونان الفلسفية بخاصة. ومما زاد من أهمية ترجماته هو ما عرف عنه من جودته ومعّنه في نقوله وإجادته اللغة اليونانية التي يترجم عنها، كما إن ما قام به من تأليف لكثير من الكتب، وبخاصة في الفلسفة والطب قد أدّى إلى ازدهار ملحوظ للحركة العلمية في عصره.

كان قسطا ضليعاً باللغة اليونانية، ترجم عنها كتباً عديدة، كما قام بوضع شروح على معظم هذه الكتب. وكان قسطا واسع الاطلاع في مختلف العلوم والفنون السائدة في عهده كالطب والتنجيم والفلك والحساب والمنطق والهندسة. وكيف لا يكون متبحراً في مختلف العلوم وهو الذي كان يطلق عليه لقب الفيلسوف؟ ونحن نعرف أن مختلف العلوم تدخل ضمن نطاق معارف الفيلسوف، فمن الضروري أن يتّسع أفق معارف الفيلسوف ومعلوماته. لأن نظرته تشمل الكون والوجود بعامة، لفك طلاسم معمياته ومجهولاته. فالفيلسوف يتّخذ من الحقائق العلمية مواد أولية لتشييد صرح نظامه الفلسفي وتنظيم نظرياته الفلسفية.

نعم، لقد كان قسطا حلقة الوصل بين الحضارات القديمة، اليونانية

---

(1) ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء، ج 1، ص 245.

والفارسية، والهندية، ومن طلاب العلم والمعرفة من العرب، لأنه كان أحد عوامل اطلاع العرب على تراث هذه الحضارات بما قاموا به من ترجمات ونقول لأشهر مصنفات العلوم في هذه الحضارات.

نعم، لقد كان لقسطا الأثر الكبير في تطور وازدهار بيت الحكمة بما قام به من ترجمات ونقول وبما أشرف عليه من هذه الترجمات عندما كان مسؤولاً عن قسم الترجمة في هذا البيت.

فقد كان قسطا ذا ذكاء وصبر ثاقب، مولعاً بالمعرفة، دؤوباً على اكتساب العلم، عظيم الإكباب على المطالعة. فقد ألَّم بجميع علوم زمانه واستوعب مؤلفات الفلاسفة التي قام بترجمة الكثير منها.

ولعلّ هناك من يسأل لماذا هذا الاتجاه نحو ترجمة كتب المنطق والعلم والفلك اليوناني دون سواها من كتب الشعر الغنائي اليوناني والأدب؟

فنقول إن العوامل التاريخية والجغرافية في الشرق هي التي جعلته لا يعنيه من كتب اليونانيين إلا ما كان معترفاً به من الجميع، وما كان يلائم عقليته، ونعني به أولاً وقبل كل شيء النزعة العقلية المنطقية. فكل شيء كان نصيب الروح اليونانية في صدوره أكثر من نصيب العقل اليوناني مثل الشعر الغنائي والأدب الروائي كله وكل ما كان يونانياً بحتاً كآلهة هوميروس وكبار المؤرخين اليونانيين. كل هذه الأشياء ظلّت أبوابها موصدة أمام الشرق؛ وإذا كان شيء منها قد استطاع أن ينسلّ إلى الشرق في كتب الصنعة والسحر أو في الهزليات، فإنه سرعان ما يطبع بالروح الشرقية الخالصة في غير ما هوادة ولا رحمة[1].

وفي هذا الخصوص يذكر الأستاذ كلود كاهن عن تعذّر اطلاع المسلمين على جميع التراث القديم، ذلك لما أصاب التراث القديم قبيل الإسلام من

(1) بكر، كارل هيترش. تراث الأوائل الشرق والغرب. ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن بدوي. ط 3، دار النهضة العربية، القاهرة 1965، ص 27.

تصفية في المدارس المتأخرة. هذا إضافة إلى أن الأقوام الشرقية، التي لم تطبع بطابع الحضارة اليونانية، قد بدأت بنقل الآثار القديمة التي عنيت بها إلى لغاتها وبخاصة إلى السريانية وأحياناً إلى العبرية أيضاً.

المصادر:

1 ـ ابن أبي أُصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت 1975، ج 2.

2 ـ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج هارون. تاريخ مختصر الدول، بيروت 1890.

3 ـ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، كتاب الفهرست. تحقيق: رضا تجدد، طهران 1964.

4 ـ ابن جلجل، أبو العباس شمس الدين أحمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت 1969، ج 2.

5 ـ أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، بيروت 1970، ج 1.

6 ـ أرنولد، توماس. تراث الإسلام، ترجمة وتعليق: جرجيس فتح الله، بيروت 1972.

7 ـ الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد التغلبي، طبقات الأمم. النجف الأشرف، 1967.

8 ـ أوليري، دي لاسي. علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: د. وهيب كامل، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1962.

9 ـ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ت: عبد الحليم النجار، القاهرة 1961، ج 4.

10 ـ البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي. تاريخ حكماء الإسلام، دمشق 1946.

11 ـ الجميلي، رشيد حميد. حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986.

12 ـ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران 1387 هـ، ج 2.

13 ـ دي بور، ت.ج. تاريخ الفلسفة في الإسلام. ترجمة: محمد أبو ريدة، القاهرة 1957، ص 37 ـ 39.

14 ـ روزنتال، فرانتز. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. ترجمة: أنيس فريحة، بيروت 1961.

15 ـ الزركلي، خير الدين. الاعلام، ط 3، بيروت 1969، ج 2.

16 ـ السامر، فيصل. الفكر العربي في مواجهة الفكر الغربي. بغداد 1972.

17 ـ سيديو، لويس أملي. خلاصة تاريخ العرب، ت: علي باشا مبارك، القاهرة 1309 هـ.

18 ـ ضيف، شوقي. العصر العباسي الثاني، القاهرة 1975.

19 ـ طوقان، قدري حافظ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، القاهرة 1963.

20 ـ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي. تارخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء. بغداد (د.ت).

21 ـ كرادس، دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام، القاهرة 1939.

22 ـ ماير هوف، ماكس. من الاسكندرية إلى بغداد. ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، تأليف د. عبد الرحمن بدوي، ط 3، دار النهضة العربية، القاهرة 1965.

23 ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن. الموجز في تاريخ العلوم عند العرب. بيروت 1970.

24 ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، بيروت 1966.

25 ـ ميلي، ألدو، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي. ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة 1962.

26 ـ هونكة، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا) ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت 1969.

27 ـ ويلز، هوبرت جورج. معالم تاريخ الإنسانية، ت: عبد العزيز جاويد، القاهرة 1950.

28 ـ Bolus, E.J. The Influence of Islam, London, 1933.

29 ـ De Boer, T. Jones. The History of Philosophy in Islma, London, 1932.

آل بختيشوع ودورهم في الحضارة الإسلامية[1]

نهض السريان عامة والنساطرة خاصة[2] بدور متميز في بناء الحضارة العربية الإسلامية وتقدمها[3]. وإذا كان هذا الدور محدوداً وبطيئاً في العصر

(1) راجع مجلة الفكر التاريخي، العدد 4 السنة 29، نيسان (2001) ص 153 ـ 107.

(2) ينسب النساطرة إلى نسطوريوس، وهو راهب من أنطاكية، نُصب بطريركاً على القسطنطينية عام 428م. وكان مذهبه يقوم على أن السيد المسيح هو إنسان، وأن السيدة مريم العذراء لم تلد إلٰهاً وإنما ولدت إنساناً. وقد أثار هذا المذهب ثورة عارمة في العالم المسيحي وقتذاك.
انظر القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. 14 جزءاً، (دار الكتب العلمية بيروت، 1987). ج 13، ص 283. أيضاً: أوليري (د. لاسي): علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب. ترجمة وهيب كامل. (النهضة المصرية، القاهرة، 1962)، ص 69 وما بعدها. العريني (السيد الباز): الدولة البيزنطية (بيروت 1982) ص 50 ـ 51.

(3) من المعروف أن السريان عامة كانوا المشرفين على المدارس الفلسفية التي عرفتها سوريا وبلاد الرافدين قبل الإسلام. مثل مدرستي الرّها ونصيبين. اللتين انتقلت إليهما تعاليم مدرسة الإسكندرية. وكان النساطرة بصفة خاصة، أكثر الفرق المسيحية الشرقية إلماماً بعلوم اليونان، وقاموا بترجمة الكثير من الكتب اللاهوتية والفلسفية والطبية، من اليونانية إلى السريانية. وكانت مدارس الرّها ونصيبين تعلّم الفلسفة باللغتين السريانية واليونانية. وقد اشتغل السريان بالفلسفة لاستخدامها سلاحاً للدفاع عن المسيحية في وجه الوثنية اليونانية من ناحية. للردّ على بعض الفرق المسيحية من ناحية أخرى. واستمرّ هذا الدور العلمي للسريان، في المشرق العربي قائماً بعد الفتوحات العربية الإسلامية، بل تعزز هذا الدور وتوافرت له ظروف الازدهار في ظل العرب المسلمين.
انظر تفاصيل ذلك عند: أمين (أحمد): فجر الإسلام (النهضة المصرية، القاهرة ج.د.ت.)، ص 130 ـ 132. أوليري ص 62 وما بعدها. فروخ (عمر): تاريخ العلوم عند العرب (بيروت، 1984)، ص 112. زغلول (الشحات): السريان والحضارة الإسلامية (الاسكندرية، 1975)، ص 73 وما بعدها.

العباسي. حيث لم يقتصر على قيادة حركة الترجمة من السريانية واليونانية إلى العربية فحسب، وإنما ظهر بينهم عدد كبير من العلماء الذين أسهموا، من خلال مؤلفاتهم، في إثراء الحياة الفكرية، وتطوير العديد من فروع المعرفة. ولا سيما في ميدان الطب والفلسفة والفلك.

كما برز، من بين هؤلاء النساطرة عدد من الأطباء، الذين خدموا في بلاط الخلفاء والأمراء العباسيين، وتقلّدوا إدارة المستشفيات، ورئاسة الأطباء في بغداد، وغيرها من المدن الإسلامية. وقام عدد منهم، أيضاً، بإدارة المؤسسات الثقافية، بكفاءة واقتدار، كـ «بيت الحكمة» في بغداد. وفضلاً عن ذلك كله، كان العلماء النساطرة، موضوعياً، هم الأداة الرئيسية، التي اتصل من خلالها التراث السرياني واليوناني، وخاصة في ميدان الطب والفلسفة إلى بلاد فارس. هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء النساطرة كانوا أحد معابر التراث الطب الشرقي عامة، والفارسي والهندي خاصة، إلى التراث الإسلامي[1].

وتهدف هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن أسرة بختيشوع، التي كانت أولى الأسر النسطورية التي دخلت في خدمة البلاط العباسي، والأسرة النسطورية الوحيدة التي توارث أبناؤها صناعة الطب، وخدموا بها، في بلاط الخلفاء والأمراء العباسيين، قرابة ثلاثة قرون، ولعبوا دوراً متميزاً في ميدان الطب، الذي كان أكثر الميادين رواجاً في المجتمع العباسي، وقد بدأ البحث بالإشارة إلى بزوغ نجم هذه الأسرة في مدينة جنديسابور، وكيف ذاع صيتها وعلا شأنها عندما انتقل أبناؤها إلى عاصمة الخلافة العباسية في بغداد. وبعد أن استعرض البحث أطباء هذه الأسرة والخلفاء والأمراء، الذين خدموا في

---

(1) انظر تفاصيل ذلك عند: دي بور (ت،ج): تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (بيروت 1981). ص 18، زيدان (جرجي). تاريخ العرب ترجمة إدوارد جرجي وجبرائيل جبور (بيروت، 1994) ص 378. أوليري، ص 37 وما بعد. زغلول، ص 118. عطا الله (خضر أحمد): بيت الحكمة في عصر العباسيين. (القاهرة، 1989)، ص 352. الخازن (وليم): الحضارة العباسية (بيروت، 1992)، ص 114. شادية توفيق حافظ: السريان وتاريخ الطب، (القاهرة 1993)، ص 198 ـ 199.

بلاطهم، مضى إلى الكلام عن العوامل التي ساعدت على بروز هذه الأسرة في حقل الطب خاصة، ممارسة وتأليفاً وترجمة. وبعد أن سجّل البحث شهادات بعض الخلفاء والأطباء والمؤرخين بمهارة آل بختيشوع في «صناعة الطب». ألقى بعض الأضواء على المكانة الأدبية التي تحققت لهم، والثروة التي حصلوا عليها ودورهم في الحياة السياسية. ثم أشار البحث إلى بعض المتاعب التي تعرّض لها أبناء هذه الأسرة، خلال مسيرتهم الطويلة تلك، واختتم البحث بعرض أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

آل بختيشوع في جنديسابور:

من الثابت أن آل بختيشوع[1] من الأسر السريانية التي اعتنقت المذهب النسطوري، وأخذت بالهجرة، تدريجياً من الجزيرة الفراتية إلى بلاد فارس، منذ أواسط القرن الخامس الميلادي. فراراً من اضطهاد الدولة البيزنطية لها. ولا سيما بعد مجمع إفسوس المسكوني عام 431م[2]. واستقرّت في مدينة

(1) سميت هذه الأسرة باسم جدها الأول وهو «بختيشوع». وقد عرف به أحفاده. والاسم سرياني مركّب من لفظتين سريانيتين: «بخت» ومعناها: عبد وليس، كما ظنها بعضهم، بأنها فارسية وتعني «الحظ». لأنه يستبعد أن تتألف كلمة من الفارسية والسريانية. أما اللفظة الثانية: يشوع فمعناها يسوع، أي المسيح، وبهذا فإن معنى بختيشوع وهو عبد يشوع أو عبد المسيح. عن ذلك انظر: ابن أبي أصيبعة (أحمد بن قاسم): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 3 أجزاء (دار الثقافة، بيروت، 1987) ج 2، ص 41. أيضاً: البغدادي (يوسف): «بختيشوع الطبيب النسطوري وأسرته». مجلة المشرق (مجلد 8، 1905). ص 1098، وتقول بعض المراجع الحديثة إن أسرة بختيشوع لها بقية في بغداد وهم بنو غنيمة وفي دمشق آل لطني وغيرهم. انظر: شادية توفيق حافظ، ص 237.

(2) عقد هذا المجمع في مدينة إفسوس عام 431 م لمناقشة آراء نسطوريوس. بطريرك القسطنطينية. في طبيعة السيِّد المسيح، وقد تزعّم كيرلس (ت 444 م). بطريرك الإسكندرية، معارضة تلك الآراء، وقرر المجمع طرد نسطوريوس وحرمانه من الكنيسة. فعاد الأخير إلى ديره في أنطاكية. ثم نفي إلى إخميم في صعيد مصر. ومات عام 439 م في ظروف غامضة. ولكن النسطورية انتشرت في الجزيرة الفراتية والعراق وفارس. وأصبحت الرها معقلاً رئيساً لها.
انظر: القلقشندي: ج 13. ص 283. أوليري، ص 69 ـ 71. العريني، ص 50 ـ 51.

جنديسابور[1]. ولم يمض وقت طويل حتى وصل إلى هذه المدينة الفارسية علماء مدرسة الرها الطبية والفلسفية، بعد أن أقدم الأمبراطور البيزنطي زينون (474 ـ 491م) على إغلاقها عام 489م. بحجة أن علماءها وفلاسفتها قد اعتنقوا المذهب النسطوري، وقد اضطر هؤلاء إلى التوجّه شرقاً. حيث رحّب بهم الفرس، أعداء البيزنطيين. وأكرموا وفادتهم وأسكنوهم في جنديسابور[2]. وسرعان ما لحق بهؤلاء العلماء والفلاسفة النساطرة إلى المدينة الأخيرة، رهط من فلاسفة اليونان بعد أن أغلق الأمبراطور البيزنطي جستنيان (527 ـ 565م) مدرسة أثينا الفلسفية عام 529م. وصادر أملاك فلاسفتها وغل عقولهم وقيد ألسنتهم. وقد وجد هؤلاء، بدورهم في بلاد فارس الملاذ والحماية، فاستقرّوا إلى جانب زملائهم النساطرة في جنديسابور. وأسهموا في نقل التراث اليوناني إلى اللغة الفارسية[3].

---

(1) جنديسابور: مدينة بخوزستان في الجنوب الغربي من بلاد فارس. بناها الملك الساساني سابور الأول (241 ـ 272م) فنسبت إليه. ويعني اسمها «معسكر سابور». وقد اتخذها سابور في البداية موطناً لأسرى الروم بعد انتصاره على الأمبراطور الروماني فاليريان عام 258م. ثم تحوّلت هذه المدينة مع الزمن، إلى واحدة من أهم المراكز الثقافية. ولا سيما بعد أن وفدت إليها جموع العلماء والفلاسفة السريان النساطرة واليونان. وقد فتح المسلمون هذه المدينة في خلافة عمر بن الخطاب (17 هـ ـ 638م). وهي حالياً قرية شاه آباد. انظر تفصيل ذلك عند المقدسي (محمد بن أحمد المقدسي): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (بيروت 1987)، ص 311 ـ 312. القفطي (جمال الدين أبي المحسن): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مكتبة المثنى. القاهرة. د.ت) ص 93. الحموي (ياقوت): معجم البلدان، 5 أجزاء (بيروت. د.ت.) ج 2، ص 170 ـ 171. أمين (أحمد): فجر الإسلام، ص 133، ضحى الإسلام، 3 أجزاء (القاهرة، د.ت.) ج 1، ص 268 ـ 269. زيدان: م 12. ص 376. تاتون (رينه): تاريخ العلوم العام، مجلدان، ترجمة علي مقلد (بيروت 1988)، م 1، ص 456 ـ 457.

(2) دي بور. ص 21. كريستنسن (آرثر): إيران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب (دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.) ص 233، براون (إدوارد): الطب العربي، ترجمة داود سلمان علي (بغداد، 1986)، ص 24 ـ 25، الطويل (توفيق): في تراثنا العربي الإسلامي. سلسلة عالم المعرفة (الكويت، 1985)، ص 125.

(3) تاتون: ج 1. ص 456 ـ 457. براون. ص 24 ـ 25، أمين (أحمد): ضحى الإسلام، ج 1، ص 273. أبو ريان (محمد علي): تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (بيروت، 1973)، ص 30.

وهكذا التقى على أرض جنديسابور التراث السرياني واليوناني والفارسي وقد أثّر هذا التنوّع الثقافي الحركة العلمية فيها. ولا سيما في عهد الملك الفارسي المستنير كسرى أنو شروان (531 ـ 579م)، الذي أسس في جنديسابور عام 555م مدرسة للطب والفلسفة[1] وألحق بها مستشفى كبيراً. وبالتالي سارت مزاولة الطب في هذا المستشفى جنباً إلى جنب مع التدريس والتأليف والترجمة للمؤلفات الطبية اليونانية والسريانية والفارسية والهندية. وعلى الرغم من أن أهل جنديسابور استخدموا الفارسية واليونانية والسريانية، إلا أن لغة التدريس في مدرستها كانت السريانية، كما أن معظم المشرفين عليها كانوا من العلماء النساطرة[2].

وعندما فتح العرب المسلمون جنديسابور عام 17 هـ ـ 638م، كانت مدرستها الطبية في أوج مجدها، ولقي علماؤها تسامحاً وتشجيعاً من الحكام المسلمين[3]، وبالتالي ظلّت الحركة العلمية فيها على ما كانت عليه من تألّق، واستمرّت مدرستها على ما كانت عليه من ازدهار، حتى انتقلت، كما سنرى، إلى بغداد، مع انتقال آل بختيشوع إلى العاصمة العباسية[4].

---

(1) عن ازدهار هذه المدرسة الطبية أيام كسرى أنو شروان، ودور العلماء النساطرة في ذلك. انظر: ماير هوف (ماكس): «من الاسكندرية إلى بغداد»، بحث من مجموعة بحوث منشورة في كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية». ترجمة عبد الرحمن بدوي (بيروت 1980). ص 56. الدميلي: العلم عند العرب، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد موسى. (القاهرة، 1962)، ص 121 ـ 122. دي بور، ص 24، الطويل، ص 122.

(2) ماير هوف، ص 56. دي بور، ص 24. الدميلي، ص 121 ـ 122. تاتون: جض، ص 456 ـ 457، زغلول ص 68. الجميلي (رشيد): حركة الترجمة في المشرق الإسلامي، (بغداد، 1986)، ص 221.

(3) ويقول القفطي إن الطبيب العربي الحارث بن كلدة واحد من الذين تخرجوا في مدرسة جنديسابور. انظر: القفطي، ص 111.

(4) كريستنسن. ص 407، تاتون: جض. ص 457. الشطي (أحمد شوكت): تاريخ الطب وآدابه وأعلامه (دمشق، 1967)، ص 54. زغلول، ص 70.

وفي هذه البيئة العلمية النابضة بالحياة، نشأ آل بختيشوع وترعرعوا، وإذا كنا لا نملك معلومات وفيرة عن الأجداد الأوائل لهذه الأسرة في جنديسابور، لكننا نعلم علم اليقين أن أبناءها كانوا من ألمع العلماء النساطرة، قبيل قيام الدولة العباسية. والدليل على ذلك أن جورجيس بن بختيشوع كان يتولّى رئاسة مستشفى جنديسابور عندما استدعي إلى بغداد عام 148 هـ/ 765م لمعالجة الخليفة أبي جعفر المنصور (136 ـ 158 هـ/ 753 ـ 775م)، كما كان ابنه بختيشوع أبرز الأطباء الذين كانوا يعملون في هذا المستشفى[1]. فضلاً عن أن اختيار الخليفة لهذا الطبيب بالذات كان على شهرته الواسعة في الطب والتي سبقته إلى عاصمة الخلافة بوقت طويل.

آل بختيشوع في خدمة الخلفاء والأمراء:

تُجمع المصادر التاريخية، المعنية بهذا الموضوع، على أن أول اتصال بين آل بختيشوع وبين البلاط العباسي، كان بين الخليفة أبي جعفر المنصور وبين الطبيب جورجيس بن بختيشوع (ت 160 هـ/ 771م) الذي كان يعمل، كما أشرنا، رئيساً للأطباء في مستشفى جنديسابور، وتبيّن هذه المصادر أن أبا جعفر استدعى جورجيس إلى بغداد عام 148 هـ/ 765م، لأن مرضاً أصاب معدته. «انقطعت شهوته، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه». ثم أمر الخليفة حاجبه، وهو الربيع بن يونس (ت 169 هـ/ 786م) بجمع أطباء البلاط لمشاورتهم، وقال لهم: «من تعرفون من الأطباء، في سائر المدن، طبيباً ماهراً؟ فقالوا: ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجيس رئيس أطباء جنديسابور. فإنه ماهر في الطب وله مصنفات جليلة»[2]. وبالفعل أمر أبو جعفر بإحضار جورجيس، الذي انصاع لأمر الخليفة «مكرهاً» وغادر

(1) القفطي، ص 109 ـ 110. ابن أبي أصيبعة، ج 2، ص 37 ـ 38.
(2) القفطي، ص 109 ـ 110. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 37.

جنديسابور إلى بغداد بعد أن «أوصى ابنه بختيشوع بأمر المستشفى» ومصطحباً معه اثنين من تلاميذه[1]. ولما وصل جورجيس إلى البلاط رحَّب به المنصور ترحيباً حاراً. ونجح الطبيب في أيام معدودة في علاجه نجاحاً تاماً. وتمسك الخليفة بجورجيس ومنعه من العودة إلى بلده[2] وفي عام 152 هـ/ 769م مرض جورجيس مرضاً شديداً، فطلب من أبي جعفر أن يأذن له بالعودة إلى جنديسابور، فأذن له، بل أمر أن يرافقه خادم في إيابه، وأن يدفع له عشرة آلاف دينار مكافأة له على خدماته. وهكذا عاد جورجيس إلى بلده بعد أن أمضى أربع سنوات في خدمة الخليفة، وترك صيتاً علمياً طبياً في بغداد عامة والبلاط العباسي خاصة[3]. ولا شك في أن جورجيس هذا هو الذي مهَّد الطريق لأبنائه وأحفاده، بل ولعلماء جنديسابور النساطرة عامة، للهجرة تدريجياً إلى العاصمة العباسية.

وعندما مرض الهادي (ت 170 هـ/ 786م)، في خلافة والده المهدي (158 ـ 169 هـ/ 775 ـ 885م)، وفشل أطباء البلاط في علاجه، نُصح الخليفة باستدعاء الطبيب بختيشوع بن جورجيس من جنديسابور، وعلى الرغم من أن بختيشوع هذا كان يعمل وقتذاك رئيساً لمستشفى المدينة، فقد لبّى الدعوة ووصل إلى بغداد وعالج الهادي. ولكن يبدو أن والدة الأخير، وهي الخيزران، انزعجت من استدعاء بختيشوع هذا وتجاهل طبيبها الخاص وهو أبو قريش، فأخذت في «مناكدة

(1) انظر تفاصيل ذلك عند: القفطي، ص 110، ابن أبي أُصيبعة، ج 2، ص 38. ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج): تاريخ مختصر الدول (دار الرائد اللبناني، بيروت، 1983)، ص 214. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات، 22 جزءاً (ألمانيا، 1992)، ج 11، ص 222 ـ 223.

(2) القفطي: ص111. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص215. ابن أبي أصيبعة: ج2 ص40، الصفدي: ج11، ص222 ـ 223.

(3) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 214 ـ 215، تاريخ الزمان (دار المشرق، بيروت، 1986)، ص 10. القفطي، ص 110. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 38. الصفدي: ج 11، ص 222 ـ 223.

بختيشوع ومضاربته». وعندما علم المهدي بتصرفات زوجته أعاد بختيشوع إلى بلده، مكارماً، إثارة للسلامة[1].

وفي عام 171 هـ/ 787م شكا الرشيد (170 ـ 193 هـ/ 786 ـ 809م) من صداع شديد، وفشل أطباء البلاط في علاجه. فقال لوزيره يحيى بن خالد البرمكي (ت 190 هـ/ 805م) إن هؤلاء الأطباء لا يحسنون شيئاً. وسأله أن يطلب له طبيباً ماهراً، فنصحه يحيى عندئذٍ باستدعاء بختيشوع بن جورجيس. الذي سبق أن جاء من جنديسابور إلى بغداد لمعالجة أخيه الهادي. ووصل بختيشوع إلى البلاط العباسي، ورحَّب به الرشيد ترحيباً حاراً. وبعد أن نجح في علاجه أمر أن تخلع عليه «خلعة حسنة جليلة»، وغدا من أطباء البلاط[2]، واستمر بختيشوع في خدمة الرشيد حتى وفاته عام 184 هـ/ 800م.

وكان بختيشوع قد عالج، بأمر من الرشيد، جعفر بن يحيى عندما سقط مريضاً عام 175 هـ/ 791م[3]. ولما شُفي طلب جعفر من بختيشوع أن يختار له طبيباً ماهراً ليتولى خدمته. فرشّح له ابنه جبرائيل، الذي يبدو أنه كان يعمل مع والده في بلاط الخليفة. ودخل جبرائيل في خدمة جعفر، ونجح في علاجه من مرض كان يخفيه[4]. ولكن سرعان ما انتقل هذا الطبيب إلى خدمة

---

(1) يقدم ابن أبي أصيبعة رواية أخرى مفادها أن الطبيب بختيشوع وصل من جنديسابور إلى بغداد لمعالجة الهادي. ولكن الأخير مات بُعيد وصوله بقليل وأنه فات الأوان من إمكانية علاجه، فعاد الطبيب إلى جنديسابور. ويبدو أن هذه الرواية غير دقيقة، لأن الهادي لم يمت في حياة والده المهدي، وإنما تولّى الخلافة بعد وفاته قرابة سنة (169 ـ 170 هـ/ 785 ـ 786م)، وبالتالي فإن رواية القفطي، التي اعتمدناها في البحث أكثر دقّة وتتّفق مع الوقائع التاريخية. انظر الروايتين، ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 41. القفطي، ص 71.

(2) القفطي، ص 71. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 41 ـ 42. الصفدي: ج 10، ص 89.

(3) إن من أدب الطبيب إذا كان طبيباً خاصاً بالملك أو الخليفة ألّا يخدم هذا الطبيب أحداً من أصحاب هذا الملك أو الخليفة إلّا بأمره. انظر: القفطي، ص 93 ـ 94.

(4) انظر تفاصيل ذلك: القفطي، ص 94. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 43. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 227 ـ 228. الصفدي: ج 11، ص 50.

الرشيد، وذلك على أثر نجاحه في علاج جارية أثيره عنده من مرض أصابها وعجز أطباء البلاط عن علاجها[1]. فازدادت مكانة جبرائيل عند الرشيد، حيث فاقت ما كان لوالده وجدّه عند الخلفاء[2]، فعيّنه طبيباً خاصاً به[3]، واصطحبه في حملاته ضد الروم (البيزنطيين). وفي زياراته المتكررة إلى الرقة وغيرها من المدن الإسلامية، وكذلك عندما ذهب إلى مكة حاجاً. كما كان جبرائيل إلى جانبه عند وفاته بمدينة طوس عام 193 هـ/ 809م[4] وبعد وفاة الرشيد دخل جبرائيل في خدمة الخليفة الأمين (193 ـ 198 هـ/ 809 ـ 813م)، ولقي عنده الاحترام والتكريم. ولكن عندما قُتل الأمين وتقلّد المأمون الخلافة (198 ـ 218 هـ/ 813 ـ 832م)، أمر الأخير بالقبض على جبرائيل وزجّه بالسجن، بحجة أنه اتجه لخدمة أخيه الأمين بعد وفاة الرشيد، ولم يتّجه للخدمة في بلاطه[5].

---

(1) أصيبت جارية للرشيد بنوع من الفالج أو الشلل العصبي، وعجز أطباء البلاط عن علاجها. وأمر الرشيد، عندئذٍ، باستدعاء جبرائيل بن بختيشوع، الذي كان يعمل آنئذٍ عند جعفر البرمكي، فحضر جبرائيل وشرح له الخليفة حالة الجارية، فخرجت. وحين رآها جبرائيل أسرع إليها ونكس رأسه وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها. فانزعجت الجارية، ومن شدّة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها إلى أسفل وأمسكت ذيلها. فقال جبرائيل: قد برأت يا أمير المؤمنين. فقال الرشيد للجارية أبسطي يدك يمنة ويسرة، ففعلت. فتعجب الرشيد وكل من كان حاضراً، وأمر لجبرائيل في الحال بخمسمائة ألف درهم. انظر تفاصيل الواقعة عند القفطي، ص 94. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 18. تاريخ مختصر الدول، ص 226 ـ 227. ابن أبي أُصيبعة، ج 2، ص 43 ـ 44. الصفدي: ج 11، ص 50.

(2) كما عالج جبرائيل الفضل بن الربيع من القولنج الذي أصابه، وفشل الأطباء في علاجه. فعالجه جبرائيل بألطف علاج وأحسنه. فبرأ الفضل بن الربيع من القولنج الذي أصابه، وازدادت محبته لجبرائيل وإعجابه به. انظر: ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 45.

(3) القفطي: ص 94. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 44. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 226 ـ 227.

(4) القفطي: ص 95 ـ 96. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 44، 48، 51.

(5) القفطي: ص 98. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 45.

وكان أن سقط وزير المأمون، وهو الحسن بن سهل، عام 202 هـ/ 817م، مريضاً وفشل الأطباء في علاجه فاضطر الحسن، عندئذٍ، إلى إخراج جبرائيل من السجن لعلاجه، وبالفعل نجح الأخير في معالجة الوزير خلال أيام قليلة. وكتب الحسن إلى المأمون يخبره بالأمر ويسأله الصفح عنه. وكان موقف الخليفة إيجابياً حيث عفا عن جبرائيل[1]. ولكن عندما وصل المأمون إلى بغداد عام 205 هـ/ 820م أمر بأن يجلس جبرائيل في منزله ولا يخدم[2]، أي فرض عليه نوعاً من الإقامة الجبرية.

وشاءت الظروف أن يمرض المأمون نفسه عام 210 هـ/ 825م ويفشل أطباء البلاط في معالجته فشلاً ذريعاً. إلى درجة أن حالته الصحية تدهورت تدهوراً خطيراً. ونصح الخليفة، والحالة هذه، باستدعاء جبرائيل لأنه أكثر الأطباء دراية بأمزجة أولاد الرشيد منذ طفولتهم. وبالفعل استدعي الأخير، ونجح في علاج الخليفة نجاحاً تاماً خلال ثلاثة أيام، «فسُرَّ به المأمون سروراً عظيماً، واستقرّ جبرائيل، على إثر ذلك، في خدمة المأمون واحتل مكانة رفيعة في البلاط»[3].

وكان أن ألمَّ مرضٌ شديد بالطبيب جبرائيل، في الوقت الذي عزم فيه المأمون على الخروج بحملته ضد الروم عام 213 هـ/ 828م. فأمر الخليفة، بأن يمكث جبرائيل في بغداد، وأن يرافقه في حملته هذه ابنه بختيشوع. ومات جبرائيل في العام نفسه (213 هـ/ 828م)، أي أثناء غياب الخليفة وابنه في الحملة المذكورة[4].

---

(1) القفطي، ص 98.

(2) المصدر نفسه. أيضاً: ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 45.

(3) انظر تفصيل ذلك عند القفطي، ص 99. ابن أبي أُصيبعة، ص 46.

(4) دفن جبرائيل في دير مار سرجيس بالمدائن، ولما عاد ابنه بختيشوع من بلاد الروم جمع للدير رهباناً وأجرى عليهم جميع ما يحتاجونه من الجريات والنفقات، انظر: القفطي، ص 99، ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 58.

ورث بختيشوع بن جبرائيل، الذي يمكن أن نطلق عليه اسم بختيشوع الثاني، تمييزاً له عن جده، الخدمة في بلاط المأمون عن والده. واستمرّ فيها حتى وفاة الخليفة عام (218 هـ/ 822م). ثم دخل بختيشوع (الثاني) في خدمة المعتصم بالله (218 ـ 227 هـ/ 833 ـ 842م) ثم الخليفة الواثق (227 ـ 232 هـ/ 841 ـ 846م)، والخليفة المتوكل (232 ـ 247 هـ/ 846 ـ 861م)، وأقام معه في سامراء. وعالج أثناء خلافة الأخير ابنه المعتزّ. ثم خدم الخليفة المستعين (248 ـ 252 هـ/ 862 ـ 866م)، والخليفة المهتدي (255 ـ 256 هـ/ 869 ـ 870م)[1].

أنجب بختيشوع (الثاني)، والذي مات عام 256 هـ/ 870م[2]، ولدين. الأول اسمه: عبيد الله، وعمل كاتباً وليس طبيباً، لدى الخليفة المقتدر (295 ـ 320 هـ/ 908 ـ 932م). والثاني اسمه يوحنا (يحيى). وكان طبيباً ماهراً، وخدم الموفق بالله العباسي (ت 278 هـ/ 891م). وكان يعتمد عليه كثيراً واعتاد على تسميته «مفرّج كربي». وقد مات يوحنا هذا عام 290 هـ/ 903م وقد خلف ابناً اسمه: بختيشوع، والذي برز في ميدان الطب، وكان طبيب الخليفة المقتدر، ومن ثم خدم الخليفة الراضي (322 ـ 329 هـ/ 934 ـ 940م)[3].

ونبغ جبرائيل عبيد الله بن بختيشوع (الثاني) في «صناعة الطب»، ويمكن أن نطلق عليه اسم جبرائيل الثاني تمييزاً له عن جد والده. وقد ذاع صيت هذا الطبيب في الآفاق، حتى أن عضد الدولة البويهي (ت 372 هـ/ 982م) صاحب شيراز، استدعاه من بغداد عام 357 هـ/ 968م. واستقر جبرائيل في بلاطه، وكان بصحبته عندما دخل بغداد عام 366 هـ/ 976م بوصفه طبيبه الخاص. وقد قسم جبرائيل الثاني وقته في بغداد بين العمل في المستشفى، الذي جدده عضد الدولة في بغداد، وهو «المستشفى العضدي» وبين الخدمة في البلاط.

---

(1) القفطي، ص 253.

(2) انظر تفاصيل ذلك عند القفطي، ص 72 ـ 73. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 62 ـ 72.

(3) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 78. ماير هوف: ص 56.

وكان ينام جبرائيل في دار الوزارة أحياناً. لأن مرض عضد الدولة كان يتطلّب من الطبيب ألّا يفارقه. وعالج جبرائيل (الثاني)، بناء على أمر من عضد الدولة، عدداً من الأمراء المسلمين مثل: الصاحب بن عباد أمير الري، وخسرو شاه ملك الديلم، وحسام الدولة صاحب الموصل. وبعد وفاة عضد الدولة أمضى جبرائيل الثاني السنوات الأخيرة من حياته في خدمة مهد الدولة صاحب ميافارقين، ومات هذا الطبيب في المدينة الأخيرة ودفن بظاهرها عام 396 هـ/ 1005م[1].

ويُعدُّ عبيد الله بن جبرائيل (الثاني) آخر الأطباء الذين اشتهروا من أسرة بختيشوع. وقد ظل يعيش في ميافارقين، بعد وفاة والده، ولقّب بأبي سعيد، ومات فيها عام 450 هـ/ 1058م[2].

ويهمنا أن نؤكّد أن انتقال آل بختيشوع من جنديسابور إلى بغداد كان بداية مرحلة جديدة في تاريخ هذه الأسرة النسطورية، كما شكّل نقطة تحوّل مهمة في تاريخ الطب العربي الإسلامي، ولا سيما وقد انتقل معهم إلى بغداد التراث السرياني واليوناني والفارسي والهندي. هذا فضلاً عن أن التزام آل بختيشوع بخدمة الخلفاء العباسيين وبعض أمرائهم، على امتداد ثلاثة قرون، قد فتح الباب واسعاً لهجرة كبار أطباء جنديسابور وعلمائها[3] من نساطرة وغير نساطرة، الواحد منهم تلو الآخر إلى العاصمة العباسية. وهكذا فقدت جنديسابور أهميتها العلمية، وغدت بغداد هي الوارثة الوحيدة لتراث الشرق والغرب في ذلك العصر.

(1) ماير هوف، ص 57. هونكه (زيغريد): شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة بيضون ودسوقي (بيروت، 1993)، ص 258.

(2) ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 78. ماير هوف، ص 56.

(3) ماير هوف، ص 57. هونكه (زيغريد): شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة بيضون دسوقي (بيروت 1993)، ص 258.

العوامل التي ساعدت على بروز آل بختيشوع:

لم يكن نبوغ آل بختيشوع في «صناعة الطب» واستمرارهم في خدمة الخلفاء والأمراء، قرابة ستة أجيال، حدثاً مفاجئاً أو صدفة تاريخية معزولة عن العصر الذي عاشوا فيه والمجتمع الذي احتضنهم. وإنما كان محصلة جملة من العوامل التي تفاعلت مع بعضها، وأسهمت جميعاً في بروز أبناء هذه الأسرة وانفرادهم بمكانة علمية وأدبية ومالية متميزة في المجتمع العباسي. ولعلّ أهم هذه العوامل هي:

أولاً: إن العصر الذي عاش فيه آل بختيشوع، كان عصر بناء الحضارة العربية الإسلامية وتقدمها. فمن نافلة القول إن خلفاء العصر العباسي، ولا سيما الأول، قد شجعوا العلماء، ووفّروا أسباب النهضة العلمية[1]. فأبو جعفر المنصور ـ الذي كان أول من اتصل بآل بختيشوع ـ كان «جيد المشاركة في العلم والأدب» وقرَّب العلماء وأعلى منزلتهم وعُني بالترجمة. كما أحب الرشيد، الذي خدم في بلاطه اثنان من آل بختيشوع «العلم وأهله»، والتفّ حوله مجموعة نادرة من العلماء والأدباء[2] وفاق المأمون ـ الذي خدم في بلاطه اثنان من آل بختيشوع ـ أسلافه في تشجيع العلم والبحث والمناظرة والجدل، وفي توفير الحرية الفكرية. وفي «العناية بالفلسفة وعلوم الأوائل ومَهَرَ بها». كما أسس «بيت الحكمة» للإشراف على حركة التأليف والترجمة، وبذل الأموال

---

(1) وصف صاحب الفخري النهضة التي شهدها العصر العباسي، ولا سيما الأول وصفاً دقيقاً عندما قال: «كانت دولة كثيرة المحاسن، جمة المكارم، أسواق العلم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافقة، وشعائر الدين فيها معظّمة، والخيرات فيها دارة، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محضة. . .».
انظر ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا): الفخري في الآداب 149 ـ 150 السلطانية، (بيروت، د. ت.) ص149 ـ 150.

(2) عن مجالس العلماء في عهد الرشيد وأولاده، انظر: الزجاجي (أبو قاسم عبد الرحمن بن إسحاق): مجالس العلماء. تحقيق عبد السلام هارون (وزارة الاعلام الكويت، 1984)، ص 8، 35، 43، 197، 255.

الطائلة لشراء الكتب اليونانية وترجمتها[1]. كما نهضهت بعض الأسر والشخصيات الإسلامية ـ المعاصرة لآل بختيشوع ـ بدور مهم في تشجيع الحركة العلمية ورعايتها، كالبرامكة أولاد موسى بن شاكر والوزيرين: الفضل بن سهل ومحمد بن عبد الملك الزيات. ويضاف إلى ذلك كله أن افتتاح أول مصنع للورق في بغداد، أيام الرشيد، قد أسهم إسهاماً مباشراً في ازدهار عمليات النسخ وانتشار حوانيت الورّاقين وتداول الكتاب. ولا شك في أنه لم يكن بإمكان هذه الحركة العلمية أن تنطلق وتستمرّ لولا الازدهار الاقتصادي الذي عمَّ أرجاء العالم الإسلامي وقتذاك. فقد كان يردّ على الخليفة هارون الرشيد، مثلاً، من خراج الأقاليم الإسلامية ـ بعد أن تقضي هذه الأقاليم جميع حاجاتها ـ نحو أربعمائة مليون درهم سنوياً. وعندما مات ترك في بيت ماله نحو تسعمائة مليون درهم[2]. وصفوة القول: إن العصر الذي عاش فيه آل بختيشوع ونبغوا، كان عصر تقدم وازدهار. وأفاد هؤلاء من كل معطياته وإمكاناته. وكانوا في الوقت نفسه، من أدواته وإفرازاته.

---

(1) وصف صاعد الأندلسي دور المأمون في النهضة العلمية في عصره بقوله: «أقبل (أي المأمون) في طلب العلم في مواضعه واستخراجه من معادنه، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا. وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة. فبعثوا إليه من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم، واستجار لهم مهرة الترجمة وكلّفهم بإحكام ترجمتها.. ثم حضَّ الناس على قراءتها.. فنفقت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم.. ويلتذّ بمذاكرتهم فينالون بذلك عنده المنزلة الرفيعة والمراتب السنية...» انظر: صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، (بيروت، 1985)، ص 128 ـ 129. رفاعي (أحمد فريد): عصر المأمون، 3 أجزاء (القاهرة، 1927) ج 2، ص 375 وما بعدها.

(2) عن النهضة العلمية في العصر العباسي الأول ومقوّماتها ومظاهرها. انظر مثلاً: ابن خلدون (عبد الرحمن): مقدمة ابن خلدون (دار الجيل، بيروت، د.ت.)، ص 467. ابن طباطبا، ص 149 ـ 150. صاعد الأندلسي، ص 128 ـ 129. ابن الزبير (الرشيد): كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حمي الله (وزارة الاعلام، الكويت، 1984)، ص 89، 130 - 132، 143، 158. فروخ، ص 113 ـ 114. الدميلي، ص 132. عطا الله، ص 29 - 31. ديورانت: ج 13، ص 170، 177 ـ 178.

ثانياً: لقد أفاد آل بختيشوع أيما فائدة من اهتمام العرب بالطب[1]. بل كانت مهنة الطب أكثر المهن رواجاً في ذلك العصر. ولا سيما أن المجتمع العباسي شهد تنوعاً كبيراً من مآكل الناس ومشاربهم، ويقول أحد المؤرخين إن المأمون أقام وليمة في أحد الأعياد اشتملت على أكثر من ثلاثمائة نوع من الطعام[2]. كما شهد هذا المجتمع اختلاطاً كبيراً بين شعوب وأمم متباينة في أصولها وبيئاتها وأجناسها... إلخ. ولهذا غدا الطب «صناعة» مهمة وواسعة الانتشار، حتى أن الخلفاء العباسيين وضعوا صناعتي «الطب والتنجيم» تحت حمايتهم لحاجتهم العملية إليهما[3].

ثالثاً: لقد أفاد آل بختيشوع فائدة كبيرة من انتشار ظاهرة واضحة في المجتمع العباسي، وهي ثقة الناس عامة والخلفاء خاصة بأطباء من أهل الذمة إقبالاً شديداً. ويتحدث الجاحظ (ت 255 هـ/ 868م) في كتابه «البخلاء»[4] عن هذه المسألة بأمانة علمية، حيث يروي قصة الطبيب البغدادي المسلم أسد بن جاني الذي لقي الكساد، على ما هو عليه من علم ومعرفة بالطب، وعلى الرغم من انتشار الأوبئة والأمراض في «تلك السنة»، وذلك لكونه مسلماً.

رابعاً: كان التسامح الديني، الذي يُعدُّ سمة واضحة في سياسة الدولة العباسية، وبخاصة في عصرها الأول عاملاً مهماً في بروز آل بختيشوع وغيرهم

---

(1) لوبون (غوستاف): حضارة العرب، ترجمة عاد زعيتر (القاهرة، 1964) ص 488.

(2) السيوطي، ص 335.

(3) أمين (أحمد): ضحى الإسلام، ج 1، ص 286 ـ 288.

(4) قال الجاحظ عن أسد بن جاني: «كان طبيباً فأكسده مرة، فقال له قائل: السنة وبئة والأمراض فاشية، وأنت عالم ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة، فمن أين تؤتي هذا الكساد. قال: أما واحدة فإني عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب لا بل قبل أن أخلق بأن المسلمين لا يفلحون في الطب، واسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليباً ومرايل ويوحنا وأبو زكريا وأبو إبراهيم. وعلى رداء قطن أبيض، وكان ينبغي أن يكون رداء حرير أسود. ولفظي عربي، وكان ينبغي أن تكون لغتي أهل جنديسابور».
انظر: الجاحظ (أبو عثمان بن بحر): البخلاء، جزءان (دار الكتب العلمية، بيروت 1988)، ج 2، ص 4 ـ 5.

من علماء أهل الذمة. ولم يتمتع هؤلاء بالحرية الدينية فحسب، وإنما شاركوا مشاركة فعّالة في إدارة الدولة ومؤسساتها، فمنهم من تولّى رئاسة الأطباء في بغداد مثل بختيشوع وابنه جبرائيل. ومنهم من تقلّد مناصب رفيعة كرئاسة «بيت الحكمة» مثل يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق[1]. وإذا كنا لا نعالج، في هذه العجالة، موضوع التسامح الديني في الإسلام، إلا أننا نود أن نؤكد أن الخلفاء العباسيين لم يجبروا واحداً من آل بختيشوع على اعتناق الإسلام، وتروي المصادر التاريخية قصة طريفة، في هذا الصدد. ولكن لها دلالات عميقة، وهي أن أبا جعفر المنصور قام بزيارة طبيبه جورجيس أثناء مرضه في بغداد عام 152 هـ/ 769م، وقال له: «يا حكيم اتّق الله وأسلم وأنا أضمنُ لك الجنّة»، فقال جورجيس: «قد رضيت حيث آبائي في الجنة أو في النار». فضحك المنصور من قوله هذا. وسواء أكان حديث الخليفة مع طبيبه على سبيل المداعبة أم كان بين الجد والمداعبة، فإنه يعكس قدراً كبيراً من التسامح[2]. وقد بلغ التسامح الديني مع النساطرة بصفة خاصة درجة أنه منح بطريركهم «الجاثليق» حق الإقامة في بغداد[3]. وإذا كان بعض المسيحيين في بغداد وغيرها، قد عانى بعض التضييق في ذلك العصر، فإن ذلك كان محدوداً ومؤقتاً ومرتبطاً باعتبارات سياسية[4]، أو بتصرفات يتحمل بعضها المسيحيون

---

(1) القفطي، ص 118، 248 ـ 249. ماير هوف، ص 58، 74. عطا الله: ص 324، 329. زغلول، ص 186. (عبد الباقي أحمد): معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991)، ص 290. النشار (علي سامي): نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (بيروت، 1973)، ص 107.

(2) انظر تفاصيل ذلك عند القفطي، ص 111. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 215.

(3) حتى: ص 424 ـ 425.

(4) كان بعض الخلفاء يشتدون، أحياناً، في معاملة المسيحيين عندما يتبيّن لهم أن المسيحيين المقيمين في مناطق الثغور يقومون بمساعدة بيزنطة، أو عندما يشترك المسيحيون الذين يعيشون في داخل الدولة الإسلامية بحركات سياسية مناهضة للدولة، ولكن في جميع هذه الأحوال كان التشديد مؤقتاً ومحدوداً ولا ينبع من دوافع دينية.
انظر: ترتون (أ.س): أحوال النصارى في خلافة بني العباس. ترجمة حسني زينة، (دار=

أنفسهم[1]. هذا فضلاً عن أن سلوك بعض الخلفاء تجاه أهل الذمة كان أفضل بكثير من قراراتهم[2]. ولذلك كله يمكن القول باطمئنان إن هذا التسامح قد خلق مناخاً طيباً أفاد منه أهل الذمة عامة، وشكّل عاملاً مهماً في انطلاق الحركة العلمية وتقدمها.

خامساً: لقد مارس النساطرة عامة، وآل بختيشوع خاصة، نوعاً من الاحتكار لصناعة الطب في العصر العباسي الأول. وقد أكّد هذه الحقيقة القفطي[3] عندما قال: «إن الجنديسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم (أي الطب) ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم وجنسهم، وقد تجلّى ذلك

= المشرق، بيروت 1990)، ص 94. اليوزبكي (توفيق سلطان): أهل الذمة في العراق، (الرياض، 1983)، ص 153 ـ 154. مصطفى (شاكر): دولة بني العباس، جزءان (الكويت، 1973)، ج 2، ص 116 وما بعدها.

(1) تروي بعض المصادر قصة تؤكد هذه المسألة وهي أنه عندما أذن الخليفة المنصور لجورجيس نفسه، لأن عيسى هذا كان طبيباً ماهراً، ولكن الأخير استغلّ منصبه بوصفه طبيب الخليفة، وأخذ بالتدخل في شؤون الأساقفة المسيحيين في العراق والهيمنة عليهم وابتزاز أموالهم، حتى أنه كتب إلى مطران نصيبين يطلب منه أشياء وتحف من الكنيسة. وقال له مهدداً: ألست تعلم أن أمر الخليفة بيدي. إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته. واستطاع هذا المطران إيصال هذه الرسالة إلى حاجب الخليفة، وهو الربيع بن يونس، الذي أطلع الخليفة على الكتاب فصبّ الأخير جام غضبه على عيسى بن شهلا، وأمر بمصادرة جميع ما يملكه ونفاه. انظر تفصيل ذلك: القفطي، ص 165. الصفدي: ج 11، ص 222 ـ 223. وانظر في هذا الصدد حديث فييت عن دور الأساقفة في تحريض الخلفاء ضد بعضهم بعضاً، وكيف كانوا يدبرون المكائد للإيقاع ببعضهم. فييت: المرجع السابق، ص 90.

(2) عندما أصدر الرشيد أوامره من الرقة، عام 191 هـ/ 807م، بهدم الكنائس بالثغور، أمر أيضاً أهل الذمة جميعاً بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم، ولكن طبيبه جبرائيل نجح في إبطال هذا الأمر الأخير، لأنه عندما عاد الخليفة إلى بغداد دخل عليه جبرائيل بطيلان مصبوغ لابساً الغيار والزنار، فأنكر الرشيد ذلك عليه. فقال للخليفة: «أنا أحد أهل الذمة ولا يجوز أن أخالف زيهم، فرفع الرشيد الأمر عن النصارى جميعاً. انظر: فييت، ص 94. أيضاً: ترتون، ص 194.

(3) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 120. انظر أيضاً: الجاحظ: المصدر السابق، ص 4 ـ 5. براون، ص 28.

الاحتكار في أمرين اثنين. أولهما: حرص هؤلاء على عدم تعليم أصول هذه «الصناعة» وقواعدها إلى غيرهم فكان الأب يلقن ابنه مبادىء الطب وأسرار المهنة وآدابها. ويشركه معه في العمل في المستشفي أو في البلاط أو في كليهما معاً، حتى يتقن المهنة إتقاناً تاماً. فيحتفظ هذا بذلك كله ليسلمه بدوره إلى ابنه وهكذا دواليك. فعندما غادر جورجيس مدينة جنديسابور إلى بغداد لمعالجة المنصور، لم يكلف بإدارة المستشفى إلّا ابنه بختيشوع. وعندما سأل الرشيد بختيشوع عن أساتذته الذين تعلّم على أيديهم الطب، قال له: إنه تعلم على يد والده جورجيس[1]. كما اعتاد آل بختيشوع على أن يؤلف الطبيب الأب كتاباً للطبيب الابن، يحتوي على المعلومات الطبية الضرورية التي يحتاجها الابن أثناء ممارسته للمهنة. فقد ألّف الطبيب بختيشوع، مثلاً كتاباً لابنه جبرائيل اسمه «التذكرة» ليكون دليلاً له في مهنته[2]. أما الأمر الثاني، الذي تجلّى فيه هذا الاحتكار، فهو حرص آل بختيشوع على توريث مواقعهم في البلاط لأبنائهم. فعندما طلب الأمير جعفر البرمكي من بختيشوع أن يرشّح له طبيباً ليسهر على خدمته فلم يرشّح له إلّا ابنه جبرائيل حيث قال له: «ابني جبرائيل أمهر مني، وليس في الأطباء من يشاكله»[3]. ولا شك في أن تعاقب أطباء من أسرة واحدة على الخدمة في البلاط العباسي جعلهم بمثابة «أطباء العائلة» الذين يعرفون طبيعة أمراض هذه العائلة. أي الخلفاء وعوائلهم، حيث لم يعد بإمكان الخلفاء الاستغناء عنهم. وهذا يفسر لنا فشل محاولات بعض الخلفاء في إنهاء خدمات بعض أطباء آل بختيشوع، وذلك لحاجتهم الماسة إليهم. فعندما غضب المأمون على جبرائيل وأبعده عن الخدمة، اضطر إلى استدعائه واسترضائه عندما سقط مريضاً، وفشل الأطباء الآخرون في علاجه[4]. ونجح جبرائيل في علاج

(1) ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 38، 42.
(2) ابن النديم (محمد بن إسحاق): كتاب الفهرست. (قطر، 1985)، ص 591. القفطي، ص 71. صاعد، ص 40. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 43.
(3) القفطي، ص 94. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 43.
(4) القفطي، ص 99. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 46.

الخليفة لأنه كان أكثر الأطباء دراية ـ كما يقول القفطي ـ[1] بأمزجة أبناء الرشيد وطباعهم وأمراضهم في «صناعة الطب» والاستمرار في خدمة البلاط العباسي على امتداد ستة أجيال تقريباً.

سادساً: على الرغم من رعاية الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء كما أشرنا، فقد حظي آل بختيشوع برعاية خاصة من قبل هؤلاء الخلفاء، حيث لم تقتصر على الجانب المادي فحسب، وإنما امتدّت إلى جوانب حياتهم كافّة. وسيتبين لنا، في ثنايا البحث، المكانة الرفيعة التي تحققت لهذه الأسرة، والتي لم تبلغها مكانة، أي أسرة أخرى مسيحية أو إسلامية، في ذلك العصر. ولعل من مظاهر هذه الرعاية، إذا استثنينا الجوانب المادية، الرعاية الشخصية لآل بختيشوع، ولا سيما في الأوقات الصعبة. فعندما مرض الطبيب جورجيس مرضاً شديداً، كان الخليفة المنصور يرسل له، في كل يوم، من يسأل عن أحواله. ولما اشتدّ المرض عليه أمر الخليفة أن يُحمل على سرير إلى دار العامة، ثم خرج (جنديسابور)، ليرى أهله وولده قبل أن يموت، أذن له وبعث معه خادماً لمرافقته إلى بلده[2]. وكذلك عندما مرض الطبيب بختيشوع (الثاني) أمر الخليفة المتوكل ابنه المعتزّ، وهو إذ ذاك ولياً للعهد، بزيارة الطبيب في البيت وتفقّد أحواله[3]. كما قام الخلفاء بحماية أملاك آل بختيشوع الواسعة، والمنتشرة في أرجاء العراق، عندما كانت تتعرّض لخطر ما. فعندما مرض بختيشوع (الثاني) نفسه خشي الخليفة المتوكل أن يستغلّ المشرفون على ضياعه، والطامعون في أملاكه، فرصة مرضه أو وفاته. فيستولون عليها. ولهذا أمر المتوكل وزيره بأن يكتب كتاباً ينصّ على أن جميع ضياع بختيشوع وأملاكه هي ممتلكات الخليفة نفسه[4]. وذلك كإجراء احتياطي لحماية ممتلكات طبيبه.

---

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 99.

(2) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 215. القفطي، ص 111. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 39 ـ 40.

(3) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 68.

(4) المصدر نفسه.

وكذلك عندما تعرّضت منازل بختيشوع هذا، في بغداد للاعتداء، وكان الأخير وقتذاك، مع الخليفة المهتدي في سامراء، أمر الأخير في الحال، بمحاسبة الجناة وحراسة منازل طبيبه[1]. ولا شك في أن هذه الوقائع، وغيرها، تبيّن لنا مدى حرص الخلفاء على حماية آل بختيشوع ورعايتهم وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم.

سابعاً: إن توافر العوامل السابقة لم يكن ليؤدّي بالضرورة إلى بروز آل بختيشوع واستمرارهم في خدمة البلاط العباسي، لو لم يكن أبناء هذه الأسرة يتمتعون بكفاءة علمية ومهنية وأخلاقية متميزة. حيث مكّنتهم من الرفادة في العوامل السابقة. فقد كان الطبيب منهم يتقن أكثر مِن لغة، فجورجيس، مثلاً، كان يتكلم السريانية واليونانية والفارسية والعربية[2]. كما أتقنوا جميعاً «صناعة الطب» نظرياً وممارسة. وتجربتهم في هذه «الصناعة» قد توارثوها جيلاً عن جيل قبل أن ينتقلوا من جنديسابور إلى بغداد. وكانت علومهم الطبية مزيجاً مركّباً من التراث اليوناني والسرياني، فضلاً عما أفادوه من الفرس والهنود في هذا الميدان[3].

ومن ناحية أخرى لم نقرأ أن أحداً من الخلفاء أو الأطباء أو المؤرخين قد شكّ في إمكاناتهم العلمية أو قلل من شأن كفاءتهم. وتروي المصادر قصة

---

(1) المصدر نفسه، ج 2، ص 63.

(2) عندما دخل جورجيس على المنصور دعا له بالفارسية والعربية، وكذلك كان جورجيس يتقن اليونانية لأنه ترجم للمنصور كتباً منها إلى العربية. هذا فضلاً عن أن جورجيس كان يتقن بطبيعة الحال لغته الأصلية، وهي السريانية. التي كانت لغة التدريس في جنديسابور. انظر عن ذلك كله: القفطي، ص 110. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 10. تاريخ مختصر الدول، ص 214.

(3) أكّد القفطي تأكيداً واضحاً على تأثر أطباء جنديسابور النساطرة بالتراث اليوناني والهندي والفارسي بقوله: «أخذوا (أي الأطباء النساطرة) فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم. فرتّبوا لهم دساتير وقوانين: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 93. وحول هذه المسألة أيضاً انظر: ماير هوف: ص 56. دي بور، ص 24. هونكه، ص 258. تاتون: ج 1، ص 456 ـ 457. الدميلي، ص 1221 ـ 1222.

طريقة تكشف مهارة هؤلاء وهي: أن الخلفاء اعتادوا على اختبار كل طبيب جديد في مقدار معرفته بفنه، أو يحتالون عليه ببعض الحيل. من ذلك أنه لمّا قدم الطبيب بختيشوع بن جورجيس بغداد، لأول مرة، طلب الرشيد من أحد الخدم أن يحضر بول دابة حتى يختبره. فمضى الخادم وأحضر «قارورة الماء» أي بول الدابة. فلما رآه بختيشوع قال: يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان. فقال له أحد أطباء البلاط، وهو أبو قريش: كذبت هذا بول حظية الخليفة. فقال له بختيشوع: ليس هذا بول إنسان إطلاقاً، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة. فقال له الخليفة: من أين علمت أنه ليس ببول إنسان؟ قال بختيشوع لأنه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه. فقال له الخليفة: ما ترى أن نطعم صاحب هذا البول؟ فقال بختيشوع: شعيراً جيداً فضحك الرشيد، وأدرك ما يتمتع به هذا الطبيب من كفاءة وخبرة[1]. أما من الناحية الأخلاقية، فإننا لم نقرأ أن أحداً منهم أساء التصرف، بل بلغت ثقة الخلفاء العباسيين بعفّتهم وأخلاقهم أن سمحوا لهم بمعالجة نسائهم، فقد أمر المنصور أن يسمح لجورجيس بالدخول إلى «حظاياه وحرمه بلا إذن». و«كان الخلفاء يثقون ببختيشوع (الثاني) على أمهات أولادهم» ووصف أحد المؤرخين أخلاق هذه الأسرة بقوله: «إن جنس جورجيس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصّهم الله به من شرف النفوس ونبل الهمم، ومن البر والمعروف والأفضال...»[2].

---

(1) انظر تفصيل ذلك عند: أبي أصيبعة: ج 2، ص 42. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 17. تاريخ مختصر الدول، ص 226 ـ 227. الصفدي: ج 10، ص 89. الذهبي، ص 82. أيضاً: ترتون، ص 181.

(2) تروي المصادر المعنية بهذا الموضوع قصة تعكس عفّة جورجيس وحسن أخلاقه، وملخصها أن هذا الطبيب رفض أن يعيش مع الجواري في منزل واحد. وقال لمن بعثهن إليه إنه متزوج، وزوجته في جنديسابور، وإنه لا يمكن أن يتزوج بأكثر من امرأة واحدة ما دامت زوجته على قيد الحياة. وبعد هذه الواقعة ازدادت ثقة الخليفة به وتعزّزت مكانته، بل أمر بأن يدخل جورجيس إلى نسائه وبناته دون مانع ويخدمهن. ولكن تجدر الإشارة إلى أن أحفاد هذا الطبيب، وخاصة بختيشوع (الثاني)، قد أحاطوا أنفسهم بالجواري، ولذلك تأثيراً بما كان يجري بالمجتمع العباسي ونتيجة للثروة التي تحققت لهم. ولكن هذا الأمر لم يحطّ =

آل بختيشوع و«صناعة الطب»:

إن استقراء النصوص التاريخية يكشف لنا أن آل بختيشوع مارسوا «صناعة الطب» من خلال أربعة ميادين رئيسية، يكمل بعضها البعض الآخر، وهي: الممارسة العلمية (السريرية)، والتأليف والترجمة وإدارة المرافق الصحية في الدولة العباسية. وفيما يتعلق بممارسة المهنة، فقد أشرنا سابقاً إلى أن أطباء هذه الأسرة قد عالجوا، الواحد منهم تلو الآخر، خلفاء بني العباس ونساءهم وأولادهم وجواريهم، فضلاً عن بعض وزرائهم وكبار رجال دولتهم في بغداد وخارجها. ويمكن القول إن ممارستهم هذه كانت تنقسم إلى شقّين رئيسين. الأول: وقائي. والثاني: علاجي. فبالنسبة إلى الشق «الوقائي» فقد أكّدت المصادر على أن آل بختيشوع حرصوا أشد الحرص على وقاية الخلفاء من الأمراض وتجنيبهم بأية وسيلة، الإصابة بها. وقد تمثلت جهودهم في هذا الصدد، بمراقبة طعام الخلفاء وشرابهم من ناحية، ومحاولة ترسيخ بعض القواعد الصحية في أذهانهم من ناحية أخرى. وفيما يتعلق بمراقبة ما يتناوله الخلفاء من طعام وشراب، فقد أكّدت المصادر هذه الحقيقة، فالطبيب جبرائيل بن بختيشوع كان يدقق في كل ما يتناوله الرشيد. ويقول ابن العبري[1]، إنه قدمت للرشيد، في بعض الأيام، الموائد. «فطلب الرشيد جبرائيل بن بختيشوع أن يحضر أكله على عادته في ذلك». وكان جعفر البرمكي «يأكل ويشرب مع جبرائيل» عندما كان الأخير في خدمته[2]. كما أن الخليفة الأمين كان «لا يأكل ولا يشرب إلّا بإذن جبرائيل» عندما كان الأخير

= من قدرهم ومكانتهم وفقاً لمعايير ذلك العصر، كما أنه لم يؤثر إطلاقاً في ممارستهم «صناعة الطب» بأخلاقية رفيعة. فحياتهم الشخصية لم تؤثر في طبيعة مهنتهم التي مارسوها بإحساس عال بالمسؤولية. انظر حول قصة جورجيس هذه: القفطي، 110. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 10 ـ 11. تاريخ مختصر الدول، ص 214 ـ 215. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 39 ـ 58.

(1) تاريخ مختصر الدول، ص 228.

(2) المصدر نفسه، ص 226 ـ 227. القفطي، ص 94. ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 43. الصفدي: ج 11، ص 50.

في خدمته[1]. وكان الطبيب يمنع الخليفة أحياناً، من تناول نوع من الطعام إذا اقتضت الحالة. فقد منع جبرائيل الخليفة المأمون، في أحد الأيام، من تناول أي نوع من اللحوم لفترة من الوقت، عندما لاحظ أن حالته الصحية تقتضي ذلك[2]. وكان الطبيب يطلب من الخليفة أحياناً، تأجيل موعد طعامه، إذا وجد حالة الخليفة تتطلب التأجيل. فقد طلب جبرائيل من الخليفة المأمون، في أحد الأيام أن يؤخر موعد الغداء «بعد أن لاحظ تغيراً على وجهه وجسّ نبضه»[3]. وتجدر الإشارة إلى أن أطباء آل بختيشوع كانوا يقومون بهذه الإجراءات الوقائية سواء أكان الخلفاء في العاصمة أو خارجها. فمن المعروف أنهم رافقوا الخلفاء في حلهم وترحالهم[4]. وذلك لمراقبة أحوالهم الصحية وما يتناولونه من طعام وشراب في الرقة. «وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة، أتعرف على حالته في ليلته». وكثيراً ما أنقذ هؤلاء الأطباء حياة الخلفاء من أخطار حقيقية، بفضل مراقبة طعامهم وشرابهم. فيروي ابن أبي أُصيبعة[5] أن جبرائيل بن بختيشوع منع الرشيد، في إحدى الولائم التي أقيمت له بالحيرة، من تناول السمك مع أنواع أخرى من الطعام والشراب، حرصاً على عدم التخليط، ومنعاً من أن يؤدي ذلك إلى تسمم الخليفة.

ومن جهة أخرى، لم يتردد آل بختيشوع في توجيه النصائح الطبية للخلفاء، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك في محاولة لترسيخ بعض التقاليد والقواعد الصحية في حياتهم اليومية. ومن تلك النصائح التي كان يرددها هؤلاء على مسامع الخلفاء قول جبرائيل بن بختيشوع: إن مما يهدم العمر «إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام»[6]. وكان ينصح هذا

---

(1) القفطي، ص 98. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 45.
(2) انظر تفصيل ذلك عند: ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 54.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه، ج 2، ص 51، 58.
(5) المصدر نفسه. ج 2، ص 47 ـ 48.
(6) ابن الأثير: ج 6 ص 311.

الطبيب ألّا يمسك الإنسان عن تناول نوع من الطعام كل عمره وإنما عليه أن يعوّد نفسه على تناول كل أنواع الطعام حتى يتمرن الجسم ويألفها، لأنه قد يضطر إلى تناول طعام لم يسبق أن تناوله فلن تقبله نفسه عندئذٍ. وكان جبرائيل نفسه ينصح بعدم المبالغة في استخدام الأدوية المسهلة. لأنه إذا اعتاد الإنسان عليها قلّ فعلها[1]. وكان بختيشوع (الثاني) يردد دائماً أن «أكل القليل مما يضر أصلح من أكل الكثير مما ينفع»[2] و«الشرب على الجوع رديء والأكل على الشبع أردأ»[3].

والواقع أن نصائح آل بختيشوع الطبية كانت تلقى، أحياناً، آذاناً مصغية عند بعض الخلفاء. كما هي الحال بالنسبة إلى الخليفة المأمون، الذي كان يرددها ويعمل بموجبها[4]. في حين كانت تلقى قبولاً عند خلفاء آخرين ولكن دون أن يتقيّدوا بها، مثل الخليفة هارون الرشيد. فالحوار الذي دار بينه وبين طبيبه جبرائيل بن بختيشوع في مدينة طوس قبيل وفاته بأيام قليلة عام 193 هـ/ 809م، يكشف أن الرشيد كان لا يكترث أحياناً بالنصائح الطبية. حيث قال الرشيد لجبرائيل، عندما اشتدّ عليه المرض: «لم لا تبرئني؟ قال له جبرائيل: كنت أنهاك دائماً عن التخليط وكثرة الجماع ولا تسمع مني، والآن سألتك أن ترجع إلى بلدك فإنه أوفق لمزاجك فلم تقبل... وأرجو أن يمنّ الله بعافيتك»[5].

---

(1) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 62.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص 46 ـ 47، 50. القفطي: ص 101 ـ 102.

(3) القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم): زهرة الآداب وثمرة الألباب، ج 2، ص 863.

(4) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 73.

(5) بلغ الوعي الصحي عند المأمون درجة أنه كان يعرف فوائد كل لون من ألوان الطعام ومضاره. ويروي السيوطي أن المأمون أقام وليمة في أحد الأعياد، ووضع فيها أكثر من ثلاثمائة لون من الطعام، وكان كلما وضع لوناً نظر المأمون إليه وقال للحضور: هذا نافع لكذا وضار لكذا، فمن كان منكم صاحب بلغم فيتجنب هذا. ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا... إلخ. انظر: السيوطي ص 335. أيضاً انظر: ابن عبد ربه (أحمد بن أحمد): العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترجيبي (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.) ج 7، ص 273.

أما إذا أصيب الخليفة بمرض ما فينتقل الطبيب، عندئذ، إلى الشق الثاني وهو العلاج، وكان يتم ذلك وفقاً لخطوات علمية دقيقة. ففي الخطوة الأولى يقوم الطبيب بتشخيص، تقول المصادر إنه عندما وصل جورجيس إلى بلاط المنصور حرص، بداية، على تشخيص مرضه. حيث «حدَّثه (أي الخليفة) بعلّته، وكيف كان ابتداؤها... ولما كان غدٍ دخل إليه (أي الطبيب)... ونظر في نبضه وإلى قارورة الماء..»[1]. ويفهم من هذا النص أن الطبيب اطلع على التاريخ المرضي للخليفة، ثم قام بقياس النبض يدل على حالة قلب المريض في حين أن فحص البول، من حيث قوامه ولونه ورائحته، يدلّ على حالة كبده. وقد اتبع آل بختيشوع خطوات التشخيص هذه حتى مع نساء الخلفاء والأمراء وجواريهم[2] حيث كانت المريضة منهن تقف وراء ستار وتشرح للطبيب حالتها الصحية، وتجيب عما يسألها عنه من أعراض وغير ذلك. كما يطلع على «القارورة» ويقول الجهشياري إن الرشيد استدعى يوماً طبيبه جبرائيل لمعالجة زوجته زبيدج، وإن الأخيرة شرحت حالتها له من «وراء الستر»[3].

وبعد التشخيص ينتقل الطبيب إلى مرحلة وصف الدواء اللازم. وإذا تابعنا جورجيس في خطواته عندما عالج المنصور، نجده يطلب منه نوعاً من الحمية، ثم يعطيه الدواء المناسب. وفي ذلك يقول ابن أبي أُصيبعة[4] «ووافقه على تخفيف الغذاء ودبّره تدبيراً لطيفاً حتى رجع إلى مزاحه». وقد اعتاد آل

(1) القفطي، ص 98.

(2) يقول التنوخي إنه عندما كان بختيشوع (الثاني) حدثاً كان يرافق والده جبرائيل إلى دور البرامكة، وكان إذ ذاك طبيبهم، وكان يدخل إلى حرمهم ولا يستتر أكثرهم عنه. انظر: التنوخي (القاضي أبي علي المحسن بن علي): نشوار المحاضر وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي (دار صادر، بيروت، 1973) ج 8، ص 248.

(3) (الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس): كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق وفهرسة: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي (مصر، 1980) ص 225.

(4) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج 2، ص 38، 43.

بختيشوع على وصف العقاقير المتداولة في ذلك العصر. فقد كان جبرائيل بن بختيشوع يأخذ من الرشيد مائة ألف درهم سنوياً مقابل شرب الدواء مرتين في العام. ومع أن هذه العقاقير كانت تستخرج، في معظمها، من الأعشاب الطبية. إلا أنه تم استخدام العقاقير الحيوانية والمعدنية سواء على شكل «أدوية مفردة» أو «مركبة». وقد صنَّف يوحنا بن بختيشوع (الثاني) كتاباً في الأدوية عنوانه «تقويم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية»[1]. كما وصف آل بختيشوع لمرضاهم أنواعاً من الفاكهة لما فيها من قيمة علاجية. فقد أغرى بختيشوع (الثاني) المعتز بن المتوكل، عندما كان مريضاً، بإهدائه جبة ثمينة كان يرتديها الطبيب نفسه، مقابل أن يتناول دواء يشتمل على أنواع من الشراب وعلى أنواع من الفواكه مثل التفاح. وبالفعل تمّت «الصفقة» حيث تناول المعتزّ الدواء والتفاح وكسب الجبة من طبيبه وشفي من مرضه[2].

وإذا لم تجد العقاقير نفعاً، كان يقوم آل بختيشوع بإجراء بعض أنواع الجراحة. ومما تذكره المصادر في هذا الصدد أنهم استخدموا «الفصد» إذا كانت حالة المريض تقتضي ذلك. فالطبيب جبرائيل بن بختيشوع كان يأخذ من الرشيد مائة ألف درهم سنوياً مقابل فصده مرتين في العام[3]. كما استخدم الطبيب نفسه الفصد مع زبيدة، زوجة الرشيد، وكذلك مع جارية يحيى البرمكي المشهورة بدينار[4]. ويبدو أن آل بختيشوع كانوا لا يفصدون بأيديهم إلا الخلفاء، أما دون ذلك فقد كانوا يكلفون أحد أبنائهم أو تلاميذهم للقيام بذلك، ولكن تحت إشرافهم. فيروي التنوخي[5] أن جبرائيل كلّف ابنه

---

(1) المصدر نفسه: ج 2، ص 58 ـ 60. أيضاً انظر عبد الباقي (أحمد)، ص 522.

(2) انظر تفاصيل ذلك كله عند: ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 52، 68، ويقول التنوخي في هذا الصدد إن جبرائيل أمر أن يحمل إلى جارية يحيى، بعد أن فصدها ابنه بختيشوع، شراباً تشربه وشيئاً من الرمان. انظر: التنوخي، المصدر السابق، ج 8، ص 248.

(3) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 58 ـ 60. التنوخي: ج 8، ص 248.

(4) التنوخي: ج 8، ص 248. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 69.

(5) نشوار المحاضرة: ج 8، ص 248.

بختيشوع (الثاني) بفصد جارية يحيى البرمكي، وقال بختيشوع: «وأخرجت دينار يدها من وراء الستر ففصدتها...». كما استخدم آل بختيشوع «الحجامة» بل ألف بختيشوع (الثاني) كما سنرى، كتاباً فيها. وتروي المصادر أنهم عالجوا، في إحدى المرات، زبيدة بالحجامة[1]. وكانوا يضطرون أحياناً إلى استخدام الفصد والحجامة في آنٍ واحد، إذا كانت حالة المريض تقتضي ذلك. فيروي ابن أبي أُصيبعة[2] أن الرشيد كان بمدينة الرقة، في إحدى المرات، بصحبة ولديه، الأمين والمأمون، وطبيبه جبرائيل. ويبدو أن الرشيد كان قد أكثر يومها من الطعام والشراب، وغشي عليه في «المستراح» حتى لم يشك ولداه في موته. فهرع جبرائيل إليه، حيث قام بفصده وحجمه فصحا الخليفة من غيبوبته.

كما استخدم أطباء آل بختيشوع أحياناً، العلاج النفسي في معالجة بعض الأمراض ذات المنشأ العصبي أو النفسي. فتتناول المصادر واقعة مشهورة تؤكد هذه الحقيقة، وهي نجاح جبرائيل بن بختيشوع في علاج إحدى جواري الرشيد عندما أصيبت بنوع من الفالج أو الشلل العصبي في إحدى يديها، وكيف تمكن هذا الطبيب، عن طريق الإيحاء النفسي، من إعادة الحياة إلى يدها. وكان الأطباء يرددون على مسامع الخلفاء بعض النصائح المتعلقة بالصحة النفسية، فيروي الثعالبي[3]، أن بختيشوع قال للمأمون يوماً: «يا أمير المؤمنين لا تجالس الثقلاء، فإنّا نجد في كتبنا أن مجالستهم حمى الروح. فقال المأمون: وأنا على ذلك من الشاهدين».

أما الميدان الثاني من ميادين «صناعة الطب» الذي عملوا فيه آل بختيشوع، فهو ميدان التأليف. فقد كتب عدد منهم مؤلفات، بعضها يتعلق بهذه

(1) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 49.
(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 2، ص 51 ـ 52.
(3) الثعالبي (أبو منصور عبد الملك): كتاب خاص الخاص، (بيروت، 1966)، ص 77.

«الصناعة» بشكل عام، وبعضها الآخر يتناول جانباً منها. وقد كتب معظمها بالعربية وقلّة قليلة منها كتبت بالسريانية ثم ترجمت إلى العربية. وكان بعض هذه المؤلفات موجّهاً إلى أحد الخلفاء أو الأمراء، وبعضها الآخر موجّهاً لأحد أبناء آل بختيشوع أو كتب لأهداف علمية خالصة. وسنكتفي بذكر أهم المؤلفات المتعلقة بصناعة الطب تحديداً. فبالنسبة إلى مؤلفات جورجيس يقول ابن النديم وابن أبي أُصيبعة[1]: إن «الجورجيس من الكتب كناشه المشهور». وقد كتبه بالسريانية، وقام حنين بن إسحاق بنقله إلى العربية[2]. أما بختيشوع بن جورجيس فقد ألّف كتابين الأول تحت عنوان «مختصر في الطب». والثاني بعنوان: «التذكرة» الذي ألّفه لابنه جبرائيل[3]. وزلف جبرائيل بن بختيشوع، كما يقول ابن أبي أصيبعة[4] عدداً من الكتب منها: «رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب» و«رسالة مختصرة» و«كتاب في الباه» و«كتاب في صناعة البخورش الذي ألّفه للمأمون»[5]. ومن مؤلفات بختيشوع (الثاني) الطبية، كتابه: «في الحجامة على طريق المسألة والجواب»[6]. أما يوحنا بن بختيشوع

---

(1) الفهرست ص 590. عيون الأنباء: ج 2، ص 14.

(2) تشير بعض المراجع إلى أن جورجيس ألّف كتاباً بعنوان «الأخلاط». وقد أفاد منه الرازي في كتابه «الحاوي». انظر: عكاوي (رحاب): الموجز في تاريخ الطب عند العرب (بيروت 1995)، ص 178. شادية حافظ توفيق، ص 241 ـ 242.

(3) ابن النديم: ص 591. صاعد، ص 40. القفطي، ص 71. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 43. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدميري (دار الكتاب العربي، بيروت، 1993) حوادث ووفيات 181 - 190 هـ، ص 82.

(4) عيون الأنباء: ج 2، ص 26.

(5) انظر تفاصيل أكثر عن مؤلفات جبرائيل عند: عبد الباقي، ص 325. عطا الله، ص 334. عكاوي (رحاب خضر)، ص 181 ـ 182. شادية توفيق حافظ، ص 247. رفاعي: ج 2، ص 419.

(6) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 72. ومن أجل تفاصيل أكثر عن مؤلفات بختيشوع (الثاني) انظر: عبد الباقي، ص 521، 536. عكاوي، ص 183. شادية توفيق حافظ، ص 250.

(الثاني)، فقد ألّف كتاباً بعنوان: «فيما يحتاج إليه الطبيب من علم النجوم»[1]. وألف جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع (الثاني) عدداً من الكتب الطبية، فقد ألّف للصاحب بن عباد كتابين، الأول هو عبارة عن كناش صغير يتناول الأمراض التي تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم. والثاني هو عبارة عن كناش كبير أطلق عليه اسم «الكافي»، أي بلقب الصاحب نفسه لمحبته له. ويتألف من خمسة مجلدات عن طريق السؤال والجواب. كما ألّف جبرائيل كتابين لخسور شاه، الأول هو عبارة عن «مقالة في ألم الدماغ»، والثاني «رسالة في عصب العين»[2]. أما مؤلفات عبيد الله بن جبرائيل الطبية فهي كتاب بعنوان: «التواصل إلى حفظ التناسل» وكتاب: «مناقب الأطباء» وكتاب «نوادر المسائل مقتضبة من علم الأوائل في الطب». ومقالة «في الاختلاف بين الألبان»، وكتاب: «الروضة الطبية»، و«رسالة في بيان وجوب حركة النفس» وكتاب: «الخاص في علم الخاص» وكتاب «طبائع الحيوان وخواصها ومنافعها» و«رسالة جواباً على مسألة في الطهارة ووجوبها» وكتاب «تذكرة الحاضر وزاد المسافر»[3].

أما الميدان الثالث من ميادين «صناعة الطب» الذي عمل به آل بختيشوع، فهو ترجمة المؤلفات، ولا سيما الطبية منها. من اليونانية أو السريانية، إلى العربية. وعلى الرغم من أن آل بختيشوع كانوا من رعاة حركة الترجمة، لكن المؤلفات التي ترجموها بأنفسهم كانت قليلة، ويبدو أن السبب في ذلك هو عدم توافر الوقت الكافي للترجمة. حيث أمضوا معظم وقتهم في بلاط الخلفاء

(1) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 961. ويقول الزركلي إن ليوحنا هذا كتاب بعنوان «تقويم الأدوية». انظر: الزركلي (خير الدين): الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت، 1989) ج 8، ص 210.

(2) القفطي، ص 104 ـ 105. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 72 ـ 78. الصفدي: ج 11، ص 51. أيضاً انظر: عواد (كوركيس) خزانة الكتب القديمة في العراق. (بيروت، 1986)، ص 142.

(3) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 78. ويقول الزركلي إن لعبيد الله هذا كتاب بعنوان: «عقد الجمان في طبائع الإنسان والحيوان». انظر الاعلام، ج 4، ص 192. أيضاً انظر: شادية توفيق حافظ، ص 254.

والأمراء، والتزموا التزاماً صارماً بمرافقة الخلفاء في الحل والترحال. هذا فضلاً عن التزام بعضهم في العمل بالمستشفيات. وكان إذا توافر لديهم بعض الوقت، والحالة هذه، يقومون بتأليف كتاب أو كناش تلبية لرغبة خليفة أو أمير. ولهذا كله فإن قلّة قليلة منهم من قام بالترجمة. ومن هؤلاء جورجيس الذي «نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربي»[1]. وعلى أن جبرائيل بن بختيشوع لم يمارس الترجمة بنفسه، ولا أنه كان يكلف من يترجم له، فقد ترجم له مثلاً، حنين بن إسحاق كتباً من اليونانية إلى العربية، تتعلق بالتشريح[2]. أما بختيشوع (الثاني) فقد نقل للمتوكل كتباً كثيرة من كتب الطبيب اليوناني جالينوس (ت 199م) إلى العربية[3]. وكلف بختيشوع هذا أيضاً حنين بن إسحاق بنقل كتب كثيرة من كتب جالينوس إلى السريانية والعربية[4]. أما يوحنا بن بختيشوع (الثاني) فقد نقل كتباً كثيرة من اليونانية إلى السريانية، تمهيداً لنقلها إلى العربية[5].

أما الميدان الرابع الذي مارس من خلاله آل بختيشوع «صناعة الطب»، فهو تولّي بعض المناصب وإدارة بعض المرافق المرتبطة بهذه «الصناعة» ارتباطاً مباشراً. فقد تولى بختيشوع بن جورجيس منصب «رئيس الأطباء في بغداد» بأمر من الرشيد، حيث قال له الأخير، كما يروي عدد من المؤرخين «تكون رئيس الأطباء، ولك يسمعون ويطيعون»[6]. ويبدو أن منصب «رئيس الأطباء والفلاسفة» كما يقول ماير هوف[7] كان مقصوراً تقريباً، على أطباء الخلفاء.

---

(1) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 37.

(2) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 250 ـ 251. زيدان (جرجي): م 12، ص 21. عكاوي، ص 181.

(3) الصفدي: ج 10 ص 87.

(4) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 62.

(5) المصدر نفسه، ج 2، ص 169.

(6) المصدر نفسه: ج 2، ص 43. أيضاً: القفطي، ص 72. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 226 ـ 227. الصفدي: ج 10، ص 89.

(7) «من الاسكندرية إلى بغداد»، ص 99.

وقد غدا هذا المنصب منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) منصباً رسمياً يمنحه الحكّام. كما تولّى جبرائيل بن بختيشوع منصب «رئاسة الأطباء» في بغداد بأمر من الرشيد. وتقول المصادر إن هذا جبرائيل بن بختيشوع منصب «رئاسة الأطباء» في بغداد بأمر من الرشيد. وتقول المصادر إن هذا التعيين جاد بعد نجاح هذا الطبيب في علاج جارية الرشيد من الفالج الذي أصابها[1]. وتولى جبرائيل نفسه، بأمر من الرشيد، الإشراف على بناء مستشفى في بغداد، والذي أطلق عليه اسم «مستشفى الرشيد»، وعيّن جبرائيل طبيباً نسطورياً من أطباء جنديسابور، وهو ماسويه، رئيساً لهذا المستشفى. وقد ظلّ جبرائيل، في الوقت نفسه، يتولى الإشراف عليه ويتفقد شؤونه بنفسه[2]. وتولى جبرائيل (الثاني) رئاسة «المستشفى العضدي» في بغداد، بأمر من عضد الدولة. ويبدو أن هذا المستشفى، الذي أسسه عضد الدولة عام 368 ـ 978، كان مكاناً لعلاج المرضى من ناحية ومدرسة لتعلم الطب وإتمام دراسة الأطباء المبتدئين من ناحية أخرى[3].

شهادات في كفاءة آل بختيشوع:

وقد شهد الكثيرون بنبوغ أبناء هذا الأسرة ومهارتهم في «صناعة الطب». وسنكتفي بالإشارة إلى شهادات بعض الخلفاء والأطباء والمؤرخين بكفاءة هؤلاء. فقد شهد أبو جعفر المنصور بكفاءة جورجيس، فتروي المصادر أنه عندما قرر الأخير العودة إلى جنديسابور، قال له المنصور: «وجدت راحة عظيمة في جسمي منذ رأيتك وإلى هذه الغاية وقد تخلّصت من الأمراض التي

(1) القفطي، ص 94، ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 44.

(2) القفطي، ص251، فييت، ص84، الديوهجي (سعيد): الموجز في الطب الإسلامي، (الكويت، 1989) ص59، عبد الباقي ص529، زيدان (جرجي): م12، ص89 ـ 91.

(3) ماير هوف، ص 92، عيسى (أحمد): تاريخ البيمارستانات في الإسلام (بيروت، 1891)، ص 391.

كانت تعتادني»[1]. وشهد الرشيد بكفاءة طبيبه جبرائيل عندما قال: «من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني هذا التدبير»[2].

ولعل شهادة أطباء البلاط بزملائهم من آل بختيشوع ـ على ما أبناء الصنعة الواحدة من تحاسد ـ تبرهن على كفاءة هؤلاء، فعندما سأل المنصور أطباء بلاطه فيما إذا كانوا يعرفون طبيباً ماهراً لمعالجته قالوا له: «ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجيس رئيس أطباء جنديسابور. فإنه ماهر في الطب وله مصنفات جليلة»[3]، وعندما عانى الرشيد من الصداع سأل أطباء البلاط عن بختيشوع بن جورجيس فقالوا له إن والده (أي جورجيس) «لم يكن مثله في زمانه». وعندما وصل بختيشوع هذا إلى بلاط الرشيد دعا الأخير أطباء بلاطه للحوار معه فقال له هؤلاء: «يا أمير المؤمنين ليس فينا من يقدر على الكلام مع هذا لأنه كوّن الكلام هو وأبوه وجنسه فلاسفة»[4].

وشهد عدد كبير من المؤرخين بمهارة آل بختيشوع، فهذا ابن أبي أُصيبعة[5] يقول عن جورجيس إنه «كانت له خبرة بصناعة الطب ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج». ويقول عن ابنه بختيشوع إنه: «يلحق بأبيه بصناعة الطب ومزاولة لأعمالها»[6]. وذكر كل من القفطي وابن أبي أُصيبعة[7] أن جبرائيل بن بختيشوع قد خدم الرشيد خمس عشرة سنة لم يمرض خلالها الرشيد إطلاقاً. كما أشاد الصفدي[8] بجبرائيل هذا بقوله إنه «كان مشهوراً

(1) القفطي، ص 111. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 214 ـ 215. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 40.
(2) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 47 ـ 48.
(3) المصدر نفسه: ج 2، ص 37.
(4) المصدر نفسه، ج 2، ص 42. أيضاً: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 17.
(5) عيون الأنباء، ج2، ص 37.
(6) المصدر نفسه، ج 2، ص 41.
(7) المصدر نفسه، ج 2، ص 44. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 95.
(8) الوافي بالوفيات: ج 11، ص 50.

بالتصرف في المداواة». وقال التنوخي[1] عنه إن البرامكة كانوا لا يثقون إلّا به. كما شهد القفطي[2] بالطبيب بختيشوع (الثاني) بقوله إنه كان «طبيباً حاذقاً». وأشاد ابن أبي أُصيبعة[3] بكفاءة جبرائيل (الثاني) وابنه عبيد الله، فقال عن الأب إنه «كان فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب جيداً في أعمالها حسن الدراية بها... وكان أجداده في هذه الصناعة كل منهم أوحد زمانه وعلامة وقته». وقال عن ابنه إنه «كان فاضلاً في صناعة الطب، مشهوراً بجودة الأعمال فيها، متقناً لأصولها وفروعها، جملة المتميزين من أهلها والعريقين من أربابها..»[4].

مكانة آل بختيشوع الأدبية:

وقد تحققت لآل بختيشوع مكانة أدبية كبيرة في بلاط الخلفاء خاصة، وأوساط الأمراء والشعب عامة. وتعود أسس هذه المكانة وملامحها إلى الأيام الأولى لوصول جورجيس إلى بغداد عام 148 هـ/ 765م. حيث احتل هذا الطبيب مكانة أدبية مرموقة في بلاط الخليفة، وأكّد ابن العبري[5] ذلك بقوله إنه لما وصل جورجيس إلى بلاط المنصور أمر الأخير حاجبه الربيع «بإنزاله في أجمل موقع من دوره وإكرامه كما يكرم أخصّ الأهل...». ويضيف ابن أبي أُصيبعة[6] إلى ذلك أنه بعد نجاح جورجيس في علاج الخليفة، أمر الأخير «بأن يجاب جورجيس إلى كل ما يسأل».

وبلغت منزلة آل بختيشوع الأدبية شأواً كبيراً في عهد الرشيد، بل لا

(1) نشوار المحاضرة: ج 8، ص 248.
(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 72.
(3) عيون الأنباء، ج 2، ص 78.
(4) المصدر نفسه.
(5) تاريخ مختصر الدول، ص 214 ـ 215. انظر أيضاً: القفطي، ص 110، ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 38.
(6) عيون الأنباء: ج 2، ص 48. الصفدي: ج 11، ص 50.

نبالغ إذا قلنا إن المنزلة التي احتلها الطبيب جبرائيل، حفيد جورجيس، في بلاط الرشيد لم تبلغها منزلة أي طبيب آخر، نسطوري أو غير نسطوري، خدم في البلاط العباسي. ومما يؤكد هذه الحقيقة ما تردده المصادر من أن الرشيد قال لجبرائيل هذا، وهو حاج بمكة «يا جبرائيل: علمت مرتبتك عندي؟ قال: يا سيدي كيف لا أعلم؟ قال له: دعوت لك والله، في الموقف، دعاء كثيراً. ثم التفت الرشيد إلى بني هاشم وقال لهم: عسى أنكرتم قولي هذا؟ فقالوا يا سيدنا: إن جبرائيل ذمي. فقال الرشيد: نعم، ولكن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بي، فصلاحهم بصلاحه وبقائه. فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين»[1]. وعلى الرغم مما يحمل حديث الخليفة من دلالات ومعانٍ سياسية خطيرة، لسنا الآن بصدد مناقشتها، إلا أنه يكشف بالدرجة الأولى، المكانة الأدبية التي حظي بها هذا الطبيب في بلاط الخليفة، ويشكّل دعوة غير مباشرة إلى بني العباس خاصة، والمسلمين عامة، بأن يمنحوا هذا الطبيب الاحترام والتقدير.

ووصلت منزلة جبرائيل في بلاط الرشيد ذروتها، عندما أخذ الأخير يردد على مسامع أصحابه أن «كل من كانت له إليَّ حاجة فليخاطب بها جبرائيل، لأني أفعل ما يسألني فيه ويطلبه من...»[2]. ولا شك في أن كلام الخليفة يبيّن بوضوح أن جبرائيل لم يعد مجرد طبيب يتمتع بحظوة في البلاط، وإنما غدا بمثابة وزير تفويض أثير لدى الرشيد. ومن ناحية أخرى فإن كلام الخليفة جعل كبار رجال الدولة وقادتها يعملون على كسب ودّ جبرائيل لأنه أصبح مدخلاً لتحقيق مطامحهم وحل مشاكلهم. وقد أكّد هذه الحقيقة عدد من المؤرخين بقولهم: «وكان القادة يقصدونه (أي جبرائيل) في كل أمورهم»[3]. ومن المؤكد أن جبرائيل نفسه كان أكثر الناس دراية بمنزلته عند الرشيد، حيث

---

(1) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 48. الصفدي: ج 11، ص 50.
(2) القفطي، ص 95. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 44.
(3) ابن أبي أُصيبعة: ج2 ص44. القفطي، ص 95.

ينقل القفطي[1] حديثاً لجبرائيل جاد فيه: «وأفضل عليّ الخلفاء ورفعوني من حدّ الطب إلى المعاشرة والمسامرة. وأنه ليس لأمير المؤمنين أخ ولا قرابة ولا قائد ولا عامل إلا وهو يداريني، إن لم يكن مائلاً بمحبته إليّ وشاكراً لي على علاج عالجته به ومحضر جميل حضرته له ووصفته وصفاً حسناً عند الخليفة لمنفعته وكل واحد من هؤلاء يفضّل عليَّ ويحسن إليَّ...».

وعلى الرغم من تردّي العلاقات بين جبرائيل والخليفة المأمون، في مستهل عهد الأخير، إلا أنه سرعان ما عاد الودّ بينهما، حتى «صار المأمون إذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل، وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه، وانتهى به الأمر في إجلاله إلى أن كان كل من تقلّد عملاً لا يخرج إلى عمله إلّا بعد أن يلقى جبرائيل ويكرمه»[2]. وعلى الرغم مما سيدرّ هذا القرار على جبرائيل من ثروة مادية، إلا أنه يعكس في الوقت نفسه، ما كان يحظى به من مكانة أدبية عند الخليفة. ويبدو أن المكانة التي تحققت لجبرائيل في أيام المأمون، ساعدته على أن يشمل في رعايته أبناء طائفته من النساطرة. حتى أنه قام بدور كبير في انتخاب بطريك النساطرة، المعروف بابن الصباغ، على الرغم من كبر سنه[3].

واحتل بختيشوع (الثاني) مكانة أدبية رفيعة في بلاط الخليفة المتوكل قبل أن ينكبه. وقد أكّد هذه المكانة القفطي[4] بقوله: «إن هذا الطبيب بلغ في الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكمال المروءة مبلغاً يفوق الوصف». وأشار ابن أبي أُصيبعة[5] إلى ذلك بقوله «إن مكانة بختيشوع هذا لم يبلغها أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره...» وكان الخليفة المتوكل

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 97.
(2) المصدر نفسه، ص 99. عيون الأنباء، ج 2، ص 45.
(3) فييت، ص 112. البغدادي، ص 1102. رفاعي: ج 2، ص 419.
(4) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 61 ـ 62.
(5) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 61 ـ 62.

نفسه يردد دائماً أن بختيشوع (الثاني) «محله منا محل أرواحنا من أبداننا». بل ذكر عدد من المؤرخين أن هذا الطبيب اعتاد أن يجلس إلى جانب الخليفة على السدة[1].

ثروة آل بختيشوع المالية:

لقد أثرى آل بختيشوع، خلال خدمتهم في البلاط العباسي، ثراء كبيراً. وقد تعددت مصادر هذا الثراء وتنوّعت أشكاله. فبعضه كان مصدره الخلفاء وبعضه الآخر كان مصدره كبار رجال الدولة. وقد أكّد هذه الحقيقة القفطي[2] بقوله: «إن عيش جبرائيل وبختيشوع أبيه وجورجيس جده لم يكن من الخلفاء فقط، وإنما كان من الخلفاء وولاة العهود وأخوة الخلفاء وعمومتها وقرابتها ووجهاء مواليه وقوّادها». أما أشكاله فقد توزعت بين ثروات منقولة كالأموال والثياب والأطياب والدواب، وثروات غير منقولة كالضياع والمزارع والبيوت. ولقد أشار بعض المؤرخين إشارات عابرة إلى ثروات بعض أطباء هذه الأسرة في حين ذكر مؤرخون آخرون تفاصيل وافية عنها. فعندما أشار ابن أبي أُصيبعة[3] إلى ثروة جورجيس اكتفى بالقول إنه نال من المنصور «أموالاً جزيلة»[4]، وعندما تحدث القفطي[5] عن ثروة بختيشوع بن جورجيس قال إن الرشيد وهبه «مالاً وافراً». أما عن ثروة بختيشوع بن يوحنا فقد أشار إليها أحد المؤرخين بقوله: «إنه نال من المقتدر الأنعام الكثيرة والإقطاعات من الضياع..»[6].

---

(1) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 39. تاريخ مختصر الدول، ص 249. الصفدي: ج 102، ص 87 ـ 88.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 97.

(3) عيون الأنباء: ج 2، ص 37.

(4) لا شك في أن جميع أطباء آل بختيشوع كانوا يتناولون رواتب نقدية. فتشير بعض المراجع إلى أن المنصور جعل لجورجيس راتباً شهرياً ومبلغاً سنوياً يوازي الراتب لحجامته. انظر شادية توفيق حافظ، ص 241.

(5) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 71.

(6) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 169.

ولكن توقف عدد كبير من المؤرخين أمثال التنوخي والقفطي وابن العبري وابن أبي أُصيبعة[1]، أمام «مدرج» كتب بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع يتضمن ثروة هذا الطبيب التي حصل عليها خلال خدمته للرشيد نحو ثلاثة وعشرين عاماً، وخدمته للبرامكة نحو ثلاثة عشر عاماً. وتناقل المؤرخون أخبار هذه الثروة تعبيراً عن دهشتهم بها. وتجدر الإشارة إلى أن تفاصيل هذه الثروة عضها اثنان من المؤرخين، وهما القفطي وابن أبي أُصيبعة، وربما نقل الثاني عن الأول مع إضافة اقتبسها من مصادر أخرى[2]، ومن دراستنا لهذه الثروة يتبين لنا ما يلي: أولاً: كان يتناول جبرائيل من بيت مال الدولة راتباً شهرياً قدره عشرة آلاف درهم، كما كان يتناول خمسة آلاف درهم شهرياً نفقات إقامة ومعيشة (النزل). وذلك كان دخله السنوي من بيت المال العام مائة وثمانين ألف درهم سنوياً. ثانياً: كان يتناول جبرائيل من بيت مال الخليفة مبالغ محدّدة في بداية كل سنة هجرية، وهي تتألف من راتب قدره نحو خمسين ألف درهم، بالإضافة إلى خمسين درهم أخرى قيمة ثياب. كما كان يقدم له الرشيد مبالغ نقدية على شكل هدايا في عيد صوم النصارى ويوم الشعانين وعيد الفطر بقيمة مائة وعشرين ألف درهم، كما كان يأخذ مائة ألف درهم سنوياً مقابل فصد الرشيد مرتين في العام، ومائة ألف درهم أخرى مقابل تناول الرشيد الدواء مرتين في العام. وبذلك كان يحصل جبرائيل من بيت مال الخليفة على أربعمائة وعشرين ألف درهم في العام. ثالثاً: وكان يحصل جبرائيل من أسرة الرشيد، أمثال زوجته زبيدة وأخته العباسة، ومن كبار رجالات بلاطه أمثال الفضل بن الربيع على مبلغ قدره أربعمائة ألف درهم في العام. رابعاً: كان يحصل جبرائيل من البرامكة (يحيى بن خالد وولديه جعفر

(1) التنوخي: ج 8، ص 245. القفطي، ص 99 ـ 100. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 18. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 58 ـ 60.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 99 ـ 100، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 1، ص 58 ـ 60.

والفضل) على مبلغ قدره مليونين وأربعمائة ألف درهم في العام. خامساً: وكان يصل إلى جبرائيل من واردات ضياعه مبالغ سنوية كبيرة، ولا سيما أن هذه الضِّياع كانت جميعاً ضياع تمليك، اشتراها جبرائيل بأمواله الخاصة، وليست إقطاعات ممنوحة من الخلفاء، بل كان جبرائيل يفتخر دائماً ويقول: «إن جميع ضياعي أملاك لا إقطاع»[1]. وكانت هذه الضياع موزّعة ما بين جنديسابور والأهواز والبصرة والسواد. وكان بعضها يتم استثماره عن طريق الوكلاء والبعض الآخر عن طريق المقاطعة. وعلى أي حال فإن واردات جبرائيل من ضياعه كلها كانت نحو مليون وخمسمائة ألف درهم في العام.

وفي ضوء ما تقدّم فقد كانت واردات جبرائيل، في العام، من مصادر الدخل التي ذكرناها آنفاً، نحو أربعة ملايين وتسعمائة ألف درهم. وإذا كان جبرائيل قد خدم الرشيد مدة ثلاثة وعشرين عاماً وخدم البرامكة ثلاثة عشر عاماً، فإن مجموع الثروة التي حصل عليها من الرشيد والبرامكة خلال المدد المذكورة كان نحو ثمانية وثمانين مليون وسبعمائة ألف درهم. وقد توصل كل من القفطي وابن أبي أُصيبعة[2] إلى المبلغ نفسه. وإذا كان الدينار في عهد الرشيد يساوي خمسة عشر درهماً تقريباً، فإن ثروة جبرائيل كانت نحو ستة ملايين دينار. وقد قدر ديوارنت[3] هذه الثروة بحوالي سبعة ملايين دولار أمريكي. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الثروة كانت تلك التي حصل عليها جبرائيل في عهد الرشيد. أي إنها لم تشتمل على ما حصل عليه من أموال خلال خدمته للأمين والمأمون[4].

---

(1) كان جبرائيل يقول دائماً إن ضياعه جميعها هي ضياع تمليك وليست ضياع إقطاع. انظر: ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 52.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 100. عيون الأنباء: ج 2، ص 60.

(3) قصة الحضارة: ج 13، ص 190.

(4) كما مُنح جبرائيل مكافآت مالية بمناسبات عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر، عندما نجح جبرائيل في علاج جارية الرشيد من الفالج الذي أصابها، منحه الخليفة خمسمائة ألف درهم. وعندما نجح جبرائيل في علاج المأمون عام 210 هـ/ 825م أمر له الخليفة بمليون درهم.

أما بالنسبة إلى بختيشوع (الثاني) فإننا لا نملك تفاصيل وافية عن ثروته ولكن الإشارة التي وردت عند بعض المؤرخين تؤكد أنها كانت هائلة، بل ربما فاقت ما تحقق لوالده. فبالإضافة إلى ما ورثه عن والده، فقد حصل على ثروة كبيرة من خلال خدمته للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل... وغيرهم من الخلفاء. ويقول القفطي[1]: «إن بختيشوع بلغ من كثرة المال ومباراة الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش والضيافات والتفسح في النفقات مبلغاً يفوق الوصف». ويقول ابن العبري[2]: «إن هذا الطبيب صار يعادل الخليفة المتوكل في كسوته ومقامه وماله وثروته وجواريه».

والواقع، فقد انعكست الثروة التي تجمعت في أيدي آل بختيشوع على حياتهم وأسلوب معيشتهم، حيث عاشوا حياة رفاهية كاملة ووفّروا لأنفسهم كل أسباب الراحة والبهجة، فعاشوا في بيروت أشبه بالقصور، وكانوا يحسنون اختيار ملابسهم وطعامهم وشرابهم، ولهم في كل ذلك تقاليد خاصة. فثمن الجبّة التي كان يرتديها بختيشوع (الثاني) بلغ نحو ألف دينار[3]. وكان هذا الطبيب نفسه يجلس «في مركبة من الآبنوس ويذهب من دار الخليفة إلى داره وكان يقوم بخدمته ألف رجل... ونفقة شمعاته وزيته وطيوبه بلغت خمسمائة دينار يومياً». وأحاط بختيشوع (الثاني) نفسه، وكذلك والده من قبل، بالجواري، على الرغم من غضب الجاثليق عليه. وربما كان ذلك بتأثير البيئة التي عاشوا فيها، ونتيجة للثروة التي تحققت لهم. في حين أن جدهم جورجيس رفض أن يعيش مع الجواري في بيت واحد[4].

وتقف المصادر مذهولة أمام صورة من صور بذخ آل بختيشوع. وهي صورة أشبه بقصص ألف ليلة وليلة. فتقول المصادر إن بختيشوع (الثاني) دعا

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 72.

(2) تاريخ الزمان، ص 39.

(3) القفطي: ص 72. انظر أيضاً: ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 64 ـ 68، 70.

(4) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 39 ـ 40. فييت، ص 91 ـ 95. ترتون: ص 183.

الخليفة المتوكل يوماً إلى وليمة في بيته في سامراء عام 244 هـ/ 858م. وإن هذه الوليمة اشتملت على خمسة آلاف خوان. على كل خوان خروف مشوي ودجاجتان وحمامتان وثلاثة ألوان طبيخ وطبق حلوى وخبز وسمن كافٍ ونقول وطيوب وثلج كثير قد استحضر من جبال آثور إلى بغداد في فصل الصيف.. الخ. «وعلى الرغم مما قد يكون في هذا الوصف من مبالغة إلا أن المصادر تؤكد أن المتوكل قد ذهل مما شاهده عند طبيبه من التجمّل والثروة والنفقات»[1].

آل بختيشوع والحياة السياسية:

على الرغم من أن طبيعة عمل آل بختيشوع لا تمتّ بصلة مباشرة إلى عالم السياسة، إلا أنه بحكم موقعهم في البلاط والحظوة التي تمتّعوا بها فيه، وثقة الخلفاء بهم والمكانة الأدبية التي تحققت لهم... كل ذلك جعلهم على دراية بشؤون الدولة، وبما كان يدور في بلاط أصحاب القرار من سياسات وأسرار. بل ربما كان آل بختيشوع على اطلاع بما كان يدور في خلد الخلفاء وعقولهم أكثر مما كان يعرفه معظم كبار رجال الدولة. ويضاف إلى ذلك أننا لا نستبعد أن يكون بعض الخلفاء قد استخدم بعض أطباء آل بختيشوع نافذة للإطلال من خلالها على الرأي العام، وما كان يدور في المجتمع العباسي من آراء واتجاهات. ويؤكد هذه الحقيقة ما أشار إليه ابن الأثير[2] من أنه عندما كان الرشيد في الرقة كان جبرائيل أول من يدخل عليه من الناس ويسأله «عن أخبار العامة».

وعلى أي حال فقد عاصر آل بختيشوع أحداثاً سياسية، داخلية وخارجية، بالغة الأهمية. وكان عدد من أفراد هذه الأسرة على صلة وثيقة ببعضها وشهود عيان على بعضها الآخر. فقد عاش جبرائيل بن بختيشوع،

---

(1) القفطي، ص 73. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 39 ـ 40. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 66.
(2) الكامل في التاريخ، ج 6، ص 211.

مثلاً، أحداث نكبة البرامكة بكل دقائقها، منذ أن كانت فكرة تدور في عقل الرشيد إلى أن تحوّلت إلى حدث على أرض الواقع. فقد كان جبرائيل على علاقة حميمة بالرشيد والبرامكة على السواء. وكان يسمع المديح بيحيى البرمكي من الرشيد وزوجته، عندما كانت العلاقة بينهما ودّية، كما كان يسمع القدح به عندما أخذ الرشيد يفكر في البطش بهم، بل كان جبرائيل نفسه في منزل جعفر بن يحيى في الأنبار، ومعهما أبو زكار الأعمى يغني جعفراً، عندما دخل رجال الرشيد وألقوا القبض على جعفر. وبعد أقلّ من ساعة استدعى الرشيد جبرائيل ليرى رأس جعفر نفسه في «طشت» بين يدي الخليفة[1]. وعلى الرغم من أن هذا الموقف كان في غاية الإحراج والخطورة بالنسبة إلى جبرائيل، إلا أن الرشيد لم يأخذ أحداً بجريرة أحد، بل يمكن أن نسجّل لجبرائيل موقفاً يستحق الثناء، وهو أنه استمر وفياً للبرامكة بعد نكبتهم، وظلّ يعترف بفضلهم عليه على مسمع الرشيد وأولاده. وكان الخلفاء يدركون أن موقف جبرائيل من البرامكة هو من باب الوفاء الشخصي والاعتراف بالجميل. ويعكس، في الوقت نفسه، موقفاً أخلاقياً نبيلاً[2].

ويهمنا أن نؤكد أن جبرائيل يكشف لنا أن السبب في نكبة البرامكة ـ كما فهم من الرشيد ـ هو أن هؤلاء استغلوا ثقة الخليفة بهم، وهيمنوا على شؤون الدولة هيمنة كاملة، حيث لم يبق للرشيد من الخلافة سوى اسمها فقط[3].

ومن الأحداث الداخلية المهمة التي كان جبرائيل بن بختيشوع شاهد عيان عليها، الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة. فقد كان هذا الطبيب

---

(1) انظر تفاصيل ذلك عند: الجهشياري، ص 225 ـ 227، 250 ـ 236، 239. أيضاً: ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 55 ـ 56. وتجدر الإشارة إلى أن ابن طباطبا يخطىء في هذه النقطة إذ يقول إن الذي عاصر هذه الأحداث بختيشوع ولكن الحقيقة هو جبرائيل لأن الأول كان قد مات قبل نكبة البرامكة بثلاث سنوات. انظر ابن طباطبا: ص 208، 210.

(2) لقد ظل جبرائيل وفياً للبرامكة بعد نكبتهم وكان يقول للمأمون دائماً: «هذه النعمة لم أفدها منك ولا من أبيك، هذه أفدتها من يحيى بن خالد وولده». انظر الجهشياري ص 227.

(3) ابن طباطبا، ص 208.

بحكم كونه الطبيب الخاص للأمين، على دراية بخفايا هذا الصراع وأحداثه. فقد كان مثلاً، على معرفة دقيقة بموعد الحملة التي بعث بها الأمين ضد المأمون، بل كان يتوقع من خلال قراءته للأحداث ومعرفته بطبيعة الأخوين المتنازعين أن النصر سيكون إلى جانب المأمون. ولكن على الرغم من ذلك كله فقد ظل الطبيب ملتزماً بخدمة سيده الأمين، طوال مراحل الصراع[1]. حتى أنه دفع ثمن موقفه ـ كما سنرى ـ غالياً.

وكان آل بختيشوع شهود عيان على بعض الأحداث الخارجية، منها، على سبيل المثال، الصراع بين العباسيين والروم. فقد رافقوا الخلفاء في حملاتهم المتكررة ضدهم. فقد رافق جبرائيل الرشيد كما رافق بختيشوع (الثاني) المأمون. وعلى الرغم من أن الحرب كانت تدور بين المسلمين والمسيحيين إلا أن آل بختيشوع كانوا شهود عيان.

وكان آل بختيشوع شهود عيان على بعض الأحداث الخارجية، منها، أنهم لم يظهروا أي تعاطف مع أبناء دينهم، بل كان ولاؤهم للدولة العباسية ولاء مطلقاً. وربما كانوا يعتقدون بأنهم رعايا الدولة العباسية الإسلامية أولاً ومسيحيون ثانياً. ويهمنا أن نؤكد أن آل بختيشوع كانوا فعلاً على دراية بشؤون الدولة وسياسة الخلفاء، في الداخل والخارج، وأن الخلفاء كانوا يستشيرونهم في بعض المسائل، ولكن على الرغم من ذلك كله فإنه لم يكن لهم تأثير مباشر على صنع القرار السياسي في الدولة، ولو كان لهم مثل هذا التأثير لحاولوا إنقاذ أصدقائهم البرامكة. وقد حرص آل بختيشوع أشد الحرص على مصالحهم ومستقبلهم، ولهذا لم يتورطوا في أي نشاط مناهض للدولة، سواء في القول أو الفعل. ولو حدث شيء من هذا القبيل، لما غفر لهم طبهم... بل لتعرّضوا لنكبة أشد من نكبة أصدقائهم البرامكة وأنكى.

---

(1) انظر تفاصيل ذلك عند القفطي ص 100. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 56.

المتاعب التي واجهها آل بختيشوع:

واجه آل بختيشوع، إبان خدمتهم في البلاط العباسي، بعض المتاعب. التي تنوّعت أسبابها وتعددت مظاهرها وتباينت قسوتها. ولعلّ من المفارقات الغريبة أن أكثر طبيبين من أطباء هذه الأسرة حققا مجداً أدبياً ومادياً واجتماعياً، هما جبرائيل وابنه بختيشوع (الثاني)، كانا أكثر الذين واجهوا متاعب حقيقية منهم. فربما من طبيعة الأشياء أن يكون للمجد ذلك الثمن الباهظ. فبالنسبة إلى جبرائيل فقد بدأت متاعبه الحقيقية خلال خدمته للخليفة الأمين. حيث تذكر المصادر أن العامة في بغداد قامت باقتحام داره ونهبها. فلجأ جبرائيل إلى عم الخليفة، وهو إبراهيم بن المهدي، الذي أسكنه في بيته وحماه ممّن كان يحاول قتله. ووصف إبراهيم حال جبرائيل آنذاك قائلاً: «كنت أرى من هلع جبرائيل وكثرة أسفه على ما تلف من ماله، وشدة اغتمامه ما لم أتوهم أن أحداً بلغ به الوجد بماله مثل الذي بلغ بجبرائيل»[1]. ولم يمض وقت طويل على هذه الواقعة، حتى استولى المبيضة على أملاك جبرائيل في البصرة والأهواز[2].

وفي خلافة المأمون واجه جبرائيل نفسه متاعب شديدة. وقد أشرنا سابقاً إلى أنه عندما قُتل الأمين وتقلّد المأمون الخلافة، عام 198 هـ/ 813م، أمر الأخير وزيره الحسن بن سهل بالقبض على جبرائيل وسجنه ومصادرة أملاكه، بحجة أنه دخل في خدمة أخيه الأمين ولم يتجه إلى خدمته، وانصاع الوزير لأمر الخليفة وزجّ بالطبيب المغلوب على أمره في السجن[3]. وبذلك دفع جبرائيل ثمن علاقته الودية بالأمين غالياً. وعلى الرغم من أن المأمون لم يكن يملك من المعلومات ما يدين بها جبرائيل، إلا أن صداقة الأخير مع الأمين كانت أمراً معروفاً في البلاط العباسي حتى قبل أن يتولى الأمين الخلافة،

---

(1) ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 52 ـ 53.
(2) المصدر نفسه. أيضاً فيت، ص 107.
(3) ابن أبي أصيبعة: ج 2، ص 45.

فالرشيد كان يردد دائماً أن جبرائيل «رقيب الأمين»[1]. ومع أن الحسن بن سهل أطلق سراح جبرائيل عام 202 هـ/ 817م لمعالجته، ولكن عندما دخل المأمون بغداد عام 205 هـ/ 820م أمر بمنع جبرائيل من الخدمة، وإحضار ميخائيل المتطبب، وهو صهر جبرائيل (أي زوج ابنته)، وجعله مكانه وأكرمه إكراماً وافراً كياداً لجبرائيل[2]. وأخيراً اضطر الخليفة إلى استدعاء جبرائيل واسترضائه عندما مرض عام 210 هـ/ 825م وفشل ميخائيل في علاجه. ونجح جبرائيل في علاج الخليفة، الذي أعاده إلى منصبه وأمر أن تردّ إليه سائر ما كان قد صودر منه من الأملاك والضياع[3]. وظلت العلاقة ودّية بين الخليفة والطبيب حتى وفاة الأخير عام 213 هـ/ 838م.

أما المتاعب التي واجهها بختيشوع (الثاني) فلم تكن تقل بأي حال من الأحوال، عمّا عاناه والده جبرائيل. وقد بدأت هذه المتاعب أثناء خلافة الواثق بالله (227 ـ 232 هـ/ 841 ـ 846م). ويرى عدد من المؤرخين أن

---

(1) السيوطي، ص 290.

(2) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 45 ـ 46. والواقع لا نستطيع أن نتجاهل حسد أطباء البلاط لآل بختيشوع ودوره في المتاعب التي عانى منها أبناء هذه الأسرة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. فتروي المصادر قصة مفادها أن الصاحب بن عباد أصيب بمرض أعجز الأطباء البغداديين وغيرهم وشاورهم فيمن يصلح لهذه المهمة، فأشاروا جميعاً أنه لا يصلح أن يقوم بهذه المهمة «ويلقي هذا الرجل (أي الصاحب) إلّا جبرائيل (المقصود هنا جبرائيل (الثاني) بن عبيد الله) لأنه متكلم جيد الحجة وعالم باللغة الفارسية». ويقول المؤرخون إن تصميم هؤلاء في إبعاد جبرائيل عن هذه المهمة ينبع من رغبة هؤلاء في إبعاد جبرائيل عن بلاط عضد الدولة وحسداً له على المكانة التي كان يتمتع بها، وليس محبة وتكريماً. فوافق عضد الدولة على نصيحتهم دون أن يدرك ما يدور في خلد أطباء بلاطه. فبعثه مجهزاً بكل ما يحتاج إليه في رحلته. فلما وصل إلى الري تلقاه الصاحب لقاء جميلاً، وعالجه وشفاه، وعاد إلى بغداد بزي جميل وأمر مطاع وغلمان وحشم وخدم. فجاء الأطباء أنفسهم ليهنئوه بعودته وسلامته. فقال له أحدهم: يا أبا عيسى زرعنا وأكلت. وأردناك تبعد فازددت قرباً. فضحك جبرائيل من قولهم وقال: «ليست الأمور إلينا، بل لها مدبرة وصاحب...».
انظر: القفطي، ص 104. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 72 ـ 75. الصفدي: ج 11، ص 51.

(3) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 45 ـ 46. القفطي، ص 99. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 18.

السبب في ذلك هو ما كان يدور في البلاط العباسي آنذاك من دسائس وتحاسد. فقد كان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وقاضي القضاة أحمد بن أبي داود يعاديان بختيشوع ويحسدانه على فضله ورد معروفه وصدقاته وكمال مروءته. فكانا يغريان الواثق عليه. فسخط عليه الواثق ونكبه وقبض على أملاكه وضياعه، وأخذ منه جملة طائلة من المال ونفاه من سامراء إلى جنديسابور عام 230 هـ/ 845م[1]. ولكن عندما اعتلّ الواثق بالاستسقاء، وبلغ مرحلة خطيرة في مرضه الأخير، أنفذ من يحضر بختيشوع (الثاني) من منفاه، ولكنه مات قبل أن يوافي بختيشوع[2].

وعندما تقلّد المتوكل الخلافة (232 ـ 247 هـ/ 846 ـ 861م) غدا بختيشوع (الثاني) طبيبه الخاص. فأقام إلى جانبه في سامراء، وكان الطبيب المفضل لديه ولدى أسرته. وأحبه «حباً جماً». ولكن سرعان ما قلب المتوكل ظهر المجن لطبيبه واستصفى ماله. وتروي بعض المصادر أن المتوكل طلب من بختيشوع أن يدعوه يوماً إلى بيته. فرحّب الأخير بذلك، وأقام له، كما أشرنا سابقاً، وليمة فاخرة حيث «لم ير أو يسمع بمثلها»[3]. ولم تمض أيام على هذه الوليمة حتى أمر الخليفة بمصادرة الطبيب ونفيه من سامراء إلى بغداد. ويبدو أن هذه المصادرات كانت من الضخامة حيث إنه بعد أن أخذ الخليفة ما أخذ من بختيشوع «ظل لديه من الحطب والفحم والنبيذ ما ابتاعه منه الحسن بن المخلد الشريف بستة آلاف دينار. ثم باع ذلك باثني عشر ألف دينار»[4].

---

(1) القفطي، ص 72. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 62.
(2) القفطي، ص 72.
(3) عن الوليمة التي أقامها بختيشوع (الثاني) للخليفة المتوكل. انظر: القفطي، ص 73. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 249. تاريخ الزمان، ص 39. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 66 ـ 80.
(4) عن المتاعب التي أصابت بختيشوع (الثاني) في أيام الخليفة المتوكل انظر: القفطي، ص 73. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 39 ـ 40. ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 62 وما بعدها.

ويؤكد كثير من المؤرخين أن السبب فيما حلّ بهذا الطبيب هو أن المتوكل قد حسد طبيبه على ما كان يتمتع به من ثراء ونعمة. فيقول القفطي[1]: إنه بعد الوليمة المذكورة «استكثر المتوكل لبختيشوع ما رآه من نعمته، وحقد عليه ونكبه بعد أيام يسيرة، فأخذ له مالاً كثيراً». أما ابن أبي أُصيبعة[2] فيقدم تفاصيل أكثر حول هذه المسألة، فبعد أن يقول إن أحوال بختيشوع قد صلحت في أيام المتوكل، ويبيّن مظاهر ثروته، يؤكد أن الخليفة قد حسده... وقبض عليه. ويتفق ابن العبري[3]، مع القفطي وابن أبي أُصيبعة حول هذا الأمر ويقول: «واستكثر المتوكل لبختيشوع ما رآه من نعمته وكمال مروءته فحقد عليه ونكبه بعد أيام يسيرة فأخذ له أموالاً كثيرة». وعلى الرغم من إجماع المؤرخين المعنيين بهذه المسألة على أن حسد الخليفة هو السبب فيما حلّ بالطبيب، إلا أن ابن أبي أُصيبعة[4] نفسه ينفرد بإشارة مفادها أن المتوكل «قد أفرط في تدليل بختيشوع». وهذه الإشارة تجعلنا نفترض أن الطبيب ربما استغلّ منزلته عند الخليفة. ولكن لا ندري هل تجلّى هذا «الإدلال» من جانب الطبيب في الإثراء أم في جوانب أخرى لم يحددها المؤرخ؟

وعلى أي حال سرعان ما استدعى المتوكل بختيشوع (الثاني) لمعالجته من مرض «القولنج». واسترضاه، وأنعم عليه، ورضي عنه، وأعاد له كل ما صودر له[5]. ولكن لم يمض وقت طويل حتى تردّت العلاقات بين الطرفين، وقام المتوكل بمصادرة أملاك بختيشوع كلها مرة أخرى ونفاه من سامراء إلى البصرة على رواية[6] أو إلى البحرين على رواية أخرى[7]. ويبدو أن السبب في

---

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 73.

(2) عيون الأنباء، ج 2، ص 66. أيضاً: ترتون، ص 182.

(3) تاريخ الزمان، ص 39. أيضاً: تاريخ مختصر الدول، ص 249.

(4) عيون الأنباء، ج 2، ص 62.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه، ج 2، ص 62 ـ 63.

(7) ابن الأثير: ج 7، ص 85. أيضاً: ترتون، ص 182.

النكبة الثانية هذه يعود إلى المؤامرات التي كان يحبكها المنتصر بالله مع أعوانه في البلاط ضد والده المتوكل على الله. وكان بختيشوع هذا الضحية الرئيسية لها[1]. وعلى أي حال لم يسترد الطبيب مكانته في البلاط إلّا عندما تقلّد المستعين بالله الخلافة عام 248 هـ/ 862م، حيث أعاده إلى الخدمة وأحسن إليه. وعند تولّي المهتدي بالله الخلافة، العام 255 هـ/ 862م، شكا إليه بختيشوع مما أخذ منه أيام المتوكل، فأمر المهتدي بأن يدخل بختيشوع سائر الخزائن، وأن يُردّ إليه كل ما اعترف به... وبذلك لم «يبق له شيء إلّا أخذه، وأطلق سائر ما فاته، وحاطه كل الحياطة»[2].

الخاتمة:

تعدّ أسرة بختيشوع أولى الأسر النسطورية التي دخلت في خدمة بني العباس، ففي الوقت الذي كانت تثبت فيه الدولة أركانها، كان آل بختيشوع يلتمسون مكاناً لهم في ظل خلفائها. وبيّن البحث أن انتقال أبناء هذه الأسرة من جنديسابور إلى بغداد كان بداية مرحلة جديدة في تاريخهم من ناحية، وتاريخ النساطرة عامة من ناحية أخرى، حيث فتح انتقالهم الباب واسعاً لهجرة أطباء جنديسابور وعلمائها، النساطرة وغير النساطرة، إلى بغداد، يحملون معهم ما كانت تنبض به تلك المدينة من علوم ومعارف وخبرات، حتى حلت بغداد محلها وارثة لتراث الشرق والغرب.

وكشف البحث أن بروز هذه الأسرة في العصر العباسي الأول، لم يكن صدفة أو حدثاً مفاجئاً معزولاً عن العصر الذي عاشوا فيه، وإنما كان حصيلة عوامل متعددة تفاعلت مع بعضها وساعدت على ترسيخ أقدامهم في «صناعة الطب» وخدمة بني العباس، على امتداد قرون ثلاثة. ومن هذه العوامل ما كان يتعلق منها بطبيعة العصر ومعطياته ورعاية الخلفاء لآل بختيشوع وحمايتهم لهم من

(1) انظر ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 62 ـ 63.
(2) ابن أبي أُصيبعة: ج 2، ص 63.

ناحية، ومنها كان يتعلق بكفاءة هؤلاء العملية والمهنية من ناحية أخرى. وأشار البحث إلى مدى حرص أبناء هذه الأسرة على احتكار هذه «الصناعة»، والاستئثار بالعمل في بلاط الخلفاء والأمراء. ولا شك في أن ذلك كله أدّى إلى حجب الأطباء المسلمين عن البروز، ولا سيما في العصر العباسي الأول. حيث لم نسمع أن أحداً من الأطباء المسلمين تتلمذ على أيديهم، أو أنهم تعاونوا مع أحد منهم، كما هي الحال بالنسبة إلى الأطباء النساطرة والهنود وغيرهم.

وأثبت البحث أن آل بختيشوع أتقنوا «صناعة الطب» إتقاناً كاملاً وفقاً للمفاهيم والقواعد التي كانت سائدة في عصرهم. بل طوروا الكثير منها. ومع أن إنجازاتهم على صعيد «الممارسة» كانت تفوق إنجازاتهم في ميدان التأليف والترجمة. ولكن ما أنجزوه كان يلي مطالب المرحلة ويستجيب لحاجات العصر.

وبرهن البحث على أن ما تحقق لآل بختيشوع من مكانة أدبية رفيعة في البلاط العباسي، لم تحظ بها أي أسرة أخرى مسيحية أو غير مسيحية على امتداد التاريخ العباسي، بل لا نغالي إذا قلنا إن تلك المكانة لم تكن تقلّ كثيراً عن مكانة البرامكة وهم في أوج مجدهم. ولقد أفاد آل بختيشوع أبناء جلدتهم النساطرة، من أطباء وغير أطباء، بالحدود التي لا تؤثر على مصالحهم ومستقبلهم في البلاط العباسي.

وبيَّن البحث أن هذه الأسرة حصلت على ثروة كبيرة، من خلال خدمتها لخلفاء بني العباس وأمرائهم، وأن آثار هذه الثروة قد تجلّت واضحة في أسلوب معيشتهم، الذي كان يضاهي برفاهيته، أحياناً، حياة الخلفاء أنفسهم.

وكشف البحث أن آل بختيشوع كانوا شهود عيان على الكثير من الأحداث السياسية، وأكّد أنه على الرغم من مكانتهم وثقة الخلفاء بهم، إلا أنه لم يكن لهم تأثير مباشر في صناعة القرار السياسي، كما أنهم لم يتورطوا في أي قضية سياسية، وإنما حرصوا أشد الحرص على الالتزام بقواعد المهنة وآدابها من ناحية، والتمسك بمصالحهم ومستقبلهم في البلاط من ناحية أخرى. ولو حدث وانجرف هؤلاء في التيارات السياسية المعادية لبني

العباس، أو في المؤامرات التي كانت تحبك في البلاط، أحياناً، لحلّ بهم ما حلّ بأصدقائهم البرامكة، ولما غفر لهم طبهم وحاجة الخلفاء لهم.

واختتم البحث بإلقاء الضوء على بعض المتاعب التي تعرّض لها بعض أبناء بختيشوع، وبيَّن أن هذه المتاعب كانت مؤقتة ومرتبطة بظروف محددة، ولم تكن نتيجة سياسة رسمية للدولة تجاه أهل الذمة. كما أوضح البحث أن ثروتهم كانت أحياناً سبباً في متاعبهم، حيث طمع فيهم القاصي والداني، والفقير والغني. فلو اقتصر هذا الطمع على الفقراء والعامة فربما كان له ما يبرره، ولكنه امتدّ إلى الخلفاء والأمراء، فإذا كان العامة قد نهبوا بيوت آل بختيشوع مرة فقد صادر الخلفاء ممتلكاتهم مرات ومرات.

وصفوة القول: إن آل بختيشوع يمثلون مرحلة مهمة من مراحل تطور الطب العربي الإسلامي. وهي المرحلة التي مهّدت لظهور الأطباء العرب المسلمين العظام، كما أن تراثهم، بصوره المتعددة، أفاد الأجيال التالية من طلاب الطب على اختلاف أجناسهم وأديانهم. ويظل تاريخ هذه الأسرة بمناقبه ومثالبه، شاهداً حياً على «العقلانية» التي تميّز بها ذلك العصر... عصر النهضة العربية الإسلامية.

أحوال نصارى العراق

في العهد العثماني (١٥٣٤ ـ ١٩١٨م)

نصارى العراق وطنيون من سكانه القدامى، دانوا بالمسيحية بعد منتصف القرن الأول للميلاد، وانتشرت أديرتهم في كل ناحية من العراق والجزيرة، وكان لهم في عهد الخلافة العباسية دور هام في مختلف المجالات الحضارية[1] على أنهم اضطرّوا ـ بسبب سقوط هذه الخلافة ـ إلى مغادرة مراكزهم المدنية، والالتجاء إلى أماكن أكثر أمناً وأوفر عزلة، بعد أن أصبح السهل، بما فيه من مدن وأديرة هدفاً سهلاً لكل دولة أو قبيلة غازية. فانتقل كرسي بطريركية بابل القديم من مركزه ببغداد إلى أربيل، وكرمليس (قرب الموصل)، وجزيرة ابن عمر[2]، والقوش[3]، وكشف هذا المتنقل، عن ظاهرتين هامتين هما: تحوّل مركز الثقل المسيحي من وسط العراق إلى شماله، ومن مدنه الرئيسية إلى أريافه وقراه.

وقد انقسم ولاء المسيحيين الديني في العراق بين الكنيستين الشرقيتين القديمتين السريانية النسطورية، والسريانية اليعقوبية (الأرثوذكسية) بيد أن هذا الولاء أخذ بالاهتزاز منذ أوائل القرن السابع عشر، فقد انطلقت الإرساليات

---

(1) روفائيل بابو إسحاق: أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص 3.

(2) في دير الربان هرمزد الشهير على سفح جبل القوش قرب الموصل.

(3) على دجلة بين ديار بكر والموصل، وفيها دير الزعفران، الذي أمسى مركز الكرسي البطريركي لفترات طويلة.

التبشيرية الأوروبية تحت رعاية وتنظيم مجمع التبشير بالإيمان في روما[1] إلى العراق، تسعى نحو نشر الكثلكة في هذا الجزء من العالم وضم كنائسها المحلية القديمة إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما.

وتوالى قدوم هذه الإرساليات إلى هذه النواحي تحت أكثر من اسم، فكان منهم «الاغسطينيون»[2] و«الكرمليون» و«الكبوشيون»[3]، وقد استطاع الأخيرون أن يشيّدوا لهم مركزاً دينياً في كل من بغداد والموصل، مكونين أول نواة كاثوليكية في هاتين المدينتين، إلا أنهم اضطروا ـ إزاء ضغط الكنائس التقليدية القائمة ـ إلى هجر مركزيهما تباعاً، فأغلقت الإرسالية في بغداد في سنة 1708[4]، ثم تبعتها إرسالية الموصل سنة 1724م[5].

وحاول الكرمليون ما لم يستطعه أسلافهم، فقدموا إلى البصرة سنة 1623م. ونجحوا بعد أكثر من محاولة[6]، في إقناع سلطات ولاية بغداد

---

(1) أنشأت الكنيسة الكاثوليكية هذا المجمع في روما سنة 1622 لغرض القيام بالأعمال التبشيرية بين الأجانب، وعرف في التاريخ الكنسي باسم Propaganda.

(2) مرّ الاغسطينيون فيما بين النهرين، وأقاموا قليلاً في البصرة أيام الشاه عباس الأول (1578 ـ 1629) وكان لهم فيها دير وبيعة ومعتكفات للرهبان. راجع:
Della Valla Pitro: The Travels of a P.245.

(3) الكبوشيون: من إقليم تورين بفرنسا، أسسوا مراكزهم أولاً في إيران، ومنها انتقلوا إلى ما بين النهرين، مستفيدين من سياسة الشاه عباس الصفوي المتساهلة.

(4) نرسيس صائغيان: تاريخ الأرمن الكاثوليك ص 9، انظر:
Sistini: Nouveau Voyage de Constaninpole a Bousora, P.I.

(5) بطرس نصري: ذخيرة الأذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان، ج 2، ص 239. وأوجين تيسران: خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص 187.

(6) حاول الكرمليون سنة 1628 أن يقنعوا والي بغداد بتنصيب الأب برنارد وآل الكرملي أسقفاً على بابل ونائباً رسولياً لمدينة أصفهان باسم جان، غير أن الوالي المذكور لم يأذن له وللآباء الكرمليين أن يدخلوها، ولما أقيم الأب عمانوئيل الكرملي أسقفاً على بابل سنة 1642 سمح له أن يقطن بغداد. وكان البابا أوربانس الثامن قد اشترط أن يكون الأسقف (المطران) فرنسي الجنسية. راجع: ذخيرة الأذهان، الجزء الثاني، ص 193 ـ 194.

بتعيين أحدهم أسقفاً على بابل (ومراكزه بغداد) سنة 1642[1]، وبذلك فقد أعيد أحياء هذه الأسقفية التاريخية، لتكون ـ هذه المرة ـ مركزاً رئيسياً لنشر الكثلكة في وسط العراق.

وفي الوقت نفسه تقريباً، افتتح الكرمليون كنيستهم وديرهم في البصرة سنة 1623 وسط احتفال رسمي كبير، لتتولى هذه المؤسسات التبشير بالكثلكة بين المسيحيين في البصرة وأطرافها، ولتحول صابئة البطائح إلى دين المسيحية.

أما في ولاية الموصل، حيث مركز البطريركية النسطورية، فقد حاول الكبوشيون قبل إغلاق بيعتهم، ضم كرسي البطريركية الوراثي إلى الكنيسة الكاثوليكية بيد أن محاولتهم هذه فشلت، فانتقل مركز الإشعاع الكاثوليكي في المنطقة إلى مطرانية ديار بكر، وبذلك فقد انشقّت الكنيسة النسطورية في كرسيين متناحرين، أولهما نسطوري العقيدة في القوش (قرب الموصل)، والآخر كاثوليكي متّحد مع روما في ديار بكر. ومن الأخيرة أخذت الموصل تستقبل مداً ثقافياً كاثوليكياً كانت قواعده تمتد بين الساحل السوري[2] وحلب[3]. أما اليعاقبة قد شرّعوا ـ خلال الفترة نفسها ـ في التقرب من الكنيسة الكاثوليكية حتى تمَّ لهم اختيار بطريرك كاثوليكي خاص بهم[4].

وبافتتاح مركز الإرسالية الدومنيكية في الموصل سنة 1750م، انتعشت الكثلكة في هذه المدينة، وزادت حركة التبشير بها نشاطاً، فلم تمض سوى بضعة سنين حتى كانت الإرسالية قد استطاعت الحصول على موافقة بهرام باشا أمير بهدينان على فتح دار لها في عاصمته العمادية.

---

(1) نصري، ذخيرة الأذهان، ص 194.

(2) كان جبل لبنان قد صار أقوى معقل لنشر الكثلكة في الشرق، بعد أن قربت الكنيسة الكاثوليكية إليها سكانه المارونيين (أتباع يوحنا مارون) حتى أعلنوا الطاعة لها والاتحاد معها عام 1182م (محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص156 ـ 157).

(3) بدأ ميل الروم الملكيون إلى روما منذ الثلث الأول من القرن السابع عشر، وكان نصيب حلب من حركة الاتجاه نحو روما كبيراً (وثائق عن حلب، ص 10 وما بعدها).

(4) بابو إسحاق تاريخ نصارى العراق ص 142.

ومنذ مطلع القرن الثامن عشر، ازدادت سرعة انتشار المذهب الكاثوليكي بشكل مذهل، فبعد أن كان عدد الكاثوليك في الموصل عام 1747 لا يتجاوز عشر أسر كلدانية (أي نسطورية متكثلكة) ومثلها من السريان (أي اليعاقبة المتكثلكين)[1]، بلغ عددهم في أوائل القرن التاسع عشر زهاء ألف أسرة كلدانية، وخمسمائة أسرة سريانية[2] أغلبهم في قره قوش[3] والموصل. وبينما لم يكن ببغداد من الكاثوليك في مطلع القرن السابع عشر إلّا نحو ثلاثين بيتاً فقط، زادوا بمساعي مطران بغداد الكرملي إلى 86 بيتاً كاثوليكياً سنة 1753، وكانوا يتكونون من الطوائف الكلدانية والسريانية والأرمنية، وربما بعض الملكيين أيضاً[4]. وبعدها لم يكن في البصرة، في غرة القرن السابع عشر، مسيحيين مستوطنين أصلاً، أصبح فيها في أواسط القرن التالي جالية مسيحية كاثوليكية لا بأس بها، أغلبهم من التجّار الأرمن الذين توافدوا على المدينة لأسباب اقتصادية[5].

بيد أن ازدياد عدد المتكثلكين لم يكن يجري برضا قيادات الطوائف القديمة، حتى يمكن القول بأن الصراع بين الطرفين كان هو السِّمة الأساسية للحياة الاجتماعية لنصارى العراق أبان عهد المماليك. وكانت الوشاية لدى الحكومات المحلية من الأساليب التي كثيراً ما لجأ إليها المتنازعون، خاصة وأن تهمة تعاون أبناء البلاد والكاثوليك مع المبشّرين الأوروبيين، وهم أجانب

---

(1) Fiey, J.: Mossoul Chretienne, P.117.

(2) بابو إسحاق، تاريخ نصارى العراق، ص 13.
Buckingham, J.: Travels in Mesopotamia, II, P.34.

(3) للتفاصيل راجع عناية الرحمن في هداية السريان للمطران أفرام نقاشة.

(4) صائغيان، تاريخ الأرمن، ص 11. ومجلة نشرة الأحد (بغداد 1922) ص 200 نقلاً عن إحصاء قام به الآباء الكرمليون في بغداد لجميع الكاثوليك المقيمين فيها يومئذ. والملكيون، هم الروم المتحدين بالكنيسة الكاثوليكية وكان اتحادهم هذا سنة 1175م (كرنيليوس فان ديك: المرأة الوضية ص 140، ولم ترد ثمة إشارات إلى وجود هذه الطائفة ببغداد).

(5) صائغيان، تاريخ الأرمن، ص 44. نقلاً عن سجلات الآباء الكرمليين في البصرة.

تبدو معقولة دائماً[1] فبسعي من النساطرة واليعاقبة الأرثوذكس طرد والي بغداد محمد باشا الخاصكي الكبوشيين من مقرهم ببغداد سنة 1658م[2]. وبجهود الأرمن الأرثوذكسي وأموالهم، قام والي بغداد أحمد باشا بالاستيلاء على كنيسة النساطرة ومنحها لهم[3]. وبذل الخصمان الأموال الطائلة في المرافعة والمقاضاة في سبيل هذه القضية، قبل أن تستقر الكنيسة سنة 1746 بيد الأرمن الأرثوذكس[4].

وحاول بطريرك القوش في منتصف الثامن عشر أن يرأب الصدع الذي أخذ يهدد طائفته النسطورية بالانشقاق، فأسرع بالانضمام إلى كنيسة روما، إلا أن انضمامه هذا لم يستمر إلّا فترة قصيرة، إذ عاد إلى مذهبه القديم محاولاً الوقوف أمام مطرانية الموصل التي كانت توسع من نفوذها في أراضي بطريركيته باسم الكثلكة ذاتها[5].

على أن ازدياد عدد الكاثوليك المتنامي، أظهر أن للصراع المسيحي هذا جوانبه الاجتماعية الأخرى، فبعد أن كان متوقعاً أن يؤدّي تكثلك أبناء الطوائف إلى اختفاء النزاعات القديمة بينها، أخذ الصراع يتخذ أشكالاً قومية ومحلية وأسرية أخرى حين نشب بين الكاثوليك أنفسهم هذه المرة، من ذلك

---

(1) ذخيرة الأذهان ج 2 ص 381 ـ 382.

(2) وقد شيّد على أرضه جامعاً عرف بجامع الخاصكي، وما زال قائماً حتى اليوم، ويذكر أن هذا الوالي عوّض للكبوشيين كنيستهم بعد ذلك بسنوات (صائغيان بتاريخ الأرمن ص 9. وصائغيان أيضاً: أخبار كنائس الطائفة الكلدانية في بغداد، مجلة النور 12 (بغداد 1950) ص 6 ومرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا ص 255 ـ 256. وعماد عبد السلام رؤوف: جامع الخاصكي في بغداد جريدة البلد البغدادية 20/ 1/ 1966.

(3) روفائيل بابو إسحاق، كنائس نصارى بغداد في العهد العثماني، مجلة سومر، عدد 20 (بغداد 1964 ص 287 وص 293).

(4) أفرام نقاشة، عناية الرحمان في هداية السريان، ص 78، روفائيل بابو إسحاق كنائس نصارى بغداد، مجلة سومر، عدد 20 ص 287.

(5) أوجين تيسران، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص 132. ويوسف غنيمة: بطاركة الكلدان في الجيل التاسع عشر (مجلة النجم 3، 1930 ص 100).

مثلاً أن مطران الموصل خاض صراعاً طويلاً ضد مطران ديار بكر، دام زهاء نصف قرن، مع أن كلاهما كان كاثوليكي العقيدة[1]. ولم يلبث أن انقسم نصارى الموصل الكاثوليك أنفسهم في مطلع القرن التاسع عشر إلى ثلاثة أحزاب التفّ كل منها حول أسرة قوية[2]، فكان ذلك انعكاساً للروح العائلية المتمكنة في الحياة الاجتماعية للمدينة.

ورغم ظهور كل هذه الخلافات، فإن عملية تحول مسيحيو العراق إلى الكثلكة بقيت مستمرة باطراد في المدن العراقية طيلة عهد المماليك، فتحول معظم النساطرة إلى المذهب الجديد، ولم ينتصف القرن التاسع عشر حتى كانت النسطورية قد انقرضت من العراق تماماً[3]. كما تحول جانب كبير من اليعاقبة الأرثوذكس إلى الكثلكة[4]، وزاد عدد الأرمن الكاثوليك بشكل ملحوظ[5].

ولم يواجه الولاة المماليك في بغداد هذه الحركة المتنامية بسياسة عامة محددة في حين وجد حكام الموصل من الجليليين أن مصلحة ولايتهم تقضي بمساندتها باعتبارها تؤدي إلى الحد من نفوذ بطريرك القوش النسطوري المحتمي بأمراء بهدينان المجاورين[6].

---

(1) عزيز بطرس، كتاب الرعاة (أخبار أبرشية آمد) ص 22. مخطوط نسخة مصورة منه في خزانتنا، عن يوسف السمعاني، كتاب كافة الآباء الجثالقة (مخطوط).
Badger, G.P.: The Nestorians, I, P.152..

(2) نصري، ذخيرة الأذهان، ج 2 ص 394.

(3) ماتييف ومار يوحنا، تاريخ الآثوريين ج 1 ص 16 وما بعدها. ونسخة مترجمة خطية عندنا ترجمة الأستاذ ليون برخو. Luke, H.C.: Mosuland its Moniriеties, P.15 ولم يتبق من أتباع هذا المذهب خارج العراق سوى أتباع جبليين قليلين يخضعون لكرسي بطريركي وراثي في قرية قوجانس في سنجق حكاري من ولاية وان التركية وهؤلاء هم الذين جاؤوا إلى العراق في أعقاب الحرب العالمية الأولى وعرفوا باسم (الآشوريين).

(4) صائغيان، تاريخ الأرمن، ص 17.

(5) ذخيرة الأذهان، ج 2 ص 348. وحنا نرسي الموصلي، تنوير الأذهان ص 42.

(6) عماد عبد السلام: الموصل في العهد العثماني ص 345.

على أن لتدهور العلاقات العثمانية ـ الفرنسية، أثر احتلال الفرنسيين مصر عام 1798م دوراً هاماً في تغيير السياسة العثمانية العامة ضد التبشير الكاثوليكي. وهو التبشير الذي طالما تمتع بحماية فرنسا ورعايتها[1]. ففي هذا العام انتهز الأرمن الأرثوذكس حدوث حريق في كنيستهم، مدّعين بأن الكلدان (الكاثوليك) هم الذين أحرقوها، ولما وشوا بهم لدى الوزير سليمان باشا الكبير (1780 ـ 1802) وعرض على الكلدان دفع غرامة باهظة، أبوا أن يدفعوها أو لم يتمكّنوا من دفعها، فأمر حينئذٍ بأن تنهب كنيستهم وتهدم، وأن تودع كتبها الدينية في القلعة الداخلية (ايج قلعة). وفي هذا يذكر القنصل الفرنسي ببغداد راسو Rausseau أنه كان للكاثوليك أيضاً كنيسة خاصة بهم، غير أنها هدمت قبل بضع سنوات لحسد غير الكاثوليك لهم، فبدسائسهم وهداياهم وهباتهم إلى أرباب المناصب العالية استطاعوا أن تأمر الحكومة بتخريب تلك الكنيسة وهدمها[2].

وفي الموصل، ألقى محمد باشا الجليلي القبض على بعض الكاثوليك بتهمة «الفرنجة»، أي الميل إلى فرنسا عدّوة الدولة العثمانية، بل إن يوحنا هرمزد مطران الموصل نفسه، لم ينج من الاعتقال[3]. وتمكن بطريرك اليعاقبة الأرثوذكس من الحصول على فرمانات وأوامر تقضي باستعادة كنائس السريان (أي اليعاقبة الكاثوليك) وأديرتهم، فكان له ما أراد[4].

بيد أن نكسة الكثلكة هذه، لم تستمر إلّا فترة محدودة، فقد انتهت آثارها حال ترك الفرنسيين مصر. وفي الربع الأول من القرن التاسع عشر تمكّن المتكثلكون من استعادة كل ما فقدوه أثناء الأزمة المذكورة واتخذت

---

(1) Miller, V.: The Ottoman Empire and Its Successors, P.5.

(2) بابو إسحاق، كنائس نصارى بغداد، البحث السابق عن:
Rausseau Description du Pashalik de Baghdad.

(3) يوسف غنيمة: بطاركة الكلدان (مجلة النجم ج 2، عام 1930، ص 108).

(4) أفرام عبدال: اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد ص 77.

قيادات الطوائف الدينية المحلية موقفاً دفاعياً إزاء هذا المد الكاثوليكي المتزايد، إذ لم تكن ثقافتها التقليدية بقادرة على ردّ هذا المدّ بمثله، وكان لموقف فرنسا الرسمي المؤيد لنشر الكثلكة لدى البابا ردّ هذا المدّ بمثله، وكان لموقف فرنسا الرسمي المؤيد لنشر الكثلكة لدى الباب العالي دوره الأساسي في حماية البعثات التبشيرية وتشجيعها دائماً[1].

وفي السنوات الأخيرة من عهد المماليك واجه التبشير الكاثوليكي أول تحدٍ حقيقي له، حينما بدأ المبشرون الإنكليز نشاطهم في المدن العراقية كمظهر من مظاهر اهتمام بريطانيا المتزايد في شؤون العراق. ورغم ما بذلته السلطات البريطانية من جهود في سبيل دعم هذا النشاط في مواجهة أعمال المبشرين الكاثوليك من الفرنسيين[2]، فإن التبشير البروتستانتي بقي ضعيفاً محدود الأثر حتى سقوط حكم المماليك، ويبدو أن لموقف داود باشا المعادي للنفوذ البريطاني أثره في تجميد نشاط أولئك المبشرين، إلى أدنى حدّ. ويشير جروفز[3]، وهو أول المبشرين البروتستانت وطليعتهم في العراق، إلى الصعوبات الجمّة التي كان يواجهها في سبيل نشر دعوته بين نصارى بغداد، ويبدو أنه كان يحاول التأثير أولاً على الأقليات المسيحية المرتبطة مصالحها بالمؤسسات التجارية والاقتصادية البريطانية، وبخاصة الأرمن، الذين كانت أعمالهم التجارية الواسعة قد صيّرتهم وكلاء للشركات التجارية البريطانية في الهند وأورميه[4]. ولقد نجح جروفز فعلاً في افتتاح مدرسة للصبيان تُدرّس الأرمنية، إلى جانب اللغتين الإنكليزية والعربية وكان يزمع إنشاء مدرسة أخرى

(1) عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث ص 306.

(2) Alexander, C.: Baghdad. Bygone Days, P.227.

(3) مبشر بروتستانتي إنجليزي، امتهن الطب، واستوطن بغداد لنشر مذهبه بين سكانها، وكتب يومياته بعنوان:

Journal of Residence at Baghad: London, 1832.

(4) انظر الفصل الثاني عند الحديث عن طبقة التجار في أطروحة عماد عبد السلام. الحالة الاجتماعية في العراق.

مثلها للبنات[1]، إلا أن النشاط البروتستانتي لم يأخذ مظهراً جاداً إلّا بعد نهاية حكم داود باشا، وانفتاح العراق على النفوذ البريطاني في عهد الولاة العثمانيين التاليين.

ويمكننا أن نستنتج من ظاهرة النشاط التبشيري هذه، مدى ما كانت تتمتع به الطوائف المسيحية في العراق من استقلال في إدارة شؤونها الداخلية. ويذكر أحد الآباء اليسوعيين الفرنسيين (وكان قد مرّ ببغداد سنة 1675م) أن في بغداد حرية كاملة لكل فرقة من الفرق الدينية في ممارسة شعائرها[2] ويشير دوبريه إلى أن مسيحيي بغداد يتمتعون بقسط وافر من الحرية يتحسر عليه المسيحيون واليهود في أرجاء الأمبراطورية العثمانية الأخرى[3] ويؤكد فوك (وقد زار العراق في منتصف القرن التاسع عشر) على هذه الحقيقة، فيشير إلى أن نصارى بغداد يمارسون عباداتهم بحرية فائقة «وهذا شيء تميّزت به بغداد منذ القديم»[4].

ولا تشير المصادر إلى أية فتنة حدثت بين المسلمين والمسيحيين طيلة عهد المماليك، بل تعاون الطرفان غير مرة في أعمال عامة ذات سمة وطنية. ففي سنة 1733 تولى أرمني بصري، يدعى يعقوب أميرجان، قيادة نصارى البصرة وبغداد وغيرهم من الغرباء الموجودين يومئذٍ في البصرة، للدفاع عن هذه المدينة في أثناء حصار نادر شاه في ذلك العام[5]. وفي نفس التاريخ أيضاً، شارك نصارى الموصل مواطنيهم من المسلمين في الدفاع عن مدينتهم ضد الحصار الفارسي لها بقيادة نادر شاه[6]، فكان أن كافأ والي الموصل

---

(1) Groves, A.N.: Op. Cit., P.53.

(2) صائغيان: تاريخ الأرمن عن:
Lettres édifiantes et curieuses, Tom. III, p.242.

(3) Dupré, Voyageian persr.

(4) فوك: عربستان أو بلاد ألف ليلة وليلة، ص 126.

(5) صائغيان، تاريخ الأرمن، ص 46.

(6) عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، ص 330.

آنذاك الحاج حسين باشا الجليلي الطوائف المسيحية باستحصاله على موافقة الباب العالي على تجديد كنائس الولاية[1].

على أن مشاركة المسيحيين في المدن العراقية في الأحداث الداخلية التي كانت تشهدها الحياة العامة بقيت ضعيفة إلى حدٍّ كبير، إذ لم يؤشر عنهم دور ملحوظ في الصراعات السياسية والاجتماعية بين القوى المختلفة في مدنهم آنذاك، ولم ينضموا إلى طرف من الأطراف المتنازعة رغم أهميتهم الاقتصادية الكبيرة، وبسبب السّمة الدينية القوية للتنظيمات الاجتماعية، فإنهم بقوا خارج تلك التنظيمات مع أن كثيراً منهم كان يمتهن حرفاً مختلفة كالنجارة والحياكة والبناء، وأموراً أخرى ذات طابع إنتاجي أو تجاري.

وليست ثمة معلومات محددة عن مدى مشاركة نصارى المدن العراقية في الحياة الاجتماعية داخل تنظيمات الأصناف الحرفية، وإن كان من المعروف أن الانخراط في المهن الإسلامية مباح لغير المسلمين[2]، وإن بعض أهل الذمة في المدن العثمانية الأخرى كانوا يشكلون أصنافاً حرفية خاصة بهم، تدخل ضمن الهيئة العامة للتنظيمات الحرفية الإسلامية[3]. وحمل بعض النصارى المهاجرين إلى المدن العراقية خبرات بلادهم في الحرف والصناعات، فكان أول من أدخل طريقة صناعة الخبز الإفرنجي المعمول بالفرن[4]، أرمني حلبي قدم إلى بغداد. واحتكر نصارى مدينة في الشمال، هي راوندوز صناعة نسيج الأكياس المستعملة في كبس ورق التبغ الذي تنتشر زراعته حوالى المدينة[5]. واشتهر نصارى

---

(1) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، ج 1، ص 289.
J.Fiey, Mossoul Chretienne, P.57.

(2) ماسينون، لويس: الهيئات الحرفية والمدنية الإسلامية مجلة المورد العراقية 3 (بغداد 1973) ص 16 ـ 17.

(3) أوليا جلبي سياحتنامه ج 1 ص 555 و605.

(4) وهو المعروف عند العراقيين بـ «الصمون» (وهو الفينو عند المصريين) وما زال معروفاً بهذا الاسم في المدن العراقية حتى يومنا هذا.

(5) نرسيس صائغيان: الأسر المنقرضة، مجلة نشرة الأحد 1/ 121.

الموصل بالحفر على الرخام، وهو مادة أساسية في مباني هذه المدينة[1]. وكان أخوانهم في مدن شقلاوة[2] وكوي[3] يحترفون حياكة النسيج البلدي الذي يتخذ منه فلاحو تلك النواحي ملابسهم[4].

واتجه كثير من النصارى في المدن العراقية الرئيسية إلى ميادين التجارة والمال فأصابوا فيها من النجاح ما جعلهم - على ما لاحظ الرحّالة صموئيل إيفرز Samuel Evers سنة 1779م[5]، مستحوذين على التجارة في البلاد. ويظهر أن معظم التجار المسيحيين الموسرين كانوا من أرمن استانبول المهاجرين. وتقوم ثروتهم على تجارة الأحجار الكريمة والشال مع إيران والهند[6]. ويذكر جون آشر John Ussher الذي زار الموصل في منتصف القرن التاسع عشر، أن معظم تجار المدينة من الأرمن «الذين يظهر أن مقدرتهم في التجارة، قد جعلتهم ينتشرون في أنحاء الشرق حتى في أبعد القرى وأوعرها طرقاً»[7]. ومن البيوتات التجارية الأرمنية التي نبهت في أواخر القرن الثامن عشر: آل مرادجا، وآل صوفيالي، وآل مراديان[8]، وكان لكل منها ثروة كبيرة لا يستهان بها[9].

واستطاع عدد من المسيحيين أن يتولى مناصب ذات أهمية في ولاياتهم، فكان الياس الحلبي الكاثوليكي صرّافاً لدى والي الموصل الحاج حسين باشا

---

(1) Edmonds, C.J. Kurds Turks and Arabs, P.89.

(2) شقلاوة: بلدة في شرق الموصل، على طريق أربيل، أشار إليها ياقوت باسم (شقلابان). معجم البلدان 3/ 355.

(3) كوي: بلدة في شهر زور، من أعمال أربيل.

(4) Hay, W.: Two years in Kurdistan, P.46.

(5) Evers, 5.: Journal Kept on A Journey from Bassora to Baghdad, P.52.

(6) Rausseau, J.P.: OP. Cit., P.11, 12.

(7) Ussher, J.: Journey from London to Persepolis, P.397.

(8) وعميد هذا البيت: أوهنيس مراديان، هو أول من أدخل في بغداد تلقيح الجدري، وذلك بعد أن أذاع جندي اكتشافه لهذا اللقاح في عام 1798م.

(9) تاريخ الأرمن ص 15 - 16.

الجليلي[1] وكان زكريا الصائغ موظفاً مهماً لدى الوالي نفسه، ووصف بأنه «مسموع الكلمة عند الباشا»[2]. وعرف بطرس بن الياس جبران البغدادي بالطمغجي. لأنه: «كان من كبار الموظفين في الدائرة التي كانت تعرف بالطمغة[3]. وهي من إدارات الضرائب الرئيسية في الولاية[4]. هذا فضلاً عن تولي العديد منهم وظائف قريبة من الولاة ذوات أهمية عملية خاصة، فكان منهم رئيس طباخي الوالي، وكبير تجارة وكبار خدمة[5].

ويمكننا أن نستنتج من وصف رسالة فرنسية لملابس نساء المسيحيين في القرن التاسع عشر، مدى ما كانت تعيش به أسرهن من بحبوحة وسعة، فقد كنّ جميعاً يرفلن بالحرير الفاخر المقصب بأسلاك الذهب والفضة، ويرتدين المخمل، ويغرقن أنفسهن بالحلي الذهبية والجواهر النفيسة، «بحيث إن مخزن أكبر كنيسة لا يستطيع أن يضاهيها، وأكثر هذه الحُلي هي أطواق ذهب غالية، وزنارات (نوع من الحلي) وأسورة وأقراط وخواتم تغطي أجسام النساء، وهن يتفاضلن فيما بينهن بعدد وكثرة تلك الحلي»[6].

ولم تكن الضريبة على المسيحيين، شأنهم في ذلك شأن اليهود، لتتجاوز الحدّ الشرعي لمقدار ضريبة الجزية الإسلامية، فكانت تجبى بحسب النسبة الشرعية القديمة، فالغني يدفع أربع «دوكات»[7] عن كل رأس، ومتوسط الحال

---

(1) الصائغ: تاريخ الموصل ج 2 ص 289 ويعقوب سركيس، مباحث عراقية، ج 2 ص 338 ـ 340 و: .Sestini; op. Cit., P.147

(2) تيسران: خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ص 132.

(3) مجلة نشرة الأحد (بغداد 1922) ص 202.

(4) تفرض ضرائب الطغمة على المهن والحرف. انظر الفصل الرابع من أطروحة عماد عبد السلام، الحياة الاجتماعية.

(5) نصري، ذخيرة الأذهان، ج 2 ص 230. الموصل في العهد العثماني ص 250.

(6) ديولافوا: رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة ـ العراق سنة 1881 ص 78 ـ 79.

(7) الدوكة Ducat عملة تضرب في البندقية، وكانت قيمتها تختلف بين عشرة دوكات و12 فرنكاً. ويذكر نيبور أنها كانت تساوي عملة عثمانية ذهبية معروفة في الموصل باسم «زر محبوب» (أنستاس الكرملي: النفوذ العربية وعلم النميات ص 175).

يدفع «دوكين» ويدفع الفقير «دوكة» واحدة، ويحصل لقاء ذلك على ورقة أو وصل يحتفظ به طول السنة لكي لا يدفع مرة أخرى[1]. وعلى الرغم من أنه كان يوجد في حكومة الولايات العراقية موظفون مختصّون بجباية هذه الضريبة[2]، ولهم رئيس يدعى «أمين الجزية»[3] فإنه كثيراً ما كانت تلك الوظيفة تترك لمن يتولاها بالالتزام، من ذلك أن التزام جزية البصرة كان من اختصاص أسرة آل الحيدري العلمية الشهيرة ببغداد[4].

وتشير التقديرات المختلفة لعدد المسيحيين، إلى أن هذا العدد كان في زيادة مطّردة طيلة عهد المماليك وما تلاه من عهود أيضاً، كما تظهر تلك التقديرات أن معظم المسيحيين كانوا يستوطنون الموصل وأطرافها، بحيث كانوا أهم طائفة فيها بعد المسلمين، في حين تزداد كثافة اليهود في بغداد وأنحائها، بالنسبة إلى المسيحيين فيها[5]، وهذا يعني أن توزيع الطوائف كان يخضع إلى حدّ ما إلى الوضع الجغرافي للبلاد[6].

وكانت المدن الرئيسية ـ أبان عهد المماليك ـ تعدّ المجال الطبيعي لاستيطان المسيحيين، مثل بغداد والموصل والبصرة وأربيل وكركوك. ولم يكن ثمة فلاحين منهم إلّا في ريف الموصل وطريق شهرزور القديم، في حوالى مدينتي أربيل وكركوك، حيث كانوا يدخلون في حماية القبائل الكردية أو في حماية ملّاك الأراضي الزراعية من أهل المدن[7]. ومن تلك المستوطنات

---

(1) عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني ص 314.

(2) Niebuhr, K.: Voyage en Arabie, Vol. II. P.264.

(3) عبد الباقي العمري، نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيى ص 240. (مخطوط)

(4) إبرهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد ص 166.

(5) Atiyyah, C.R.: Iraq A Politi cal study P.33.

(6) Hay, W.R.: Op. Cit., P.89.

(7) وهذا يشبه مما كان التوزيع الجغرافي للسنة والشيعة في العهد نفسه.

الرئيسية مثلاً: بلدة القوش[1]، وتل أسقف[2]، وهي بلدة كان يبلغ عدد سكانها (1800) نسمة أغلبهم من المسيحيين الكلدان[3]، وتلكيف[4] ويبلغ أهلها زهاء ثلاثة آلاف بيت من المسيحيين[5]، ومنها أيضاً بلدة «قره قوش» وكرمليس وبرطلي في شرقي الموصل، وكوي وشقلاوة وعينكاوة وأرموطة في المنطقة القريبة من مدينة أربيل[6].

وتختلف التقديرات في شأن عدد المسيحيين في المدن العراقية أبان عهد المماليك فبينما يشير إحصاء رسمي يرقى إلى أواخر القرن السادس عشر، إلى أن عددهم هو 4035 نسمة[7]، يذكر دوبريه Dupré في أواسط القرن الثامن عشر، أن عدد الأسر المسيحية في عهده، كان لا يزيد على ستين أسرة، أي نحو ثلاثمائة شخص. ويبدو أن كلا الإحصاءين تعوزه الدقة، إذ يذكر إحصاء مؤرخ في سنة 1753م، قام به الآباء الكرمليين ببغداد، أن عدد الكاثوليك وحدهم كان يزيد على 70 أسرة، أو خمسمائة شخص، فضلاً عن غير الكاثوليك منهم[8]. وقدّر عددهم في منتصف القرن التاسع عشر بنحو 268

---

(1) القوش، بلدة قديمة عامرة تبعد عن الموصل مسافة 31 ميلاً من شمالها وكانت مركزاً للبطريركية الكلدانية بين سنتي 1504 و1830م (تيسران، خلاصة تاريخية، ص 147).

(2) تل أسقف: بلدة في شمال الموصل، على بعد 20 ميلاً منها.

(3) عزيز بطرس: كتاب الرعاة (أخبار أبرشية الموصل) ج 6 ص 8 (مخطوط في خزانتنا) وكوركيس عواد: أثر قديم في العراق دير الربان هرمزد ص 89.

(4) بلدة قديمة من أكبر وأقدم قرى الموصل، تبعد عنها مسافة 9 أميال شمالاً.

(5) كوركيس عواد، تحقيقات أثرية تاريخية بلدانية في شرقي الموصل (مجلة سومر 7، 1961، ص53).

(6) انظر عن هذه القرى: ياسين العمري: منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، ص 127 ـ 168 وعواد: تحقيقات أثرية تاريخية، سومر 17، 1961، ص 53 ـ 69. والموصل في العهد العثماني ص 20 ـ 22.

(7) يذكر هاي أن عدد المسيحيين في هذه القرى بلغ في أوائل القرن العشرين نحو 4000 نسمة، منهم 2500 في عينكاوة.

Hay,w: Opcit, p. 87. وانظر Howel, T. Voyage en Retour de Linde, PP.50 - 51.

(8) Dupré: Voyage en perse, vol. II. P.175.

أسرة مكونين على النحو الآتي: 80 أسرة من الأرمن، 60 أسرة من السريان اليعاقبة، 120 أسرة من الكلدان[1] ويبدو أن عددهم استمر في الزيادة السريعة، حتى قدّر في أواخر القرن المذكور بـ 2300 نسمة[2]، وكان عددهم في سنجق بغداد (بغداد وأعمالها) نحو سبعة آلاف شخص، يتألفون من 2200 أرمني أرثوذكسي، و1000 أرمني كاثوليكي و100 أرمني بروتستانتي و800 لاتيني و10,600 كلداني كاثوليكي و1200 سرياني[3] و50 يوناني. هذا في حين بلغ مجمل عدد سكان السنجق نحو من أربعمائة ألف نسمة[4].

أما البصرة[5] فكان عدد المسيحيين فيها يقدّر ـ أبان القرن السابع عشر ـ بثلاثة آلاف بيت، ويتبعون مطرانية محلية خاصة بهم، ولهم فيها ثلاث كنائس[6]. وقدّر عددهم في أواخر القرن التاسع عشر بنحو 2250 نسمة، أكثر من نصفهم من أتباع الكنائس القديمة، والباقون كاثوليك[7]، في الوقت الذي بلغ فيه سكان المدينة زهاء 18,000 نسمة.

ولم تكن هناك في المدن العراقية، أحياء مغلقة يقطنها المسيحيون دون غيرهم من أبناء الطوائف الأخرى، إلا أن هذه المدن عرفت نوعاً من التجمّعات المسيحية داخلها، دون أن تكون ثمّة حدود قاطعة تفصل الأحياء التي تسكنها عن سواها من الأحياء المجاورة. فكان في بغداد ـ مثلاً ـ أكثر

(1) Barkan, O, L.: Research on the Ottomand Fiscal Surveys (In studies in the Economic History of Middel East. P.171).

(2) مجلة نشرة الأحد 1، بغداد 1922، ص 200.

(3) سعاد العمري: بغداد كما وصفها السواح الأجانب، ص 85.

(4) عن إحصاء مؤرخ سنة 1311 هـ محمد رؤوف الشيخلي: مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج 1، ص 83.

(5) Cuinet, V.: La Turquie d'Asie, Tome III, P.17.

(6) لا يشير الإحصاء الذي نقله Barkan إلى وجود نصارى في البصرة، في أواخر القرن السادس عشر، ومن المرجّح أن سبب هذا الإغفال هو نقص المعلومات.

(7) عزيز بطرس: كتابة الرعاة (أخبار أبرشية البصرة) ج 8 ص 4 (مخطوط).

من تجمّع سكني مسيحي، يقع أحدها في منطقة الميدان، قرب القلعة الداخلية، حيث يقيم معظم الأرمن[1]، ويقع التجمع الثاني في محلة سوق الغزل، في قلب المدينة، ويمتد هذا حتى يتّصل بتجمّع آخر في محلة واحدة هي رأس القرية، من أحياء المدينة الجنوبية[2].

وفي البصرة، تجمع قسم كبير من النصارى في قرية العشار على ساحل شط العرب وتجمع نصارى الموصل حوالى الإرسالية الدومنيكية وفي منطقة الميدان وحوش الخان، فصار ذلك الحي أهم تجمعاتهم في المدينة وأكبرها، وفي مدينة صغيرة هي السليمانية، نجد أن معظم مسيحيي المدينة كانوا يقيمون في حي واحد من أحياء المدينة[3] ويمتهنون بعض أعمال النسيج الضرورية للمنطقة[4]، على أن هذا الحي لم يكن خاصاً بأولئك المسيحيين وحدهم، بل يشاركهم فيه المسلمون أيضاً.

وعلى الرغم من أن معظم المزارعين المسيحيين في مناطق أربيل والسليمانية (سهل شهرزور) كانوا يخضعون ـ بحكم ظروفهم الاجتماعية ـ للقبائل الكردية المسلمة من حولهم، فإنهم كانوا يعاملون ـ على ما لاحظ بعض الرحالين ـ بشيء كبير من الرحمة والاحترام[5]، ولم يكن الرأي العام للسكان يقرّ وقوع اعتداء عليهم[6]. وقد تمتّع مزارعو «شقلاوة»[7] المسيحيون الذين يمارسون عملهم في منطقة قبلية محصنة بمعاملة ودّية للغاية، دون أن يتدخل أحد في شؤونهم، مستفيدين من حماية الزعامات القبلية الموجودة في المنطقة.

---

(1) Jones, F.: Selection from Record, PP.312, P.329.

(2) عزيز بطرس: المصدر السابق ج 8 ص 4.

(3) Edmonds, C.J.: Kurds turks and Arabs, P.80.

(4) Ibid & Hay, W.: Two years in Kurdistan, P.90.

(5) المصدر السابق ص 89.

(6) المصدر السابق ص 90.

(7) قرية أو بلدة قريبة من أربيل.

وكانت صلات المصاهرة تربط دوماً بين المسلمين والمسيحيين، حيث لم يجد الأولون أي بأس من التزوج من مواطناتهم المسيحيات، فارتقت بذلك أسر مسيحية عديدة الهرم الاجتماعي لتلك المدن بسبب صلات المصاهرة الجديدة بينهم وبين الأسر العريقة في المنطقة[1]، وكانت المشاهد المقدسة لدى المسيحيين، المنسوبة إلى حواريي المسيح، تلقى قدراً كبيراً من احترام المسلمين أيضاً، فمسلمو الموصل ومسيحييها كانوا يجلّون مشهدي يونس (يونان)، وجرجيس (جورج) على حدّ سواء، باعتبارهما حماة المدينة ورعاتها، ويزور المسلمون ضريحاً منسوباً إلى القديس شمعون الصفا في الكنيسة المعروفة باسمه في الموصل تبركاً[2]. وكان مسلمو بلدة «عين كاوة»[3] يزورون بنفس القدر من الاحترام بعض القبور المنسوبة إلى الحواريين في بلدتهم[4]. ولم يكن من المسموح به أن يدخل المسيحيون مساجد المسلمين وأماكنهم الدينية الأخرى البتة، وهو أمر كان يؤدّي إلى مضايقات جمّة لأولئك الرحالين الذين ساقهم تطفلهم إلى القيام بمثل ذلك الأمر[5]، أما الأماكن التي تتميز بصفتها الإسلامية والمسيحية معاً، مثل المشهد المنسوب إلى «الخضر الياس» ببغداد فكان يسمح للمسيحيين بزيارتها والتعبّد فيها، لقاء رسوم معينة يدفعونها للموكلين بحفظ تلك الأماكن[6].

---

(1) ذات المصدر السابق ص 90 ـ 91.

(2) أحمد بن الخياط: ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ص 51.

(3) بلدة بالقرب من أربيل.

(4) المصدر نفسه. Hay. W.: Op. Cit., P.91.

(5) رحلة تافرنيه ص 61 و Evers, S.: Journal Kept on a Journey from Bassora to Baghdad. P.49.
Loftus, W. K.: Travels and Researches, II., p 66.

(6) من مساجد بغداد القديمة. ذكر تافرنيه عند زيارته لبغداد في منتصف القرن السابع عشر «إن النصارى يزورون مزاراً يبعد عن المدينة نحو ربع ساعة هناك معبد على اسم ولي يسمونه خضر الياس إذا أرادوا الدخول فيه دفعوا إلى الأتراك الذين بيدهم المفتاح شيئاً من الدراهم» (انظر رحلة تافرنيه ص 58).

وكان من المحظور على المسيحيين، شأنهم في ذلك شأن أهل الذمة الآخرين اقتناء الرقيق الأبيض، ولهم في مقابل ذلك اقتناء العبيد السود. وقيل إنهم منعوا أيضاً في عهد داود باشا آخر ولاة المماليك من ركوب الخيل أو البغال أو الحمير أثناء تنقلهم في المدينة[1]، وإنهم لم يسمح لهم بلبس العمائم ويُباح لهم لبس ما طاب لهم من ألوان أخرى[2].

ألقيت في ندوة الجامعين في قره قوش

يوم الخميس 8 آذار 1984

---

(1) Faser J.B. inkoordistan Mesopotamia Vol. I., P.277.

(2) كانت كل العمائم الخضر والبيض خاصة بالمسلمين فقط واللون الأخضر هو سمة الأشراف منهم. انظر فوك ـ عربستان أو بلاد ألف ليلة وليلة ص 132.

المسيحيون العراقيون
ودورهم في بناء العراق الحديث

المسيحيون، ضحية التاريخ، وصورة الواقع في كل عصر وكل مصر. فقد حملوا في أعناقهم ذنوب الآخرين، فكانوا كبش الفداء بمحرقة حقد الشعوب، منذ اضطهادات الفرس شرقاً، والرومانيين غرباً، والعثمانيين شمالاً.

وما يهمنا هنا هو توضيح أحوال المسيحيين في العراق في فترة الحكم الوطني الذي ابتدأ بقيام الدولة العراقية بتنصيب الملك فيصل الأول على عرش العراق يوم 23 آب 1921 وإلى الأيام الحاضرة.

قبل إزاحة كابوس العثمانيين عن صدر العرب المسلمين والمسيحيين في العراق بفترة قصيرة، وبالضبط منذ إعلان حقوق الأقليات بالحرية والإخاء والمساواة بحسب الدستور عام 1908، برز عدد من العراقيين المسيحيين في التصدّي للظلم والمظالم وكافحوا وناضلوا في سبيل ذلك، فانخرطوا في الحركة الوطنية للنهضة العربية التي قامت بعد منتصف القرن التاسع عشر.

عاش المسيحيون العراقيون مع إخوتهم المسلمين فترة الحكم العثماني (1534 ـ 1918) محتملين صعوبات الفترة وشقائها، وعراقيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تخلف مدقع، محرومين من كل سبل التطور والتقدم، منغمسين في حماة المطاردات بعيدين عن ميادين الفكر والنهضة، وذلك بسبب النظرة الشوفينية الفوقية والمثل التركي ما زال مشهوراً بين أبناء العراق: «لا من الخشب ماشا، ولا من العرب باشا». فكان العراقيون والحالة هذه مضطهدين ينتشر بينهم الجهل والفقر والمرض.

ومع كل الضغوطات، فإن بعضاً من المسيحيين استطاعوا أن يبرزوا على المسرح الاجتماعي والثقافي، فساهموا عميقاً في حركة اليقظة العربية سيما في النطاق الفكري. وعلى قدم المساواة مع إخوانهم العرب المسلمين والمسيحيين في لبنان وسوريا.

ومن أجلى الصور لهذه اليقظة هو ظهور رجالات سياسية وثقافية واجتماعياً عملوا سوية يداً بيد مع إخوانهم العرب المسلمين سيما تلك المواقف الوطنية التي امتازوا بها تذكر وتشكر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: الصحفي داود صليوا (1852 ـ 1921)

الذي أصدر جريدة (صدى بابل) سنة 1909، وشنّ حملاته القلمية على العثمانيين ولا سيما (حزب الاتحاد والترقي) وطالب بحقوق العرب. ولمواقفه الوطنية سجن أكثر من مرة في العهد العثماني، وبعد الحرب العالمية الأولى نفي إلى القيصرية، بأمر والي بغداد جاويد باشا ثم أطلق سراحه ولكنه بقي على منهجه الوطني المكافح حتّى وفاته[1].

ثانياً: البطريرك مار عمانوئيل توما (1900 ـ 1947)

ولد في القوش ودرس في إكليريكية غزير للآباء اليسوعيين. اشتهر أبان الحرب العالمية الأولى بالمبرّات الجزيلة تجاه الفقراء والمحتاجين مما يذكر عنه، عندما احتلّ الجيش الإنكليزي العراق ورغبت بريطانيا بإنشاء دولة للمسيحيين في شمال العراق فرفض رفضاً تاماً مصرّاً على قيام الدولة العراقية بأبنائها مسلمين ومسيحيين إلّا مما حمل القائد كجمان على نفيه إلى الهند، أن العرب المسلمين عندما علموا بالأمر أرجعوه معزّزاً مكرّماً إلى مقره كزعيم وطني. وكان أن تعيّن عضواً داعماً في مجلس الأعيان العراقي (1923 ـ 1949).

ثالثاً: المطران جرجس قندلا (1889 ـ 1980)

ولد في الموصل، وتخرّج من معهد مار يوحنا الحبيب، وسيم كاهناً عام

(1) نشرنا عنه بحثاً في مجلة الفكر المسيحي، الموصل، عدد 56.

1913 واستلم إدارة مدرسة مار توما (التوماوية) ومن مواقفه الوطنية عندما أثيرت مشكلة الموصل بين العراق وتركيا، كان المدير القس جرجس يكتب كل يوم صباحاً على السبورة في جميع صفوف المدرسة هذا الشعار الوطني: «الموصل رأس العراق، ولا يمكن قطع الرأس عن الجسم» واستمرّ هكذا إلى حين انتهاء المشكل عام 1926 بالاتفاق دولياً على اعتبار الموصل جزءاً لا يتجزأ من العراق[1].

رابعاً: الخوري يوسف خياط الموصلي (1903 ـ 1947)

الذي لفرط ذكائه ورسوخ قدمه في المجتمع أجمع الموصليون على انتخابه عضواً في مجلس النواب العراقي، وله مواقف خطيرة في ذلك المجلس تجلّت فيها عبقريته ومحبته الوطنية ومدافعته عن حقوق الدولة العراقية الفتية، وسافر مرتين إلى لندن للدفاع عنها، كعضو في الوفد المفاوض مع بريطانيا، إضافة إلى كونه مستشاراً للملك فيصل الأول. وفي أواخر أيامه اعتزل السياسة، ولبّى نداء ربه في 21 تموز 1947[2].

خامساً: المناضل ثابت عبد النور

هو نيقولا الفتى المسيحي الذي انخرط في شبابه في جميعة العهد العربية وراح يعمل بحماس متميز في مقارعة العثمانيين للمطالبة بحقوق العرب واستقلالهم. فسجن وكابد الكثير من الاضطهاد، إلى حين قيام الحكم الوطني. فتعيَّن سفيراً للعراق لجهوده الوطنية ومواقفه السياسية الفاعلة، وقد أشيع عنه أنه اعتنق الإسلام وتغيّر اسمه من نيقولا إلى ثابت، إلا أنني أرى أن اسم «ثابت» هو اسمه الحركي السري الذي كان يعمل فيه أيام الدولة العثمانية واستمرّ هذا الاسم يرافقه طوال عمره.

إضافة إلى هؤلاء، فهناك أسماء أخرى لرجالات مسيحية عراقية امتازت

---

(1) راجع كتابنا «تاريخ أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك» بغداد، 1985، ص 121 - 221.
(2) المرجع السابق، ص 174 ـ 175.

بمواقفها السياسية أمثال السيد يوسف يوسفاني عضو مجلس المبعوثان العثماني، والمحامي نوئيل رسّام الذي اعتقل في ثورة الكيلاني عام 1941 لموقفه ضد الإنكليز، والمحامي جرجيس فتح الله والمحامي نعوم فائق وغيرهم كثيرون.

رجال النهضة العراقية الحديثة:

عندما نشأت الدولة العراقية بحكمها الوطني عام 1921 كما أشرنا سابقاً، راح العراقيون جميعاً المسلمين والمسيحيين يتكاتفون بنقلة نوعية في التقدم والنهضة الوطنية بميادينها المختلفة، وعلى كافة الأصعدة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لخلق عراق متميّز كما كان متميزاً بحضارته الأولى أيام البابليين والكلدان والسريان والآشوريين. فراح أحفادهم المسيحيون يتسابقون في نهضة نوعية متكاملة يدفعهم في ذلك حماسهم الوطني وحبهم العميق للعراق العظيم.

ولكي نقف على جملة من الحقائق المهمة والبارزة في التاريخ، ولكن للأسف قد تكون خفية عن كثيرين من أبناء الوطن والأمة، الوطن العراق والأمة العربية وحتى العالم، أرى من الضرورة بمكان أن أذكر قسماً من أولئك الأعلام الذين شعّوا بنورهم في سماء العراق وأناروا الطريق أمام العراقيين وأصبحوا أمثالاً في الوطنية الصالحة، فلا بد من الإشارة إليهم لأنهم مخفيون بين طيات الزمن العاثر والبحث القاصر والطمس المقصود في دراسات أغلب الباحثين من عرب وأجانب.

الروّاد المؤسسون:

قد كان لعدد من رجالات العراق المسيحيين دوراً كبيراً في حركة النهضة القطرية (العراق) والإقليمية (الوطن العربي) وأدّوا خدمات جليلة في القرن التاسع عشر الذي شهد بدايات النهضة التي شارك فيها نخبة من المصلحين والأدباء والعلماء ورجال الدين، إضافة إلى الأفندية والخواجات، ويكاد يكون

تاريخ النهضة هذه والنهضويين هؤلاء من المسيحيين العراقيين ودورهم في النهضة العربية مستتراً خفياً عن الأعين بفعل التعتيم المقصود ضد أدوار المسيحيين كجعلهم في الصف الثاني أو الثالث فيبقوا مجهولين حتى عند مواطنيهم، علماً أن هذا الأمر من التعتيم والتجاهل ما زال ساري المفعول من كل المثقفين العراقيين المسيحيين في كتب تاريخ الثقافة العربية وثقافة العصر الحديث.

فدعوني وقد حان الوقت لإماطة اللثام وكشف الأقنعة التي وضعت على وجوه الذين يستحقون الإجلال والتبجيل في جميع مجلدات تاريخ العراق والوطن العربي.

دعوني أقف وجلاً وخجلاً من هؤلاء الذين حرمهم التاريخ مكانتهم ومواقفهم، علمهم وأدبهم، فكرهم وثقافتهم، هؤلاء الروّاد المسيحيين الأوائل من العراقيين العظام.

1 ـ القس الياس بن حنا الموصلي (القرن السابع عشر)

قام برحلة إلى أمريكا بين (1660 و1682) وهو بذلك أول شرقي يصل إلى تلك البلاد، الذي انطلق من بغداد ومن ثم روما نحو أمريكا. فكان أول رحّالة من الشرق يصل العالم الجديد. وقد نشرت رحلته التي طبعت في روما عام 1692 ثم أعيد نشرها في مجلة المقتطف والمشرق وفي بغداد مؤخراً، وتتضمن معلومات فريدة عن تلك البلاد. وسوف ننشرها بتحقيق جديد إن شاء الله.

2 ـ الأستاذ يوسف عتيشا الموصلي:

هو العلّامة باللغات الشرقية، المولود بالموصل عام 1599، وتوفي في ألمانيا عام 1680، درس الكلدانية والآشورية في العراق ثم سافر إلى فلسطين واستقرّ فيها فترة من الزمن ومارس التدريس هناك إلى جانب درسه اللغات السامية القديمة وتاريخها، وقد تتلمذ على يديه العديد من الطلبة. ثم سافر إلى ألمانيا والتحق بمعهد الاستشراق التابع لجامعة فيتنبرغ، وبعد تمضيته أربع

سنوات حمل لقب الأستاذية، وتقديراً لجهوده حفرت الجامعة صورته على قطعة خشبية اعتزازاً به وتكريماً له.

3 ـ خضر بن الياس هرمز الموصلي (1679 ـ 1755)

رحّالة عراقي، كلداني المذهب، موصلي المولد، سافر إلى روما وزار الفاتيكان عام 1825، وعاش فيها حتى وفاته بها، وكتب رسالته «رحلة من الموصل إلى روما سنة 1719م» وصف فيها رحلته البرية والبحرية وذكر اضطهاده بعد اعتناقه الكثلكة، فيعتبر بذلك من أوائل المتكثلكين من الكنيسة المشرقية النسطورية. وسوف ننشر هذه الرحلة قريباً بثوب جديد.

4 ـ المطران إقليميس يوسف داود (1829 ـ 1890)

رائد نهضوي حقيقي، يعدّ من المتميزين العراقيين في ثقافة العصر، تلقّى علومه في أديرة الموصل وكنائسها ثم في روما، التي عاد منها إلى مسقط رأسه الموصل عالماً كبيراً يكفيه أنه بزّ أقرانه جميعاً، وبرز في الموصل العراق كمعلم ومربٍّ، فأتقن عدة لغات تقرب العشرين وكان بحراً في اللغة العربية وهو أول من طبع كتاباً مدرسياً في نحو اللغة العربية والحساب والجغرافيا والتاريخ المدني وغيرها من العلوم. وقد خرج من حياته بحصيلة من الكتب بلغت 85 مؤلفاً في مختلف المعارف والعلوم، وقد انتخب عضواً عاملاً في الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية عام 1890، ويعدّ من روّاد النهضة الفكرية العربية الحديثة بسبب غزارة إنتاجه العلمي والثقافي وبلغات عديدة، ونحن اليوم نشرنا كتاباً شاملاً عن سيرته ونشاطاته العلمية والأدبية بعد أن نشرنا عنه بحثاً صغيراً عام 1981 في مجلة بين النهرين الموصلية.

5 ـ البطريرك أغناطيوس أفرام رحماني (1897 ـ 1929)

ولد بالموصل، قصد روما عام 1863 ودرس في جامعة بروبغندا وحصل على الإجازة في الفلسفة واللاهوت وسيم كاهناً عام 1890. صرف جهوداً وافرة في النشر والتأليف وأصدر مجلة «الآثار الشرقية» إضافة إلى

عشرات الكتب والمقالات في ميادين التاريخ والليتورجيا، وكان يتهافت العلماء في أوروبا بالحضور لمحاضراته أثناء وجوده في تلك البلاد، وكانت حصيلة حياته أكثر من أربعين كتاباً باللغات العربية والفرنسية واللاتينية والسريانية[1].

6 ـ البطريرك الكاردينال مار أغناطيوس جبرائيل الأول تبوني (1879 ـ 1968)

ولد بالموصل ودرس في مدارسها ثم تخرج من معهد مار يوحنا الكهنوتي وسيم كاهناً عام 1902، ومطراناً عام 1913، ونصّب بطريركاً عام 1929، وكردينالاً عام 1935 وكان بذلك أول كردينال من الكنيسة السريانية الشرقية يقبل هذه الدرجة السامية. ترك مآثر كثيرة تنطق بها الأعمال الجليلة في تشييده الكنائس والمدارس إضافة إلى تجديده الرهبانية الإفرامية بنات أم الرحمة عام 1958. انتقل إلى جوار ربه عام 1968[2].

7 ـ البطريرك جرجس خياط (1828 ـ 1890)

ولد في الموصل، واصل علومه في روما. وسيم كاهناً عام 1853 وعاد إلى وطنه عام 1860 وسيم مطراناً على العمادية عام 1860، وانتخب بطريركاً عام 1894. اهتم بالتأليف والنشر والتعليم بما أصدره من كتب مدرسية وعنايته بالمدارس الخاصة بطائفته الواسعة الأرجاء والكثيرة العدد.

---

(1) انظر عنه في كتابنا «تاريخ أبرشية الموصل لسريان الكاثوليك، ص 271 ـ 281» مع بحثنا عنه في مجلة بين النهرين، عدد 13 ص 55 ـ 68.
(2) المصدر السابق ص 282 ـ 288.

الآثاريون والمنقبون

العراق حقل واسع من الآثار الحضارية القديمة لأقدم حضارات العالم، فهو المنجم الأول بغزارة آثاره وكثرتها. واتجهت نحوه الأنظار منذ بدايات القرن التاسع عشر للتنقيب فيه والكشف عن أولى حضارات الإنسان التي عاشت في وادي الرافدين. وصارت الأركيولوجيا العراقية (علم الآثار ونفائس التراث) من أهم علوم ذلك العصر التي كشفت بما استخرجه المنقّبون عن خفايا وأسرار لم يكن العالم يدري بها إلّا ما هو مثبت في التوراة والكتب الدينية القديمة.

وبرز بهذا الميدان من المختصّين العراقيين المسيحيين وصاروا روّاد للأركيولوجيا العراقية والعالمية ومن أبرزهم:

1 ـ الدكتور هرمز نمرود رسّام (1826 ـ 1901)

من أشهر المنقبين الآثاريين في العراق أبان القرن التاسع عشر، وهو الذي كشف عن كنوز آشورية في كل من نينوى وخرساباد والنمرود، وكان يعمل ضمن فريق بعثة المنقب البريطاني الشهير لايارد. وقد سبق هذا الرجل زمانه وهاجر إلى بريطانيا واستقرّ بها. ولم تزل صورته الزيتية معلّقة في واحدة من أهم قاعات المتحف البريطاني اعترافاً بجهوده الكبرى، وهو من عائلة مسيحية كلدانية موصلية معروفة.

2 ـ الأستاذ فؤاد سفر (1910 ـ 1978)

آثاري، من روّاد العمل الآثاري في العراق، ولد في الموصل، حصل

على البكالوريوس والماجستير من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة عام 1938، في موضوع الآثار واللغات القديمة وتعلّم الخط المسماري وعلم الأنتروبولوجي. مارس الحفر والتنقيب في مواقع أثرية عديدة في العراق، وكان من الأوائل الذين تولّوا الحفر في مدينة (الحضر) واختصّ بها. كان عضواً في تحرير مجلة سومر الآثارية. وألّف كتباً عديدة المطبوع منها يتجاوز العشرة عدا عشرات المقالات، والبحوث العلمية الراقية.

3 ـ عبد الكريم بني:

ولد في الموصل، تخرّج من معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي، وأكمل دراسته في كلية الحقوق ببغداد وصار مدرساً في ذات الكلية. يعتبر أول عراقي يقرأ المسمارية التي أتقنها عام 1930، وترجم مسلّة حمورابي مباشرة من المسلّة، كما وضع كتاباً في قواعد اللغة الآكدية الآشورية، ونشر كتاباً عن بابل تحت عنوان «عروس الفرات» وغيرها من المقالات اللغوية والتاريخية، علماً أنه كان يتقن عدداً من اللغات الحيّة والقديمة. مثل الإنكليزية والفرنسية والسريانية.

4 ـ بشير فرنسيس (1909 ـ 1994)

ولد بشير يوسف فرنسيس في الموصل تخرّج من دار المعلمين العالية. وعين مدرّساً للتاريخ حتى العام 1938، ونقله ساطع الحصري إلى الآثار وعيّن مفتشاً عاماً لمديرية الآثار، شارك في مؤتمر الآثار الأول بدمشق. ومن خلال واجباته الرسمية قام باستكشاف المواقع الأثرية والشواهد الأثرية التاريخية والمباني القديمة في جميع أنحاء العراق. وسجّل عن كل موضع مشاهداته ودراسته عنه في ملفات خاصة بدائرة الآثار. له مؤلفات مطبوعة تتجاوز العشرة كتب في التاريخ والآثار[1].

(1) راجع عنه الكتاب الذي وضعه عن سيرته الأستاذ عبد الحميد المطبعي.

5 ـ الدكتور بهنام أبو الصوف (1931 ـ . . .)

ولد في الموصل اختار دراسة آثار بلده العراق وتعلّقه به وانغماسه الشديد في هذا الحقل بين المعرفة في سني دراسته كلها: حصل على الدكتوراه في الآثار من جامعة كمبردج عام 1966. آخر وظيفة تقلّدها (مدير عام آثار المنطقة الشمالية) في الموصل. وهو من المؤسسين لجمعية الآثاريين العراقية عام 1975. وحضر عدداً من المؤتمرات الآثارية داخل العراق وخارجه. له أكثر من خمسين كتاباً وبحثاً ومقالة منذ العام 1946 وهي تدور حول الحضارة العراقية والتنقيب وشؤون الآثار القديمة[1].

(1) راجع التفاصيل في كتاب وضعه عنه الأستاذ عبد الحميد المطبعي.

اللغويون

برز الكثيرون من المسيحيين العراقيين في ميدان اللغات الشرقية والغربية. ومنها السريانية والعربية والفرنسية واللاتينية والإنكليزية، ووضعوا فيها كتباً عديدة في الأدب والنحو والصرف والمعاجم. ومن أبرزهم:

1 ـ الأب أنستاس الكرملي (1866 ـ 1948)

دخل رهبنة الكرمليين وسيم كاهناً عام 1894، تلقّى دروسه الأولى في بغداد والثانوية في مدرسة الاتفاق الكاثوليكي، ثم واصل دراسته في بيروت بكلية الآباء اليسوعيين ثم في بلجيكا، وواصل دراسته اللاهوتية في فرنسا وإسبانيا، وعاد إلى بغداد ليواصل جهوده العلمية، فإلى جانب تضلعه باللغة العربية فإنه أتقن اللغات الفرنسية واللاتينية واليونانية، وألمّ باللغات السريانية والعبرية والحبشية والمندائية، والفارسية والتركية والإنكليزية والإيطالية. وألّف كتباً عديدة في اللغة والتاريخ والملل والبلدان تربو على العشرين مجلداً، إلى جانب أكثر من ألف بحث ومقالة. وأصدر مجلة «لغة العرب» سنة 1911، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى نفاه الأتراك إلى إحدى مناطق الأناضول زهاء سنة وعشرة أشهر. وكان عضواً في مجامع علمية عربية وغربية كثيرة كالمجمع العلمي بدمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي في جنيف ومجمع المشرقيات الألماني. ومنح أوسمة عديدة من الملوك ورؤساء الدول والحكومات الأجنبية. خاصم علماء كثيرين وهوجم في أعلام

كثيرين، وكان يكتب بأسماء مستعارة وصل عددها إلى 40 اسماً. كان عاشقاً للّغة العربية فقضى عمره يستقصي أخبارها متأملاً في مفرداتها[1].

2 ـ المطران إقليميس يوسف داود (1829 ـ 1890)

سبق وذكرناه بين الروّاد، إلا أنه هنا نقول إنه كان لغوياً كبيراً وضع العديد من الدراسات والكتب في نحو وصرف اللغة العربية إضافة إلى وضعه كتاباً يعتبر المرجع المهم في نحو اللغة السريانية ووسمه بعنوان «اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية» وقد ترجمه هو إلى اللغة الفرنسية واللاتينية. إضافة إلى كتب صغيرة أخرى للتدريس والتعليم في الفرنسية والسريانية والعربية، هو والحالة هذه موسوعة في المعارف والآداب، تخرج على يديه عشرات الطلاب والتلاميذ[2].

3 ـ المطران يعقوب أوجين منّا (1867 ـ 1928)

ولد في بلدة باقوفا، تخرّج من المعهد البطريركي الكلداني وسيم كاهناً في الموصل عام 1899، وعيّن مدرّساً للّغة السريانية في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل، ومشرفاً على مطبعة الآباء الدومنيكان عام 1895، وسيم مطراناً عام 1902. من آثاره المطبوعة (الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية) باللهجتين الشرقية والغربية سنة 1896 ووضع معجماً (سرياني عربي) سنة 1900، ومعجم عربي سرياني ما زال مخطوطاً، إلى جانبه كتاب «المروج النزهية في آداب اللغة الآرمية» بمجلدين[3].

4 ـ الأسقف بطرس سابا (1893 ـ 1961)

ولد في بلدة برطلي. قصد دير الشرفة عام 1906. وفي عام 1912 رحل إلى القدس لتدريس تلامذة إكليريكية الآباء البندكتان اللغة السريانية. ثم عاد

---

(1) راجع عنه كتاب الأستاذ كوركيس عواد، وكتاب الدكتور إبراهيم السامرائي.
(2) راجع التفاصيل في كتابنا عنه الذي نشرته مكتبة السائح في طرابلس عام 2004.
(3) انظر عنه كتاب أدب اللغة الآرامية، تأليف الأب ألبير أبونا، بيروت 1970.

إلى الموصل عام 1919 وسيم كاهناً. وفي عام 1936 ذهب إلى بيروت ودرّس اللغة السريانية في دير الشرفة حتى عام 1948. ألّف كتاب «مرشد الطلبة السريانيين» بجزأين، طبع الأول عام 1948. كما نقل إلى العربية من الفرنسية عدداً من كتب حديثة وبقيت مخطوطة، إلى جانب ترجمته كتاب (تاريخ الآداب السريانية) للمستشرق دوفال بقي مخطوطاً. وكذلك وضع كتاباً ضخماً في غراماطيق اللغة السريانية[1].

5 ـ المطران أدّي شير (1867 ـ 1915)

من أعلام الأدب السرياني في العراق. التحق بالمعهد الكهنوتي بالموصل التابع للآباء الدومنيكان. سيم كاهناً عام 1889، وفي أواخر 1902 سيم مطراناً على أبرشية سعرد في تركيا. قتله الأكراد في 17 حزيران 1915. من مؤلفاته: إكليل البتول الطاهرة مريم طبع سنة 1904. و«الألفاظ الفارسية المعرّبة» 1908 و«التاريخ السعردي» تحقيق بجزأين نشره في باريس عام 1907 مع ترجمة فرنسية. «وتاريخ كلدو وآثور» بثلاثة أجزاء طبع منه الأول والثاني (1912 ـ 1913) وله أيضاً مؤلفات في الفرنسية والكلدانية[2].

6 ـ الدكتور يوئيل يوسف (1932 ـ . . .)

ولد في الموصل. حاز على دكتوراه في اللغة الإنكليزية من جامعة سانت أندروز في بريطانيا سنة 1968. أستاذ جامعي في اللغات الأوروبية. اختصاصه قواعد اللغة الإنكليزية والترجمة. اشترك في تأليف ثمانية كتب. كما قام بترجمة عشرة كتب بعضها يدرّس. ومن كتبه المترجمة علم اللغة العام. وكتاب مقدمة في علم اللغة العام وقد أُعيد نشرها في بغداد. رئيس قسم اللغة الإنكليزية في جامعة الموصل. ساهم في عدة مؤتمرات بعلم اللغة في بلجيكا

(1) انظر عنه كتابنا تاريخ أبرشية الموصل، ص 197 ـ 200.
(2) ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص 491 ـ 496.

وأستراليا. قد تلقنت على يديه أدب اللغة الإنكليزية في ثانوية الشرقية (1958 ـ 1959/ 1959 ـ 1960).

7 ـ يوسف يعقوب مسكوني (1903 ـ 1971)

باحث محقّق. ولد في الموصل. انتسب إلى مدرسة الطائفة الأهلية سنة 1910، وتلقى فيها مبادىء الدروس العربية والفرنسية والإنكليزية والتركية، وتخرّج عام 1926 وعيّن معلماً في (شهربان) بمحافظة ديالي. نقل إلى مكتبه وزارة المعارف، فقدرته الوزارة وعيّنته مسؤولاً عن قسم الترجمة فيها سنة 1949، فكتب عشرات المقالات والأحاديث والتصويبات الجغرافية والتاريخية. رحل إلى تركيا ومدن أوروبا للاطلاع على الوثائق والمخطوطات العربية القديمة فأتقن علم التحقيق وأصدر فيه بعض الكتب. وكان عضواً في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة. من آثاره المطبوعة «من عبقريات نساء القرن التاسع عشر عند العرب» طبع سنة 1947 و«مدن العراق» ترجمة عام 1952.

الصحفيون

أسهم المثقفون المسيحيون العراقيون إسهاماً حقيقياً في تقدُّم الصحافة العراقية وتطورها بعد نشأتها الأولى في القرن التاسع عشر. ولقد كان أغلب روّاد الصحافة العراقية من الموصل إذ أثروا هذا المجال بأدبياتهم وجهودهم وكانت لهم ميادينهم الصحفية المتنوّعة وخصوصاً في أواخر العهد العثماني، والعهد الملكي في العراق بإصدارهم صحفاً أساسية في الحياة السياسية العربية، ناهيك عن الصحافة الدينية المسيحية، ومن أشهرهم للذكر لا الحصر:

1 ـ روفائيل بطي (1901 ـ 1956)

رائد صحفي، ومؤرخ للأدب. ولد في الموصل، وتخرّج في مدرسة الآباء الدومنيكان سنة 1914. عين مدرساً في مدرسة (مار توما) للسريان الأرثوذكس. ثم انتقل إلى بغداد فواصل دراسته فتخرج في كلية الحقوق سنة 1929، وكتب للصحافة وتردّد على مجلس الأب الكرملي. عمل رئيساً للتحرير في جريدة (العراق) لصاحبها رزوق غنّام. ورأس تحرير مجلة (الحرية) وكتب فيها أبحاثه الأدبية وأخرجها بكتاب (الأدب العصري في العراق) أسس مع (جبران ملكون) جريدة البلاد سنة 1929 واستمرّت في الصدور 27 سنة وكانت مدرسة في الكفاح الصحفي. وقد اعتقل وسجن من أجل الكلمة الحرّة. وانتخب عضواً في البرلمان (1935 و1939) وفيها فاز عن البصرة ثم فاز عن بغداد عام 1948. وفي عام 1950 عيّن مديراً عاماً في وزارة الخارجية. وفي 1953 عيّن وزيراً للدولة لشؤون الدعاية والاعلام. له مؤلفات

مطبوعة منها: الصحافة في العراق طبع في القاهرة عام 1955. وأمين الريحاني 1923.

2 ـ المطران سليمان الصائغ (1886 ـ 1961)

صحفي كبير، مؤرخ وباحث ولد بالموصل ـ وتلقّى علوماً دينية في المعاهد المسيحية في الموصل. سيم كاهناً عام 1908، ونصّب مطراناً على الموصل عام 1954. وكان عضواً في المجمع العلمي العراقي بالمراسلة. أصدر كتابه «تاريخ الموصل» بثلاثة أجزاء (1923 ـ 1928 ـ 1956) أصدر مجلة «النجم» في عام 1929 وعمل في تحريرها لمدة 15 سنة.

ومن مؤلفاته المطبوعة الأخرى: الأمير الحمداني «مسرحية 1928» والزبّاء «مسرحية 1933» ويزداندوخت، الشريفة الأربيلية (رواية ـ جزءان 1953) و«يوسف الصدّيق» «مسرحية 1935» وغيرها من التآليف الدينية والتاريخية والأدبية نشر بعضها في كتب وآراء في مجلة النجم.

3 ـ سليم حسّون (1873 ـ 1947)

تربوي وصحفي. ولد في الموصل، وتتلمذ على الآباء الدومنيكان، وعيّن مدرّساً في مدرسة الآباء، فمفتشاً في معارف منطقة الموصل فالبصرة. رحل إلى عدد من أقطار أوروبا، وبعد عودته أنشأ داراً طباعية حديثة في بغداد، وعمل في الحقل الصحفي، فحرر مجلة النادي العلمي عام 1919 ثم أصدر جريدة باسم (العالم العربي) عام 1924. انتخب عضواً في المجلس النيابي وجدّد اختياره، وكان قبل ذلك معتمد التحرير لمجلة (إكليل الورد) التي صدرت من (1901 ـ 1909) في الموصل. ترك آثاراً عديدة منها: (استشهاد مار ترسيسيوس) وهي تمثيلية مترجمة طبعها عام 1902 و(شعو) مسرحية عام 1905. وله كتب أخرى في النحو والصرف عام 1906.

4 ـ توفيق السمعاني (1904 ـ 1983)

ولد في الموصل، وفيها تلقّى دروسه الأولى. وانتقل إلى بغداد ودرس

في كلية الحقوق، وانتخب نائباً عن الموصل في مجلس النواب. أصدر عدة صحف أبرزها: مجلة الزنبقة في سنة 1922، صدى العهد في سنة 1930 وكانت ناطقة بلسان حزب العهد لنوري السعيد، له أصابع في تأسيسها. والصحيفة المشهورة (الزمان) التي أسسها سنة 1937 وتوقفت عن الصدور سنة 1963. وكان السمعاني يستقطب إليها أهم الكتّاب في تلك المرحلة، وقد عرف ببراعته في العمل الصحفي ومناورته السياسية وتوازنه بين القوى السياسية التي اصطرعت في الساحة العراقية. إضافة إلى أنه أجاد في نشر الافتتاحيات المتوازنة في السياسة العربية.

5 ـ ميخائيل تيسي (1895 ـ 1962)

رائد في النقد الصحفي الهزلي. ولد في بغداد. تخرّج من كلية ـ القديس يوسف ـ اشتغل في الصحافة والتأليف، فأصدر جريدة (كناس الشوارع) في 1 نيسان 1925، وجريدة (سينما الحياة) في 17 كانون الأول 1926، ومجلة (مرآة الحال) في 15 تشرين الأول 1929. وقد قدّم فيها نقداً اجتماعياً ساخراً لاذعاً لتعرية الأوضاع الاجتماعية البالية وتعرّض بسببها إلى الملاحقة والمطاردة القانونية. وفي عام 1936 أصدر جريدة (الناقد) الأسبوعية. طبع من كتبه (ماهية النفس ورابطتها بالجسد) 1922.

و(نقدات كناس الشوارع) 1 ـ 5 القاهرة، و(بغداد) 1922 ـ 1926 و(ضحية العدالة) قصة 1929. وله أيضاً روايات اجتماعية مطبوعة وكتب مترجمة.

المعلمون والمدرّسون

اشتهر المسيحيون العراقيون بحبهم للتعليم والتربية. وقد برز منهم جيش من معلمي المدارس الابتدائية ومدرّسي المدارس المتوسطة والإعدادية، كما أنهم امتازوا بسعة معارفهم، وموسوعية علومهم، وعشقهم لمهنتهم، ولقد تربّت وتعلّمت أجيال عديدة كاملة على أيدي المربين والمربيات والمعلمين والمعلمات، عدّوا مركز ثقل واضح في أجهزة التربية والتعليم في العراق أو عندما كانت تسمى دائرة «المعارف العراقية» ولا يمكن أن نذكر هنا أسماء كل كوادر التعليم من أولئك المسيحيين الذين انخرطوا في المدارس العراقية على امتداد قرن من الزمان، وبرزت على أيديهم أجيال من المبدعين العراقيين الأكفّاء اللامعين. سيما في التعليم الجامعي والأكاديمي في المعاهد العليا.

أذكر من بين آلاف المعلمين والمعلمات والمدرسين والمدرسات: السادة الياس زينة، روفائيل جبوري، يوسف جبريتا، خضوري فرجو، فرج فرجو، وسعيد حاوا، وسالم عبد الأحد، وتوفيق عسكر، وبشير عجاج، وهاشم سمرجي وحازم سمرجي، وعبد الرحمن كجو. وعشرات الأسماء أمثال: غانم مطلوب، وإسحاق عيسكو، وبرنار شيتو وبهنام حبابة وجميل حراق، وإدور حراق، وبهنام بطرس، والسيدة ماري حيقاري، ووردة حيقاري، ومنيرة نقاشة، ورياض حبش، وسنحاريب قاشا وفاضل قاشا وجنان قاشا ومتي قاشا، وغانم الطويل، وحكمت الطويل، وفكتوريا قصاب وآلاف آخرون.

الأكاديميون والعلماء المختصّون

لمع عدد كبير من المسيحيين العراقيين في تخصصات مهمة، سواء داخل العراق أو في خارجه. وليس بين يدي إحصائية كاملة ودقيقة بأسمائهم، ولكن يشكّل عددهم ثقلاً واضحاً في أرجاء العالم وفي تخصصات وحقول متعددة لا تعدّ ولا تحصى. وقد حصل العديد منهم على جوائز دولية بحكم ما قدّموه من إبداعات ونتاجات. ولعل من أكثر المسيحيين العراقيين المستقرّين في أوروبا وأمريكا منذ ما يقارب القرن هم الأخصائيون ومن العلماء المميزين، ولا يمكنني أيضاً من ذكر أسمائهم جميعاً، ومن أبرزهم:

1 ـ العلّامة متي عقراوي (1901 ـ 1982)

رائد تربوي. اشتغل في الحركة العربية في بدايات اليقظة الفكرية في العراق. ولد بالموصل، وفيها أكمل الابتدائية والمتوسطة. ومنذ صباه تعلّم الفرنسية وقرأ وطالع فيها. رحل إلى بيروت وتخرّج في إعدادية الجامعة الأمريكية سنة 1920 وعهد إليه إلقاء الخطاب الوداعي في حفلة التخرج، ثم تخرّج من كلية الآداب والعلوم في الجامعة نفسها حاصلاً على بكالوريوس في الآداب سنة 1924. وفي سنة (1925 ـ 1926) درّس اختصاص التربية في كلية المعلمين بأمريكا. وفي سنة 1934 حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا بأمريكا، عيّن في عدة مناصب منها: مدرس التربية في دار المعلمين ومديرها فيما بعد، ومدير التعليم الابتدائي ومدير معارف منطقة كركوك والحلة وعميد دار المعلمين العالية. وعمل في منظمة اليونسكو مدة تسع سنوات إلى سنة 1957. أسس جامعة بغداد 1957 ـ 1958 وكان أول رئيس لها. عاد

بعدها إلى منظمة اليونسكو فأصبح ممثلها في الأمم المتحدة 1959 ـ 1961 ثم عمل في الجامعة الأمريكية ببيروت (1963 ـ 1971)، ثم أحيل على التقاعد. ومن أعماله مذكرات في التاريخ القديم طبع سنة 1927، ومبادىء القراءة العربية بأسلوب الجملة والقصة 1935، والعراق الحديث 1936، ومشروع التعليم الإجباري 1937، والديمقراطية والتربية للفيلسوف الأمريكي جون ديوي (ترجمة 1946) وله بحوث كثيرة منشورة في مجلات عربية وعالمية. وله كتب بالإنكليزية والفرنسية والألمانية، حصل على وسام الرافدين عام 1953 وعلى وسام الخدمة الممتازة من كلية المعلمين بأمريكا عام 1960، وعلى وسام الاستحقاق (درجة فارس) من الحكومة اللبنانية عام 1970.

2 ـ متي ناصر مقادسي (1935 ـ . . .)

الدكتور متي ناصر عبد الرحيم، باحث في علوم الفيزياء. ولد في الموصل، أستاذ جامعي. له كتاب مطبوع بعنوان «علم المواد» طبعه سنة 1981. وله قيد الطبع كتاب (الباراسيكولوجي من نيوتن إلى آنيشتين) وكتاب (الفلسفة والفيزياء من نيوتن إلى آنيشتين) وله أبحاث علمية منشورة في مجلات عالمية وهو عضو مشارك في المركز الدولي للفيزياء النظرية. وحضر مؤتمرات علمية في أمريكا. له اكتشافات في حقل الفيزياء عدّت فتحاً علمياً في النشاط العلمي العالمي.

3 ـ بشير الياس اللوس (1905 ـ 1964)

مختص بعلم الفيزيولوجي. ولد بالموصل وأنهى دراسته الثانوية فيها سنة 1924، وتخرّج من دار المعلمين العالية ببغداد سنة 1931. وحصل على الماجستير في علم الحيوان من جامعة مشيكان في أمريكا سنة 1952. عمل في التعليم الثانوي قرابة عشرين عاماً، ودرّس في كلية العلوم بجامعة بغداد. وكان مخلصاً ودؤوباً في مجال اختصاصه. أنشأ متحف التاريخ الطبيعي وأوصله إلى مصاف المتاحف العالمية. وله كتب مطبوعة منها: (تقرير عن ري العراق ومقدمة عن مستقبل العراق) للسّر وليام ويكلوكس (ترجمة) سنة 1937. وكتاب (أنت والوراثة) تأليف أمرام شاينفلد (ترجمة) سنة 1950 و(البراغيث والطاعون

في العراق والعالم العربي) جزءان 1958 ـ 1960 وكان قد اشتهر في الكتابة والبحث عن طيور العراق وله الأسبقية في ذلك، ومن تأليفه: طيور العراق سنة 1953 وقائمة الطيور العراقية مع ملاحظات قصيرة عن وضعياتها في البلاد سنة 1950 وعلم الحيوان العملي سنة 1954 وعمل مديراً لمجلة (المعلم الجديد) منذ صدورها.

4 ـ الدكتور يوسف النعمان (1923 ـ 1986)

طبيب بأمراض القلب. ولد في بغداد، وفيها أكمل دروسه الابتدائية والثانوية سنة 1942. تخرّج من الكلية الطبية سنة 1942، وواصل دراسته العليا في الجامعات الطبية الأمريكية وحصل على الماجستير 1955 والدكتوراه 1960. عيّن في مراكز طبية مهمة؛ منها جرّاح في مستشفى الشرطة (1950 ـ 1952) كما عمل خارج العراق في المستشفيات الأمريكية وتخصص بجراحة الصدر والقلب والأوعية الدموية. ثم عاد إلى العراق فأسس أول مركز لجراحة القلب سنة 1961. كما أسس قسم جراحة القلب في كلية الطب ودرّس وحاضر فيه منذ سنة 1963 ـ 1986. وهو عضو في جمعيات عالمية لجراحة القلب، وعضو ومؤسس ورئيس ميشال ديبغي الدولية لجراحة القلب (1977 ـ 1986 ـ 1948)، وضع اسمه في الموسوعات العالمية للرجال المشاهير. وكان عضواً مؤسساً ومحرراً للمجلة العالمية لأمراض الشرايين، ورأس تحرير مجلة كلية الطب (1971 ـ 1986)، مُنح عدداً من الألقاب في الهند واليابان وأمريكا، وكانت بحوثه أحد المصادر عن دراسة القلب وجراحته. وكان بطلاً ورياضياً في رفع الأثقال (1945) وفي التنس (1948)، صوّرت عملياته الجراحية سينمائياً في جامعات عالمية. نشر أكثر من ثلاثين بحثاً مبتكراً في مجلات دولية. من مؤلفاته المطبوعة: (الجراحة الفسلجية في الدورة الدموية) بالإنكليزية (1963). و(المقدمة لجراحة الصدر والقلب) بالإنكليزية (1966). و(الجراحة الطارئة في الحروب والكوارث) ترجمة (1967). فظهر اسمه في الدورية العالمية لمؤسسة ماركوس (من هو) وفي كتاب (من هو في العالم العربي).

6 ـ يوسف هرمز جعو (1892 ـ 1965)

باحث، كاتب، مترجم، ولد في بلدة تكليف، وفيها أكمل دراساته الأولية، وعمل فترة في الزراعة والحياكة وانتقل إلى بغداد واشتغل بالعمل الميكانيكي، ثم انتقل إلى البصرة وفيها درس وأتقن الإنكليزية. وانتمى إلى مدرسة الأمريكان بالبصرة وتخرّج فيها وعيّن مدرّساً في المدرسة ذاتها وبقي فيها حتى عام 1933 تاركاً التدريس منصرفاً إلى التأليف والصحافة، حيث أصدر جريدة (صوت الشعب)، وطبع من كتبه: (الضعفاء) قصة طبعت بالبصرة 1927 و(ستة أشهر في أمريكا) 1948 و(آثر نينوى أو تاريخ تكليف) 1937. وترجم قصصاً كثيرة لشكسبير بدون تاريخ الطبع. وله بالاشتراك (دليل الوطن للأقطار العربية) 1955م.

7 ـ أنطوان صبري أنطون (1945 ـ . . .)

باحث في فايروسات (أحياء مجهرية). ولد في الموصل، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كورنيل في أمريكا. عيّن أستاذاً في كلية الطب البيطري. حضر المؤتمر العالمي للفايروسات. أصدر عام 1991 كتاباً تحت عنوان: «أساسيات علم الأحياء المجهرية البيطرية». من اكتشافاته العلمية: عزل فايروس (IBR) من الأبقار في العراق، وتضعيف فايروس جدري الماعز، وتحضير لقاح فايروس النسيجي، وعزل وتوصيف فايروس الطاعون البقري في العراق، وعزل فايروس الحمى النزفية في العراق.

8 ـ الأب بول نويا (1925 ـ 1980)

الأب بول نويا اليسوعي العراقي متخصص بالتصوّف الإسلامي وأحد روّاد الحوار الإسلامي المسيحي في الشرق. ولد في قرية (إنيشكي) بشمال العراق. درس العلوم الدينية في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل (1935 ـ 1947)، ثم انتهى إلى الرهبنة اليسوعية وقضى مرحلة الابتدائية في (بكفيا ـ لبنان) ثم واصل دراسته في باريس وروما واتجهت اهتماماته إلى الدراسات الإسلامية التصوفية. وفي عام 1958 مثّل المجمع الشرقي في العراق ليهتم

بتجديد الرهبنة الهرمزدية الكلدانية قرابة أربعة أعوام في دير ماركوركيس. وفي سنة 1962 استقر في بيروت حيث انكبّ على البحث والتأليف في جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين. وفي أواسط السبعينات رحل إلى باريس وعيّن مديراً للدراسات الإسلامية بجامعة السوربون. نشر وحقّق الكثير من رسائل المتصوفين الإسلاميين ومن مؤلفاته المشهورة (الرسائل الصغرى) للشيخ بن عباد الرندي، بيروت 1957. و(التفسير القرآني والتعابير الصوفية) بيروت 1970. كما نشر كتباً في النصوص الصوفية لشقيق البلخي وابن عطا الله والنفري سنة 1973م.

9 ـ جورج يوناثان سركيس (1936 ـ . . .)

باحث ومؤلف. ولد في البصرة، حصل على دبلوم كلية أمبريال بجامعة لندن سنة 1962. كما حصل على الدكتوراه من جامعة لندن في السنة نفسها. عيّن في مراكز جامعية، عمل أستاذاً بالجامعة المستنصرية، وقد سبق أن عمل باحثاً في المركز القومي وجامعة ماجل في كندا وهو عضو في الجمعية الكيمياوية البريطانية. نشر أكثر من 36 بحثاً علمياً في الكيمياء في مجلات عالمية وإقليمية. وفي هذه الأبحاث ابتكارات جديدة في حقل اختصاصه، أصدر 9 كتب بعضها مشترك وكتابين مترجمين، وأكثر كتبه تُدرّس في الجامعات والمعاهد العالية.

10 ـ ريمون نجيب شكوري (1932)

ولد في بغداد. دكتور وباحث في علم الرياضيات. تدريسي بجامعة بغداد. وهو عضو في الجمعية الأمريكية للرياضيات. وكان رئيس الهيئة الوطنية لتحسين الرياضيات. اكتشف (مجموعة من المبرهنات في حقل التوبولوجيا الجبيرة، الرياضيات) ومجموعة من المبرهنات في حقل المنظومات الدينامية (الرياضيات) وأثبت في بحوثه: (نظرة جديدة إلى نظرية النسبية) شارك في مؤتمرات علمية عقدت في أمريكا وبريطانيا وفنلندا وغيره. من مؤلفاته: سبعة بحوث علمية في نظرية الرياضيات. وله فضاء هلبرت للمرحلة الجامعية.

الأطباء والجرّاحون والصيادلة

منذ العصور القديمة والعراق يشتهر بالطب والأطباء وصنع الأدوية، من أيام البابليين والآشوريين، وبالأخصّ في العهد العباسي حيث كان العراق يعجّ بالأطباء المسيحيين مع الصيادلة والكحالين حتى قيل إن بغداد وحدها كان يبلغ عدد الأطباء فيها أكثر من الألف، في حين أوروبا كلها لم يكن فيها عشرهم.

وفي العصر الحديث اشتهر العراق بأطبائه وجرّاحيه وصيادلته الذين تنوّعت تخصصاتهم وطارت شهرتهم إلى جميع الأصقاع، وأن المسيحيين منهم كثير عددهم ويعتمد عليهم كثيراً. ومن الواجب أن تذكر خدمات أولئك الأطباء والطبيبات وتشكر لما قدّموه من جلائل الأعمال لن ينساها العراقيون ما دامت الشمس تشرق وتغرب. ومن أشهرهم:

1 ـ أدوار زيا عطا الله (1918 ـ 1957)

تخرج من الكلية الطبية العراقية سنة 1945. وسجّل كطبيب ممارس في 15 تشرين الأول 1945. وافاه الأجل بعد مرض عضال صباح السبت 30 آب 1957.

2 ـ آرام دوديان (1894 ـ 1957)

صيدلي أرمني. تجنس بالجنسية العراقية. ولد في الآستانة وتخرّج من جامعتها الطبية سنة 1914. وتوفي في مدينة روما سنة 1957.

3 ـ اسكندر عتيشا (؟ ـ 1961)

من أطباء بغداد البياطرة ـ سكن محلة البتاوين، وتوفي سنة 1961.

4 ـ أميرزا طوروس كنتجيان (1883 ـ 1966)

طبيب، فارق الحياة في 24 تشرين الثاني في غرفة الموقف ببناية المحاكم ببغداد بعد أن أصدرت عليه المحكمة الكبرى في الرصافة حكماً بالحبس لمدة ثلاث سنوات بتهمة التسبب في وفاة فتاة أجرى لها عملية الإجهاض. ويقال إنه مات منتحراً بتناول أدوية كان يحملها في جيبه.

5 ـ إميل اسكندر كرابيت (1922 ـ 1966)

تخرج من الكلية الطبية العراقية سنة 1948. وكان يمارس الطبابة في شركة نفط العراق بكركوك عندما توفي إثر نوبة قلبية بعد منتصف ليلة 11 نيسان 1966.

6 ـ بيثون رسام (1904 ـ 1965)

تخرج من كلية الطب العراقية سنة 1932. وكان من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الطب العراقية. وكان آخر منصب شغله قبل إحالته على التقاعد هو أستاذ علم التشريح في الكلية المذكورة.

7 ـ جميل دلالي (1891 ـ 1957)

دكتور أخصائي بأمراض الأنف والأذن والحنجرة. تخرّج من كلية الطب الأمريكية في بيروت عام 1916م وأشغل عدة مناصب ومراكز صحية. وافاه الأجل المحتوم في مستشفى الكرخ بعد مرض لم يمهله سوى أيام.

8 ـ جورج غزالة (؟ ـ 1961)

دكتور مشهور في طب الأسنان. توفي سنة 1961م.

9 ـ حنا خياط (1884 ـ 1959)

دكتور. ولد في 1 كانون الثاني 1884، ويعتبر من واضعي أسس التشكيلات الصحية في العراق. تولى وزارة الصحة سنة 1921 وأصبح مديراً عاماً للصحّة سنة 1922، وتولّى عمادة الكلية الطبية خلال (أيلول 1934 - أيار 1936) توفي في 30 نيسان 1959.

10 ـ الدكتور رئيسيان الأرمني:

كان طبيب عيون في محلة عقد النصارى ببغداد. لم أقف على تاريخ ولادته ووفاته.

11 ـ زاريه زاكار يريمان: (؟ ـ 1966)

من خريجي الكلية الطبية لسنة 1966. لاقى حتفه غرقاً في جزيرة أم الخنازير ببغداد في 7 حزيران 1966م.

12 ـ ستافري جبرائيل (1882 ـ 1966)

دكتور، تخرج من كلية طب الآستانة سنة 1910م.

13 ـ عبد النور ممو (1912 ـ 1966)

دكتور، وتخرج من الكلية الطبية العراقية سنة 1938 وتوفي في 25 حزيران 1966.

14 ـ فريد ناسي (1913 ـ 1956)

دكتور تخرّج من الكلية الطبية العراقية سنة 1941 وتوفي يوم الخميس 7 أيار 1956.

15 ـ فوزي أنور عزّو: (؟ ـ 1966)

دكتور، كان طبيباً جراحاً في مستشفى العمارة الجمهوري وتوفي في حزيران 1966.

16 ـ نقولا جورج (؟ ـ 1953)

دكتور، من خريجي كلية الطب في الآستانة سنة 1927 وكان طبيب مستشفى القرنة في البصرة، توفي سنة 1953.

17 ـ وارطان ديرزاري: (؟ ـ 1957)

دكتور، كان معروفاً في بغداد، توفي سنة 1947.

18 ـ وديع جبوري: (؟ ـ 1967)

دكتور، ولد سنة 1902، وتخرج في كلية الطب بجنيف سنة 1934، وتوفي سنة 1967.

19 ـ وليم فرج قرياقوس: (1919 ـ 1965)

ولد سنة 1919، وتخرّج من كلية الطب العراقية سنة 1948. وتوفي سنة 1965.

20 ـ يوسف جبور: (؟ ـ 1963)

دكتور، تلقّى علومه الطبية في الجامعة الفرنسية ببيروت وتخرّج منها سنة 1937 وتوفي سنة 1963م بالذبحة الصدرية[1].

21 ـ بوغوص بوغوصيان (1929 ـ ؟)

طبيب عالم في اختصاصات عديدة. ولد في بغداد عام 1929. تخرّج في الكلية الطبية بجامعة بغداد سنة 1953 وعمل فترة في مستشفى الرشيد العسكري وذهب إلى لندن ليواصل دراساته الطبية سنة 1957، وفاز بالجائزة الأولى في الجراحة سنة 1958 ثم تدرّب في مستشفيات لندن وحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية (1960 ـ 1962) وعاد إلى بغداد ليشغل عدة وظائف في المستشفيات العسكرية واشتهر بدراساته عن الخطط لإخلاء الجرحى في المناطق الجبلية. سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتعميق معلوماته في الجراحة في مستشفى (الترريد) وبعد عودته عمل في مستشفى الرشيد العسكري. ثم سافر إلى لندن سنة 1982 للتدريب على تنظير المعدة والاثني عشري والجهاز الهضمي ثم عاد ليؤسس شعبة تنظير الجهاز الهضمي في مستشفى الكرامة التعليمي. وفي تموز 1987 منح لقب «طبيب استشاري»

---

(1) راجع بخصوص هؤلاء الأطباء في كراسة (أطباء خسرناهم) بقلم عبد الستار محمود، مطبعة أسد (بغداد ـ 1970).

ساهم مساهمة فعّالة في المؤتمرات الطبية العالمية وسجلت بحوثه في الجامعات العالمية. ومن بحوثه العلمية أورام غير خبيثة ناتجة عن غشاء البريتون وغشاء الجنب الصدري نشر في أمريكا سنة 1969 ودراسة عن معالجة هبوط الكابتين الحاد نتيجة إصابات الحرب الشديدة سنة 1971 والخبرة الجراحية في إصابات القولون، نشر في الصين 1986.

22 ـ توما جبرائيل هندو (1910 ـ ؟)

ولد في بلدة زاخو. أكمل الابتدائية والإعدادية في الموصل، وتخرّج من دار المعلمين الابتدائية وعيّن معلماً. ثم انتمى إلى كلية الطب سنة 1930 وتخرّج فيها وعيّن طبيباً مقيماً في مستشفى العزل سنة 1935. ثم عيّن في الموانىء العراقية (1936 ـ 1939) ومستشفى البصرة، ثم استقال من وظيفته عام 1949. عاد بعد ثورة 14 تموز 1958 فعيّن في مستشفى البصرة ومشرفاً على مراكز مكافحة الأمراض المتوطنة في البصرة والعمارة والناصرية، وجاهد في مكافحة مرض الملاريا في العراق. أحيل إلى التقاعد عام 1972 عمل خبيراً لمنظمة الصحة العالمية في القاهرة لمكافحة الملاريا عام 1962. ودخل عدة دورات في الخارج لتطوير تجاربه باختصاصه. كان عضواً في عدة جمعيات طبية محلية وعالمية، ورئيساً لجمعية (سيدة النجاة) الاجتماعية في البصرة. أرسى قواعد في علم مكافحة الأمراض المتوطنة، وتتلمذ على يديه عشرات الكوادر الطبية في هذا الحقل. كتب مناهج وتقارير علمية تعدّ الأولى من نوعها في القضاء على مرض الملاريا في العراق. ونال على ذلك عدة جوائز وكتب تقويمية.

23 ـ جورج رؤوف اللوس (1918 ـ 1986)

طبيب مبتكر وباحث قدير. ولد في الموصل من عائلة علمية عريقة. أكمل الابتدائية والمتوسطة في مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل. وواصل دراساته في باريس. وتخرّج في جامعة مونبلييه عام 1943 ثم عاد إلى بغداد وعُيّن في مديرية الأمور الطبية التابعة إلى جهاز الشرطة. وفي عام 1954 عيّن

مديراً لمختبر مستشفى الشرطة. ورحل مرة أخرى إلى باريس لتعميق اختصاصه الطبي سنة 1955. فانتمى إلى معهد باستور وجامعة باريس، فنال منها شهادة عليا في اختصاص البكتريولوجي. ثم عاد إلى وطنه وعيّن مديراً لمستشفى الشرطة وطبيباً اختصاصياً في مديرية المعهد البكتريولوجي حيث يعود له الفضل في تطويره إلى المستوى العالمي. أسس متعاوناً مع رفاقه، المركز الوطني للسالمونيلا وأصبح مديراً له عام 1982. له أبحاث مبكرة عالمية في تشخيص وعزل سلالات جرثومة السالمونيلا والجراثيم المعوية وأخطارها.

24 ـ غانم يعقوب عقراوي (1921 ـ ؟)

من أوائل المعنيين بالقاموس الطبي العراقي. دكتوراه في الجراحة، ولا سيما جراحة العظام. ولد في الموصل، ونشأ في بغداد. أكمل الابتدائية والثانوية والكلية الطبية، وكان الأول في كل مراحله الدراسية. عيّن في المستشفى الملكي التعليمي رئيس قسم المقيمين للفترة من 1943 ـ 1947. ثم واصل بعدها دراسته في القاهرة وفي إنكلترا ونجح فيها بتفوّق. وفي عام 1950 عمل أستاذاً مساعداً في ردهة (5) في المستشفى الملكي ورئيساً لوحدة الكسور وجراحة العظام عام 1957. ورحل إلى كلية الدراسات العليا في جامعة بنسلفانيا بأمريكا سنة 1959 ودرس وطبّق فيها وحصل على دبلوم في الجراحة. ثم عيّن أستاذاً في الجراحة في المستشفيات العراقية، حتى أحالته على التقاعد سنة 1978. كتب أبحاثاً عملية كثيرة ونشرها في المجلات الطبية كبحثه المشهور عن الأورام التي تسبب تنخر العظام وتكسّرها. وله في القاموس الطبي موضوعات كثيرة، وسجّل ما يقارب 22 حادثة أجريت لها عمليات جراحية لرفع الأورام بنجاح 100%.

25 ـ فيلكس يوسف رزوق (1926 ـ ؟)

طبيب ومؤلف. ولد في بغداد. أكمل الابتدائية في مدرسة القديس يوسف اللاتينية 1940، والثانوية في مدرسة الآباء اليسوعيين 1946. ثم انتمى إلى كلية الطب وتخرّج فيها سنة 1946. عيّن في الديوانية طبيباً، وفي

مناطق عديدة من القطر منها رئيس طبابة صحة الطلاب بالموصل. واصل دراسته في لندن وحصل على دبلوم في الصحة العامة من المعهد الملكي للصحة العامة سنة 1968. ثم دخل دورات في مصر وإيران. وشغل آخر وظيفة مدير عام لدائرة الخدمات الوقائية سنة 1988. ثم أحيل إلى التقاعد في العام نفسه. من مؤلفاته المطبوعة: (استئصال الجدري) 1972، و(حمى وادي رفت) 1979 و(التحريات الوبائية حول مرض الحمى النزفية الحادة) 1981.

ملاحظة:

هناك جيش كبير من الأطباء والطبيبات ومنهن على سبيل الذكر لا الحصر سيرانوش الريحاني، وكليمانتين ثابت، ونور بني، وهالة سرسم، ويوسف سرسم، وعبد الله سرسم، وناجي سرسم، وشامل سرسم، وبهاء بشوري، وجوزيف رسام، ووديع رسام، وسهى رسام... وفكتوريا مطلوب ووداد خضر عطا الله ويوسف شماس وحنا قرياقوس البناء وأخيه حبيب البناء، وأسامة سعد الله قصاب، وأنور جبرائيل ياكو وأخوه أياد، ويوسف عبد المسيح سكريا وأخوه جلال، ونوئيل بطرس،...

المحامون ورجال القانون

برز من بين المسيحيين العراقيين رجال قانون أذكياء ومحامون مبدعون، وأغلبهم يشهد لهم التاريخ بمواقفهم الجريئة في المرافعات وكسبهم للدعاوى والقضايا التي كانوا يدافعون عنها. ومن أبرزهم:

1 ـ يوسف الياس إسحاق حسّو (1942 ـ ؟)

باحث قانوني. ولد في قره قوش، حصل على دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص من جامعة القاهرة، وعلى الدكتوراه في القانون من جامعة عين شمس. بدأ النشر في الصحف منذ أواسط الستينات. تدرّج في الوظائف من سنة 1969 إلى سنة 1977 في وزارة العمل حتى وظيفة معاون مدير عام، ونقل منها بناء على طلبه وتدرّج في الوظائف التعليمية في وزارة التعليم العالي حتى مرتبة أستاذ. شارك في عشرات المؤتمرات والندوات العربية والإقليمية والدولية في حقل قانون العمل والضمان الاجتماعي. من مؤلفاته المطبوعة وهي أكثر من ثمانية كتب، الحماية القانونية للأجر (1977) وقانون العمل العراقي (1980) وقانون الضمان الاجتماعي (1881) و(1981) والمرجع العملي في شرح قوانين الخدمة المدنية والانضباط والتقاعد المدني (1984) والوجيز في قانون العمل (1990). نوقشت أفكاره من قبل العديد من الباحثين في ندوات وعبر وسائل الدراسات العليا.

2 ـ جورج جرجي (1894 ـ 1965)

كاتب حقوقي. ولد في بغداد. تخرّج في كلية الحقوق سنة 1925

وحصل على شهادات اختصاص في علم الإدارة والإحصاء من كلية العلوم الاقتصادية والسياسية في لندن سنة 1930. عمل في شركة (الريجي) لانحصار التبغ. ثم عيّن مديراً في وزارة المالية والداخلية منذ سنة 1930. مثّل العراق في أكثر من مؤتمر. ويُعدّ واحداً من خبراء الإدارة في العراق. نشر بعض أفكاره في صحافة الثلاثينات. وترك مؤلفاً مطبوعاً بعنوان (القوانين المالية) طبع ببغداد.

3 ـ داود الصائغ (1907 ـ ؟)

عامل في الحقل السياسي، قانوني. ولد في الموصل. مارس المحاماة، كتب في الصحافة. طبع من كتبه (الاشتراكية من طوبائية إلى علمية)، وهو الجزء الثالث من ضد دوهرنك، تأليف فريدريك إنجلز (ترجمة 1953) و(الاشتراكية من طوبائية إلى علمية) القسم الأول، الفلسفة تأليف: إنجلز 1954. وله أيضاً (الاقتصاد السياسي) ترجمه، لم يظهر على تاريخ الطبع. وجاء في الوثائق السياسية أن داود الصائغ كان أحد المؤسسين للحزب الشيوعي العراقي والمساعد البارز لمؤسسه يوسف سلمان (فهد). وقد انشقّ عنه وأصدر جريدة العمل في بداية الأربعينات وأسس كتلة شيوعية منفردة باسم (رابطة الشيوعيين العراقيين) حيث مثّلت مع كتلة (القاعدة) وكتلة (وحدة النضال) الشيوعيتين في المؤتمر الأول للحزب الشيوعي العراقي سنة 1944.

4 ـ شاب توما منصور (1930 ـ ؟)

دكتوراه قانون. شارح قانون العمل الذي صدر في الستينات بعدد من الأبحاث والدراسات. وأصدر فيه عدداً من الكتب، منها: (الوجيز في قانون العمل) وهو دراسة مقارنة ـ الجزء الأول بطبعته الأولى 1965. والطبعة الثانية 1967. وله (النظام القانوني لعمال الدولة) طبعه في سنة 1964. وفي سنة 1961 طبع كتاباً باسم (مجلس الخدمة العامة وقضايا الموظفين). وله مؤلفات بالإنكليزية.

5 ـ متي إسحاق موسى (1925 ـ ؟)

ولد في الموصل، مارس المحاماة لفترة في الموصل، وأصدر جريدة (الجداول) الأسبوعية في منتصف الأربعينات وعمل مستشاراً للمحاكم الشرعية للسريان الأرثوذكس في عام 1958. ثم دعي للتدريس في جامعة ويلز بإنكلترا ثم في جامعة كولومبيا بأمريكا. دكتوراه في التاريخ العربي الإسلامي من جامعة كولومبيا في نيويورك. له كتاب (ديوان المال في عهد عمر بن الخطاب) بالإنكليزية. وكتاب (تاريخ الكنيسة المسيحية في الشرق) و(جبران في باريس) و(جذور الرواية العربية) و(الموازنة في التاريخ) بالإنكليزية. وترجمه مؤخراً إلى العربية عام 2004. وله بحوث منشورة في أمهات المجلات البريطانية والأميركية. وهو عضو جمعية المستشرقين للشرق الأوسط في أمريكا. دعي إلى مؤتمرات ومهرجانات ثقافية في العراق.

6 ـ أنطوان شماس (1887 ـ 1957)

خبير قضائي. ولد في بغداد، وتخرج في الحقوق، مارس المحاماة وجادل في السياسة. انتخب عضواً في المجلس التأسيسي العراقي. وفي عام 1925 عيّن قاضياً في محكمة استئناف العراق وأستاذاً في قوانين التجارة. يتقن التركية والفرنسية والإنكليزية فضلاً عن لغته العربية. مثّل العراق في مؤتمر القوانين القضائية الدولي الذي عقد في برلين. نشر عدداً من بحوثه القضائية في دوريات قضائية وصحف محلية. من مؤلفاته المطبوعة (مبادىء الحقوق الدستورية) طبعة سنة 1924 و(دروس التجارة البحرية) 1921. و(دروس التجارة البرية) 1921 و(شرح قانون التجارة البرية في التفليس والتفالس) 1922. وله كتب وبحوث بلغات أجنبية.

7 ـ جبرائيل البناء (1901 ـ 1961)

خبير حقوقي. ولد في الموصل، عيّن في مناصب إدارية واستشارية كثيرة، وعمل في وزارة الخارجية، وحاضر في كلية الحقوق، له أفكار مجددة

على صعيد التدوين القانوني، من مؤلفاته المطبوعة (الاقتصاد والسياسي) 1931، و(دروس في القانون الروماني وتاريخ القانون) 1946 و(شرح قانون العقوبات) ـ القسم الخاص 1948، وله تراجم مطبوعة وأبحاث قانونية منشورة.

8 ـ وهناك العديد من المحامين والقانونيين المسيحيين الذين خدموا العراق والعراقيين ومن أبرزهم: نوئيل رسام، نجيب آدمو، نجيب يوسفاني، متي خلف، حنا بني، جرجيس سرسم، إسحاق بيثون، حنا برصوم.

الكتّاب والأدباء

لمع في سماء العراق من الكتّاب والأدباء المسيحيين العدد الكبير من الشخصيات البارزة في عالم الثقافة الذين قدموا ودبّج يراعهم مقالات. ونبدأ من القطع الأدبية الراقية مدافعين عن الحقوق ومحللين للظواهر الاجتماعية والأوضاع الراهنة بكلمات معبّرة وأسطر عميقة في المدلول والتأويل، ومن أشهرهم:

1 ـ بنيامين ميخا يوسف حداد (1931 ـ ؟)

ولد في بلدة القوش، خدم في سلك التعليم قرابة ثلاثين عاماً. خبير في المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) له من النتاج المنشور منذ عام 1960 ما يبلغ 286 نتاجاً، تضمن بحوثاً ودراسات مقارنة باللغتين العربية والسريانية كما تضمّن قصصاً قصيرة بالعربية وقصائد بالعربية والسريانية وبحوثاً في التراث الشعبي وفي التاريخ والنقد والفن، إضافة إلى أعمال مترجمة من السريانية والإنكليزية إلى اللغة العربية. عُيّن مسؤولاً عن شعبة تدريس السريانية في العراق (وزارة التربية) وسبق وعمل في الهيئة الإدارية للجمعية الثقافية للناطقين باللغة السريانية وسكرتير مجلتها.

2 ـ سليمان غزالة: (1845 ـ 1929)

ولد الدكتور سليمان جرجيس يوسف غزالة في الموصل. تلقّى تعليمه بين الموصل وبغداد، ودرس الطب والاقتصاد والفلسفة في باريس 1886. وعيّن طبيباً في الآستانة مشرفاً على جميع (الولايات العراقية) صحياً. وعيّن

عضواً في مجلس الصحة بين الأعوام 1912 ـ 1918. وفي عام 1923 انتخب عضواً في البرلمان العراقي. عمل محرراً في جريدة (كوكب الشرق) ونشر فيها أولى مقالاته وكانت ضد السلطات العثمانية. من مؤلفاته: سوانح الكلم ـ طهران 1915 والحق والعدالة (رواية منظومة) 1929 وقد بلغت كتبه أكثر من 20 كتاباً في السياسة والاقتصاد والفكر والمذكرات. وتقوم فلسفته (على مقاومة الاستبداد وسيادة الحرية والأخوّة والمساواة).

3 ـ المطران غريغوريوس بولس بهنام (1916 ـ 1969)

ولد في قره قوش. درس في المعاهد الدينية في الموصل. وأكمل دراسته في المدرسة الأفرامية الإكليريكية في (زحلة لبنان) سيم مطراناً على طائفته في الموصل عام 1951 بعد أن قام بإدارة الإكليريكية الأفرامية في الموصل (1945 ـ 1952).

نشر العديد من البحوث والمقالات والقصائد العربية والسريانية في بعض الدوريات العربية كمجلة المجمع العربي بدمشق سنة 1958، ومجلة الضاد في حلب. وكرّس أكثر دراساته الأدبية والتاريخية في المجلة التي أصدرها في الموصل «المشرق» (1946 ـ 1948) كما أنه أصدر مجلة «لسان المشرق» (1949 ـ 1952). من مؤلفاته المطبوعة: (الحق حق رضي الناس أم غضبوا) 1949. و(ابن العبري الشاعر) 1950، و(تاريخ دير مار برصوم) 1951، و(تيودورة ـ قصة البطولة) 1956، و(الايثيقون، فلسفة الآداب الخلقية) ترجمه من السريانية، الفامشلي 1967.

4 ـ الأب يوسف حبي (1940 ـ 2000)

ولد في الموصل. دكتوراه في القانون الكنسي. ماجستير في الفلسفة وأكثر من دبلوم عالٍ من روما (1962 ـ 1966) وهو عضو عامل في المجمع العلمي العراقي ـ ومشارك في أربع من لجانه: التأليف والترجمة والنشر واللغة والتراث. أحد مؤسسي مجلة (بين النهرين) ورئيس تحريرها منذ صدورها

(1973). عضو اتحاد المؤرخين. أستاذ محاضر (5 سنوات) في جامعة الموصل، وعالمياً هو أستاذ في المعهد الشرقي في روما. عضو شرف عدة مجامع عربية ومؤسسات وجمعيات دولية. وهو أحد ثمانية منظمين للمؤتمرات الدولية للدراسات السريانية والعربية والمسيحية، ومسؤول لجنة النشر الدولية للنصوص القانونية المشرقية، ونائب بطريرك الكلدان للشؤون الثقافية.

وعميد كلية بابل. من مؤلفاته المطبوعة: طريق الفرح (ترجمة 1970) و(حنين بن إسحاق) 1974 و(علوم البابليين) ترجمة 1980، و(نيران) 1980، و(الإنسان في أدب وادي الرافدين) 1980، و(كنيسة المشرق) 1989. وبلغت كتبه نحو عشرين كتاباً وعشرات البحوث والمقالات والدراسات. نشرها في العديد من المجلات العراقية والعربية والعالمية.

5 ـ المطران لويس ساكو (1948 ـ)

باحث ومترجم وكاتب. ولد في الموصل. دكتوراه في آباء الكنيسة (اللاهوت) من المعهد الشرقي بروما. ودكتوراه في التاريخ من جامعة السوربون، وماجستير في الدراسات الإسلامية. بدأ تجربته في الكتابة بنشره مقالات اجتماعية دينية في مجلة (بين النهرين) 1974 ـ ومجلة الفكر المسيحي. وأول كتاب أصدره هو ترجمة كتاب «الجوهرة» سنة 1977 من مؤلفاته المطبوعة: (آباؤنا في الإيمان) 1986، و(الكنيسة الأولى) 1990، و(عمادنا المسيحي) بالمشاركة طبع سنة 1991 وله بحوث ومقالات كثيرة منشورة في المجلات الأوروبية المختصّة. اشترك في مؤتمر التراث العربي المسيحي في روما وفي فرنسا، ومؤتمر الحقوق الشرقية في أثينا، ويقول عن رؤيته في الحياة (الحوار، والحوار بين الأشخاص والحضارات والأديان).

6 ـ ميخائيل عواد (1912 ـ 1994)

كاتب ومحقق. ولد في الموصل، تلقّى فيها علومه ثم واصل الدراسة في بغداد، فتخرج في دار المعلمين سنة 1931. اشتغل في التعليم في الموصل

وبغداد. وفي سنة 1944 اختاره وزير المعارف يومئذٍ ليكون مديراً لمكتبه الخاص، وبقي يشغل هذه الوظيفة حتى سنة 1970 حيث أحالته على التقاعد ليتفرّغ إلى البحث والتأليف. والده (حنا عوّاد) الفنان العراقي الشهير، كان أول من أدخل صناعة (العود) الحديث في العراق في أواخر القرن التاسع عشر، له من المؤلفات خلال السنوات 1939 ـ 1981، ما مجموعها 41 كتاباً، بينها خمسة بالاشتراك. وله كتب محققة مطبوعة مجموعها تسعة بينها أربعة بالاشتراك مع... أما مقالاته في المجلات والصحف في العراق وخارجه فمجموعها (170)، بينها عشرة بالاشتراك مع إذاعة نحو ستين حديثاً في ميادين التراث والحضارة والتاريخ من إذاعة بغداد وبعض الإذاعات العربية وإذاعة لندن. من كتبه (المآصر في بلاد الروم والإسلام) صدر سنة 1948 و(رسوم دار الخلافة) تحقيق صدر سنة 1964 وترجم إلى الإنكليزية والروسية.

7 ـ يعقوب أفرام منصور (1925 ـ . . .)

باحث وكاتب، ولد في البصرة، تخرج من الإعدادية (1946) وحصل على شهادة كفاءة بالمراسلات التجارية باللغة الإنكليزية من (S.C.I.) لندن. تدرّج وظيفياً، آخرها وكيل مديرية تعبئة الطائرات بالوقود في وزارة النفط. كانت بدايته في الكتابة والتأليف بكتابة قطع نثرية وترجمة قصائد عن الإنكليزية، نشرت في الصحف المحلية وفي مجلة (الأديب) البيروتية منذ عام 1949. من مؤلفاته المطبوعة: التائه، مترجم عن الإنكليزية لجبران خليل جبران ونوافذ (مقالات نقدية) 1985 وحملة العشرة آلاف (الصعود) لزينيفون الإغريقي (مترجم) 1985. وهو عضو اتحاد الأدباء. دُعي إلى أكثر المؤتمرات الثقافية التي أُقيمت في القطر في العقدين الأخيرين. يعمل الآن مشرفاً لغوياً لمجلة الفكر المسيحي.

8 ـ يوسف عبد المسيح ثروة (1921 ـ 1994)

مترجم وكاتب. ولد في (ديار بكر) ونشأ ودرس الثانوية في بعقوبة بمحافظة ديالى. مارس التعليم ردحاً من الزمن ثم احترف الكتابة والترجمة.

وأول نشر له في مجلة (الرسالة) في مصر سنة 1947 عن الشاعر (غوته) ترجمه عن توماس جان. وهو عضو اتحاد الأدباء. حضر أكثر المؤتمرات الثقافية في العراق منذ سنة 1968 ـ 1987. له أكثر من خمسة عشر كتاباً مطبوعاً تأليفاً وترجمة منها: القاعدة والاستثناء لبريشت (ترجمة) بيروت 1959. والحلقة المفرغة (مسرحية) بيروت 1963. وله أربعة كتب عن المسرح تأليفاً. الدراما، ومسرح اللامعقول، والطريق المحدود، ودراسات في المسرح المعاصر.

9 ـ يوسف قوزي (1933 ـ . . .)

ولد في برطلي، أستاذ جامعي في كلية اللغات بجامعة بغداد (1193) دكتوراه في تاريخ اللاهوت السرياني. وهو عضو في الجمعية اللاهوتية العالمية ومركزها بلجيكا. أسهم في مؤتمر السريانية الدولي في أوروبا عام 1980 وسنة 1984 كشف عن العديد من المسائل المقارنة بين العربية وشقيقاتها اللغات السامية. من مؤلفاته: (المسيح والأنبياء) ترجمة 1964 و(الأسفار المقدسة) ترجمة 1965 و(الحركة المسكونية) ترجمة، القاهرة 1967. كما ترجم الكتاب المقدس للصابئة 1999 بغداد. فضلاً عن العديد من الأبحاث العلمية في اللغات والأنبياء منشور في المجلات المختصة.

10 ـ يوسف متي (1914 ـ 1979)

قاصّ وكاتب سياسي، ولد في الموصل، تخرج في كلية الحقوق سنة 1959، وكان قد تعرّض للفصل والسجن أثناء دراسته سنوات طويلة. مارس كتابة القصة في الثلاثينات ويعدّ من الروّاد في هذا الحقل. وقد نشر أكثر من عشرين قصة في مختلف الصحف. كما ترجم عن الروسية والإنكليزية العديد من القصص والروايات نشرت في الصحافة. وقد احترف العمل الصحفي زهاء 45 عاماً آخرها جريدة الثورة منذ عام 1969 وحتى وفاته. وكان دؤوباً متفانياً مخلصاً ذا نكهة شعبية. وشغل أمانة سر جمعية المترجمين (1976) وعضوية هيئتها الإدارية وعضوية نقابة الصحفيين.

11 ـ يوسف يعقوب حداد (1927 ـ . . .)

قاصّ ومترجم. ولد في البصرة. لم يكمل دراسته المتوسطة بسبب زواجه المبكر عام 1948 (كما حدّثني هو بنفسه) أول كتاب طبع له سنة 1943 في الموصل وهو (ثمرات قريحتي) وأول قصة نشرت له سنة 1944 في جريدة (الهاتف) النجفية وكان عنوانها (أديب وامرأة). من مؤلفاته المطبوعة المنطقة المحرمة (ترجمة 1954) والندبة الزرقاء (1968) والنوارس لا تذيع أسرارها (قصص) وهو من أوائل من كتبوا قصصاً للأطفال في العراق. عضو اتحاد الأدباء، ورئيس فرع نقابة الصحفيين في البصرة. عمل محرراً لكل الصحف والمجلات التي صدرت في البصرة. وطبع كتباً بالمجّان لكثير من أدباء البصرة المعروفين.

12 ـ إبراهيم بطرس إبراهيم (1903 ـ 1962)

كاتب ومترجم. ولد في الموصل. نشر العديد من مقالاته الاجتماعية والأخلاقية في مجلة (النور) و(النجم). من مؤلفاته المطبوعة: الموصل ـ أربع محاضرات تاريخية (ترجمة) 1949. والعصر الذرّي (ترجمة 1954). وكيف تختار لك مسلكاً ناجحاً 1958. وبلاد العميان ـ قصة مترجمة. (طبعت بدون تاريخ). عمل مدرساً للّغة الإنكليزية في العديد من مدارس الموصل آخرها متوسطة أم الربيعين. وقد تلقنت عنه دروس اللغة الإنكليزية (1957 ـ 1958) في متوسطة أم الربيعين بالموصل.

13 ـ أدمون صبري: (1921 ـ 1975)

قاصّ. نحا في قصصه منحى شعبياً. وأكثر أبطاله من المسحوقين طبقياً. ولد في بغداد، وكتب العديد من المقالات في الصحف العربية. وكان كثير التجوال في الدول. كتبت عنه صحف عربية وأجنبية. واشتهر بعد كتابته قصة وظفت لفيلم (سعيد أفندي) الذي ظهر في أواخر الخمسينات، كما كتبت عنه أطروحات جامعية، في بعض الدول الاشتراكية. ألّف أكثر من خمسة عشر

كتاباً قصصياً وأكثر من خمس مسرحيات مثّل بعضها على مسارح عالمية. وكان داعياً للحرية والسلام ونصيراً للكتّاب المضطهدين. ومن مؤلفاته المطبوعة المأمور العجوز (1953) وقافلة الأحياء (1954) والست حسيبة (1959) وأيام العطالة (1967) وهارب من الظلم.

14 ـ باسيل عكولة (1932 ـ . . .)

ولد في برطلي. درس في معهد مار يوحنا بالموصل 1944 وسيم كاهناً في عام 1957. عيّن مدرّساً في إكليريكية الشرفة بلبنان. حاصل على شهادة الدكتوراه عن دراسته (مدينة حضر) وكان مجادلاً. نشر آراءه وأفكاره في المجلات العربية والأجنبية. وكتب الشعر الحديث والبحوث الدينية والتاريخية. من مؤلفاته المطبوعة: مجنون العذراء ـ ترجمه عن الفرنسية عن حياة الأب كولمب، طبعه بالموصل سنة 1955. وله كتاب (يوميات غجري لا يجيد الرقص) طبعه في بيروت سنة 1971 وأثار عاصفة من الاحتجاجات الكنسية داخل العراق وخارجه مما اضطر مؤلفه إلى أن يعتزل الحياة الكهنوتية. واتّخذ من باريس دار هجرة حيث عمل في الدراسات الشرقية في جامعة باريس، ومؤخراً قدم إلى لبنان حيث سكن حيّ أدونيس؛ ونشر إلى جنب ذلك عشرات المقالات والبحوث والدراسات.

15 ـ بهنام وديع أوغسطين (1935 ـ . . .)

أسهم في تأليف المنهاج المدرسي لتعليم وتدريب تلاميذ المرحلة الإعدادية في العراق للّغة الإنكليزية لحقبة، وكتب فيها بحوثاً عديدة نشرها في صحف ومجلات محلية وهو روائي وكاتب. من مواليد الموصل، وفيها أكمل دروسه الابتدائية والإعدادية عام 1953، ثم انتمى إلى دار المعلمين العالية وتخرّج فيها عام 1958 (فرع اللغة الإنكليزية). مارس نشر دراساته اللغوية واجتهاداته الفنية في مجال أصوات اللغة الإنكليزية في مجلة معهد تطوير اللغات، كما اضطلع في بداية الثمانينات بتقديم الدروس النموذجية للّغة الإنكليزية في التلفزيون. وكتب بالإنكليزية عدداً كبيراً من المقالات الأدبية عن

المسرح والرواية ونشرها في مجلة (الرقيب) البغدادية. طبع من كتبه (الأيام العمياء والناس الحمقى) رواية 1963 و(بين القصر والصريفة) رواية 1968، وله كتب مخطوطة، أحال نفسه على التقاعد سنة 1986 وانصرف إلى البحث والتأليف.

16 ـ جبرائيل حنوش (1850 ـ 1923)

كاتب. ولد في البصرة، واستقر في بغداد، اشتغل في التجارة. راسل الأدباء والمفكرين في الشام. وأنشأ في بيته ندوة ثقافية. من مؤلفاته: علم الفلك، (بيروت سنة 1875) و(مختصر المستفاد من تاريخ بغداد)، وهو خطي.

17 ـ يعقوب سركيس (1875 ـ 1959)

هو يعقوب بن نعوم بن آكوب جان بن سركيس. ولد في بغداد، بحّاث في التاريخ والجغرافيا والبلدان. عرف بتصويباته اللغوية. واختصّ بالفترة العثمانية في العراق. نشر أولى أبحاثه في مجلة (لغة العرب) لصاحبها الكرملي في السنوات 1911 و1914 و1926 و1931. عقد صداقات حميمة مع علماء عصره ومع المستشرقين وبادلهم الرسائل الكثيرة وكان موضع إعجابهم. من مؤلفاته المطبوعة (تلّو) أي تل هوارة، طبع سنة 1931. و(شهداء حلب) «جزأين» حريصا لبنان 1934. و(التتن والقهوة في العراق) مع كلام على بعض النقود العثمانية وغيرها 1941 و(مباحث عراقية) جزءان 1948 ـ 1955 وقد نشر الجزء الثالث مؤخراً.

18 ـ لطفي الخوري (1923 ـ 1988)

باحث، خبير في التراث الشعبي. ولد في الموصل، عمل في وزارة الثقافة والاعلام منذ بداية الستينات، فرأس تحرير مجلة (التراث الشعبي) وهي أول مجلة عراقية تعنى بالفولكلور، وقد أصدرها بالتعاون مع البحّاثة عبد الحميد العلوجي. كما عين مسؤولاً عن رقابة المطبوعات (1967 ـ 1968)

وعُيّن أيضاً مديراً للمركز الفولكلوري، نشر عدداً من مقالاته وأبحاثه في مجلته، وفي الصحف المحلية. وساهم بعقد ندوات في التراث الشعبي. وكان يضطلع بترجمة الكراسات الاعلامية، طبع من كتبه: (رسائل الآباء إلى الأولاد من الأدبين العربي والغربي) تأليف إيفان جونس (ترجمة) بغداد 1962 و(السلاجقة: تاريخهم وحضارتهم) تأليف تامارا تاليوت رايس (ترجمة) 1968 و(معجم الأساطير) ج 1 ـ 2 (1991) كما راجع كتاب (سياحة حول العالم) تأليف إميلي هان وترجمة رفيعة الخطيب سنة 1965.

19 ـ كوركيس عواد (1908 ـ 1992)

باحث وكاتب ومؤرخ. ولد في الموصل، وفيها تلقّى بادىء العلم. تخرّج في دار المعلمين الابتدائية عام 1926. وعمل في التعليم عشر سنوات (1926 ـ 1936) في عام 1936 عيّن أميناً لمكتبة المتحف العراقي. وكان فيها يومذاك 408 مجلدات، فلما أحال نفسه إلى التقاعد سنة 1963، كانت محتوياتها ستين ألف مجلد. في سنة 1950 درس فن المكتبات في جامعة شيكاغو بأمريكا. ولما أنشئت الجامعة المستنصرية عيّن أميناً لمكتبتها، فبدأ عمله بالكتاب ذي رقم (1) فلما اعتزل إدارتها بعد تسع سنوات، كان ما فيها قد زاد على تسعين ألف مجلد. أحب المطالعة منذ مطلع شبابه. وأقبل على البحث والتأليف، وصار من أصدقاء الكتاب، واجتمعت لديه بتوالي السنين مكتبة ثمينة حافلة بالمراجع. نشر عدداً كبيراً من التآليف في التاريخ واللغة والبلدان والفهرسة والتراث العربي. في سنة 1963 انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي. كما انتخب عضواً مؤزراً في المجامع العلمية في دمشق وعمان والقاهرة ونيودلهي. وله من المؤلفات المطبوعة (خمسة وأربعين) كتاباً تقع في ست وستين مجلداً، أولها نشر سنة 1934 بعنوان «أثر قديم في شمال العراق» أما مقالاته المنشورة في الدوريات فبلغت (خمسمائة) مقالة، أولها نشرت سنة 1931. وقد ظهرت له عدة مواد في (دائرة المعارف) التي أصدرها البستاني في بيروت. وفي المجلد الأول لدائرة المعارف الإسلامية

الذي صدر بالانكليزية في هولندة سنة 1960. ألقى عدة محاضرات في المؤتمرات العربية. وحضر مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين الذي انعقد في موسكو سنة 1960. خدم التراث العربي الإسلامي خدمة جُلّى.

20 ـ ليون لورنس عيسايي (1886 ـ 1938)

باحث. ولد في بغداد. له من المؤلفات المطبوعة: التقويم الأدبي، طبع سنة 1905 وهلال الزوار 1910 وهلال الزوار 1911 وكوكب الفيحاء أو دليل البصرة 1911 ومجالي القلم 1935م. كتب عنه كوركيس عواد.

21 ـ أدمون سليمان لاسو (1962 ـ . . .)

كاتب متتبع. له خبرة في تاريخ كنائس العراق. ولد في بلدة القوش حصل على بكالوريوس آداب لغة إنكليزية في جامعة الموصل 1988 نشر أول دراسة بعنوان (التعصب العرقي وراء حقد إياكو على عطيل) سنة 1988 في مجلة (الأقلام). وأصدر في عام 1992 كتاباً بعنوان (مار قرداغ الشهيد) وكتاباً بعنوان (القوش الناحية) سنة 1993، ونشر في مجلة (بين النهرين) و(مجلة المجمع العلمي العراقي ـ السرياني) ومجلة (الكاتب السرياني) ومجلة (المشرق) مجموعة أبحاث ومقالات، وهو عضو جمعية المترجمين العراقيين.

22 ـ عبد المسيح وزير (1889 ـ 1943)

أديب، مترجم، بحّاث. أول من وضع المصطلحات العسكرية العراقية التي بلغت على يده نحو ثلاثين ألف مصطلح. وهو من مواليد ماردين، ومارس التعليم. واشتغل في حقول الترجمة في مصر ولبنان. ومنذ تأليف الحكم الوطني (1921) في العراق أُنيطت به الترجمة في عدد من مؤسسات الدولة، ثم عيّن رئيس ديوان الترجمة بوزارة الدفاع. من مؤلفاته المطبوعة (تعليم القطعة) ترجمة 1920، ونشر بتوقيع (ع. و) وله (الصنم المحطم) قصة، بدون تاريخ. و(محاربتي في العراق) أو خواطر طونزند (ترجمة) 1923 و(نوادر المطربين) 1938، نشر بتوقيع (طون يُشار إليه بالبنان) و(عبد الرحمن

الناصر) تأليف جوزيف مكيب (ترجمة) 1939. وفي تقرير رسمي: (أنه درس في المدارس الأمريكية وفي كلية عينتاب الأمريكية. ويُعدّ حجة في العربية والإنكليزية).

23 ـ هيثم بهنام بُردة (1953 ـ . . .)

قاصّ، روائي. ولد في مدينة أربيل. حصل على دبلوم علوم صحيحة من معهد المهن الصحية عام 1975 عيّن في مستشفى قره قوش. بدأ ينشر قصصه منذ عام 1975 في صحف محلية ومجلات عربية. طبع من كتبه القصصية والروائية (الغرفة 213) رواية 1987 و(حب مع وقف التنفيذ) قصص قصيرة جداً (1989) و(الليلة الثانية بعد الألف) قصص قصيرة جداً 1995، وله قصص وروايات خطية. شارك في مؤتمرات أدبية محلية، وهو عضو اتحاد الأدباء 1985 وعضو اتحاد الأدباء العرب 1994.

24 ـ يونان عبو يونان (1893 ـ 1965)

باحث، اشتغل بالتأليف والتحقيقات الأدبية والبلدانية. ولد في الموصل، وفيها انتسب إلى الإعدادية ورحل إلى استانبول وأكمل تحصيله العلمي. ثم عاد إلى الموصل فعُيّن مدرّساً للكيمياء والتاريخ الطبيعي في مدرسة الكلدان الإعدادية. ثم عيّن رئيساً لتحرير جريدة الموصل الرسمية ومديراً لمطبعة الحكومة فيها، وانتقل إلى بغداد مدرّساً للفرنسية في كلية الحقوق. نشر مؤلفاته في الصحافة وطبع من كتبه (دليل المصايف العراقية) 1934.

25 ـ يوسف الصائغ (1933 ـ 2005)

شاعر ولد في الموصل، كاتب تخرّج في دار المعلمين العالية عام 1954، عمل في التعليم الثانوي، ثم انتقل إلى حقول الصحافة والاعلام. وآخر وظائفه (مدير عام المؤسسة العامة للسينما والمسرح) وما يزال (1993) وهو عضو اتحاد الأدباء، وعضو جمعية الفنانين. حضر مهرجانات جرش في

الأردن ومهرجان قرطاج ومهرجان موسكو للسينما. من مؤلفاته: دماء بلا دموع (1961) والسودان: ثورة وشهداء (1969) وديوان (اعترافات مالك بن الريب) (1970) واللعبة (رواية 1971) والمسافة (رواية 1974) وديوان (سيدة التفاحات الأربع) 1976 والشعر الحرّ في العراق. دراسة ـ 1977. وديوان (المعلم) 1986، والاعتراف الأخير لمالك بن الريب (سيرة ذاتية) في جزأين 1987 ـ 1789 ومسرحية ديزديمونة 1989. حاصل على وسام الاستحقاق الثقافي من الدرجة الأولى من تونس (جائزة أفضل نص مسرحي).

الشعراء

امتاز المسيحيون العراقيون بحماسهم المتدفّق الذي عبروا عنه بقصائدهم الشعرية التي تنضح بالشهامة والغيرة الوطنية الخالصة ووفائهم لحضارتهم الأصيلة، فافتخروا بها واعتزّوا إكباراً وإجلالاً فنظّموا فيها قصائدهم الجليلة. ومن أشهر الشعراء:

1 ـ شموئيل إيرميا مخائيل (1941 ـ . . .)

شاعر سرياني. ولد في قرية (دوري) بمحافظة دهوك. أكمل الدراسة الابتدائية في دهوك والإعدادية في بغداد. مارس التعليم، ثم انتمى إلى الجامع المستنصرية، وتخرّج فيها وحصل على بكالوريوس آداب إنكليزي سنة 1972 لأول مرة (القسم السرياني) فعمل فيه محرراً ومذيعاً وكاتب برامج ومسرحيات باللغة السريانية في مجلة (المثقف الآشوري) ومجلة (قالا سورايا). رأس تحرير مجلة (الاتحاد) السريانية التي صدرت عن اتحاد الأدباء (1984 ـ 1986) وهو عضو فيه. انتخب عضواً في المجلس الوطني (1980 ـ 1984) له قيد الطبع ديوانه الشعري بالسريانية، وقصة آشور بانيبال (ترجمة).

2 ـ رزوق فرج رزوق (1919 ـ . . .)

شاعر وباحث، ولد في العشار بمدينة البصرة. انتمى إلى دار المعلمين العالية 1940. وأسس في الدار مع نازك الملائكة والسياب وعبد الجبار المطلبي، رابطة أدبية باسم (إخوان عبقر) تخرّج من الدار وعُيّن مدرّساً في البصرة (9 سنوات) ثم واصل دراساته العليا في الجامعة الأمريكية ببيروت

فحصل على الماجستير (1955) في الأدب العربي. وصدر له في هذه الفترة ديوان شعر (وجد) وكتاب عن الشاعر إلياس أبو شبكة (1956). وفي سنة 1960 التحق بجامعة لندن وحصل على شهادة الدكتوراه وعاد إلى بغداد وعُيّن تدريسياً في جامعة بغداد والبصرة. وفي هذه الفترة ترجم من الشعر الإنكليزي مختارات متنوّعة وظهر بعضها في كتابه (مائة قصيدة من الشعر الإنكليزي) 1978. كما أصدر خلال هذا العقد عدة كتب منها: نازك الملائكة والتجربة الشعرية. ولم يقلل تقاعده (1984) من نشاطه الأدبي. فألّف الكتب وترجم شعراً إنكليزياً وقصصاً وكتاباً بعنوان (بلاد الرافدين).

3 ـ فرنسيس بطرس كرمو (1887 ـ 1962)

شاعر شعبي، ولد في بلدة تلكيف، شمال العراق. درس في المعاهد الدينية، له قصيدة طويلة عن (فاجعة غرق تلكيف العظيمة في الأول من نيسان 1949) وقد كتبها بلهجة السورت (السريانية السوادية) وبالعربية (الكرشوني) أي بالحرف العربي واللفظ السرياني طبعها في الموصل عام 1949.

4 ـ ألفريد سمعان حنا (1929 ـ . . .)

شاعر، ولد في الموصل. تخرج من كلية الحقوق سنة 1961 وحصل كذلك على شهادة دبلوم في التخطيط سنة 1971 من معهد الأمم المتحدة في دمشق. عمل في مجالات كثيرة، من بينها الصحافة والعمل الوظيفي في وزارة التجارة. ومنذ سنة 1977 يمارس المحاماة. من مجموعاته الشعرية المطبوعة: في طريق الحياة 1952، وَقَسَم 1953، ورماد ووهج 1957، وأغنيات للمعركة 1967، والربان 1973. اشترك في مؤتمرات الكتّاب العرب في بغداد ودمشق وليبيا.

5 ـ سركون بولص (1944 ـ 2008)

شاعر، قاصّ، ناقد، ولد في الحبانية وأنهى المتوسطة في كركوك. وبرز واشتهر في الكتابة ذات الروح التجديدية في القصة والشعر، بدءاً من مرحلة

الستينات واستمراراً حتى الآن (1993) هاجر من بغداد إلى أمريكا في أواخر الستينات ليعمل في حقول الثقافة المختلفة، وأصدر مجلة (دجلة). حضر مهرجان المربد الشعري في أواسط الثمانينات. من مؤلفاته (يوميات في السجن لهوشي منه) ترجمة بيروت 1969 و(Tigris) بالإنكليزية ـ أمريكا 1971، و(عشر قصائد)، باريس 1985، و(الوصول إلى مدينة اين) بيروت 1985 وله أيضاً كتب أخرى بالإنكليزية.

5 ـ بطرس قاشا (1910 ـ 1989)

كاتب، مترجم، شاعر، ولد في قره قوش. أكمل علومه الأولى في مدرسة كنيسة البلدة وتتلمذ على الراهبات الدومنيكيات ثم في مدرسة البلدة الرسمية. من آثاره التي ترجمها من السريانية إلى العربية: تاريخ الزوقنيني، تاريخ ابن العبري الكنسي. تاريخ ابن العبري المدني، تاريخ ميخائيل الكبير، تاريخ الرهاوي المجهول وغيرها.

له ديوان شعر (بالسريانية السوادية) حول مسقط رأسه يبلغ عدد أبياتها ما يقارب الخمسة آلاف بيت. وديوان شعر بالسريانية الفصحى يتكوّن من عشر قصائد طويلة.

7 ـ القس يوسف سعيد (1936 ـ . . .)

شاعر وناقد. ولد في الموصل، ودرس وتلقّى علومه ودراساته في كنائس الطائفة. عضو اتحاد الأدباء. من مؤلفاته المطبوعة (المجزرة الأولى) مسرحية 1958 و(الموت واللغة) شعر، طبع ببيروت 1968 و(مملكة القصيدة) دراسة في شعر حميد سعيد طبع سنة 1988، وسَفَر الرؤيا (شعر) 1996.

المسرحيون

نشطت الحركة المسرحية بقدوم إرسالية الآباء الدومنيكيين إلى الموصل، عام 1750م فأبدع المسيحيون الذين درسوا في مدارسهم ذكوراً وإناثاً، فمثّلوا على المسارح البدائية تمثيليات قصيرة أو مسرحيات دينية أو اجتماعية أو فكاهية هزلية بدءاً من منلوجات اسكندر زغبي الحلبي وغيرها.. وهكذا لمع نجم المسرحيين المسيحيين في العراق إلى هذا اليوم. ومن أبرزهم:

1 ـ بهنام ميخائيل (1931 ـ 1989)

مخرج مسرحي. ناقد للتآليف المسرحية. ولد في بغداد وأكمل دراسته الأولية في كركوك، والإعدادية في الجامعة الأمريكية في بيروت. ثم واصل دراسته في معهد (كودمان) بالولايات المتحدة الأمريكية. فدرس نظريات المسرح وتاريخه والإخراج المسرحي من (1953 ـ 1954) فأكملها عام 1960 بالولايات المتحدة الأمريكية. عاد إلى بغداد فعيّن في معهد الفنون الجميلة. وعمل في الإذاعة والتلفزيون فاحصاً للنصوص ومعدّاً برامج مسرحية. وعمل حيناً في مؤسسة السينما والمسرح. كما مارس التدريس في أكاديمية الفنون الجميلة في أواسط الستينات. أخرج للمسرح (مسمار جحا) و(شهريار) و(الشعب لن يموت) وأعدّ تقارير عديدة هي برامج ومشاريع لتطوير المسرح العراقي محفوظة لدى المؤسسات الفنية في العراق. كما ترجم عدداً من الأعمال التي تتصل بعالم المسرح، منها: (المسرح) لهيليام وايت و(الممثل) لميخائيل شيوخف و(إيمانك بالتمثيل) لسافسكي. ويعدّ في نقاد المسرح من أبرز من عمل على تدريس التيار الواقعي في المسرح العراقي.

2 ـ حنا رسّام (1890 ـ 1958)

كاتب مسرحي. ولد في الموصل. تخرّج من مدرسة القديس عبد الأحد ومارس فيها التدريس سنة 1911، ثم انتقل إلى مدارس أخرى في بغداد 1914 ـ 1918. كما تنقّل بين وظائف إدارية في وزارة الداخلية، وأحيل على التقاعد سنة 1936، منصرفاً إلى البحث والكتابة والترجمة ودراسة اللغات الأجنبية. فتعلّم الفرنسية والإنكليزية والتركية والكردية والسريانية فضلاً عن العربية. كتب المقالة والبحث والشعر، من مؤلفاته المطبوعة: ما وراء الستار (ترجمة) 1925، ومثال الوفاء ومثال الوطنية 1926، والعواطف (تمثيلية) 1929، والقرط الذهبي (تمثيلية) 1929، والمدعي بالشرف (مسرحية) 1930، وثمن الكلمة (مسرحية) 1926، ورسول الأكواخ (مسرحية) 1952. وأكثر هذه المسرحيات مثّلت على مسارح الموصل ومدرسة بابل.

3 ـ عوني كرومي (1945 ـ 2007)

الدكتور عوني أفرام كرومي، كاتب ومخرج مسرحي في مجال الدراما. ولد في الموصل. تخرّج في معهد الفنون وأكاديمية الفنون الجميلة، حصل على الماجستير والدكتوراه في المسرح من ألمانيا سنة 1976، مارس التدريس في أكاديمية الفنون الجميلة، أخرج أكثر من خمسين عملاً مسرحياً، وحصل على أكثر من عشر جوائز عالمية وعربية (كأفضل مخرج وأفضل عمل) كتب (فن الممثل) و(طرق تدريس التمثيل) و(المسرح المدرسي) وهذه الكتب طبعت ببغداد. وله كتاب طبع في برلين عن المسرح العربي، كما له أبحاث كثيرة منشورة أهمها: برشت في العراق والجمهور والمسرح، حضر مؤتمرات المركز العالمي للمسرح وحضر وشارك في مهرجانات مسرحية في تونس وبرلين والقاهرة.

4 ـ ريكاردوس يوسف بربر (1952 ـ . . .)

ولد في قره قوش، تلقّى علومه في مسقط رأسه. ثم أكمل دراسته العليا

في أكاديمية الفنون الجميلة (بغداد) وحصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في المسرح وشؤونه. من مؤلفاته: ألف ليلة وليلة وأثرها في المسرح العربي، والخطوات الأولى للتمثيل، البطل الملحمي في المسرح العراقي، الدراسة والدرامية في ألف ليلة وليلة. اشترك في جميع الأنشطة الاجتماعية والطلّابية والتنظيمية بعدد من التمثيليات التلفزيونية والمسلسلات والأفلام القصيرة والطويلة داخل العراق وخارجه.

5 ـ توماس حبيب (1918 ـ . . .)

فنان مسرحي. ولد في بغداد وفيها أكمل دروسه الأولية. أسس عام 1940 فرقة مسرحية باسم (الأنوار الفنية) واشترك في تمثيل مسرحياتها، كما ساهم بأداء أدوار مسرحية عديدة في فرق مسرحية منها: (فرقة نصار التمثيل الفنية) و(الفرقة العربية الفنية) و(فرقة بابل الفنية). ولعب دوراً في مسرح المحافظات في بداية الأربعينيات وانتمى إلى الإذاعة عام 1951 فقدّم لها مسرحيات عديدة عراقية ومترجمة حتى عام 1947. وعدّه نقاد المسرح رائداً من روّاده كما عدّه مؤرخون مسرحيون واحد من رعيل نحا بالمسرح منحى واقعياً شعبياً.

الموسيقيون

الموسيقى، لغة الأرواح والمشاعر، نمت وتنمو في الأوساط الدينية، سيما في الليتورجية الكنسية عن طريق الألحان والأناشيد والتراتيل والأغاني، فولد بهذا الوسط عدد من الموسيقيين المسيحيين الذين اشتهروا في الأوساط العراقية والعربية وحتى العالمية فأثاروا إعجاب الملايين من السامعين لمعزوفاتهم الشجية والعذبة، وخاصة على العود والقيثارة والطبلة ثم القانون والسنطور. وكان منهم أعضاء ومسؤولين بارزين في العديد من الفرق الموسيقية الوطنية عن طريق الإذاعة والتلفزيون، ومن أشهرهم وأبرعهم:

1 ـ فائق حنا مروكي (1939 ـ . . .)

عازف وملحّن، ولد في بغداد، تخرّج في معهد الفنون الجميلة عام 1963، وهو عضو نقابة الفنانين. من أعماله الموسيقية وتأليفه (من محلتنا) 1987، و(مناديل) 1989، و(بنات المحلة) 1991. حاصل على وسام يوم الفن مع شهادات تقديرية.

2 ـ فريد الله ويردي (1924 ـ . . .)

مؤلف موسيقي. ولد في البصرة. وأصله من كركوك بدأ تأليف القطع الموسيقية في الأربعينات، تخرّج في كلية الحقوق عام 1948. وحصل على الماجستير بالعلوم الموسيقية والتأليف من نيويورك سنة 1968. وهو عضو جمعية المؤلفين الموسيقيين والناشرين الفرنسيين (SACEM) وعضو جمعية بغداد المنيلهارمونيك. وحضر مؤتمر الموسيقى العربية في القاهرة 1969.

والمؤتمر الموسيقي الدولي لليونسكو في موسكو 1971، والمنبر الدولي للمؤلفين (يونسكو ـ باريس 1973). له مؤلفات موسيقية للأوركسترا السمفونية والآلات المنفردة وموسيقى الفرقة. ساهم في تطور الموسيقى الحديثة في العراق. وعلّم تكنيك الآلة الموسيقية.

3 ـ آرام آميناك بابوخيان (1923 ـ 1995)

موسيقي. من مؤسسي الفرقة السمفونية العراقية، وهو عازف كمان، ولد ونشأ وتوفي في بغداد. انتسب إلى المعهد الموسيقي عام 1938 (معهد الفنون الجميلة فيما بعد ـ 1940) وتخرّج فيه لبضع سنوات. ثم رحل إلى روما عام 1959 لتطوير خبرته الموسيقية في معهد (سانتا تتيشيليا) فحصل على ليسانس في أطروحة الإملاء الموسيقي والصولنج عام 1961، ثم عاد إلى بغداد وعيّن في أكاديمية الفنون الجميلة في بداية تأسيسها، وتخرج عليه جمهرة من الموسيقيين، كان واحد من مؤسسي فرقة الموشحات العراقية ومن واضعي قواعد (خماسي بغداد) في آلة الكمان. شارك في العديد من الفعاليات الموسيقية في الإذاعة والتلفزيون. وحاول أن يرتفع بدراسة النظريات الموسيقية والتاريخ الموسيقي من خلال تعرّفه واتقانه الإنكليزية والإيطالية والتركية والأرمنية فضلاً عن لغته العربية. أسهم مع الوفد العراقي بانعقاد المجمع الموسيقي العربي في القاهرة عام 1972. وتقديراً لخدماته في الحقل الموسيقي العربي، منح جائزة دبلوم شرف في مسابقة (رافنا) بإيطاليا. وحصل كذلك على أوسمة من مهرجانات موسيقية عقدت في (براغ) والجزائر. ذكرته الصحافة العربية والصحف المحلية غير مرة.

4 ـ سعيد شابو (1910 ـ 1995)

فنان موسيقي. كان مشرفاً على الأناشيد الوطنية في جميع مدارس بغداد. ولد في الموصل، تخرج في دار المعلمين الابتدائية سنة 1930 وفي معهد الفنون الجميلة سنة 1936 عيّن في وزارة المعارف ـ التربية. ساهم في تطوير الحركة الموسيقية والفنية في المدارس والمعاهد والإذاعة والتلفزيون

ووضع العديد من الألحان للأناشيد الوطنية. منها لحنه المشهور للنشيد الذي وضعه لكتائب الشباب في الأربعينات باسم «هيا فتوّة للجهاد». منحته جمعية الموسيقيين عضوية شرف مدى الحياة. شكّل كثيراً من الفرق الموسيقية وفتح معهداً أهلياً للفنون. طبع كتاباً في القاهرة عام 1948 باسم «الأناشيد الوطنية الحديثة».

5 ـ غانم إيليا حداد:

موسيقي، ولد في بغداد. تخرج في الإعدادية عام 1938 وعُيّن في مديرية الأشغال. ثم انتمى إلى معهد الفنون الجميلة ودرس آلة الكمان والعود على الشريف محيي الدين حيدر، وتخرج فيه سنة 1945 وعُيّن في الإذاعة سنة 1947 عازفاً للكمان ومدرّساً لآلة العود في معهد الفنون الجميلة سنة 1955، وتولّى رئاسة قسم الموسيقى في الإذاعة سنة 1959. وفي سنة 1965 ساهم بتأسيس فرقة الرشيد للفنون الشعبية. كما ساهم في تأليف خماسي معهد الفنون الجميلة عازفاً فيها على الكمان. عُرف بتآليف (مؤلفات موسيقية) كسماعي رست وسماعي لامي ومعزوفة سولاف. وآخر محاضراته في الموسيقى كانت في معهد الدراسات النغمية حيث ساهم بتأسيسه.

6 ـ منير بشير (1930 ـ 2001)

موسيقار مبدع، ولد في عائلة موسيقية بالموصل وتتلمذ لأبيه الموسيقي عازف العود (بشير) الذي اشتهر بصناعة آلة العود في الموصل وضواحيها، كما تأثّر بشقيقه الموسيقار جميل، انتمى إلى معهد الفنون الجميلة (قسم العود) برعاية وعناية الموسيقار الشريف محيي الدين حيدر عميد المعهد نفسه، فأتقن العزف على العود وجوّد فيه. وامتلك خصائصه موهبة متميّزة وتخرّج في المعهد، وعيّن فيه مدرساً على مادة العود فتخرّج عليه جيل من الموسيقيين وعمل كذلك في فرقة الإذاعة الموسيقية. وخلال خبرته في هذه الفرقة ألّف عدّة مقطوعات موسيقية منها: (معزوفة القافلة التائهة) التي أعجبت المعنيين بالموسيقى. ثم اشتهر عربياً نماذج معزوفاته في المؤتمرات واللقاءات

الموسيقية. واشتهر في أوروبا وأمريكا فناناً موسيقياً عرف بلقب (الأصابع الذهبية) واحتفلت به نشريات فنية خاصة في تلك الأقطار، عُيّن مستشاراً فنياً في وزارة الثقافة والاعلام، ومديراً عاماً للفنون الموسيقية. كتب عنه نقّاد موسيقيون كثيرون وأفردوا له حديثاً خاصاً عن (ارتجالاته المبدعة في العزف).

7 ـ جميل بشير (1921 ـ 1977)

فنان موسيقي، ولد في الموصل في أسرة موسيقية، وتتلمذ على أبيه في فنّ الموسيقى. ثم دخل معهد الفنون الجميلة، وتخرج فيه عام 1943 بدرجة (امتياز) في الموسيقى الشرقية والغربية. ثم عُيّن في المعهد نفسه مساعداً لأستاذه محيي الدين حيدر، له معزوفات متنوّعة وكثيرة عُزفت في الحفلات العامة في الإذاعة، ورأس الفرقة الموسيقية فيها. وأشرف على الأناشيد والموسيقى في وزارة المعارف. وقد ذاعت واشتهرت بعض معزوفاته. ومنها: سماعي ديوان وسماعي رست وسماعي جاركاره وغيرها. وسافر بدعوات إلى أقطار أوروبية وشرقية وعزف في محافلها الفنية. وكتبت عنه صحف هذه الأقطار، وكرّمته وزارة الثقافة والاعلام ومؤسسات فنية وثقافية. من مؤلفاته المطبوعة: (العود وطريقة تدريسه) وهو جزءان، طبع سنة 1961 ـ وله أيضاً كتاب في الأناشيد، توفي في لندن.

8 ـ باسم حنا بطرس (1934 ـ . . .)

مدير الفرقة السمفونية الوطنية. باحث في الموسيقى، ولد في بغداد. وفيها أكمل الابتدائية 1948 والمتوسطة 1952. عُيّن أمين السرّ للّجنة الوطنية العراقية للموسيقى (1973) ومديراً للفرقة السمفونية الوطنية في دائرة الفنون الموسيقية بوزارة الثقافة والاعلام 1987. قدّم بحثاً عن الموسيقى الشعبية في المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقى المنعقد في الرباط 1977 وبحثاً في كتابة التاريخ الموسيقي في المؤتمر السادس بطرابلس 1979 وقدّم دراسات عن التربية الموسيقية في مؤتمرات عربية في الجزائر 1981 وفي الخرطوم 1987. وفي بغداد غير مرة، كرّم بأوسمة وشهادات تقديرية من منظمة التحرير

الفلسطينية 1980. ومن المجمع العربي للموسيقى 1988 منحته وزارة الثقافة والاعلام شهادة روّاد الحركة الموسيقية في العراق 1978. طبع كتاباً بعنوان (آلاتنا الموسيقية) 1986، اختير سكرتيراً لتحرير (مجلة الموسيقى العربية) الصادرة عن المجمع العربي للموسيقى 1986 وسكرتيراً لتحرير (مجلة الموسيقى والطفل) 1988. نشر في الصحف المحلية عدداً من المقالات الموسيقية وفي مجال النقد الموسيقي. أسهم في مؤتمرات المجمع العربي للموسيقى باحثاً أو رئيس وفد العراق. وفي مؤتمرات بغداد للموسيقى باحثاً أو رئيساً لجلسات. وفي ندوات المجلس الدولي للموسيقى عقدت في البرتغال 1977 والبرازيل 1980 وهنغاريا 1981 والسويد 1983 وألمانيا 1985. كما شارك منظماً ومقرراً للمؤتمر التحضيري والتأسيسي لاتحاد الموسيقيين العرب 1980 ـ 1981.

9 ـ حنا بطرس (1896 ـ 1950)

مؤلف موسيقي. ولد في الموصل. أول من أسس فرقة موسيقية في الجيش العراقي. تتلمذ بالموسيقى على ضابط تركي انخرط في الجيش التركي بصفة جندي محارب، وتدرّج فيه إلى (رتبة رئيس عرفاء) وكان مشهوراً بعزفه البارع على الآلات الهوائية. ثم تولّى قيادة الفرقة الموسيقية العسكرية في الموصل وعمل في تدريس الموسيقى والأناشيد في المدارس العراقية ومعهد الفنون الجميلة. ألف في سنة 1945 كتاباً بعنوان (نظريات الموسيقى) كان مرجعاً مهماً للعديد من الباحثين.

الرسّامون والمصوّرون

منذ أجيالها الأولى شجعت المسيحية الرسم والتصوير وخاصة على جدران الكنائس وصفحات المخطوطات فنبغ وبرع عدد كبير من المسيحيين العراقيين بهذين الفنين المرموقين ولمع عدد منهم في العراق بالرسوم والتصوير بلوحات زيتية بديعة أرّخت وقائع حياتية يومية وسجلت بالريشة وآلة التصوير كثيراً من العادات والتقاليد المسيحية إضافة إلى كثير من الأعلام والرجال البارزين، ونذكر هنا منهم للذكر وليس للحصر وأبرزهم:

1 ـ هيثم فتح الله عزيزة (1955 ـ . . .)

فنان متخصّص في الصورة الصحفية. ولد في الموصل. حاصل على بكالوريوس علوم الفيزياء. ودخل دورات متخصصة في التصوير الطباعي في ألمانيا وبلجيكا. عضو نقابة الصحفيين وجمعية المصورين جعل الفنّ الفوتوغرافي فنّاً تشكيلياً قائماً بذاته من خلال التجارب العديدة التي قدمها في خمسة معارض متتالية. وتنمّ أعماله عن محاولات تعتمد تمازج الألوان الإضافية في الصورة، مستهدفاً بذلك تغيير ألوانها الرئيسية كما هي في الطبيعة إلى حالة أخرى تقترب بمفهوم الصورة الفوتوغرافية إلى مفهوم اللوحة الفوتوغرافية ليتسنى له في مرحلة لاحقة الولوج إلى عالم فسيح من ألوان الطبيعة يتيح له الغوص في أعماق الأفق المرئي بحثاً عن اكتشاف المزيد من الخفايا المدهشة التي تحيط بنا. له من المؤلفات المطبوعة (الصورة الصحفية)

طبع سنة 1992 كرّم بالمدالية الفضية لمنظمة الصحفيين العالمية سنة 1986 وبشهادة الدبلوم من المنظمة نفسها.

2 ـ صبيح نعامة (1913 ـ . . .)

فنان تشكيلي. ولد في الموصل وفيها أكمل دراسته الأولية وتخرج في دار المعلمين ومارس التعليم، وعيّن مدرساً للرسم في ثانوية بمدينة الناصرية 1939. ثم عيّن مشرفاً تربوياً لمدارس الموصل 1946 ـ 1950 فأنعش الفن التشكيلي في المدينة ولا سيما حين نظم أول معرض جماعي لمدارس الموصل. وعُني برسم ديكورات المسرحيات التي عرضت في المدينة وفي مؤسساتها التربوية: استخدم الزيت والألوان المائية في رسوماته عن الطبيعة وضمن المدرسة الواقعية. رسم على جدران كنائس ومبانٍ أثرية ومناظر في شمال العراق ما زالت تنطق بتوقيعه. تخرّج عليه جيل من الرسامين أسهموا بتطوير الحركة التشكيلية في الموصل وبغداد.

3 ـ عيسى حنا (1919 ـ ؟)

رائد في فنّ (الملصق). وأول فنان عراقي نفّذ وصمم وطبع الملصق بالسلك سكرين سنة 1949 حين أسس مكتباً للطبع على الحرير. ولد في (الموصل) وحسب بعض الباحثين كانت ولادته في بغداد. ونشأ وأكمل دراسته الأولية فيها. وتخرّج في معهد الفنون الجميلة سنة 1950، ودرس اختصاص وسائل الإيضاح في أمريكا. ومارس تجارب فنية في الرسم في معهد الفنون بجامعة سيراكوزا. عاد إلى بغداد فسعى مع رفاقه روّاد الفن إلى تأسيس (جمعية أصدقاء الفن) 1951. وأقاموا معرضاً لهم في بيت الفنان الطبيب خالد القصاب. ثم توالت مساهماته في معارض أقيمت في نادي المنصور ومتحف الفنون التشكيلية ومتحف الأزياء. وفي حقبة الخمسينات شارك في عرض لوحاته في معارض (جماعة الروّاد) والمعرض العراقي في بيروت ومثله في موسكو، عرضت رسوماته في متحف الفنانين الروّاد ببغداد. وفي نشرة فنية

(اتخذ رسم الطبيعة والوجوه الشخصية منهجاً له في أعماله، وهذه السمة تشكّل شخصيته الفنية. وتتميز معظم أعماله الفنية بقوة تصميمها وثرائها اللوني وبنائها الشكلي).

4 ـ فرج عبو (1921 ـ 1984)

فنان تشكيلي. ولد في الموصل. حصل على دبلوم من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة سنة 1950، ثم واصل دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة بروما وحصل على الدبلوم سنة 1945، عضو في جماعة بغداد للفن الحديث 1954، ساهم بتأسيس جمعية الفنانين 1956. عرض رسوماته لأول مرة في الموصل سنة 1941. ثم في القاهرة سنة 1950، شارك في معرض (ابن سينا) سنة 1952. أقام معارض شخصية في سنة 1963 و1965 و1971. وفي السنوات الأخيرة تمرّد على الموضوع التشبيهي وانصرف إلى التجريد في محاولة جادة للإمساك بروعة مرئيات الحياة عن طريق الضوء واللون، مارس تدريس المادة الفنية في ثانوية الحلّة ودار المعلمين في بعقوب في حقبة الأربعينات. ثم عمل أستاذاً للفن في أكاديمية الفنون الجميلة.

5 ـ سامي لالو جحولا (1942 ـ . . .)

ولد في قره قوش بمحافظة نينوى. خريج معهد الفنون الجميلة ـ بغداد، قسم الرسم (الفنون التشكيلية). حاز على شهادات تقديرية عديدة لقاء مشاركاته الفنية في النشاطات المختلفة منها المواكب والمهرجانات والفعاليات الأخرى إضافة إلى المعارض الفنية ومشاركته في المؤتمرات الفنية ولقد تمّ نشر لقاءات فنية له في أغلب المجلات والجرائد العراقية. من الأعمال الفنية التي أنجزها: لوحة العشاء الأخير في كنيسة دير مار بهنام قياس 190×350 (1999)، جدارية القديس بهنام في واجهة كنيسة دير مار بهنام (1998) لوحة زيتية تمثل امرأة بزي محلي (شعبي) وغيرها من اللوحات في داخل العراق وخارجه، كما

له تجارب خاصة بالرسم في الحرق على الخشب وفي الفخار والسيراميك وصناعة الميداليات المعدنية. . .

6 ـ وهناك عدد كبير من الأسماء اللامعة في الفنون التشكيلية كالرسم والنحت والسيراميك والتمثيل والمسرح أمثال: ماهر حربي (الموصل) أفرام عطا الله (قره قوش) بهنام بطرس (الموصل) شابا عطا الله (قره قوش).

المؤرخون والباحثون

في العراق ابتدأ التاريخ، ومنه انطلق، وعنه يتحدّث وإليه يعود، ولذلك نبغ فيه جيش من المؤرخين الثقات والمحققين في التراث الشعبي والعام، ومن بينهم المؤرخون المسيحيون الذين اهتموا خاصة بتاريخ الكنيسة والاعلام والأحداث الدينية والعامة، ولمع من بينهم العلماء والمدققين لقراءاتهم التاريخية وغربلتها للوصول إلى الحقيقة ومن أشهرهم:

1 ـ المطران أثناسيوس بهنام قليان (1883 ـ 1949)

ولد في الموصل. درس في روما سنة 1899، وفي بيروت، وفي سنة 1908 سيم كاهناً وعاد إلى وطنه وعيّن رئيساً على دير مار بهنام. وفي عام 1920 عيّن نائباً بطريركياً على أبرشية الموصل، ورقي إلى الدرجة الأسقفية، ورحل إلى القاهرة مشرفاً على رعيتها. وفي عام 1929 عيّن مطراناً على أبرشية بغداد. عمّر فيها الكنائس، منصرفاً في الوقت نفسه إلى التأليف والبحث والترجمة. فنشر الأناجيل الأربعة. وكان يتقن اللاتينية والفرنسية والإيطالية والسريانية فضلاً عن لغته العربية[1].

2 ـ الأب أوغسطين مرمرجي (1881 ـ 1963)

فقيه لغوي كبير. ولد في بغداد. درس الكهنوت في الموصل بمعهد مار يوحنا للآباء الدومنيكان، رحل إلى فرنسا وانخرط برهبنة الدومنيكيين. عين

(1) راجع كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 327 ـ 329.

أستاذاً للغات الشرقية في القدس. اختير عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق. وعرف في الأوساط العلمية بتضلّعه وتفقّهه باللغات الشرقية والغربية. قضى أكثر حياته في القدس وفيها توفي. ترك آثار مطبوعة منها: «الدياطسرون، أو الإنجيل الرباعي» تحقيق 1935. و(محاضرات في الدين والفلسفة والاجتماع) لبنان 1947، و(بلدانية فلسطين العربية) بيروت 1948، و(معجميات عربية ـ سامية) لبنان 1950. وله أبحاث كثيرة عن المعجمية العربية على ضوء الألسنية والثنائية والسامية نشرها ما بين (1937 ـ 1947)[1].

3 ـ المطران إيرميا طيمثاوس مقدسي (1847 ـ 1929)

مؤلف كلداني. ولد في القوش وأكمل تحصيله العلمي بمعهد مار يوحنا الحبيب بالموصل. طبع بالكلدانية عدداً من كتب النحو والصرف واللغة، منها (نحو اللغة الكلدانية) 1889 و(نحو اللغة الآرامية) 1989. وله كتب مترجمة منها: (اللاهوت الأدبي) بعدد من الكراسات.

4 ـ البطريرك بولس شيخو (1906 ـ 1989)

ولد في القوش، وفيها تلقّى دروسه الأولية. ثم انضم إلى المعهد الكهنوتي في الموصل سنة 1921. وفي سنة 1930 سيم كاهناً، وأكمل دراسته في المعهد الحبري الشرقي في روما وحصل على الدكتوراه في العلوم الشرقية، ولدى عودته إلى الموصل عام 1939 عمل معلماً في المعهد الكهنوتي البطريركي ثم مديراً له إلى سنة 1947. وفي هذه السنة أقيم أسقفاً لأبرشية عقرة والزيبار. وفي سنة 1958 نصب بطريركاً على الكلدان واستقرّ في بغداد حتى يوم وفاته في 13 نيسان 1989. له من التآليف: (العقوبات الكنائسية في الحق القانوني للكنيسة الكلدانية قديماً) بالفرنسية، روما 1953 و(السيدة أم المعونة الدائمة) للأب بندكتس دوراسيو المخلصي، نقله من الإيطالية إلى

---

(1) راجع كتابنا، تاريخ أبرشية بغداد السريانية، وما زال مخطوطاً في خزانتنا.

السريانية ـ الموصل 1938، و(رسالة بطريركية ـ بالسريانية كركوك) و(طقس تذكار يسوع الملك ـ بالسريانية) وضعه سنة 1957 (مخطوط) و(طقس القداس الكلداني المنقح) 1971. وله رسائل مطبوعة كثيرة ومخطوطات. ومن دراساته الشهيرة (الديورة في مملكتي العرب والفرس) الموصل، و(إيضاح المعاني في الطقس الكلداني) نشرها في مجلة النجم بالموصل (1929 ـ 1930) وترجم (رحلة غسابرو بالبي) من الإيطالية إلى العربية وهو مخطوط[1].

5 ـ الخوري بولس بيداري (1887 ـ 1974)

كاتب وشاعر. اشتهر بتضلّعه باللغتين السريانية والعربية فضلاً عن لغات أخرى كالفرنسية واللاتينية والإنكليزية والكردية والإيطالية. ولد في قرية (بيدار) شمال زاخو، انتمى إلى المعهد الكهنوتي في الموصل وسيم كاهناً سنة 1912. آثاره بالسريانية (دليل الطلاب) وهو موجز في نحو اللغة السريانية (الموصل 1923) و(ملحمة في موجز تاريخ الكلدان والآشوريين) طبع في الهند سنة 1957، وفيه ملحق في إطراء مار أفرام السرياني. و(مقالات وقصائد مختارة) 1977. وله في العربية (قنبلة بيدارو) و(فضيلة الشاب) 1932 و(فضيلة الفتاة) القامشلي 1956 و(القدس الشريف) القدس 1961. وله قصيد بالكلدانية عن سيرة مار بهنام الشهيد وديره نظمها أثناء إقامته بالدير المذكور في أيامه الأخيرة[2].

6 ـ المطران توما أودو (1855 ـ 1915)

ولد في القوش، ورحل إلى روما وانتمى إلى كلية البروبغندا وتخرّج فيها، ورسم كاهناً سنة 1880. وعاد إلى الموصل فمارس التدريس في المعهد الكهنوتي، كما خدم رعيته في حلب لمدة ثلاث سنوات، من مؤلفاته المطبوعة: ميزان الزمان وهو ليوحنا أوسابيوس (ترجمة) 1884، و(التعليم

(1) طالع عنه كتاب أدب اللغة الآرامية للأب ألبير أبونا، ص 513.

(2) راجع عنه نفس المصدر السابق ص 511 ـ 512.

المسيحي للجميع التريدنتيني) 1889 والمعجم السرياني (الكلداني - الآرامي) وهو مجلدان 1897 - 1901. وكتاب القواعد 1905، وقراءات مختلفة 1906. وقد ترجم كتاب (كليلة ودمنة) وطبعه في الموصل سنة 1895[1].

7 - المطران تئوفيلس يوسف رباني (1889 - 1973)

ولد في الموصل. وتلقى فيها مبادىء العلوم الكهنوتية الأولى، وقصد دير الشرفة بلبنان وسيم كاهناً عام 1913 بوضع يد البطريرك أفرام رحماني، وعمل فترة في ماردين ثم قصد بيروت عام 1924 فالقدس. ورقي إلى رتبة (خورفقفوس) وكان مصلحاً بين أبناء طائفته. وسعى إلى بناء وتعمير الكنائس، وبرع وعرف بأحاديثه وخطبه الارتجالية وإلقاء مواعظه بحسن صوت ولغة ومعلومات لاهوتية. ثم رقي إلى درجة الأسقفية في عام 1928. أصدر منشورات وبيانات رعوية، ومقالات وإرشادات في مجلة (النشرة السريانية التي صدرت في حلب، وفي مجلات أخرى قام تلاميذه بجمع وتنسيق أبحاثه ومواعظه في ثلاثة أجزاء كبيرة طبعت ونشرت في سنة 1975).

8 - جوزيف ملكون (1929 - ؟)

كاتب صحفي ومؤلف. ولد في بغداد، وتخرّج من كلية الحقوق سنة 1953. تولّى رئاسة تحرير جريدة (الأخبار) سنة 1954، وكان والده جبران ملكون قد أسسها سنة 1938. وكانت جريدة مقروءة ثم احتجبت سنة 1963. وكتب عدداً من مقالاته وترجماته في صحف أخرى. له من المؤلفات المطبوعة (كرتيا - أو عاشقة الرجال) تأليف أرسكين كالدويل (ترجمة) 1958.

9 - الخوري حنا رحماني (1881 - 1969)

واعظ وكاتب. ولد في الموصل. تتلمذ على أساتذة معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل. وفي عام 1905 رحل إلى دير الشرقة بلبنان. ثم انضم إلى

---

(1) ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص 498 - 500.

الإكليريكية اليسوعية بغزير ـ لبنان وحصل على شهادة عالية في الفلسفة واللاهوت عام 1912. ثم عيّن أستاذاً للفلسفة السكولسطيقية باللاتينية في دير الشرفة، ثم رقّي إلى الدرجة الكهنوتية بوضع يد البطريرك أفرام رحماني عام 1916 عاد بعدها إلى الموصل فعيّن مشرفاً على إدارة مدرسة الطاهرة. وفي عام 1932 عيّن أستاذاً للعربية في مدرسة اليسوعيين في بغداد. أتقن الإنكليزية والفرنسية ونشر العديد من البحوث في صحافة الموصل. وكتب الشعر وله فيه ديوان. ومن مؤلفاته المطبوعة: (غفران الأمير ـ مسرحية) بيروت 1937. وله مخطوطة منها (الفلسفة السكولسطيقية) كما نشر مجادلات للردّ على المطران يوسف كوكي الكلداني. وقد عرف بموهبته في الوعظ والخطابة[1].

10 ـ داود سليمان متيتي (1924 ـ . . .)

باحث، ولد في الموصل. له: (جبران الشاعر) طبعه في الموصل سنة 1945. لا يُعرف عن حياته الثقافية شيء يذكر.

11 ـ الخوري عبد الأحد جرجي (1870 ـ 1950)

ولد في بغداد. مدير ورئيس تحرير (نشرة الأحد) الشهيرة التي صدرت في سنة (1922 ـ 1937) وهي ثالث مجلة مسيحية تصدر في العراق (الأولى إكليل الورد للآباء الدومنيكان 1902)، (والثانية زهيرة بغداد للآباء الكرمليين 1905)، تعلم في مدرسة الاتفاق الكاثوليكي. ودرس في معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل. وسيم كاهناً في سنة 1893. ثم عاد إلى بغداد ليمارس تدريس اللغات العربية والسريانية والتركية والفرنسية والإنكليزية في مدرسة الاتفاق في سنة 1894. أسس (أخوية قلب يسوع) عام 1899. رحل إلى لبنان عام 1903 وعيّن نائباً للبطريرك أفرام رحماني الذي رقّاه إلى الرتبة الخوراسقفية عام 1910، وأنعم عليه بلقب رئيس الأديرة. عاد إلى بغداد سنة 1913. له ثلاثين كتاباً في الروحانيات والتاريخ والتراث وأكثرها مطبوع في

---

(1) كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 190 ـ 192.

المطبعة الكاثوليكية ببغداد. كما ترجم كتباً وقصصاً عن الفرنسية، ومن أبرز مؤلفاته: المنتجات الكنيسية في السيرة القدسية، ترجمها إلى العربية في خمسة مجلدات (1898 ـ 1900) طبع المجلدان 4 و5 في (1902 ـ 1903)[1].

12 ـ الأب عمانوئيل بتق الدومنيكي (1933 ـ . . .)

ولد في قره قوش. ترهّب في دير مار بهنام عام 1946 ودرس في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل 1949 وسيم كاهناً عام 1960 وعيّن في أبرشية بغداد. وبعد سنة عين في أبرشية الموصل، معلماً في مدرسة التغلبية بقره قوش ومشرفاً في أخوية مار بولس. ومن ثم انتقل إلى الموصل مشرفاً على ميتم مار يوسف للآباء الدومنيكان. ثم رحل إلى فرنسا لمواصلة دراسته العليا بعد أن انتمى إلى الرهبنة الدومنيكية وحصل على الدكتوراه في العلوم الشرقية عن رسالته (عمل الروح القدس في الكنسية السريانية الأنطاكية)، له مقالات وبحوث دينية عديدة نشرها في المجلات العراقية والعربية والأجنبية. ومن مؤلفاته المطبوعة (الروح القدس) و(شاهدا ابن الله) و«نرساي» ترجمة عن السريانية لشعر الملقان نرساي إلى الفرنسية[2].

13 ـ ألفونس منكنا (1878 ـ 1937)

ولد في قرية شرانش العليا في شمال العراق في قضاء زاخو. تلقّى تعليم السريانية على والده القس بولس. ثم انتمى إلى معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي في الموصل سنة 1891 ومكث فيه إحدى عشرة سنة متعمّقاً باللغة السريانية على يد المطران يعقوب أوجين مَنّا. وتعلم أيضاً اللغات الشرقية وسيم كاهناً في سنة 1902. وعيّن أستاذاً للغة السريانية في المعهد نفسه. رحل إلى بريطانيا سنة 1913 واتخذ من (وودبروك) صومعة لأبحاثه ومخطوطاته. وحصل على الجنسية البريطانية سنة 1920. وتزوج من سيدة نرويجية تدعى

---

(1) كتابنا، تاريخ أبرشية بغداد (مخطوط).

(2) كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 224 ـ 225.

صوفيا فلوراوف. نسب محاضراً في جامعة مانجستر للغة العربية حتى عام 1932. نشر أبحاثه في المجلات البريطانية والأمريكية لتعريف الجمهور الأوروبي بالشرق الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والكنسي. تجول في مختلف الدول لجمع وشراء المخطوطات السريانية والعربية وأودعها في مكتبه برمنكهام في جناح خاص ينقسم إلى قسمين: الأول يحتوي على المخطوطات المسيحية ويضم 870 مخطوطة، والثاني يحتوي على المخطوطات الإسلامية ويضم 1800 مخطوطة، ووضع فهرساً لهذه المخطوطات طبع بمجلدين بمطابع كمبردج سنة 1933 ـ 1939. وثمة من تساؤل عن تموين حملة منكنا في شراء مثل هذا العدد من المخطوطات ولا سيما أن أسعارها عالية. وفيها 400 مخطوطة كتبت على ورق البردي وفيها مخطوطات بالعبرية والسامرية والأمهرية واليونانية والفارسية والأرمنية. وقد ترك منكنا مؤلفات عديدة منها كتاب (قواعد اللغة السريانية) طبع سنة 1905 و(تاريخ أربيل) 1907.

14 ـ الأب نرسيس صائغيان (1878 ـ 1953)

بحّاثة، نسّابة، ولد في بغداد، انتمى إلى مدرسة الاتفاق الكاثوليكي، ثم رحل إلى لبنان لمواصلة العلوم الكهنوتية، وسيم كاهناً في دير بزمار العائد للأرمن الكاثوليك عام 1901 وعاد بعدها إلى بغداد متابعاً شؤون طائفته عام 1903. كتب البحوث الدينية الكثيرة ونسّب العائلات المسيحية في العراق. ونشر فصولاً من أنسابه في مجلة (لغة العرب) وفي (نشرة الأحد). كما نشر أبحاثاً في التاريخ الكنسي في مجلة (النور). ومن مؤلفاته المطبوعة (نسب آل عيسائي) 1940 و(تاريخ الأرمن الكاثوليك) بيروت 1944 و(نسب آل مسيّح) وفيه ملحقان، طبع بعد وفاته (1957).

15 ـ الخوري يوحنا عزّو (1877 ـ 1954)

باحث وكاتب. ولد في الموصل. درس علومه الكهنوتية في دير الشرفة بلبنان. سيم كاهناً عام 1916، وعيّن سكرتيراً للبطريرك أفرام رحماني عام 1918. عاد عام 1921 إلى الموصل ليُعيّن مدرّساً في مهد مار يوحنا الحبيب،

ثم عيّن رئيساً لدير مار بهنام الشهيد عام 1924. وفي عام 1941 رُقّي إلى رتبة خور فسقفوس ببيروت. كتب ونشر العديد من البحوث والمقالات في مجلة المشرق البيروتية عام 1933 وفي (نشرة الأحد) ومجلة (الآثار الشرقية). ومجلة (رسالة قلب يسوع) ومن مؤلفاته المطبوعة: (ابنة نصيبين) ترجمه من السريانية وطبعها بمطبعة البولسيين و(أثر جليل للقرن السادس عشر) وهو رسالة سريانية للبطريرك أغناطيوس نعمة الله السرياني طبع ببيروت سنة 1934. و(الاشحيم ـ بالسريانية) نشره بطبعته الخامسة في بيروت 1938، و(شهداء نجران) ترجمه من السريانية[1].

16 ـ الخوري أفرام عبادل (1904 ـ 1966)

كاتب ومؤرخ. ولد في قره قوش. أكمل دراسته الأولية في دير مار بهنام الشهيد سنة 1923، ثم انتمى إلى معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل وتخرّج فيه خلال أربع سنوات وواصل دراسته الثانوية في إكليريكية القدس 1927 ـ 1930. ثم أكمل دراسته الفلسفية اللاهوتية في دير الشرفة بلبنان وسيم كاهناً سنة 1933، وبعدها عُيّن مدرّساً في معهد مار يوحنا الحبيب، ثم رُقّي إلى رتبة خور فسفقوس سنة 1948. من مؤلفاته المطبوعة (حياة الأميرين المعظمين بهنام وأخته سارة الشهيدين) 1949 و(اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد) 1951 و(بعض آثار دير مار بهنام الشهيد) بيروت 1954، وطبعها أيضاً بالفرنسية والإنكليزية[2].

17 ـ البطريرك أغناطيوس أفرام برصوم (1887 ـ 1957)

عالم، بحّاثة ومؤرخ كبير. ولد في الموصل. تلقّى علومه الأولى في مدرسة الآباء الدومنيكان بالموصل. ثم التحق بدير الزعفران سنة 1905. وفي عام 1918 انتخب مطراناً لأبرشية سوريا. كان يكثر من رحلاته إلى أوروبا

(1) كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 206 ـ 207.

(2) وضعنا عن ترجمة مستقلّة بمناسبة مرور عام على وفاته، طبع في الموصل عام 1966.

وأمريكا ويزور كنائسها ومكتباتها. وعند عودته إلى الموصل يكتب مشاهداته ويصدرها كتباً وكراسات. انتخب بطريركاً سنة 1933. يُحسن ويجيد اللغات العربية والسريانية إلى جانب الفرنسية والإنكليزية والتركية. انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وعُيّن عضواً في المعهد الشرقي في شيكاغو. يذكر له دور في إنشاء الدولة في دمشق مؤازراً أركان النهضة العربية. له أكثر من ثلاثين كتاباً: منها: (التحفة الروحية في الصلاة الفرضية) عربي وسرياني (1911) اللؤلؤ المنثور في آداب وعلوم اللغة السريانية (حمص 1943) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية[1]...

18 ـ القس بطرس نصري (1861 ـ 1917)

ولد في الموصل، مؤرخ كلداني. تلقّى دروسه الدينية على يد المطران إقليميس يوسف داود. وحصل على شهادة في العلوم الدينية من مجمع انتشار الإيمان بروما عام 1887، وسيم كاهناً في هذا المجمع سنة تخرّجه. وواصل دراسته في اللاهوت بعد عودته إلى الموصل في المدرسة البطريركية الكلدانية. من آثاره: ذخيرة الأذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان (جزءان ـ الموصل 1905 ـ 1913) وكتاب التحفة السنية في تاريخ سلسلة الأبرشيات الشرقية وتلخيص (معجم البلدان) لياقوت الحموي، وتاريخ النساطرة ومؤلفيهم. ووجد له جزءاً ثالثاً مخطوطاً من كتابه ذخيرة الأذهان[2].

19 ـ المطران ديونوسيوس أفرام نقاشة (1850 ـ 1920)

باحث ومؤرخ. ولد في الموصل حصل على مبادىء العلوم الدينية الأولى في دير الشرفة سنة 1866. ثم واصل دراسته في روما وسيم كاهناً في كنيسة اللاتران سنة 1874 ثم عاد إلى الموصل. وفي سنة 1895 أصبح مسؤولاً عن أبرشية الرها. وعاد إلى الموصل متعكفاً هذه المرة في دير مار

(1) ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص 555 ـ 560.
(2) ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص 483، 490، 493، 518.

بهنام، مرشداً. فألّف موسوعته التاريخية المعروفة بـ (عناية الرحمن في هداية السريان) وهو ثلاثة أجزاء، طبع منها في بيروت 1910 الجزء الثالث. وله كتب مطبوعة أخرى بدون تاريخ الطبع. منها كتاب الهرمنوطيقا لدراسة الكتاب المقدس. وكتاب جداول تصاريف الأفعال السريانية. وكتاب خيبة اليهود من أملهم في انتظار المسيح. وله أيضاً كتب مترجمة من الإيطالية إلى العربية ومن اللاتينية إلى العربية. ومن اللاتينية إلى السريانية[1].

20 ـ فرج بصمه جي (1915 ـ 1987)

باحث آثاري، ومؤرخ محقق. ولد في بغداد. حاصل على الدكتوراه في علم الآثار من جامعة بازل في سويسرا عام 1943. عُيّن مفتشاً في الآثار ومديراً للمتحف العراقي وأستاذاً محاضراً في كلية الآداب بجامعة بغداد. وكان عضواً في مجلس المتاحف الدولي في لندن. حضر مؤتمرات اليونسكو الآثارية وكان عضواً بارزاً في بعث الفكرة الآثارية في العراق بإقامة المعارض الآثارية وبافتتاح عدّة متاحف في المدن وإشرافه على بعض فترات التنقيب. حتى أُحيل على التقاعد سنة 1969. وقد كرّمته مديرية الآثار بهوية رمزية هي عبارة عن لوح فضي رسم عليه بالمينا واجهة المتحف العراقي من تصميم الفنان جميل حمودي. ولم تنقطع علاقته بالمتحف مدّة بقائه خارج الوظيفة. إذ حضر عنه ندوات عامة في المتحف وأكمل كتابه (كنوز المتحف العراقي ـ صدر 1972) وهو موسوعة تحكي قصة الحضارة على أرض العراق بحسب تسلسل العهود مع ثبت بقوائم أسماء الملوك والخلفاء الذين حكموا العراق. وقد ترجم إلى الإنكليزية. كما طبع له أيضاً (دليل المتحف العراقي) سنة 1960، ونشرة عن الوركاء ونشرة عن نُفّر ومقالات في الإنكليزية والفرنسية عن الحضارة والأختام الأسطوانية في مجلة سومر والدوريات العالمية منذ سنة 1947م[2].

---

(1) قاشا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 323 ـ 327.

(2) حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين.

21 ـ المطران سويريوس إسحاق ساكا (1931 ـ . . .)

كاتب وباحث ومؤرخ جليل. ولد في برطلي. انضم إلى الإكليريكية وتخرّج فيها عام 1953. عيّن مديراً لمدرسة الحسكة الخاصة 1956 ـ 1961. وفي سنة 1958 سيم راهباً وكاهناً عام 1961. وعُيّن مديراً للإكليريكية ومعتمداً بطريركاً في الهند 1969 فرئيساً لدير مار متى 1970 فنائباً عاماً في دمشق 1981. نشر أبحاثه في مجلات عديدة. ومن مؤلفاته المطبوعة: تفسير القداس حسب طقس الكنيسة السريانية الأنطاكية طبعه في زحلة 1963. و(قصائد مختارة) للشاعر يعقوب ساكا. وله أيضاً (السريان إيمان وحضارة) خمسة أجزاء، و(كنيستي السريانية) و(الإله المتجسّد) و(القيامة العامة) وترجم العديد من التراث السرياني[1].

22 ـ المطران ديونيسيوس بهنام حجاوي (1925 ـ . . .)

باحث ومؤرخ، ولد في الموصل. وفيها أكمل دراسته الدينية الأولى. ثم تخرّج في إكليريكية مار أفرام في (زحلة) سنة 1942. وفي سنة 1947 أكمل دراسته سيم كاهناً عام 1953، وعيّن نائباً بطريركاً في بيروت ومطراناً لأبرشية بيروت ودمشق سنة 1959. درس في معهد بونيون في نيويورك سنة 1963 وعُيّن في أبرشية الأردن. حصل على دبلوم في الصحافة من القاهرة، ودبلوم آخر في علم النفس، ودبلوم باللغة السريانية والعربية من لندن، وهو شاعر باللغة السريانية إضافة إلى ترجمة الكثير من التراث السرياني وله أبحاث في السريانية نشرها في مجلات مسيحية وله منشورات عديدة[2].

23 ـ روفائيل بابو إسحاق (1893 ـ 1964)

تربوي، مؤرخ، شاعر، ولد في بغداد. أكمل دراساته في المعاهد الكنسية، واستعان بقدراته الذاتية في تأليف الكتب والأبحاث اللغوية، وجوّد

---

(1) المطران صليبا شمعون، تاريخ أبرشية الموصل السريانية، بغداد، 1985، ص 79 ـ 80.

(2) ذات المصدر السابق، ص 243 ـ 244 والتفاصيل راجعها في كتابه الذي أصدره كترجمة له ولمسيرته.

بالعربية والإنكليزية والفرنسية وبلغات محلية وإقليمية كثيرة، مارس التدريس في ثانويات البصرة وبغداد. وهو في طليعة التربويين المساهمين بتأليف كتب اللغة والآداب لمدارس العراق في حقبة العشرينات. صادق الأب أنستاس الكرملي، وأنتجت صداقته العديد من الأبحاث اللغوية ونشرها في الدوريات العراقية، وحاضر في اللغويات والاجتماع في معاهد عديدة كهنوتية وأكاديمية. وألقى دروساً في التاريخ في المنتديات الدينية. وانتخب غير مرة سكرتير منتدى التهذيب والجمعية الخيرية في بغداد. وهو شاعر جزل العبارة على عمود الشعر، أذاع الكثير من شعره في صحف ومنتديات ثقافية. طبع من كتبه: (تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى أيامنا) 1948. و(أمواج الروح) وهو كتاب أدبي طبعه سنة 1951، و(مدارس العراق قبل الإسلام) 1955. و(فصول اجتماعية) صيدا 1957. و(أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية) 1960. وله كتب مطبوعة في قواعد اللغة العربية أقرّت وزارة المعارف تدريسها في الثانويات في سنة 1924 ـ 1925.

24 ـ البطريرك روفائيل بيداويد (1922 ـ 2001)

ولد في الموصل وتعلم في معاهدها الكنسية. حصل على عدة شهادات عالية والدكتوراه في الفلسفة واللاهوت من روما، وإجازة في الحقوق. درس دروسه الأولية والثانوية في المعهد الإكليريكي لبطريركية الكلدانية في الموصل. ونصب راعياً لأبرشية العمادية شمال العراق ـ عُيّن رئيساً لأبرشية بيروت الكلدانية. ثم استقرّ في بغداد بعد انتخابه بطريركاً للطائفة الكلدانية. نشر أبحاثاً في مجلات مختصّة وطبع من كتبه (فلسفة الغزالي الدينية) روما 1946. و(الموصل في القرن الثامن عشر) تأليف دومنيكو لانزا (ترجمة ـ الموصل 1951) وله كتاب (مساهمة الإيطاليين في الدراسات العربية) تأليف رافائيلي جاسكا (ترجمة) الموصل 1955، و(رسالة عذراء فاطمة) 1960، و(الدراسات العربية في إسبانيا) تأليف فرنسيسكو كانتيرا بورغوس (ترجمة) 1960 يجيد الإيطالية والفرنسية والإنكليزية والعربية والسريانية[1].

---

(1) التفاصيل في الكراس الذي نشر عنه في مناسبة الأربعين لوفاته.

25 ـ البطريرك أغناطيوس زكا عيواص (1933 ـ . . .)

باحث وكاتب ومؤرخ، ولد في الموصل، تلقّى فيها علومه الأولية وانتمى إلى إكليريكية مار أفرام بالموصل سنة 1946. تدرّج في الرتب الكنسية، كاهناً راهباً وتعيّن أميناً لسر البطريركية في حمص للبطريرك أفرام برصوم عام 1955، وفي عام 1960 انضم إلى كلية اللاهوت، ودرس الفلسفة وتضلع باللغة الإنكليزية. سيم مطراناً لأبرشية الموصل عام 1963، وفي هذه الحقبة شارك ببحوثه في مؤتمرات مسيحية عالمية عقدت في القدس 1959 وفي الدانمارك 1964 وفي أديس أبابا 1965 وفي لندن 1968 وفي فينا 1972 فضلاً عن مشاركاته في المؤتمرات التي أقامها مجلس الكنائس العالمي في أنحاء العالم المختلفة، نصب بطريركاً للسريان الأرثوذكس في العالم 1980، نشر أبحاثاً عدّة في مجلات كنائسية عالمية باللغتين العربية والإنكليزية، منها: كتاب (التهذيب المسيحي) أربعة أجزاء طبعها بالموصل 1965 ـ 1966، و(المشكاة في زيارات راعي الرعاة) دمشق 1960، و(حسن الشهادة والأداء في سري التجسّد والفداء) حمص 1959، و(المرقاة في أعمال راعي الرعاة) حمص 1958، وله أيضاً (قصة أهل الكهف في المصادر السريانية الأرثوذكسية) انتخب رئيساً للهيئة السريانية في المجمع العلمي العراقي في بداية تأسيسها. وانتخبته جامعة شيكاغو عضواً في معهدها الشرقي عام 1981. وله بحوث ومقالات عديدة منشورة في المجلات العربية وصحفها إضافة إلى كتب مترجمة من السريانية إلى العربية[1].

26 ـ المطران غريغوريوس صليبا شمعون (1932)

كاتب ومؤرخ، ولد في برطلي. تخرج من الإكليريكية الأفرامية في الموصل عام 1946. حصل على دبلوم العلوم اللاهوتية. تعيّن سكرتيراً للبطريرك يعقوب الثالث 1962. ونصب مطراناً لأبرشية الموصل عام 1969. ابتدأ تجربته في الكتابة في بداية الخمسينات، ونشر في جريدة (فتى العراق)

---

(1) صليبا شمعون، تاريخ أبرشية الموصل السريانية، ص 155 ـ 161.

بالموصل ترجمة لقطعة أدبية للشاعر شكسبير سنة 1953. من مؤلفاته المطبوعة: (الممالك الآرامية) 1981، و(الراعي والرعية) 1983، و(تاريخ أبرشية الموصل السريانية) 1984. وترجم عن السريانية كتاب (الأيام الستة) و(تاريخ ميخائيل الكبير) ثلاثة أجزاء. إضافة إلى العديد من البحوث والمقالات نشرها في المجلات العراقية والعربية. حاضر في حلب ودمشق وبغداد ولندن وغيرها[1].

27 ـ المطران كوركيس كرمو (1921 ـ 1999)

باحث وكاتب. رئيس أساقفة أبرشية الموصل للكلدان. ولد في تكليف، انتمى إلى معهد شمعون الصفا الكهنوتي بالموصل حيث أنهى دراسته المتوسطة والإعدادية والفلسفية. ثم أرسل ببعثة إلى روما سنة 1938 فحاز على الماجستير في الفلسفة والدكتوراه في اللاهوت. سيم كاهناً سنة 1945 تعيّن مديراً للمعهد المذكور حتى سنة 1960. عُيّن كاهناً في ديترويت بأمريكا وسيم خور أسقفاً. وفي عام 1965 عُيّن كاهناً لرعية البصرة. ومن سنة 1966 ـ 1980 أرسل ثانية إلى ديترويت فأسس ثلاث رخورنات جديدة. وفي سنة 1980 نُصّب رئيساً لأساقفة الموصل للكلدان، عيّن كممثل للعراق عضواً في اللجنة التنفيذية لمجلس الكنائس في الشرق الأوسط. له ما يربو على الخمسين كتاباً المطبوع منها: (القداس الكلداني) ترجمة 1963، و(الخلاص) 1986، و(الإنسان والله) 1987، و(أناشيد الفردوس) ترجمة 1988، و(التكريم الحقيقي لمريم العذراء) ترجمة 1993. وله كتب منهجية في الفلسفة واللاهوت مطبوعة. وكتب عدداً كبيراً من الأبحاث ونشرها في المجلات داخل العراق وخارجه منذ بداية الخمسينات، كما أصدر نشرات لاهوتية عديدة. اختاره مجلس مطارنة الكلدن في العالم أمين سرّ لمجلسهم. عينه البابا يوحنا بولس الثاني عضواً في لجنته الخيرية الدولية المؤلفة من خمسة وعشرين عضواً

(1) المصدر السابق، ص 210 ـ 212.

لتدوين مجلة القانون للكنائس الشرقية في اللغة اللاتينية شارك وحضر مؤتمرات عالمية وله فيها بحوث ومداخلات[1].

28 ـ مجيد خدوري (1909 ـ 2001)

باحث في التاريخ السياسي. نشر في كبريات المجلات والصحف الأوروبية. ولد في الموصل وفيها تلقّى دراسته الأولية. تخرّج في الجامعة الأمريكية ببيروت 1947، وحصل على البكالوريوس. ورحل إلى جامعة شيكاغو بأمريكا فدرس علم التاريخ وتخرّج فيها حاصلاً على الدكتوراه سنة 1952. عيّن أستاذاً لمادة التاريخ المعاصر في دار المعلمين العالية ببغداد و1948 ـ 1949 ومنها انتقل إلى جامعة شيكاغو أستاذاً لتاريخ الشرق الأوسط، ومحاضراً في جامعة هارفارد 1949 ـ 1950 وعُيّن في هذه الفترة مديراً لمركز البحوث التربوية في معهد الشرق الأوسط. وكان أستاذاً زائراً في جامعات ـ كولومبا وفرمين وأكسفورد (1970 ـ 1973) ثم أستاذاً في معهد الدراسات العليا للشرق الأوسط في جامعة ـ ويكنز منذ سنة 1980. ألّف أكثر من (15) كتاباً مطبوعاً في التاريخ السياسي منها: (تحرر العراق من الانتداب) 1935 بالعربية. (العراق الحديث) تأليف الدكتور متي عتراوي (ترجمة) 1936، و(الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان) 1939، و(نظام الحكم في العراق) (تأليفه وترجمته) مشترك 1946، و(المسألة السورية) دمشق 1953، و(البحرين وإيران) 1954، و(ليبيا الحديثة) دراسة في تطورها السياسي (ترجمة نقولا زيادة) بيروت 1966، و(قوانين الإسلام للشعوب) 1966، و(التيارات السياسية في العالم العربي) 1970، و(العرب المعاصرون) 1973، و(الشخصيات العربية السياسية) 1981، و(العراق الجمهوري) 1974، و(القانون الدولي الإسلامي) 1973، و(الحرب والسلم في شرقة الإسلام) 1973. وله كتب أخرى أصدرها في حقبة الثمانينات. ذكر في

---

(1) مجلة نجم المشرق، ومجلة بين النهرين ومجلة الفكر المسيحي أعداد متفرقة للعام 2000.

موسوعات مشاهير الرجال في أوروبا والبلاد العربية. بدأ النشر في أواخر العشرينات وصدر له بداية (أسباب الاحتلال البريطاني للعراق) 1933. و(نظام الانتداب) طبعه بالموصل سنة 1933. وله كتب منشورة باللغة الإنكليزية بلغت (15) كتاباً، وبذا يعتبر شيخ المؤرخين في العراق الحديث[1].

29 ـ يونان عبو اليونان (1893 ـ 1965)

باحث. اشتغل بالتأليف والتحقيقات الأدبية والبلدانية. ولد في الموصل، وفيها انتسب إلى الإعدادية، ورحل إلى استانبول وأكمل تحصيله العلمي. ثم عاد إلى الموصل فعُيّن مدرساً للكيمياء والتاريخ الطبيعي في مدرسة الكلدان الإعدادية. ثم عيّن رئيساً لتحرير جريدة الموصل الرسمية ومديراً لمطبعة الحكومة فيها. وانتقل إلى بغداد مدرساً للفرنسية في كلية الحقوق. نشر مقالاته في الصحافة. وطبع من كتبه: (دليل المصايف العراقية) سنة 1934.

30 ـ يوسف الريحاني (1898 ـ 1968)

باحث، مترجم، له اشتغال في التاريخ. ولد في الموصل. طبع من كتبه (أوتار الحرب) 1940. و(هل انهزمت ألمانيا في سنة 1918) تأليف: فللز (ترجمة) 1940، نشر بتوقيع (يوسف رزق الله)، و(هل تستطيع ألمانيا أن تقاوم الضغط) تأليف أل.بي. تومسن (ترجمة) 1940، نشر بتوقيع يوسف رزق الله، و(المعين في المصطلحات العلمية والفنية) إنكليزي ـ عربي 1962.

31 ـ الأب ألبير أبونا (1925 ـ . . .)

ولد في فيشخابور عام 1925. دخل إكليريكية مار يوحنا الحبيب عام 1937، وواصل دراسته التكميلية ثم العالية إلى حين سيامته الكهنوتية يوم 17 حزيران 1951 بوضع يد البطريرك يوسف غنيمة. عيّن مدرساً لمادة اللغة

---

(1) حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين.

السريانية والأدب الآرامي حتى عام 1976. ثم انخرط في الرهبنة الكرملية. ما مضى فترة حتى انتقل إلى الرهبنة الأنطونية الهرمزدية، وهذه الأخرى تركها وعاد كاهناً أبرشياً يعمل في إحدى رعايا بغداد. نشر العديد من الكتب الأدبية والتاريخية تبلغ الستين كتاباً إضافة إلى عشرات المقالات والبحوث، ومن أهم مؤلفاته كتاب أدب اللغة الآرامية (1970)، وكتاب (تاريخ الكنيسة الشرقية) ثلاثة أجزاء، كما ترجم كتاب «الرؤساء» لتوما المرجي، وكتاب «تاريخ الرهاوي المجهول» الجزء الثاني (1985) ويشغل حالياً منصب رئيس تحرير مجلة «بين النهرين» العراقية.

عُرفت المرأة العراقية ولا سيما المسيحية بحبها للعلم والسعي في طلبه والاختصاص في ميادينه العلمية والإنسانية والفنية بتشجيع من أخيها الرجل سواء كان أباً أو زوجاً أو شقيقاً أو ولي أمر، فأرسلها إلى المدارس وشجّعها للاندفاع والانطلاق في سبيل خدمة وطنها الحبيب العراق وأبنائه الميامين، وقد نبغ منهن الكثيرات، في ميادين الطب والصيدلة والحقوق والعلوم الإنسانية الأخرى ومنهن للذكر لا للحصر:

1 ـ ألبرتين إيليا حبوش (1929 ـ . . .)

ولدت في الموصل وتسكن بغداد. أكملت دراستها الابتدائية والثانوية في الموصل ثم تخرّجت في دار المعلمين العالية قسم الكيمياء وصلت على البكالوريوس علوم في الكيمياء بدرجة الشرف. التحقت بالبعثة العلمية لوزارة المعارف سنة 1953 لإكمال دراستها العالية حيث حصلت على درجة C.S.M في الكيمياء التحليلية سنة 1955 ثم على الدكتوراه Ph.D سنة 1959 في الكيمياء التحليلية من جامعة أوهايو الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية. عادت بعدها مباشرة إلى الوطن وعُيّنت مدرّسة للكيمياء التحليلية في كلية العلوم، جامعة بغداد. رُقّيت إلى مرتبة أستاذ مساعد سنة 1965 ثم إلى درجة أستاذ سنة 1971.

بدأت تجربتها في البحث والكتابة والتأليف منذ أن كانت طالبة للدراسات العليا في أمريكا حيث قامت بإعداد رسالتين إحداهما لدرجة

الماجستير والأخرى للدكتوراه، وكذلك عندما بدأت عملها كأستاذة جامعية. فبدأت بنشر نتائج بحوثها كمقالات علمية في أشهر المجلات العلمية العالميه والعربية والعراقية. وجلّ بحوثها في الكيمياء التحليلية الكروماتو كرافية والتحليلية الكهربائية وفي التحاليل الدقيقة وتلوّث البيئة حيث قامت باستحداث طرق تحليلية كيميائية جديدة في تحليل وتقدير الوقود والنفط ومشتقاته وبحوث نظرية في كروما توكرافيا الغاز ونشرت ما يزيد على 70 بحثاً علمياً. كما حصلت على ثلاث براءات اختراع في تقدير أنواع الكبريت المختلفة في النفط الخام ومشتقاته واعتبر قسم من بحوثها بحوثاً متميزة من قبل مؤسسات علمية كثيرة.

رشّحت من قبل رئاسة جامعة بغداد كنيل جائزة العالم الثالث في العلوم. حضرت ما يقرب من عشرين مؤتمراً عالمياً في الكيمياء، وألّفت بحوثاً فيها، من أشهرها Flow Analysis في أمريكا ومؤتمر الجمعية الكيميائية الأمريكية SAC في إنكلترا، ومؤتمر الجمعية الكيميائية الأمريكية ومؤتمر اتحاد الكيمياء التحليلية الأوروبي Euro Analysis في هلسنكي.

كما نشرت بحوثها في أمهات المجلات العالمية في الكيمياء منها: Analytical Chemistry الأمريكية والـ Analyst البريطانية وChromatog Sci الأمريكية. كلّفت من قبل وزارة التعليم العالي بتأليف كتاب منهجي في طرق الفصل في التحليل الكيميائي وهو كتاب منهجي يدرّس في كافة الجامعات العراقية وعضو في الجمعية الكيميائية العراقية وعضو في تحرير مجلتها. من أصدقائها: العلماء العالميين E. Purogor في هنغاريا وJ.Janok في جيكوسلوفاكيا وفي إنكلترا R.A Chaimer, Norman, R.O.C.

مكثت ست سنوات في الولايات المتحدة للدراسة ثم زارتها لحضور مؤتمرات علمية أربع مرات وقضت ستة أشهر في جامعة أكسفورد بإنكلترا لإجراء بحوث، وكذلك ثلاثة أشهر في بودابست هنغاريا لإجراء بحوث. منهجها في الحياة: التعمّق في البحث العلمي لخدمة الإنسانية.

2 ـ جانيت حبيب توما (1939 ـ . . .)

ولدت في الموصل. حصلت على ماجستير (الأمومة والطفولة) من جامعة بغداد. أشغلت عدّة وظائف منها: رئيسة فرع تمريض النسائية (التوليد) 1993، وهي عضو في (جمعية تنظيم الأسرة العراقية) وحضرت مؤتمرات طبية عقدت في بغداد والموصل. وهي أول ممرضة فنية تحصل على أوسمة عديدة من المؤسسات الطبية والاجتماعية في العراق، وهي أول ممرضة فنية تحصل على شهادة الماجستير في العراق. أجرت بحوثاً طبية خاصة في اختصاصها (15) بحثاً. صدر لها كتاب بعنوان (تمريض النسائية والتوليد) 1982. أشهر المدن التي رحلت إليها:

1 ـ مدينة بوسطن الأمريكية لغرض الدراسة وللحصول على شهادة الماجستير في علوم التمريض (تمريض الأمومة والطفولة) ولمدة سنتين.

2 ـ إيطاليا تدريب في مجال تمريض النسائية والتوليد ولمدة ستة أشهر.

3 ـ دبلن (إيرلندا) شهر ونصف للإشراف على تدريب طلبة كلية التمريض في إيرلندا.

4 ـ تونس، شهر واحد للإشراف على تدريب طلبة كلية التمريض هناك.

5 ـ سفرات سياحية إلى لندن وتركيا وبلغاريا وألمانيا والأردن ومصر وسوريا ولبنان.

3 ـ دنيا ميخائيل (1965 ـ . . .)

شاعرة، ومترجمة، ومحررة في جريدة (بغداد أوبزرفر) وهي دنيا ميخائيل حنا القس كوركيس. حصلت على بكالوريوس آداب (لغة إنكليزية) من جامعة بغداد سنة 1987. نشرت قصائدها الأولى سنة 1986 في مجلة (الطليعة الأدبية) وهي عضو في اتحاد الأدباء العراقيين. شاركت في مهرجانات المربد الشعرية وفي أولمبياد الشطرنج العالمي الذي أقيم في الإمارات العربية عام

1986 وحصلت على (معدل دولي) في الشطرنج. لها مجموعتان شعريتان: (نزيف البحر) طبع سنة 1986، و(مزامير الغياب) طبع سنة 1993.

4 ـ أمل إيليا نجار (1932 ـ . . .)

خبيرة في مؤسسة اليونسكو، باحثة في الاقتصاد المنزلي. ولدت في الموصل. حصلت على بكالوريوس تجارة واقتصاد، وبكالوريوس اقتصاد منزلي، وماجستير اقتصاد منزلي. عيّنت مدرّسة في كلية البنات، ثم كلية التربية (رئيساً لقسم الاقتصاد المنزلي) طبعت من كتبها (الخياطة والتفصيل) 1970، وكتاب (المنسوجات) 1992، قامت رؤيتها في الحياة على (ترشيد الاستهلاك).

5 ـ بياتريس أوهانسيان (1927 ـ . . .)

رائدة في العزف على البيانو. اشتركت مع فرق موسيقية عالمية، ولها جمهور في أمريكا ودول في أوروبا. هي بياتريس مارتن أوهانيس، واسم شهرتها أوهانسيان. ولدت في بغداد من عائلة فنية موسيقية. ونشأت بين والدين عازفين. فأبوها اختصّ بالعزف على آلة الفلوت، وأمها تعزف على آلة الماندولين. أكملت الابتدائية في مدرسة راهبات الأرمن 1941 والمتوسطة والإعدادية في راهبات التقدمة 1943 ـ 1946، وتخرّجت من معهد الفنون الجميلة وتتلمذت على أستاذها الروماني (جوليان هيرس) ثم حصلت على دبلوم في الموسيقى من لندن وعلى ماجستير موسيقي في أمريكا. ودرست الموسيقى أيضاً في سويسرا. وأثناء دراستها في هذه البلدان قدمت عطاءات موسيقية أثارت إعجاب الصحف والنشرات الموسيقية الخاصة فيها، ونالت جوائز على أعمالها من معاهد عالمية في الموسيقى، وحصلت على شهادات تقديرية وفخرية من مؤسسات موسيقية في أمريكا وبريطانيا. وتعدّ من أبرع العازفين على البيانو في العراق، لا سيما مقطوعات شوبرت والموسيقى الكلاسيكية بصفة خاصة. ولديها تآليف موسيقية عديدة. ونشرت مقالات عن نظريات الموسيقى في مجلات وصحف عالمية.

6 ـ خمّي بوداغ يوخنّا (1952 ـ . . .)

باحثة علمية، دكتوراه. ولدت في محافظة نينوى مارست التدريس في الجامعة، وعملت في حقول الصناعة أسهمت في الإشراف على رسائل الدكتوراه والماجستير والدبلوم العالي. والابتكارات في مجال المختبرات. من دراساتها الرائدة: (استخدام البدائل المحلية ومقارنتها مع الأجنبية) و(استخدام تحليل التباين لمعيارين). قدمت استشارتها العلمية إلى مؤسسات صناعية، وبحثية ومعرفية عديدة.

7 ـ رني بشير سرسم (1923 ـ . . .)

أول فتاة عراقية تحصل على شهادة الماجستير بالرياضيات الصرفة من جامعة ميشغن بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1951. ثم حصلت على زمالة في جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية أمدها سنة في دراسة نظرية بالرياضيات المتقدمة سنة 1960. وفي سنة 1966 دخلت دورة دراسية لدراسة الرياضيات المعاصرة في نيويورك.

ولدت في الموصل، وفيها أكملت الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وانتمت إلى دار المعلمين العالية وتخرّجت فيها سنة 1946 بدرجة شرف بالرياضيات والفيزياء. مارست التعليم الثانوي 1947 ـ 1949 في الموصل وكركوك. وفي كلية الملكة عالية 1951 ـ 1955، وفي كلية الهندسة 1960، وفي كليات أخرى. وبلغت خدمتها الجامعية أكثر من أربعين عاماً موزّعة بين الإدارة والتدريس وعلّمت أجيالاً من المدرسين والمهندسين. شاركت في مؤتمرات علمية، عقدت في القاهرة 1972 وسنة 1976 أُحيلت على التقاعد سنة 1988 لبلوغها السنّ القانونية. لها: (المتسلسلة الفوريريّة) طبع سنة 1959. كما نشرت بحوثها في مجلة (الأستاذ) التي أصدرتها عمادة كلية التربية، ومنها: بحث بعنوان (قاعدة إيلر للأجسام الصلدة) متعدد الوجوه سنة 1962..

8 ـ أوديت مارون بدران (1943 ـ . . .)

باحثة في علم المكتبات. أكملت الابتدائية والثانوية في مدرسة راهبات التقدمة في بغداد. ثم انتسبت إلى كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد، وتخرجت فيها حاصلة على بكالوريوس اقتصاد سنة 1962، ورحلت إلى أمريكا لمواصلة دراستها العليا، فحصلت على ماجستير في علم المكتبات سنة 1967، وعلى دكتوراه في علم المعلومات سنة 1983. عُيّنت في جامعة بغداد وأستاذاً مساعداً بالجامعة المستنصرية عضو في الجمعية العراقية للمكتبات والجمعية العراقية لعلوم الحاسبات. وساهمت بمؤتمرات الكتاب ببغداد. عملت بحثاً علمياً موسّعاً تحت عنوان (خطة تصنيف الخرائط العربية) نشرته المكتبة المركزية 1968 وطبعت من كتبها (التصنيف في المكتبات) 1976، و(قياس المصادر) 1987، وفي إحدى وثائقها أنها من (أصل فلسطيني).

السّياسيون

تنفس المسيحيون العراقيون الصعداء عند قيام الحكم الوطني في العراق بتنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق يوم 23 آب 1921. فانخرط بعضاً من زعمائهم في الحياة السياسية الجديدة خدمة لوطنهم وشعبهم كعراق موحّد أرضاً وشعباً، وضحّوا بالكثير نفساً ونفسياً في سبيل استقلال البلاد وسيادته، وانخرط العديد من أبنائهم في الحياة الحزبية وشاركوا في تأسيس بعض منها. ومن أبرزهم:

1 ـ داود يوسفاني (1854 ـ 1923)

داود عبد الرحيم يوسفاني ولد في الموصل في أول آذار 1854 لأسرة مسيحية معروفة. درس في مسقط رأسه وأصبح من أعضاء محكمة الاستئناف ومجلس إدارة الولاية.

انتخب نائباً عن الموصل في مجلس المبعوثان العثماني في كانون الأول 1908 وجدد انتخابه إلى انفصال ولاية الموصل عن الدولة التركية سنة 1918 وأصدر في استانبول جريدة يومية باسم (تنظيمات) 1911 وعُيّن على إثر الاحتلال البريطاني معاوناً للحاكم السياسي في الموصل.

ولما ألّفت الحكومة العراقية الوقتية برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب اختير وزيراً بلا وزارة (27 تشرين الأول 1920 إلى أيلول 1921).

توفي داود يوسفاني في الموصل في 21 تموز 1923.

2 ـ الدكتور حنا خياط (1884 ـ 1959)

راجع عنه حيث سبق وأشرنا عليه لدى حديثنا عن الأطباء المسيحيين في العراق.

3 ـ الخوري يوسف الخياط (1882 ـ 1947)

راجع ما تكلمنا عنه سابقاً.

4 ـ حنا زيوني (1870 ـ 1948)

الدكتور حنا زيوني ولد سنة 1870 ودرس الطب، وكان أستاذاً في كلية الطب في استانبول. عاد إلى العراق وانتخب نائباً عن الموصل في المجلس التأسيسي فلم يلبث أن استقال (أيار 1924) وقضى أيامه الأخيرة في بيروت حيث أدركه الأجل في كانون الثاني 1948.

5 ـ يوسف عبد الأحد (؟ ـ 1932)

يوسف عبد الأحد من وجهاء مسيحيي البصرة وملّاكيها. عمل موفداً في الشركات التجارية الإنكليزية. وكان من أعضاء مجلس إدارة الولاية في العهد العثماني.

انتخب نائباً عن البصرة في المجلس التأسيسي سنة 1924. لكنه لم يلبث أن استقال. وانتخب نائباً عن لواء البصرة سنة 1928 وجدد انتخابه سنة 1930.

وتوفي في البصرة يوم 16 حزيران 1932.

6 ـ يوسف سركيس (1884 ـ 1978)

ولد في بغداد عام 1884 ودرس في مدرسة اللاتين. توفي أبوه وهو صغير فكفله عمه بولص وبعد ذلك شقيقه يعقوب. قام برحلة إلى فرنسا والأقطار الأوروبية قبيل الحرب العالمية الأولى. وعاد إلى بغداد منصرفاً إلى

إدارة أملاكه. انتخب نائباً عن البصرة سنة 1933 ـ 1934 وتوفي في بغداد سنة 1978.

7 ـ يوسف حبيب أوفي (1875 ـ 1965)

من وجهاء بغداد. تعاطى التجارة والأعمال، وكان خلال الحرب العالمية الأولى موظفاً في دائرة النافعة (الأشغال العامة) ثم وظّف في عهد الحكومة العراقية، فكان معاون مدير الخزينة المركزية حتى انتخابه نائباً عن بغداد في شباط 1933 إلى 1934. وعاد إلى النيابة في شباط 1937. توفي في بغداد يوم 28 كانون الثاني 1965.

8 ـ الدكتور وديع جبوري (1903 ـ 1967)

الدكتور وديع ميخائيل جبوري، ولد في البصرة في 29 أيلول 1903 وزاول التعليم سنة 1920/ 1922 وعاد إلى مقاعد الدراسة، فتخرّج في جامعة بيروت الأمريكية سنة 1929 ودرس الطب في جامعة جنيف في سويسرا فنال الدكتوراه سنة 1932.

عاد إلى مسقط رأسه فعيّن طبيباً فيها (1932) وانتخب نائباً عن البصرة في آب 1935. ثم عاد إلى البصرة طبيباً للمعارف (1937 ـ 1939) وانتخب نائباً عن البصرة للمرة الثانية في نيسان 1944. توفي في كانون الثاني 1967.

9 ـ يوسف سلمان يوسف (1901 ـ 1949)

يوسف سلمان يوسف، واسم شهرته (فهد) وهو اسم حركي مستعار. كان مدار عمله في الحزب الشيوعي العراقي منذ عام 1942 وهو مؤسسه وواضع أسسه المادية والفكرية عام 1935. ولد في بغداد من أسرة نزحت من تركيا في أواخر القرن التاسع عشر، وسكنت الموصل فترة وهجرتها إلى بغداد ثم البصرة، وفيها تخرّج في مدرسة السريان الابتدائية، ومدرسة الرجاء العالي الأمريكية، حيث أتقن فيها الإنكليزية، وعُيّن بعدها مترجماً في البواخر الإنكليزية. وفي مطلع العشرينات انتقلت أسرته إلى الناصرية فعمل في دار

سينما ومعمل لصناعة الثلج يعدو لأسرته. وفي هذه الفترة انتمى إلى الحزب الوطني بزعامة جعفر أبو التمن 1923، وصادق الزعيم الوطني كامل الجادرجي الذي انضمّ إلى الوطني ذاته. وفي أواسط العشرينات اتصل به ضابط روسي كان يعمل خياطاً في الناصرية واسمه (بيتر) وسمته الناس (بطرس أبو ناصر) وضمّه إلى الحزب الشيوعي، وأنابه لمهمات حزبية فأدّاها بهمّة ونشاط، وجعل يكتب تقارير في الصحف الوطنية حول اضطهاد العمّال في البصرة والناصرية، واشتهر اسمه في الأوساط الشعبية. ثم راسل جريدة (البلاد) ووثّق علاقاته مع صاحبها روفائيل بطي الذي تعاطف مع إحدى الحلقات الماركسية في بغداد. وفي عام 1935 نهض بمهمة تنسيق وجمع الحلقات الماركسية الموجودة في النجف وبغداد والناصرية والبصرة والموصل ووحّدها في واجهة واحدة تابعة للحزب الشيوعي باسم (جمعية مكافحة الاستعمار والاستثمار) يعاونه في إداراتها عاصم فليّح وخالد الزويد، وأصدرت الجمعية جريدة (كفاح الشعب)، أسهمت بانتشار الحزب في عموم العراق. ثم انتسب إلى (الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق) في الاتحاد السوفيتي السابق، وتخرّج فيها في أواخر الثلاثينات. وبتوصية من الداعية الشيوعي الشهير (ديمتروف) مسؤول شيوعيي الشرق، أعاد تأسيس الحزب الشيوعي العراقي على أسس جديدة وفقاً لتصورات أستاذه ديمتروف. فنشط وجسّد الفكرة وطاف مدن العراق. فرصدته السلطات الرجعية، وطورد وسجن وطوّقت حركته حتى ألقت به في غياهب السجون وأُعيدت محاكمته غير مرة. وفي عام 1949 صدر الحكم عليه بالإعدام شنقاً ونُفّذ الحكم به سريعاً.

10 ـ رزوق أنطوان شماس (1914 ـ 1986)

نائب رئيس محكمة التمييز. ولد في بغداد سنة 1914. درس في بيروت، ثم انتمى إلى كلية الحقوق في بغداد وتخرّج فيها سنة 1937. واشترك في دورة التدريب المسلّحة الأولى سنة 1939.

أيّد حركة مايس 1941 فاعتقل في الفاو في تشرين الثاني 1941 ونقل

بعد ذلك إلى سامراء والعمارة. وأفرج عنه بعد حركة مايس 1942، وأصدر جريدة الوقت في نيسان 1948.

مارس المحاماة وانتخب نائباً عن بغداد في حزيران 1952 واختير عضواً في مجلس الاتحاد الهاشمي في أيار 1958، وكان من المنتمين إلى حزب الاستقلال الذي أسسه المحامي صديق شنشل.

ألّف كتاب (مشكلة العمّال في العالم وفي العراق) 1939 وتوفي في بغداد سنة 1986.

11 ـ يوسف رسّام (1891 ـ 1959)

يوسف نمرود رسام، ولد في الموصل سنة 1891 ودرس في مدارسها ولما احتلّ الإنكليز بلده عيّن مترجماً لدى سلطات الاحتلال في تشرين الثاني 1981. أصبح ملاحظاً في وزارة الداخلية في تشرين الثاني 1922، فقائمقاماً في الأقضية الشمالية ومنها قضاء سنجار. فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي في الموصل إلى شباط 1936.

انتخب نائباً عن الموصل في أيلول 1954 وجدد انتخابه في أيار 1958. واغتيل في الموصل في حوادث آذار 1959 أيام ثورة الشوّاف.

12 ـ البطريرك يوسف عمانوئيل توما الثاني

سبق وأشرنا إليه في موضع آخر من هذا الكتاب.

13 ـ البطريرك يوسف السابع غنيمة (1881 ـ 1958)

هو اسكندر بن عبد الأحد بن أنطوان بن عبد الأحد بن الياس غنيمة. ولد في الموصل في 29 كانون الثاني 1881، وأتمّ دراسته الكهنوتية في مدرسة مار يوحنا الحبيب وسيم كاهناً سنة 1904. عُيّن وكيلاً بطريركياً في الموصل سنة 1918. ثم سيم أسقفاً وأقيم نائباً بطريركياً عاماً في 10 أيار 1925، وعُيّن معاوناً بطريركياً في بغداد سنة 1939 وانتخب بطريركاً لكرسي

بابل على الكلدان في أيلول 1947 وعُيّن عضواً في مجلس الأعيان في 15 تموز 1951، وتوفي في بغداد في 8 تموز 1985.

14 ـ البطريرك إيشاي مار شمعون (1910 ـ 1976)

تولّى رئاسة طائفته (الآشوريين) النساطرة المعروفين أيضاً بالتياريين وعمره نحو عشر سنوات، قام أحد الأساقفة بالوصاية عليه. لكن السلطة الحقيقية كانت في يد عمته سورما خانم، وكانت امرأة مثقفة قوية شديدة الشكيمة سيطرت على شؤون الآشوريين زمناً طويلاً. وسورما خانم أخت البطريرك مار شمعون بنيامين الذي قُتل سنة 1918 فخلفه أخوها الآخر بولص، وكان كسلفه ضعيف الرأي مما مهّد لأخته سورما أن تلي الحكم فعلاً.

وفي خلال الحرب العالمية التي نشبت سنة 1914 بين الحلفاء ودول أوروبا الوسطى انضم المار شمعون إلى جانب روسية واشترك في القتال ضد دولة تركية، وأصبحت ديار الآشوريين ساحة حرب سادها الدمار والفناء، ولما انهارت روسية ونشبت الثورة البلشفية سنة 1917، دخل الأتراك إلى أراضي الآشوريين فأشاعوا فيها الموت والخراب، واضطر هؤلاء إلى ترك ديارهم في جبال حكاري واللجوء إلى أورمية في إيران التي كان الروس قد احتلوها حديثاً.

وفي هذه الفترة برز البريطانيون ومعهم الفرنسيون في تلك الجهات، وفي آخر الأمر نقل الإنكليز بقايا الآشوريين إلى لواء ديالى في العراق وهيأوا لهم مخيّمات على الضفة اليمنى من النهر على بعد ثلاثة أميال من بلدة بعقوبة. ونقلهم الإنكليز بعد ذلك إلى شمال العراق، فأسكنوهم في القرى المجاورة للأكراد وأقطعوهم أراضٍ زراعية لتدبير معيشتهم وجندوا من شبابهم قوة درك (ليفي) لحراسة المطارات والمعسكرات البريطانية.

توفي بولص سنة 1920 في بعقوبة فخلفه ابن أخيه البطريرك إيشاي بن

داود، وكان صبياً. فأرسل إلى إنكلترا سنة 1925 للدراسة تحت إشراف رئيس أساقفة كنتربري، وعاد إلى العراق سنة 1929 وهو شاب مندفع لاستعادة سلطة أجداده الزمنية كما كانت عهد الدولة العثمانية التي كانت تعترف بنظام الاستقلال الإداري للملل التابعة لها، ولم يفطن إلى تبدّل الأزمان وتأسيس المملكة العراقية في ظل الانتداب الإنكليزي، بعد قيام ثورة العشرين الشهيرة في العراق ضد الإنكليز وحصل العراقيين على السيادة والاستقلال.

تطرّف المار شمعون تطرفاً كثيراً في معاداة السلطات العراقية وحاول تزعّم طائفته على وجه شبه مستقلّ عنها. ثم بذل جهوداً لعرقلة قبول العراق في عصبة الأمم ورفع الانتداب البريطاني عنها. فأنشق عنه بعض الآشوريين بقيادة ملك خوشابا الذي كان معارضاً له منذ العهد السابق (توفي سنة 1954) وقد أراد العيش بسلام في ظل الحكومة العراقية وقوانينها.

قدم المار شمعون إلى بغداد في أواخر أيار 1933 للمطالبة بحقوق طائفته كما غالى فيها، فاحتجزته الحكومة في العاصمة ولم تسمح له بمغادرتها. وقام بعض أتباعه بالإخلال بالأمن في قضاء دهوك التابع للواء الموصل. ثم اندفع أكثر من ألف آشوري إلى فيشخابور وعبروا الحدود إلى سوريا التي كانت تحت الانتداب الفرنسي. حملوا سلاحهم لكنهم تركوا عوائلهم وأطفالهم في قراهم في العراق. ولم يمض أمد قصير حتى عاد معظم هؤلاء المهاجرين إلى الحدود العراقية. فجرّد الجيش العراقي، وكان الزعيم بكر صدقي الكردي آمر المنطقة الشمالية آنذاك، قوة عسكرية لتجريد العائدين من سلاحهم. واستطاع هؤلاء أن يتغلّبوا على القوة وينكلوا بأفرادها. فهبّ الجيش للانتقام من الآشوريين في قراهم، واشتدّ بكر صدقي ووزير الداخلية حكمت سليمان الذي قدم من بغداد في توسيع الحركات، وقد أفنى الجيش في آب 1933 قرية سميل ونكّل بالرجال والنساء والأطفال. ثم سمح للعشائر الكردية المجاورة بنهب القرية وتدمير مبانيها.

قامت لتلك المجازر ضجة كبيرة في المحافل البريطانية والأوروبية وفي

ندوة عصبة الأمم في جنيف. وكان الملك فيصل الأول غائباً في زيارته الرسمية للندن وذهابه بعد ذلك للعلاج في سويسرا، فاضطر على العودة إلى بغداد لمعالجة الوضع الذي عبث به نائبه الأمير غازي ورئيس وزرائه رشيد عالي الكيلاني بسوء تصرف الحكومة ومغالاتها في الثأر من الطائفة الآشوريّة. ولم يستطع الملك فيصل أن يعمل شيئاً مذكوراً لإصلاح الوضع والأمور، فعاد لإكمال العلاج في سويسرا ودهمه الموت في برن في 8 أيلول 1933.

بادرت الحكومة العراقية في آب 1933 إلى إسقاط الجنسية عن المار شمعون المحتجز في بغداد وتمّ تسفيره مع أبيه وأخته وعمّته سورما خانم إلى قبرص. واستقرّ المار شمعون في أوروبا بعد نفيه وأخذ يبثّ الدعاية ضد العراق وتقدم بشكواه إلى عصبة الأمم، فوضع الحكومة العراقية في موقف حرج للدفاع عن نفسها ولم يمض على قبولها عضواً في الهيئة الدولية سوى عشرة أشهر.

ومضى المار شمعون بعد ذلك إلى الولايات المتحدة واستقرّ في مدينة شيكاغو وألغت الحكومة العراقية القانون القاضي بإسقاط جنسيته. فزار العراق زيارة قصيرة في نيسان 1970 ثم عاد إلى شيكاغو. وقتله أحد أتباعه سنة 1976 لزواجه من امرأة أمريكية خلافاً لتعاليم مذهبه التي تحرّم زواج البطريرك وكانت تلك الخاتمة المريعة لرجل كان له أسوأ الأثر في العراق الحديث.

15 ـ طارق عزيز (1936 ـ . . .)

من مفكري حزب البعث العربي الاشتراكي، حيث انضم إليه في أواسط الخمسينات. ولد في الموصل، ونشأ في بغداد. وفيها أكمل دراسته الأولية، وتخرّج في كلية الآداب. وحصل على بكالوريوس لغة إنكليزية. مارس التدريس في الثانويات، وعمل مترجماً في الإذاعة. أسهم في تحرير (أدبيات) حزب البعث منذ أواخر الخمسينات. . وكتب عدداً من (منظوراته) السياسية في مراحل النضال السرّي. وفي ثورة حزب البعث 1963 أدار تحرير جريدة (الجماهير) ولمع اسمه في جمهور البعثيين كادراً من أشهر كوادره الثقافية.

وفي ثورة 17 تموز 1968 أشرف على تحرير مجلة (وعي العمال) ثم عيّن رئيساً لتحرير جريدة الحزب (الثورة)1969، فأظهرها الكتاب والمفكرين. ثم عيّن عضواً في مكتب الشؤون العامة في مجلس قيادة الثورة عام 1972 إضافة إلى رئاسته لتحرير جريدة الثورة. وتولّى مهمة نائب رئيس مكتب الاعلام القومي. وفي عام 1974 عيّن وزيراً للاعلام. وفي عام 1977 انتخب عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث وعضواً في مجلس قيادة الثورة. وعضواً في القيادة القومية. وفي عام 1979 عُيّن نائباً لرئيس الوزراء. ثم عُيّن وزيراً للخارجية عام 1983. وفي عام 1986 أعيد انتخابه عضواً في القيادة القطرية.

مَثّل الحزب والعراق في العديد من المؤتمرات والأنشطة الدولية منذ العام 1971. وهو مفاوض من طراز عالٍ. مجادل، متحدّث، كتب عشرات الافتتاحيات (في جريدة الثورة) حلل فيه طبيعة السياسة الدولية والعربية. واقتطفت منه جمل وفقرات ونشرت في الصحافة العالمية. وطبع عدداً من الكتب، اختصر فيها منظور البعث السياسي للأحداث المحلية والدولية، وبأسلوب سهل وقوي الحجة؛ وبارع في التحليل. وهو متآلف على رواية كتّاب الصحافة. مصنع حليم على رواية القوى السياسية. أدخل اسمه في موسوعات الرجال المشاهير في العالم.

ألقي القبض عليه بعد سقوط بغداد يوم 8 نيسان 2003 وهو ينتظر المحاكمة أمام المحكمة الخاصة.

متفرّقات

من المؤكّد أننا لم نستطع أن ننظم كل الأسماء بحسب الأقسام التي رتبتها في منهج موضوعنا هذا لسعته وكثرة الأسماء التي تزدحم أو تتزاحم في ذاكرتنا، خاصة في الاختيار بينها وتمييزها بحسب مواقعها وأهميتها، ولذا خوفاً من النسيان ورداً للسهو نذكر هنا بعض الأسماء التي نعتذر من أصحابها من عدم ذكرها في مواقعها، وهي[1]:

1 ـ يوسف زيّا عبّو (1935 ـ . . .)

باحث في الشؤون الطبية. دكتوراه في الفارماكولوجي. ولد في تكليف. وفيها أكمل الابتدائية 1948. ثم أكمل الثانوية في كلية بغداد 1953، وتخرّج في كلية الطب 1959 وحصل على الدكتوراه سنة 1968 من جامعة أدنبره في المملكة المتحدة. مارس الطب في فرع الفارماكولوجي بكلية الطب بجامعة بغداد وبكلية الطب بالجامعة المستنصرية. رقي إلى درجة الأستاذية سنة 1986 ثم انتقل إلى كلية الطب سنة 1994، وهو عضو الجمعية الفاراكولوجية البريطانية منذ عام 1972. وعضو العديد من اللجان الطبية التي أسهمت في تطوير الدراسات العليا الطبية، والتعريب، والنشر والترجمة، والترقيات العلمية ومحور التدريس الجامعي. اشترك في مؤتمرات عقدت في بريطانيا وتونس والمكسيك ومدريد. فضلاً عن اشتراكه في دورات طبية عالمية. وألقى بحوثاً

(1) نحن في صدد وضع كتاب بعنوان «دور المسيحيين في بناء العراق الحديث» سنشرح وبتفصيل كبير لتراجم ومؤلفات ونشاطات أولئك الرجال العظام.

في عدد من الكليات والمعاهد الطبية. له أكثر من (عشرين) بحثاً علمياً منشوراً في مجلات محلية وعالمية. ومن كتبه المطبوعة:

(دليل الأدوية العراقي) 1990 بالتعاون مع الدكتور علاء الدين العلوان، وطبع في بريطانيا. وكتاب (دليل المعالجة والوقاية من الخمج الجرثومي) 1993 بالتعاون مع الدكتور علاء الدين العلوان وتبنّته منظمة الصحة الدولية. وحرّر وكتب معظم أبواب مجلة النشر الاعلامية الدوائية. وصدرت بستة أعداد وطبعت في بريطانيا ووزّعت على الأطباء والصيادلة في العراق.

وهو عضو هيئة تحرير مجلة كلية الطب 1973 ـ 1977، وعضو هيئة تحرير مجلة (البحوث الصحية) 1988. وقوّم المئات من الأبحاث لأغراض النشر والترقية والتعضيد، والعديد من الكتب. وتقويم براءات الاختراع.

2 ـ المطران يوليوس جرجس قندلا (1889 ـ 1980)

ولد في الموصل. وتتلمذ في مدرسة مار عبد الأحد للآباء الدومنيكان بالموصل زهاء عشر سنوات. ثم انضم عام 1905 إلى إكليريكية مار يوحنا الحبيب في الموصل وسيم كاهناً سنة 1913 بوضع يد المطران غيريغوريوس بطرس هبرا. وعُيّن كاهناً في رعية مار توما ومارس فيها التعليم. وفي عام 1951 نُصِّب أسقفاً معاوناً للمطران جرجس دلال. ثم مطراناً متصرفاً عام 1952. أقام في بغداد إثر استقالته عام 1959. ثم عاد وأقام في بغداد منذ 1970 منصرفاً إلى التأليف والبحث حتى وفاته في 15 نيسان 1980.

من مواقفه الوطنية أنه أثناء إدارة مشكلة الموصل بين العراق وتركيا كان كل يوم يكتب في لوحة إعلانات المدرسة، ولوحات الصفوف كافة: «الموصل رأس العراق، والجسم لا يستغني عن رأسه».

دُعي إلى المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بكونه شخصية لاهوتية كبيرة يمثل الشرق، وفي جميع دورات المجمع ما بين عامي 1962 ـ 1965،

وكان قد ألقى فيه مجموعة أحاديث ومجادلات اعتبرت في حينها جديدة في الفكر المسيحي، ويحتفظ بها المجمع المذكور كوثائق لاهوتية[1].

3 ـ يوسف الريحاني (1898 ـ 1968)

باحث، مترجم، له اشتغالات في التاريخ. ولد في الموصل. طبع كتبه (أوتار الحرب) 1940، (هل انهزمت ألمانيا في سنة 1918) تأليف فللز (ترجمة) 1940 نشر بتوقيع (يوسف رزق الله) و(هل تستطيع ألمانيا أن تقاوم الضغط) تأليف أل.بي.تومسن (ترجمة) 1940 نشر بتوقيع يوسف رزق الله و(المعين في المصطلحات العلمية والفنية) «إنكليزي ـ عربي» 1962.

4 ـ المطران ميخائيل جميل (1938 ـ ...)

ولد في قره قوش. دخل دير مار بهنام الشهيد عام 1951، وبعد عامين انضم إلى معهد مار يوحنا الحبيب وتلقّى فيه علومه الفلسفية واللاهوتية إلى أن سيم كاهناً عام 1964، وعُيّن كاهناً لرعية الطاهرة، وانضمّ إلى جمعية كهنة يسوع الملك. في عام 1972 عُيّن معاوناً لمدير معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل. وبعد سنتين درس في فرنسا وحصل على دبلوم في الدراسات الشرقية، وفي عام 1981 رُقّي إلى رتبة خورفسقفوس بامتياز، حمل الصليب والخاتم، ومن مؤلفاته المطبوعة: الحكمة تنطق، مترجم عن الفرنسية طبع سنة 1966. وله عدّة مقالات وأبحاث نشرت في الدوريات المحلّية والعربية. ونشر بعضها في سلسلة الفكر المسيحي منها: (إنجيل برنابا) 1966 و(سر مسحة المرضى) 1969. ونصب مطراناً معاوناً للبطريرك أنطون الثاني حايك عام 1985م. واليوم يشغل منصب زائر رسولي للسريان في أوروبا ومقره روما[2].

5 ـ الخوري ميخائيل صائغ (1909 ـ 1979)

ولد في مدينة الموصل. قصد دير الشرفة بلبنان، ورحل إلى إيطاليا

---

(1) راجع كتابنا تاريخ أبرشية الموصل، ص 121 ـ 122.

(2) كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك، ص 232 ـ 234.

وانتمى إلى كلية بروبغندة سنة 1926 لدراسة الفلسفة واللاهوت فتخرّج فيها حاصلاً على الدكتوراه، فسيم كاهناً سنة 1932 ثم عاد إلى وطنه الموصل كاهناً في رعية مار توما الرسول. وفي سنة 1961 رُقّي إلى رتبة الخورفسقفوس. ثم انتقل إلى أبرشية بغداد سنة 1965 وتعيّن خورياً في كنيسة مار يوسف في حيّ المنصور. وفي عام 1972 قلّد بامتياز حمل الصليب والخاتم. نشر العديد من المقالات في الدوريات الدينية والعامة. ومن مؤلفاته المطبوعة: حمامة السلام الحقيقية في فضاء الكنيسة الكاثوليكية، طبع سنة 1960[1].

6 ـ القس موسى متي الشمّاني (1923 ـ 1976)

ولد في بحراني بشمال العراق. عمل في التعليم زهاء ست وعشرين سنة. وبعدها سيم كاهناً لكنيسة بعشيقة سنة 1958 بوضع يد مار غريغوريوس بولس بهنام. وفي عام 1968 رُقّي إلى رتبة الخورفسقفوس. من مؤلّفاته (الإله المعلوم) و(عظات مختارة لمار باسيليوس بهنام الرابع مفريان المشرق) و(تفسير نشيد الإنشاد) وله أيضاً (أبحاث خطيرة عن السيد المسيح).

7 ـ كامل قزانجي (1907 ـ 1959)

هو كامل بطرس رفو قزانجي داعية للسلام، ديمقراطي، كاتب ومترجم. ولد في الموصل، تخرّج في فرع الاقتصاد السياسي بالجامعة الأمريكية في بيروت عام 1930. عُيّن مدرّساً في ثانوية النجف 1932 ـ 1934، ومدرّساً في الإعدادية المركزية ببغداد 1940. انتمى إلى كلية الحقوق وتخرّج فيها عام 1947. ومارس المحاماة فترة قصيرة، اعتقل غير مرة بسبب مجاهرته بأفكاره المعادية للنظام الملكي. وسجن بعد الوثبة 1949 ـ 1953 وفي هذه الحقبة انضم إلى الحزب الوطني الديمقراطي وأصبح فيما بعد أحد قادة الجناح التقدمي في الحزب المذكور. أبعدته السلطات إلى تركيا وظلّ سجيناً في أنقرة

---

(1) المصدر السابق، ص 205.

حتى ثورة 14 تموز 1958. وكان يحتفظ في صدره بحفنة تراب من أرض وطنه، وقبّله أمام حشد من أصدقائه عندما عاد إلى الوطن واستردّ حرّيته. نشر العديد من المقالات المختصّة بالتحرر الوطني في مجلّات عراقية ولبنانية باسمه الصريح وبأسماء له مستعارة من أمثال (كامل الصفار) و(ثائر عراقي) وطبع كتبه: (حليفنا الاتحاد السوفيتي) ترجمة 1943، و(كيف تربح السلم) ترجمة 1944 و(الوراثة والعنصرية) ترجمة 1944، وقد نشر بتوقيع مستعار وهو «مقبل» وله أيضاً: (سقوط الجمهورية الفرنسية الثالثة) ترجمة وهو طبعتان عام 1944 و1959. قتل يوم 8 آذار 1959 لدى قيام ثورة الشواف في الموصل[1].

8 ـ فؤاد يوسف قزانجي (1935 ـ . . .)

باحث بيلوغرافي. مؤسس أول قسم لعلم المكتبات بالجامعة المستنصرية عام 1970. وساهم بتنظيم أول مكتبة وطنية حديثة سنة 1977. ولد في الموصل. حصل على بكالوريوس آداب لغة إنكليزية من جامعة بغداد عام 1961 وعلى ماجستير مكتبات ومعلومات من جامعة إيموري سنة 1969. عُيِّن رئيساً لقسم المكتبات بالجامعة المستنصريّة ورأس تحرير جريدة بغداد أُوبزرفر 1973 ـ 1975 ثم عُيّن مديراً عاماً للمكتبة الوطنية 1975 ـ 1981. رأس المؤتمر الببلوغرافي العربي الثاني في بغداد 1977، وهو عضو اتحاد الأدباء والمؤرخين العرب. ذكرته مجلة التوثيق الألمانية في معرض تعليقها على أحد كتبه سنة 1976. أول مقال نشر له بعنوان (الألم والحياة) سنة 1954 بجريدة صوت المجتمع البغدادية. ألّف وطبع أكثر من ثمانية كتب بعضها بالاشتراك منها: «المكتبات والصناعة المكتبية في العراق) 1872 ـ و(المكتبة الوطنية وآفاق تطورها) 1977 و(المرجع في دراسة حنين بن إسحاق) 1982. وله كتب مترجمة وبحوث ومقالات وقصص منشورة، وكان نائباً لرئيس جمعية الكتاب

---

(1) حميد المطبعي، أعلام العراق في القرن العشرين.

والمؤلفين العراقيين من 1967 ـ 1970 ورئيساً لجمعية المكتبات العراقية من 1973 ـ 1975[1].

9 ـ فائق ميخائيل أودو (1932 ـ 1969)

محلّل نفساني. باحث. ولد في بغداد، وفيها أكمل الابتدائية والثانوية وتخرّج في كلية الطب 1954. وحصل على شهادة الاختصاص في (الطب النفسي) من الكلية الطبية في لندن، عُيّن بعدها في مستشفى (الشماعية) حتى وفاته. ويُعرف عنه، أنه من خلال علم الرياضيات حيث يجوّد فيها، استطاع أن يبتكر أبحاثاً في التطبيب النفسي وينشرها في مجلات علم النفس عربية ومحلية. وكانت له موهبة في الشعر والموسيقى واللغات. وشيء من وثائقه موجود في كلية بغداد (للآباء اليسوعيين) قال عنه الأديب الطبيب توفيق الفكيكي (طبيب القلب). عالج مرضه من الفقراء مجاناً. فكان مثالاً للإنسان[2].

10 ـ فارس فرج قصيرة (1949 ـ . . .)

باحث، مترجم. خبير في الترجمة التحريرية والفورية باللغة الإنكليزية. يعمل مديراً لقسم النشرة الإنكليزية بوكالة الأنباء العراقية منذ عام 1995. ولد في كركوك. أكمل الابتدائية والثانوية في بغداد سنة 1967. حصل على بكالوريوس (لغة إنكليزية) من كلية الآداب عام 1971، وماجستير (ترجمة تحريرية) من جامعة (هريوت واط) في بريطانيا عام 1983. عمل سكرتير تحرير دار المأمون 1986 وسكرتير تحرير في جريدة (بغداد أوبزرفر) 1987، شارك في مؤتمرات ثقافية وعلمية وسياسية وغطّى وقائعها ترجمة. نشر أبحاثاً عديدة، طبع من كتبه المترجمة: (لغة الدعاية) 1984، وهو أصلاً أطروحته

---

(1) حميد المطبعي، المصدر نفسه.

(2) حميد المطبعي، نفس المصدر.

للماجستير. كما ترجم مشاركة (قصص عراقية) 1987، (والحرب والتقدم البشري) 1989 وهو جزءان[1].

11 ـ فائز نعوم پاك (1951 ـ . . .)

مهندس، باحث، حاصل على براءة اختراع لجهاز الظلال ذي القوس المفتوح، وهو جهاز مختبري لدراسة تصاميم الأبنية وكيفية حمايتها من أشعة الشمس سنة 1985. ولد في الموصل. حاصل على دبلوم فني (بناء وإنشاءات) من مؤسسة معاهد بغداد سنة 1972 وعلى بكالوريوس هندسة بناء من الجامعة التكنولوجية سنة 1976. وعلى ماجستير تخطيط حضري من جامعة بغداد سنة 1978. شغل مناصب استشارية في دوائر الدولة. يعنى في بحث العلاقة بين أنماط السكن والأنماط الاجتماعية السائدة. شارك في إعداد عدد من البحوث العلمية والميدانية في مجالات هندسية كثيرة. منها: (كلف ونظم مراكز إطفاء الحرائق في مدينة بغداد) 1986. و(بحث الدرجة الحرارية للفرد العراقي) 1988. وبلغ مجموع بحوثه ودراساته المبتكرة أكثر من عشرين بحثاً. وساهم ببحوثه في مؤتمرات علمية داخل العراق وخارجه. كما شارك في إعداد مؤتمرات علمية 1983 ـ 1989. وأكثر بحوثه منشورة في مجلة (بحوث البناء) التي أصدرها مجلس البحث العلمي[2].

12 ـ الخوري روفائيل جبري (1869 ـ 1937)

ولد في الموصل. وتتلمذ على أساتذة معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي بالموصل عام 1880 وتخرّج فيه سنة 1890 وكان أثناء معموديته قد أعطي اسم (ميخا)، وعندما درَّس في مدرسة القديس عبد الأحد، أعطي اسم (استاميخا) وفي عام 1892 سيم كاهناً بوضع يد بهنام بني راعي أبرشية الموصل وعُيّن في خورنة مار توما بالموصل زهاء أربع سنوات لممارسة

---

(1) حميد المطبعي، نفس المصدر.

(2) حميد المطبعي، المصدر نفسه.

التدريس. ثم عُيّن كاهناً في كنيسة دير الزور 1895 ـ 1899 وانتقل إلى بيروت كاتماً لأسرار البطريرك أفرام رحماني. ثم رحل إلى القدس عام 1902 نائباً بطريركياً ونقل إلى الاسكندرية في مصر عام 1905، ورقي إلى رتبة الخورفسقفوس إقراراً بأفضاله الجمّة التي قام بها في سائر الأماكن التي خدم فيها. فقد لعب دوراً في مساعدة العراق وسوريا أثناء الحرب العالمية الأولى. فقد جمع المساعدات الدولية لمنكوبي الدولتين. وأصدر بضعة بيانات من أجل مساعدة ضحايا الكوارث البشرية، وتعاطفاً مع إنسانيته منحه البابا بندكتس الخامس عشر رتبة (مقدّم باباوي) وللفضائل التي قدّمها للفكر الإنساني، منحته الحكومة اللبنانية (وسام الشرف الاستحقاقي) عام 1932. وفي هذا العام نفسه احتفل بيوبيله الكهنوتي الأربعيني. ولمآثره الكثيرة منحته الحكومة الفرنسية سنة 1937 (وسام جوقة الشرق) من رتبة فارس. قام بتأسيس جمعيات خيرية وأخوية للنساء ومدارس للأحداث. ولشهرته في كنائس الوطن العربي عُيّن نائباً بطريركياً في مصر كلها عام 1914. قام بعدها بإنشاء أخوية سيدة الوردية للسيدات في القاهرة وجمعية القديس أفرام. وكان أينما حلّ، وضع لرعيته وصايا مكتوبة يدعو فيها إلى الفضيلة العملية فتعلّق به جمهور كبير[1].

13 ـ المطران طيمثاوس أفرام عبودي (1930 ـ . . .)

ولد في الموصل. انتمى إلى الإكليريكية الأفرامية عام 1945، وتخرّج فيها عام 1951. مارس التدريس في مدرسة القامشلي الخاصة ومدرسة السريان في حلب ثم عُيّن في مناصب مختلّة إلى حين سيامت الأسقفية عام 1977. علماً أنه كان قد ارتقى إلى الدرجة الكهنوتية عام 1956. تعيّن معتمداً بطريركياً في الهند. فدرس الإنكليزية وكتب بها وأتقن اللغة المحلية (الملياكم) وأصدر مجلة تحت عنوان أخبار من شيما تعيّن مطراناً لأبرشية الويد عام 1977، إضافة إلى الدولة الاسكندنافية وبريطانيا. شارك في عضوية مجلس الكنائس

---

(1) كتابنا تاريخ أبرشية الموصل، ص 165 ـ 167.

العالمي، ومجلس كنائس الشرق الأوسط. طبع من كتبه (صلاح المؤمنين) ونشر أبحاثاً عدة في مجلات عربية. يعمل الآن كمطران لأبرشية كندا، بعد أن شغل مطرانية أبرشية أستراليا للسريان الكاثوليك[1].

14 ـ دولة موسى أبونا (1947 ـ . . . .)

كاتب في الأدب والفنّ باللغة الإنكليزية. ولد في بغداد، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والثانوية، والجامعية في كلية الآداب (قسم آداب اللغة الإنكليزية) بجامعة بغداد عام 1973. نشر مقالاته ودراساته في مجلة (عراق اليوم) الصادرة باللغة الإنكليزية منذ عام 1976. ثم كتب في مجلة التراث الشعبي عدداً من المقالات ومنذ عام 1995 عُيّن في جريدة (أوبزرفر) مديراً للتحرير وعُرف بقدرته الفائقة على التحرير وإدارته.

15 ـ المطران بولس دانيال (1831 ـ 1916)

ولد في الموصل، تتلمذ على والده وقرأ عليه العربية والسريانية. رحل إلى دير الشرفة بلبنان سنة 1851 ودرس فيه العلوم الخاصة بالكهنوت وسيم كاهناً عام 1856، وعاد إلى الموصل معلماً وخادماً في كنائسها. سافر إلى الهند بمهمة خاصة بالأبرشية الموصلية وبقي فيها سنتين. وفي عام 1893 عيّن نائباً لأسقف أبرشية الموصل ثم أسقفاً عليها. عرف بخدمته الخالصة لشعبه وكنيسته فأنعم عليه السلطان العثماني عبد الحميد بالوسام المجيري. وفي عام 1902 قابل البابا لاون الثالث عشر، وزار باريس ومنها إلى الأماكن المقدسة بفلسطين. ترك سجلاً ضخماً بيومياته شبه مذكرات. انتقل إلى جوار ربه عام 1916[2].

16 ـ جورج حيقاري (1888 ـ 1975)

طبيب، باحث، رائد، من المؤسسين لكلية طب بغداد في بداية

---

(1) صليبا شمعون، تاريخ أبرشية الموصل السريانية ص 247 ـ 248.

(2) لقد قمنا بنشر هذه المذكرات بعد تحقيقها عام 2000 في بيروت بعنوان «مذكرات المطران بولس دانيال الخديدي».

العشرينات. ولد في بلدة (سعرد) ونشأ في الموصل من أسرة تجارية عريقة. أكمل الابتدائية والإعدادية في لبنان، والطبية ببيروت عام 1917. ثم واصل دراساته العليا في علم الطب، وكرّم من قبل المؤسسات الطبية الفرنسية، اختير عضواً مراسلاً في الجمعية الطبية لاختصاصيي باريس للأمراض النسائية والتوليد. أسس مع رفاقه رواد الطب الكلية الطبية الملكية سنة 1922. وعُيّن بمنصب أو محاضر عراقي للأمراض النسائية (1923 ـ 1939) وهو مؤسس أول مستشفى للولادة في بغداد سنة 1950. أتقن اللاتينية والفرنسية والتركية والكردية وكتب بها بعض أبحاثه العلمية. وله أبحاث كثيرة منشورة عن الأجنّة المشوّهة. ومن إبداعاته: (توليده لحمل خارج الرحم بكامل المدّة. وتوليده لمخ برأسين بدون فصل أحدهما، وطريقته هذه مسجلة دولياً في باريس) طبع من كتبه: (أليف المولد سنة 1962)[1].

17 ـ جلال بشير سرسم (1936 ـ . . .)

مهندس، باحث. ولد في الموصل، من أسرة علمية متدينة. وكان والده (بشير حنا سرسم 1892 ـ 1971) من روّاد الطب في الموصل أكمل الثانوية في كركوك بحكم وجود والده مديراً للصحة فيها. حصل على بكالوريوس هندسة مدنية من الجامعات الأمريكية سنة 1960. وعلى ماجستير هندسة طرق سنة 1964، وأفاد من الخبرة التكنولوجية الأمريكية لمدة ثلاث سنوات بعد التخرُّج ثم عاد إلى بغداد وعين أستاذاً مساعداً ورئيس القسم المدني في معهد التكنولوجيا 1985 ـ 1986، ثم عين مدير الدائرة الهندسية لهيئة المعاهد الفنية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي (1987 ـ 1993) أحيل على التقاعد سنة 1993 بعد إصابته بجلطة قلبية. من مؤلفاته المطبوعة (الهندسة الوصفية) 1980 و(تكنولوجيا الخرسنة) 1982، و(المنظور) 1975، و(المواد الإنشائية) 1993.

---

(1) حميد المطبعي، المصدر نفسه.

18 ـ المطران أثناسيوس توما قصير (1870 ـ 1951)

ولد في الموصل. أكمل دراسته في مدرسة الطائفة وفي دير الزعفران. وفي عام 1896 توشّح بالثوب الرهباني وعُيّن مديراً لمدرسة دير الزعفران. نُصِّب مطراناً لأبرشية ديار بكر عام 1912، وفي سنة 1915 عاد إلى الموصل ليتسلّم عصا الرعاية لطائفته فيها. خدم أبرشية الموصل تسع سنوات ورحل إلى القدس، ومنها إلى مصر، ثم رئيساً لأبرشية حلب سنة 1929، وفي عام 1932 عيّن للمرة الثانية مطراناً لأبرشية الموصل إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه عام 1951، 1719[1].

19 ـ القس توما إسطفو (1908 ـ 1990)

ولد في قره قوش، وفيه حصّل دروسه الأولية. وذهب إلى دير مار بهنام عام 1920، وعام 1926 قصد دير الشرفة بلبنان، وفيها واصل دراسته إلى حين عودته إلى دير مار بهنام وتتلمذ على يد المطران جرجس دلال والأبوين ميخائيل مراد وحنا رحماني. ورقي إلى الدرجة الكهنوتية عام 1934، فعيّن بالنيابة البطريركية في الجزيرة الشمالية وعهدت له خدمة النفوس عام 1935. حضر المؤتمر القرباني في بيروت عام 1939. وفي عام 1940 عيّن كاهناً مفوّضاً في رعية الطاهرة بمسقط رأسه، ولم يغادرها إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه[2].

20 ـ بشير حنا سرسم (1892 ـ 1971)

طبيب بحّاث في الطقوس الدينية. رئيس مجلس طائفة السريان الأرثوذكس لعشرين سنة في كركوك. ولد في الموصل وأكمل فيها دروسه الأولية، درس الطب متخرِّجاً في الجامعة الأمريكية ببيروت (1911 ـ 1917) خدم سنة ونصف في المستشفى العام في دمشق أثناء الحرب العالمية الأولى

---

(1) صليبا شمعون، المصدر ذاته، ص 201 ـ 203.

(2) راجع كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 208 ـ 209.

(1917 ـ 1918) ثم عيّن طبيباً لبلدية الموصل، ثم مديراً لمستشفى الموصل (1940 ـ 942) فأربيل (1942 ـ 1946) فكركوك (1946 ـ 1951). أحيل على التقاعد عام 1951 وفي حوزته كتب شكر كثيرة من وزارات عراقية. وابتداء من أواخر الخمسينات كتب بشكل منتظم في المجلة الشهرية البطريركية الصادرة في دمشق. له (يوم الرب) و(كنوز القداس) وهي من الكتب التي تصدّت للإلحاد والذي كان قد تفشّى في بعض الفئات.

21 ـ الخوري الياس صقال (1925 ـ 1995)

ولد في الموصل. انتمى إلى معهد مار يوحنا الحبيب سنة 1937. سيم كاهناً في 1949 بوضع يد المطران جرجس دلال وعيّن كاهناً متصرّفاً في خورنة الطاهرة بالموصل. وعيّن مرشداً لأخوية مريم العذراء عام 1954، فأبدى فيها نشاطاً كنسياً واسعاً، وطبع لمنتسبيها كتاباً بعنوان (غذاء الأنفس وشعائر الخضوع الأقدس للعذراء) سنة 1961، وهو يتضمّن صلوات فرضية وأناشيد روحية، عيّن بعدها مسؤولاً عن أوقاف الأبرشية في الموصل سنة 1952. ثم عُيّن نائباً عاماً لأبرشية الموصل سنة 1970، فرُقّي رتبة خوار أسقف عام 1971، امتاز بمواظبته على فروض الأمويات كل نشاطات الكاتدرائية الظاهرة بالموصل[1].

22 ـ القس جبرائيل جرخي (1926 ـ 1990)

أبصر النور في ماردين في 5 تموز 1926، ثم نزح ذووه إلى سنجار فالموصل، حيث تلقّى دروسه الابتدائية في مدرسة الطاهرة للسريان الكاثوليك. دخل إكليريكية مار يوحنا الحبيب الكهنوتية في 27 أيلول 1939، فأكبّ على تحصيل العلوم التكميلية والثانوية والعالية حتى سيم كاهناً في 15 أيار 1949 بوضع يد المطران جرجس دلال. قام بتدريس اللغة العربية وتاريخ الأدب العربي والطقس السرياني وألحانه منذ عام 1949 حتى تاريخ 1976.

---

(1) كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك، ص 217 ـ 218.

ولإتقانه الألحان الطقسية تعيّن أرخاوياقونا للكاتدرائية الطاهرة بالموصل لإدارة الحفلات والرتب الطقسية، وتنظيم خدمة الشمامسة[1].

23 ـ إلهام بشير اللوس (1940 ـ . . .)

مختصّة بعلم المكتبات. ولدت في بغداد من أسرة علمية. أكملت دراستها الأولية في بغداد، وحصلت على ماجستير (علم المكتبات) من جامعة ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة عام 1976. عيّنت مديراً للمكتبات بالجامعة المستنصرية سنة 1969، ووكيلة مدير مكتبة كلية الطب بجامعة بغداد 1969 ـ 1974. طبعت من كتبها بالاشتراك: (الواجبات المهنية وغير المهنية في المكتبات) ترجمة. و(الفهرسة والتصنيف) وهو جزءان. ولها مؤلفات أخرى ومقالات حول تصنيفات الكتب.

24 ـ باسمة أيشوع شمعون مقدسي حسو (1955 ـ . . .)

ولدت في قره قوش. أكملت دراستها الابتدائية في مسقط رأسها، والمتوسطة في متوسطة الحاج يونس للبنات في الموصل، والإعدادية في إعدادية المنصور للبنات في بغداد. حصلت على بكالوريوس مكتبات وكذلك الماجستير والدكتوراه ما بين 1990 ـ 2000 ونشرت بعض بحوثها. منها: كراس خدمات المعلومات. وعنوان أطروحة الماجستير: تحويل الفهرس البطاقي للمكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية في فهرس آلي، والدكتوراه: العوامل المؤثرة على التكشيف. تعمل حالياً في المعهد الفني بالموصل[2].

25 ـ المطران أندراوس حنا (1920 ـ . . .)

ولد في العمادية. انخرط في إكليريكية مار يوحنا الحبيب الكهنوتي بالموصل حتى سِيمَ كاهناً، ونُصّب مطراناً على أبرشية العقرة، ثم نصب مطراناً

---

(1) راجع كتابنا تاريخ أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك ص 216 ـ 217.

(2) الأب لويس قصاب والدكتور بهنام عطا الله، حضارتنا تجدد وإبداع، الموصل 2001 ص 47 ـ 48.

على أبرشية كركوك. أشغل وظيفة رئيس هيئة المجمّع العلمي العراقي السريانية منذ عام 1984. عمل في المضمار اللغوي فنشر مقالات وبحوث تتناول المقارنة بين اللغتين العربية والسريانية. وله بعض الكتابات في مجال الفكر المسيحي. أحيل على التقاعد عام 1996. وما زال عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي هيئة اللغة السريانية.

26 ـ أنور نعيم قصيرة (1934 ـ . . .)

ولد بالموصل، وحصل على دكتوراه في الاقتصاد الصناعي من جامعة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وشغل عدة وظائف، أبرزها مدير عام العلاقات التجارية بوزارة التجارة، ينتمي إلى جمعية الاقتصاديين العراقيين واتحاد البرلمانيين العرب. ساهم في مؤتمر التجارة الدولية (الانكتاد) ومؤتمر البرلمانيين الدوليين في تشيلي. ألّف كتباً عديدة في الاقتصاد، منها: الاقتصاديون البارزون سنة 1964، والاقتصاد السياسي سنة 1979، والإدارة والاقتصاد الهندسي سنة 1990. يؤمن بالنظرية النقدية في حقل الاقتصاد السياسي من أجل مصلحة الدول النامية.

27 ـ أنيس وزير (1908 ـ 1968)

باحث ومترجم في الشؤون العسكرية. انتسب إلى الجيش العراقي حتى رُقّي إلى رتبة (عميد). نشر أبحاثاً في الصحف المحلية. طبع من كتبه (قتال الشوارع) ترجمة 1938 و(الدفاع عن جسر الكرخية) دراسة في التعبئة الصغرى 1939، و(الدفاع عن الدور) ترجمة 1950، و(أمراض القلب) 1961. وله أيضاً (مفكّرة الجيب) في التدريس والإدارة. توفي في بغداد: وفي إحدى وثائقه أنه من مواليد مدينة ماردين بتركيا.

28 ـ بنيامين ميخا حداد (1931 ـ . . .)

ولد في القوش. خدم في سلك التعليم أكثر من خمس وعشرين سنة، عُيّن مسؤولاً في شعبة تدريس السريانية في العراق (وزارة التربية) مدة سنتين.

وهو عضو الهيئة الإدارية للجمعية الثقافية للناطقين بالسريانية وسكرتير مجلتها (الصوت السرياني) وخبير في المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) له من النتاج المنشور منذ عام 1960 ما يبلغ 286 نتاجاً، تتضمن بحوثاً ودراسات مقارنة باللغتين العربية والسريانية. كما تتضمن قصصاً قصيرة بالعربية وقصائد بالعربية والسريانية، وبحوثاً في التراث الشعبي وفي التاريخ والنقد والفن، إضافة إلى أعمال الترجمة من السريانية والإنكليزية إلى العربية. من أهم مؤلفاته:

(رأي في نشأة الأرقام وتطورها) 1976. و(بين السريانية والآرامية المندائية) 1977، و(بين الرباعي وأصوله) 1978 ـ 1985 و(الميزان) معجم الفعل السرياني (مقارن حرف الحاء) 1986. تتلخص رؤيته الكتابية، أنه كمتخصص في دراسة الأصول الفقهية المقارنة للّغتين العربية والسريانية وشقيقاتهما الأخريات، يؤمن بأخوّة هذه اللغات وبانحدار أصولها من أرومة واحدة. يؤمن أنَّ العربية أوسع تلك اللغات معجمياً وأقرب أصالة إلى اللغة السامية الأم الأولى كما يؤمن بأخوّة جميع العراقيين ووحدتهم كأبناء بلد واحد من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه.

29 ـ بيتر يوسف (1923 ـ . . .)

ولد في بغداد. تلقّى دراسات سياسية في بلغاريا وفي الفلسفة والاقتصاد السياسي. عمل في حقل السياسة الوطنية منذ بداية الأربعينات. وعُيّن محرراً في جريدة الثورة التابعة لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ عام 1970. انتقل بعدها إلى وزارة الخارجية (سفيراً) في عدد من البلدان الأوروبية. نشر مقالاته في الصحافة. ونشر كتاباً واحداً بعنوان (أمريكا اللاتينية ـ قارة الجوع والثورة) سنة 1973. ومن خلال ما نشر من بحوث ومقالات أكّد على أن لا حدود لتحمّل العذاب من قبل الإنسان عندما يكون مؤمناً بقضية.

30 ـ توما عبد الأحد شماني (1926 ـ . . .)

ولد في البصرة. طبيب بيطري. عمل في الصحافة العلمية أربعين سنة

في عديد من الصحف: البلاد، الرأي العام، التآخي، الجمهورية. وهو رئيس تحرير مجلات: البيطرة والزراعة ، والصناعة والزراعة، وعالم اليوم. وهو عضو في نقابة الأطباء، ونقابة الصحفيين. دُعي إلى مؤتمرات عالمية منها: أوكسفورد في تاريخ الطب القديم، سنة 1952، وندوة استخدام المضادات الحيوية في ألمانيا الغربية سنة 1968، وندوة التلقيح الاصطناعي في هولندا سنة 1981، وكان مرشحاً لجائزة (كالينغا) الصادرة عن اليونسكو لعام 1983 و1985 وهو أول ترشيح لعراقي. كتب مئات المقالات العلمية نشرت في الدوريات العربية والعلمية. ومن تآليفه المطبوعة: الإخصاب والحبل والولادة (مترجم) طبع عدة طبعات وله كتاب برنامج العلم. وأنتج فيلماً وثائقياً (إشراقة الطب العربي) وعُرض في أكثر من محطة تلفزيونية. شارك في لجانٍ كثيرة. وقد وضع اسمه في موسوعات عالمية. وكانت أول قصة علمية ينشرها هي: (نباتات عاقلة تغزو الأرض) في جريدة الشعب سنة 1955.

31 ـ المطران جرجيس بولص المزيِّن (1938 ـ . . .)

ولد في قره قوش. تلقّى علومه الدينية والفلسفية واللاهوتية في معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل. وحصل على ماجستير في علم الاجتماع من كلية العلوم السياسية والاجتماعية من جامعة لوفان (بلجيكا). عمل في مجلة الفكر المسيحي منذ عام 1964، وأصبح رئيس تحريرها من 1973 ـ 1976. حضر مؤتمرات ثقافية وأسرية في لبنان ومصر وإيطاليا. منها: مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة المنعقد في ألمانيا سنة 1989. كتب بحوثاً عديدة في المجلات المسيحية. وله مؤلفات المطبوعات منها: إيديل كوين (1963) ونداء الأبطال (1967)، وشارل دي فوكو رسول الأخوة الشاملة (1968) ورسالته في الماجستير (المسألة الدينية في المجتمع العربي ـ دراسة موقع الدين في إيديولوجية وأدبيات حزب البعث العربي الاشتراكي) وقصب مطران الأبرشية الموصل للسريان الكاثوليك في 9 كانون أول 1999[1].

---

(1) كتابنا تاريخ أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك ص 229 ـ 230.

32 ـ حارث يوسف غنيمة (1925 ـ . . .)

ولد في محلة الدهانة ببغداد. وكان أبوه السياسي الأديب يوسف رزق الله غنيمة من أركان اليقظة الفكرية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين. انتمى إلى كلية بغداد للآباء اليسوعيين حيث أكمل فيها الثانوية وبعدها التحق بكلية الحقوق وتخرّج فيها سنة 1947. مارس المحاماة. أتقن الإنكليزية وتعلّم شيئاً من الفرنسية في المعهد الثقافي الفرنسي. أدار وكالة شركة الفالافال السويدية المختصة بتحبيز معامل الألبان والمحالب الميكانيكية في العراق. فاز في أواخر سنة 1951 بانتخبات عضو مجلس أمانة بغداد عن المسيحيين ثم أُعيد انتخابه في أواخر سنة 1955. وهو عضو في جمعية المترجمين وعضو في جمعية المسكوكات وعضو في غرفة تجارة بغداد. من مؤلفاته المطبوعة (يوميات يوسف غنيمة ـ رحلة إلى أوروبا) (1929) طبع سنة 1986 و(السياسي الأديب يوسف غنيمة) كما أن له العديد من الدراسات في مجلة الفكر المسيحي ومجلة بين النهرين. أكمل عدة دورات دراسية خارج العراق في التصوير الفوتوغرافي. وحصل على شهادات الدبلوم بالتصوير الفوتوغرافي الملوّن من إنكلترا والسويد وألمانيا الغربية وإيطاليا. كما منح شهادة أستاذ تصوير عالمي. له عضوية في جمعية المصورين الصحفيين الأمريكية العالمية (IFOP) شارك في جميع مهرجانات جمعية التصوير العراقية. كما حضر عدّة مؤتمرات للتصوير في إنكلترا وألمانيا الغربية وأمريكا. عيّن في أكثر من صحيفة رئيساً لقسم التصوير. وفي بدايته تأثّر بكتاب عن التصوير الفوتوغرافي من تأليف المخرج المصري أحمد بدرخان. يمتلك مكتبة جمع فيها كتب التاريخ وأنماطاً عديدة من الكاميرات القديمة. ألّف أكثر من عشرة كتب في فن التصوير، منها: التصوير الملوّن عام 1965.

33 ـ القس بيوس عفاص (1939 ـ . . .)

ولد في الموصل. رئيس تحرير مجلة الفكر المسيحي منذ عام 1964. تخرج من معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل (1951 ـ 1962) حصل على

الماجستير في وسائل الاعلام من جامعة لوفان (بلجيكا) سنة 1976. شارك في مؤتمر (الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة 1983). من مؤلفاته المطبوعة الكتاب المقدس والإنجيل (1962) ولوقا الإنجيلي المخلص (1964) والصحافة المسيحية بالفرنسية (1976). وله مقالات عديدة من مجلة الفكر المسيحي على مدى عشرين سنة (1964 ـ 1993)[1].

34 ـ صبري ميخائيل فرّوحة (1928 ـ . . .)

ولد في الموصل، أكمل الدراسة الابتدائية والثانوية في الموصل. ثم تخرّج في دار المعلمين العالية ـ فرع الكيمياء وحصل على البكالوريوس بدرجة الشرف. التحق بالبعثة العلمية لوزارة المعارف وحصل على شهادتي الماجستير ثم الدكتوراه في الكيمياء التحليلية من جامعة ولاية أوهايو الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية. عاد مباشرة إلى الوطن سنة 1960 حيث عُيّن مدرّساً في كلية العلوم بجامعة بغداد. ثم رُقّي إلى مرتبة أستاذ مساعد ثم إلى مرتبة الأستاذية سنة 1976. بدأت تجربته في البحث والكتابة والتأليف منذ كان طالباً للدراسات العليا في أمريكا حيث أعدّ رسالتي الماجستير والدكتوراه. وعندما بدأ عمله كأستاذ جامعي بدأ بنشر نتائج بحوثه كمقالات علمية في مجلات عالمية وعراقية وعربية. وجلّ بحوثه في الكيمياء التحليلية الكهربائية والكروماتوكرافي وفي التحاليل الدقيقة وتلوّث البيئة، حيث قام باستحداث طرق جديدة في تحليل الفيتامينات وتحاليل مكوّنات النفط والوقود كما حصل على ثلاث براءات اختراع. وقام بنشر ما يزيد على أربعين بحثاً علمياً اختير أحدها في مؤتمر عالمي في أمريكا بأحسن بحث ألقي في المؤتمر، كما اعتبر قسم من بحوثه بحوثاً متميزة. حضر ما يقرب من عشرين مؤتمراً عالمياً وعربياً وعراقياً في الكيمياء من أشهرها مؤتمر بتسبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية، ومؤتمر SAC في إنكلترا، ومؤتمر اتحاد الكيمياء التحليلية الأوروبي

---

(1) كتابنا تاريخ أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك، ص 231 ـ 232.

EURO ANALYSIS في فنلندا. نشر بحوثه في مجلات عالمية أمريكية وبريطانية. شارك في تأليف كتابين منهجيين بتكليف من وزارة التعليم العالي. أحدهما التحليل الكيميائي الآلي، والثاني تلوث البيئة. وهو عضو في الجمعية الكيميائية العراقية. وكان عضواً في الجمعية الكيميائية الأمريكية.

35 ـ ليون لورنس عيسايي (1886 ـ 1938)

باحث. ولد في بغداد. له من المؤلفات المطبوعة: التقويم الأدبي، طبع سنة 1905، وهلال الزوار سنة 1910، وهلال الزوار سنة 1911، وكوكب الفيحاء أو دليل البصرة سنة 1911، ومجالي القلم سنة 1935.

36 ـ وسام مرقس السندي (1960 ـ . . .)

فنان تخطيطي. ولد في بغداد. حاصل على ماجستير من كلية الفنون بدراسة واقع الفن الجداري في العراق مع دراسة فنية (إثر الفراغ في الرسم الجداري الآشوري) يعمل حالياً (1994) مدرِّساً للفن في كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد. وهو عضو جمعية الفنانين التشكيليين ونقابة الفنانين. يتواصل في ابتكاراته فيما يتعلّق بالجمع بين الإيهام البصري والحسّ الانطباعي الكوني. شارك في العديد من المعارض، المعرض الشامل للفنانين العراقيين 1988 ومعرض عناق الثلوج 1990 ويوم العلم 1990 والربيع في كردستان 1990 والجهاد والبناء 1992. نشر لوحاته الفنية والتخططية في الصحف العراقية.

37 ـ بهنام فضيل عفاص (1934 ـ . . .)

ولد في الموصل. تلقّى علومه الأولى في مدارسها. تخرّج من دار المعلمين العالية سنة 1955، ومارس التدريس في الكثير من ثانويات العراق ومعاهد إعداد المعلمين في سنة 1965، عمل في معهد إعداد المعلمين العالي بالجامعة المستنصرية. وفي سنة 1975 التحق بجامعة السوربون في باريس حيث أكمل دراسته العليا وحصل على (D.E.A.) دبلوم الدراسات المعمقة في

الآداب عن أطروحته (الحالة الثقافية في العراق خلال القرن التاسع عشر) تقاعد سنة 1981. بدأ في الخمسينات بنشر قصصه في المجلات والصحف. كما نشر العديد من مقالاته في المجلات المعروفة. وساهم في إلقاء محاضرات في اللغة على طلبة المعهد الكهنوتي وكلية بابل اللاهوتية من سنة 1984 وحتى سنة 1992. حضر المؤتمر العالمي للآداب العربية والسريانية الذي عقد في بلجيكا سنة 1988. من مؤلفاته المطبوعة: مجالات العمل الأفضل للمرأة العراقية، طبع سنة 1981. وإقليميس يوسف داود، رائد من روّاد الفكر في العراق (1985) وتاريخ الطباعة والمطبوعات العراقية (جزءان في مجلد واحد) 1985.

38 ـ الأب يوحنا عيسى يوسف (1949 ـ . . .)

ولد في بلدة عقرة، تخرج في معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي بالموصل سنة 1970. حالياً يعمل راعياً لخورنة كنيسة مريم العذراء في الموصل. من مؤلفاته المطبوعة: اقرأ طوبيا (ترجمة ـ 1975) والمسيح الحي (ترجمة ـ 1984)، ومجال الله (1986) وأقوال يسوع (معرّب ـ 1986)، وأمثال يسوع (معرّب ـ 1989).

39 ـ المهندس نعيم منصور قاشا (1945 ـ 2006)

ولد في باخديدا (قره قوش) محافظة نينوى، أكمل دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، ثم أكمل دراسته المتوسطة في متوسطة أم الربيعين بالموصل. وكذلك دراسته الإعدادية في الثانوية الشرقية، وأكمل دراسته الجامعية في جامعة بغداد (كلية الهندسة) 1960 ـ 1965، وتخرج منها مهندساً مدنياً. انخرط في الجيش العراقي بخدمة الاحتياط التي استغرقت خمس سنوات، بعدها التحق في الخدمة المدنية حتى تعيّن في عام 1982 مديراً عاماً للمياه الجوفية بالعراق. أكمل عدّة دورات هندسية في فرنسا واليابان وبريطانيا. قضى عشر سنوات في إيران كأسير حرب، وعندما عاد إلى الوطن عيّن عضواً في منظمة كاريتاس العالمية (1999 ـ 2000) قضى نحبه في بيروت/ لبنان إذ كان

يحضر مؤتمراً لكاريتاس فيها، ونقل جثمانه إلى العراق حيث دفن في مسقط رأسه جوار أهله وأقربائه في 12 شباط عام 2006.

40 ـ أرداش كاكافيان (1940 ـ . . .)

فنان. ولد في الموصل. حصل على دبلوم المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس. مارس التدريس في معهد الفنون الجميلة في باريس وهو عضو جمعية الفنانين التشكيليين. عرض رسوماته وأعماله في معارض شخصية في أقطار أوروبية عديدة ـ شارك في معارض جماعة الانطباعيين. له مجموعة من الكرافيك تحت عنوان (إبر الذاكرة) نال جائزة (دوم) الفرنسية. والجائزة الأولى للفنانين الشبّان في صالون الخريف بباريس. رحل من العراق وأقام في باريس.

41 ـ أنطون صبري أنطون (1945 ـ . . .)

باحث في فايروسات أحياء مجهرية. ولد في الموصل. حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كورنيل في أمريكا. عُيّن أستاذاً في كلية الطب البيطري، حضر المؤتمر العالمي للفايروسات. أصدر عام 1991 كتاباً تحت عنوان (أساسيات علم الأحياء المجهرية البيطرية). من اكتشافاته العلمية عزل وتوصيف فايروس الطاعون البقري في العراق، وعزل فايروس الحمى النزفية في العراق.

42 ـ الأب أشموئيل جميل (1847 ـ 1917)

ولد في بلدة تكليف، انضم إلى الرهبانية الكلدانية عام 1866 في جبل القوش (دير الربّان هرمزد) وفي سنة 1869 ذهب إلى روما لدراسة الفلسفة واللاهوت في كلية (البروبغندة) وتعلّم لغات عديدة كالإيطالية والفرنسية. سيم كاهناً عام 1989، ثم عاد في نفس العام إلى وطنه وديره، فانتخب رئيساً للرهبانية لدى الكرسي الرسولي. ثم انتخب للرئاسة العامة مرة أخرى وهو في روما. ثم عاد إلى ديره في العراق مواصلاً خدماته الكنيسية باحثاً ومؤلفاً

ومعمّراً الأديرة الكلدانية. وكتابة تأملات روحية، ونشر وتاريخ الديانة اليزيدية (ونقله من الكلدانية إلى الإيطالية) طبع سنة 1900. كما قام بمراجعة وتنسيق كتاب الفرض الكلداني (الحوذرا) الذي بقي مخطوطاً.

43 ـ مجدي منصور قاشا (1941 ـ . . .)

ولد في باخديدا يوم 22 حزيران 1941 وأنهى دراسته الابتدائية في مسقط رأسه ثم انتقل إلى الموصل حيث أكمل دراسته المتوسطة والإعدادية عام 1962، وقصد بغداد حيث دخل معهد الطب العالي وتخرّج بعد أربع سنوات بدرجة معاون طبيب، فتعيّن في عدّة مستوصفات ريفية ثم في مستشفى الموصل الجمهوري. ولمكانته في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي تعيّن مسؤولاً في عدّة مناطق بشمال العراق.

عام 1980 (آب) انتخب عضواً في المجلس الوطني الذي قضى فيه أربع سنوات ومن بعدها تفرّغ لخدمة مسقط رأسه والمنطقة عامة حتى تقاعده عام 1990.

يمتاز السيد مجدي قاشا بدماثة أخلاقه وتواضعه وخدمته لبني جلدته وارثاً ذلك عن أجداده الصيد المشهورين بخدمتهم الجليلة.

44 ـ بسّام فرج (1943 ـ . . .)

فنان كاريكاتير، ولد في بغداد. نال الدبلوم من معهد الصحافة العالمي في بودابست. مارس فن ورسم الكاريكاتير في الصحافة منذ عام 1964، ولا سيما في صحافة الأطفال. اشترك في المعرض العالمي للكاريكاتير من أجل السلام والحرية في موسكو سنة 1973، وفي مهرجان السنتين للدعاية والهزل الذي عقد في بلغاريا سنة 1975. وساهم مع فنان الكاريكاتير مؤيد نعمة في رسم وتصميم الفيلم الكارتوني (لعبة كرة القدم الأمريكية) وهو من إنتاج مؤسسة السينما والمسرح حيث حاز على الجائزة التقديرية في مهرجان فلسطين الثاني.

45 ـ المطران توما ريّس (1898 ـ 1965)

باحث لاهوتي. ولد في أرادن، وتلقّى دروسه اللاهوتية في المعاهد الدينية. طبع مجموعة من الكتب الطقسية من أهمها: (الكنز الثمين) في بغداد. وله أيضاً (سُبُلتا) كتاب في تعلّم اللغة الكلدانية مطبوع بالكلدانية، طبعه سنة 1945 في بغداد. وبالكلدانية أيضاً طبع كتاباً بعنوان (خدمة القداس الكلداني) لم يظهر عليه تاريخ. وله (الفرض الإلٰهي) وهو كتاب يجمع صلاة الرمش وبركة القربان الأقدس، مكتوب بالكلدانية ومطبوع بالحروف العربية في بغداد ولم يثبت عليه تاريخ الطبع.

46 ـ جبرائيل حنوش (1850 ـ 1923)

كاتب ولد في البصرة، واستقرّ في بغداد. اشتغل في التجارة. راسل الأدباء والمفكّرين في الشام. وأنشأ في بيته ندوة ثقافية. من مؤلفاته: علم الفلك بيروت 1875 ومختصر المستفاد من تاريخ بغداد هو خطي.

47 ـ فاضل كرومي (1922 ـ . . .)

باحث ومترجم، ولد في البصرة، طبع من كتبه: (فاتح العالم الجديد) مشترك، طبعه في لبنان سنة 1949. و(مشاهدات هلتن أوسلر) وقد طبع غفلاً من اسم المؤلف 1961 على رواية كوركيس عوّاد في معجم المؤلفين العراقيين. إضافة إلى مقالات عديدة في مجلة (المسرّة) اللبنانية.

48 ـ الدكتور كريم متي (1921 ـ . . .)

دكتوراه فلسفة درس بجامعة بغداد. اشترك بمؤتمرات علمية كثيرة. حاضر في نواد اجتماعية، طبع من كتبه: (المدخل إلى الفلسفة الحديثة) تأليف الدكتور سي. (أم جود) ترجمة 1950، و(الفلسفة اليونانية في عصورها الأولى) 1966، و(طبيعة الميتافيزقيا) ترجمة 1968. وهو من مواليد بلدة بعشيقة.

49 ـ هاشم سمرجي (1939 ـ . . .)

فنان أبدع في فن (الملصق) ولد في الموصل. درس الفن أكاديمياً بين

بغداد ولشبونة. عرض إنتاجه الفني في بغداد ودول عديدة أوروبية وشرقية. عمل في المجال الطباعي، ومصححاً في وزارة الثقافة والاعلام. وطوّر تصاميم أغلفة الكتب الأدبية والشعرية ويعدّ من روّاد الملصق في العراق.

50 ـ القس يوسف ككي (1913 ـ 1979)

ولد في قره قوش. تخرّج في معهد مار يوحنا الحبيب الموصل سنة 1939 وسيم كاهناً بوضع يد المطران جرجس دلال وعيّن كاهناً في كنيسة سنجار. رحل إلى الأردن 1954 وعمل في كنائسها. ثم عمل في كنيسة البصرة عام 1956. ثم عُيّن رئيساً لكهنة قره قوش سنة 1961. كتب العديد من المقالات الاجتماعية في دوريات محلية وعربية كنشرة الأحد ومجلة الفداء ومجلة المسرّة والنشرة السريانية الحلبية. ومن مؤلفاته المطبوعة: (قلب مريم الحنون) و(عربون الوفاء لأمنا مريم العذراء) و(خواطر باسكال).

51 ـ العقيد يونان يوسف قاشا (1942 ـ 2003)

ولد في قره قوش، وأكمل دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، وانتقل إلى الموصل حيث أنهى دراسته المتوسطة في كلية الموصل، وقبل إنهائه الدراسة الإعدادية دخل دورة ضباط الاحتياط صنف المدفعية عام 1969، وارتقى الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة العقيد في الجيش العراقي.

ساهم في حرب تشرين عام 1973 على جبهة سورية، وفي الحرب العراقية الإيرانية التي على أثرها أُحيل إلى التقاعد عام 2001م.

انتقل إلى جوار ربه في أوائل شهر أيار 2003م.

52 ـ يوسف رزق الله غنيمة (1885 ـ 1950)

ولد في بغداد، أنهى دروسه عام 1906، وأسس له محلاّ تجارياً. وفي عام 1909 اشترك في إصدار جريدة (صدى بابل) وفي عام 1919 أسس مع جماعة من رفاقه مكتبة السلام. وهي نواة المكتبة الوطنية حالياً. وفي عام 1923 عُيّن مُحَاضِراً لتدريس مادة تاريخ مدن العراق في دار المعلمين العالية.

وفي عام 1925 انتخب نائباً عن محافظة بغداد. وفي عام 1928 عيّن وزيراً للمالية، وتكرر استيزاره للمالية أكثر من مرة. وفي عام 1941 عيّن مديراً عاماً للآثار القديمة. وفي عام 1944 عيّن وزيراً للتموين وفي عام 1945 عيّن عضواً في مجلس الأعيان. تعلم التركية والفرنسية والإنكليزية والكلدانية. أسس جريدة السياسة سنة 1925. وكتب في مجلة «المشرق» اللبنانية في عام 1904، بحثه الأول بعنوان (براهمة الهنود) وهو مترجم. واستمر ينشر فيها، كما نشر في مجلة (لغة العرب) للكرملي والمقتطف المصرية. من مؤلفاته المطبوعة: رسالة برديصان والبرديصانية (1920) وتجارة العراق قديماً وحديثاً (1922) ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (1924) ومحاضرات في مدن العراق (1924) وكان قاصّاً وروائياً. نشر قصة بعنوان (الأوهام) سنة 1910 في مجلة (خردلة العلوم) وكتب رواية (غادة بابل) نشر فصولها في مجلة (لغة العرب) 1927 ـ 1928. توفي في لندن عام 1950 ونقل جثمانه إلى بغداد.

53 ـ يوسف أمين قصير (1920 ـ . . .)

شاعر، كاتب، ولد في الموصل وفيها أكمل دراسته الأولية ثم تخرّج في دار المعلمين العالية ببغداد. مارس التدريس في الموصل والسليمانية والعمارة، من كتبه المطبوعة (شرح النصوص الأدبية) 1946، و(في أعاصير الشباب) شعر 1948، و(عامر وأسماء) مسرحية شعرية 1954، و(السرّي الرفّاء) 1956 و(صدى الأعاصير) شعر 1958، و(رقصات الخريف) شعر، و(حكايات فلسفية).

54 ـ العميد فرج يوسف قاشا (1952 ـ 1995)

ولد في قره قوش مركز قضاء الحمدانية. وأكمل دراسته الابتدائية في مدرسة مسقط رأسه، ثم أكمل دراسته المتوسطة والإعدادية في الموصل. ولمّا كان أحد المتفوّقين في دفعته دخل جامعة الموصل كلية الطب أولاً، وبعد عام انتقل إلى كلية الهندسة، وبعد خمس سنوات تخرّج مهندساً مدنياً، على إثره انتمى إلى صفوف الجيش العراقي صنف الهندسة حيث أُرسل ببعثة دراسية

وتدريبية في هندسة الطائرات إلى باريس عاصمة فرنسا، وبعد تخرجه عاد إلى العراق حيث عاد إلى وطنه برتبة نقيب في الجيش العراقي، مساهماً في جميع فعاليات الجيش العسكرية حتى وصل إلى رتبة «العميد» آمراً لإحدى قواعد الدفاع الجوي القاطع الثاني العسكرية للقوة الجوية.

انتقل إلى جوار ربه عام 1995 بشهر أيار، وشيّع إلى مسقط رأسه بموكب مهيب، تاركاً وراءه ابناً وابنة، ومخلّفاً في قلوب أهله ومعارفه الأحزان والحسرات.

55 ـ نضير نعوم مطلوب (1914 ـ . . .)

طبيب متأدب، باحث، من مشاهير أطباء وجرّاحي العظام، يعنى بتعريب الطب. ولد في الموصل، تخرّج في كلية الطب. وحاصل على ماجستير في الجراحة العامة سنة 1947، وعلى ماجستير جراحة العظام والكسور من جامعة ليفربول بإنكلترا سنة 1963. مارس التدريس في قسم الجراحة بكلية الطب في جامعة بغداد. وأشرف على أطروحات طلاب الدراسات العليا في كلية الطب 1975 ـ 1977. وأحيل على التقاعد سنة 1978، وتفرّغ لاستشارة جراحة العظام في عنايته الخاصة، أسهم ببحث عن خطة للإسعاف الفوري في حالة الطوارىء بمدينة بغداد سنة 1988، كما أسهم ببحوث عديدة في مؤتمرات طبية. وكان يدعو إلى تعريب الطب وتدريسه في البلاد العربية باللغة العربية. كما نشر بحوثه في مجلة كلية الطب كبحثه عن الجراح العربي أبو القاسم الزهراوي وبحثه عن مرض تدرّن الفقرات في العراق. وطبع من مؤلفاته (آلام الرقبة والظهر وعرق النسا) مصدر عن وزارة الثقافة والاعلام سنة 1988 كما ترجم عن الإنكليزية كتاباً منهجياً في الجراحة وصدر عن وزارة التعليم العالي سنة 1987.

56 ـ رياض حازم متي شابو السناطي (1963 ـ . . .)

ولد في بغداد يوم 22 تشرين الثاني 1963. أكمل دراسته الابتدائية

والمتوسطة والثانوية في الحبانية، ومنها دخل الكلية العسكرية عام 1982 وتخرّج عام 1984 واستمر منذ عام 1985 في الخدمة بجبهات القتال (الحرب العراقية الإيرانية) بمنصب آمر سرية. وفي عام 1987 نقل خدماته إلى الحرس الجمهوري بمنصب مساعد آمر فوج مشاة، وأحيل على التقاعد عام 1992 بعد أن حصل على ثلاثة أنواط شجاعة.

تقدّم لتحصيل علومه العسكرية في الكلية العسكرية ورشّح للقبول فيها بعد أن حاز المرتبة الأولى على دفعته للدوام في كلية سان هيرست البريطانية، إلا أن الوساطة لعبت دورها وألغي ترشيحه وترشّح بدله أقارب صدام حسين وغيرهم. وأكمل الفحص الطبي للطيران ونجح بجميع الفحوصات، إلا أنه لم يقبل لكونه مسيحي فاختار هندسة الطائرات إلا أنه لم يقبل أيضاً، وعندئذٍ حولوه إلى الكلية العسكرية. ويقيم اليوم في لبنان/ بيروت[1].

57 ـ الأب لويس قصاب (1935 ـ . . .)

ولد في قره قوش في 6 تشرين الأول 1935 وتثقّف في مدرسة البلدة حتى دخل دير مار بهنام الشهيد عام 1947 حيث واظب على تحصيل العلوم التي واصلها في إكليريكية مار يوحنا الحبيب الكهنوتي التي دخلها عام 1951. سيم كاهناً يوم 5 حزيران 1960 بوضع يد المطران عمانوئيل بني. وتعيّن كاهناً لرعية الظاهرة في قره قوش منذ عام 1960، ثم انتخب رئيساً لكهنة قره قوش عام 1968 حتى العام 1981 حيث نقل إلى خورنة البصرة. وفي العام ذاته انتقل في خدمة كنيسة بغداد التي غادرها في العام 1990 حيث تعيّن في خدمة كنيسة عمّان عاصمة الأردن ومكث فيها حتى العام 1997 وعاد إلى مسقط رأسه في قره قوش.

---

(1) أفاد لي شخصياً حينما نجح بكل الفحوصات ذهب هو ووالده إلى قائد القوة الجوية الفريق حميد شعبان ليبشّروه بالنجاح، فقال لوالده إنه مستعد أن يُدخله إلى أي كلّية عدا كلية القوة الجوية.

نشر العديد من الكتب المترجمة من الفرنسية إلى العربية ومن أهمها تاريخ آداب اللغة السريانية للعلّامة روبنس روفال. وله العشرات من المقالات الأدبية التي نشرها في المجلات العراقية والعربية[1].

58 ـ الخور أسقف فرنسيس جحولا (1962 ـ . . .)

ولد في قره قوش عام 1937، وتلقّى في مدرستها علومه الابتدائية ثم قصد دير مار بهنام، ثم أكمل دراسته في معهد مار يوحنا الحبيب الذي دخله عام 1951، وبعد إحدى عشرة سنة سيم كاهناً بوضع يد المطران عمانوئيل بني يوم 10 حزيران 1962، وتعيّن معاوناً لرئيس دير مار بهنام الخور أسقف أفرام عبدال ومن بعده الخور أسقف بطرس شيتو. رقاه البطريرك أنطون الثاني حايك إلى رتبة بطرس شيتو. رقّاه البطريرك أنطوان الثاني حايك إلى رتبة الخورفسقفوس في 8 كانون الأول 1984 وتولّى رئاسة الدير المذكور منذ العام 1984 وما زال قائماً بمهامه خير قيام[2].

59 ـ يعقوب أفرام منصور (1926 ـ . . .)

كاتب وصحفي، أبصر النور في البصرة عام 1926. تلقّى دروسه الابتدائية فيها، كذلك المتوسطة. ثم قصد الموصل في نهاية 1940 برفقة والديه حيث تعيّن بوظيفة محاسب في المصرف العثماني آنذاك، وعاد إلى البصرة في عام 1945 وأتمّ فيها دراسته الإعدادية (الفرع الأدبي) فتعيّن بوظيفة كتابية لدى مؤسسة تقوم بتموين الطائرات العالمية بالمحروقات. وتدرّج بالمناصب حتى منصب معاون فوكيل مدير تعبئة الطائرات بالوقود العائدة إلى مصلحة توزيع المنتجات النفطية العائدة إلى وزارة النفط، ومنها تقاعد يوم 7 نيسان 1979م.

له اهتمامات منوّعة في الموسيقى والمطالعة والتأليف فكتب وترجم

---

(1) راجع كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل ص 126 ـ 127.
(2) المصدر السابق، ص 328.

ونشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات العراقية والعربية. ومن أهم مؤلفاته: (التائه) لجبران خليل جبران الذي ترجمه من الإنكليزية. كما وترجم كتاب رحلة زينيفون تحت عنوان (حملة العشرة آلاف) 1985، وكتاب (جبران) 1985[1].

60 ـ المحامي نوئيل رسام (1910 ـ 1990)

كاتب وأديب ومسرحي. ولد بالموصل ودرس فيها. أنهى دراسته في كلية الحقوق عام 1934، ومارس التعليم والمحاماة واشترك في تأسيس بعض الجمعيات الإنسانية، ساهم في الأحداث السياسية التي عاصرها، واشتغل بالصحافة كما وانتخب رئيساً للجمعية الخيرية للسريان الكاثوليك بالموصل. ومن جرّاء نشاطاته السياسية فقد تعرّض للاعتقال والسجن مرات عديدة.

رشّح رسام نفسه للانتخاب النيابية كقومي مستقل أكثر من مرة في الموصل ولكنه لم يكن يحصل على أكثرية الأصوات في القرى والأرياف المحيطة بمدينته الموصل التي كان يفوز فيها بأغلبية الأصوات، بسبب تدخّل الحكومة وتأثيرها الفعّال هناك.

في 28 آب 1959 انتخب رسّام عضواً في مجلس نقابة المحامين العراقية وتكرر انتخابه فيها عدة مرات. وفي سنة 1969 اشترك في تأسيس أول جمعية لحقوق الإنسان في العراق وظل ينتخب سنوياً عضواً في الهيئة الإدارية حتى سنة 1975.

كتب عدّة مسرحيات حول القضية الفلسطينية، منها:

1 ـ هذا بطل في قيليقية.

2 ـ النار النار (عن حريق المسجد الأقصى).

3 ـ فاطمة عبد الفتاح الرجوي (الممرضة المصرية في قطاع غزّة).

---

(1) كتب لي ترجمة حياته في 12 أيلول 1985.

4 ـ موت وحياة.

5 ـ النقيب شادية أبو غزالة.

6 ـ مهانيا أو حبّ في الأهوار (من الواقع العراقي).

7 ـ مسرحية سرحان بشارة سرحان التي عرضتها فرقة اتحاد الفنانين على مسرح بغداد من 30 تشرين الثاني لغاية 5 كانون الأول 1969، برعاية وزارة الثقافة والاعلام(1).

61 ـ الدكتور يوسف جرجيس ألطوني (1950 ـ . . .)

ولد في قره قوش، وتدرّج في تحصيله العلمي من الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مسقط رأسه والموصل. ثم أكمل دراسته العليا في كلية الآداب جامعة بغداد، وتخرج منها بشهادة البكالوريوس/ تاريخ. ونال الماجستير عام 1983 بأطروحته التي بعنوان «التنظيمات التجارية في بلاد الشام بين الغزوين المغولي والتيموري». ثم نال الدكتوراه عام 1991 بأطروحته التي بعنوان «جهود العراقيين في الشام ومصر بين الغزوين المغولي والتيموري».

أنجز ونشر أكثر من عشرين بحثاً في تاريخ منطقة الموصل ويعمل حالياً مدرساً في مركز حداثات الموصل، جامعة الموصل(2).

62 ـ الأب الدكتور بهنام سوني (1941 ـ . . .)

ولد في قره قوش سنة 1941. تلقّى دروسه الابتدائية في بلدته، ثم قصد سنة 1954 إكليريكية مار يوحنا الحبيب للآباء الدومنيكيين في الموصل، حيث أكبّ على تحصيل علومه الدينية حتى 12 حزيران 1966 فرسمه المطران عمانوئيل بني كاهناً في كنيسة الطاهرة بالموصل وعيّنه مديراً لتلامذة دير بهنام الشهيد. وفي عام 1968 تعيّن كاهناً لرعية سنجار وبعد سنتين عاد إلى مسقط

---

(1) كتب لي ترجمته بيده في أيلول 1980.

(2) قصاب وعطا الله، حضارتنا تجدد وإبداع ص 21 ـ 22.

رأسه. وفي عام 1971 دعاه البطريرك أنطون جايك للعناية بمخطوطات دير الشرقة التي وضع لها فهرساً كاملاً طبعه ونشره عام 1993. وفي عام 1972 قصد روما للتخصص في دراسة الآباء وحاز على شهادة الدكتوراه عام 1979 بأطروحة بعنوان مار يعقوب السروجي. وله مقالات عدّة نشرها في صحف محلية وعربية مع عدد من الكتب التي تخصّ موضوع أطروحته في بيروت[1].

63 ـ الدكتور عبد الله شميس (1951 ـ . . .)

ولد في قره قوش، أكمل دراسته الابتدائية وكذلك الثانوية (1970 ـ 1971) نال شهادة بكالوريوس/ فيزياء من كلية العلوم في جامعة الموصل. ونال الماجستير عام 1982 والدكتوراه عام 1986 من جامعة يَنَّا بألمانيا الشرقية. اشترك في العديد من المؤتمرات بهنكاريا (1984) وجامعة الموصل (1988) وجامعة أربيل (1989).

أطروحة الماجستير تحمل عنوان:

Beres chnuugdar schwingung vou zwei gekoppelten Linearen Keheu.

وأطروحة الدكتوراه:

Zur theorie der Biphououeu in Linearn Systewem[2]

64 ـ الدكتور خليل ككي (1945 ـ . . .)

ولد في قره قوش، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مسقط رأسه. نال شهادة البكالوريوس من كلية الهندسة/ جامعة بغداد (1976) والدكتوراه من جامعة اسكس في المملكة المتحدة عام (1978) والدكتوراه وكان عنوان الماجستير (تصميم مسيطر التغذية الأمامية لقرن إعادة التسخين).

---

(1) كتابنا، تاريخ أبرشية الموصل، ص 234 ـ 235.

(2) قصاب وعطا الله، المصدر نفسه، ص 9 ـ 10.

والدكتوراه (تصميم ذاكرة إضافية لتوسيع ذاكرة الحاسبة الإلكترونية). شارك في العديد من المؤتمرات العلمية داخل العراق والأردن وليبيا ونيوزلندا واليابان.

أشرف على العديد من رسائل الماجستير في الهندسة الكهربائية وعلوم الحاسبات في جامعة الموصل، إضافة إلى العديد من البحوث المنشورة في الدوريات المحلية والدولية.

يقيم حالياً في نيوزيلندا/ أوكلاند بدرجة أستاذ[1].

65 ـ الدكتور كميل متي حداد (1956 ـ . . .)

ولد في قره قوش، أكمل دروسه الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مسقط رأسه. نال شهادة البكالوريوس بعلوم الحياة عام 1979. أكمل دراسته الجامعية فنال شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة اسكس (إنكلترا) عام 1990.

حضر واشترك في عدّة مؤتمرات. منها: مؤتمر كلية الطب في جامعة تكريت، ومؤتمر علوم الحياة في جامعة تكريت. ومن أعماله المنجزة أربعة بحوث منشورة وعشرة بحوث مقبولة للنشر، إضافة إلى الإشراف على طلبة الدراسات العليا[2].

66 ـ الدكتور ميخائيل جحولا (1953 ـ . . .)

ولد في قره قوش عام 1953. أكمل دراسته الأولية في مسقط رأسه، دخل كلية العلوم، قسم الفيزياء، جامعة الموصل ونال منها البكالوريوس. قصد بريطانيا وأكمل دراسته فيها فنال الماجستير من جامعة بوست (1988) والدكتوراه من جامعة ليستر (1991) بمادة فيزياء الحالة الصلبة. شارك بثلاثة مؤتمرات علمية في بريطانيا، إضافة إلى عدّة بحوث منجزة منها:

---

(1) قصاب وعطا الله، المصدر نفسه، ص 11 ـ 12.

(2) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 13 ـ 14.

1 ـ الخواص الضوئية والكهربائية للأغشية الرقيقة الغير بلورية لسبائك أرسنايد الكاليوم.

2 ـ دراسة بنية السبيكة الغير بلورية للأغشية a- GaAsp.

3 ـ دراسة بنية سبيكة أرستايد الكاليوم الغير بلورية.

4 ـ سلوك الحاملات الحرة كسبيكة النيكل سليكون.

5 ـ الاعتماد الحراري للتوصيلة الكهربائية لبولي فينايل بيوترال.

6 ـ التوصيل الكهربائي لبولي داي استلين.

7 ـ الخواص الكهربائية لترانسستور تأثير المجال A. GAAIAS.

8 ـ الخواص الضوئية لبولي فينايل بيوترال.

يعمل الآن كأستاذ مساعد في قسم الفيزياء بكلية التربية/ جامعة الموصل(1).

67 ـ الدكتور نجيب منصور قاشا (1957 ـ . . .)

ولد في قره قوش. أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مسقط رأسه. نال شهادة البكالوريوس من قسم الفيزياء بكلية التربية جامعة الموصل. نال شهادة الماجستير من جامعة أوديسا في أوكرانيا (1988) وشهادة الدكتوراه من ذات الجامعة عام 1991. شارك في عدة مؤتمرات عملية في روسيا.

يعمل اليوم في جامعة ليبيا حيث يقيم في مدينة الزاوية الغربية. وشارك في إلقاء المحاضرات في المجالات الدينية مع نشاطات اجتماعية ضمن أخوية المحبة(2).

---

(1) قصاب عطا الله، نفس المصدر، ص17 ـ 18.

(2) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 17 ـ 18.

68 ـ الدكتور عبد المسيح قريو (1959 ـ . . .)

ولد في قره قوش، أكمل دراسته الابتدائية في بغداد، والمتوسطة في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل، والإعدادية في الإعدادية الشرقية بالموصل أيضاً. انتمى إلى جامعة بغداد وحاز على شهادة البكالوريوس عام 1981. وحاز على الماجستير (البناء الصناعي والمدني) عام 1986 من معهد ألما آتا في جمهورية كازخستان. والدكتوراه (هندسة مدنية) إنشاءات، من معهد كييف سنة 1991.

شارك في مؤتمرات علمية عديدة، كما وأنجز العديد من البحوث والمقالات نشر قسماً منها في المجلات المحلية. وعمل محاضراً خارجياً في الجامعة المستنصرية للعام الدراسي 1992 ـ 1993 بكلية الهندسة، وهو حاصل على براءة اختراع عن نظام أنابيب معلق متعدد الفضاءات مسجلة في الاتحاد السوفيتي سابقاً[1].

69 ـ الدكتور يوسف خضر دعبول (1955 ـ . . .)

ولد في قره قوش. أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مسقط رأسه. انتمى إلى كلية الهندسة في جامعة الموصل ونال منها شهادة البكالوريوس، وكذلك شهادة الماجستير (1981) والدكتوراه من جامعة صوفيا في بلغاريا (1992).

من مؤلفاته: دالة حاسية الدائرة الكهربائية بالصورة الرمزية ـ صبغة الأرقام التركيبية (1988).

حضر وشارك وقائع المؤتمر الهندسي العراقي الثاني لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. وكذلك في مؤتمر الإنسان الآلي من قبل الجامعة التكنولوجية.

---

(1) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 19 ـ 20.

له أعمال منجزة في حقل الأجهزة الكهربائية عندما كان مدرّس مساعد في الجامعة التكنولوجية.

يعمل حالياً كمدرّس في جامعة قار يونس في ليبيا[1] بدرجة أستاذ.

70 ـ الدكتور لؤي جحولا (1959 ـ . . .)

ولد في قره قوش. أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في مسقط رأسه، والإعدادية في الموصل. أما شهادة البكالوريوس من كلية العلوم، جامعة الموصل. أما شهادة الماجستير فنالها من جامعة طشقند قسم الفيزياء (1988 ـ 1989) وشهادة الدكتوراه من جامعة موسكو (1991 ـ 1992) وكانت أطروحته بعنوان (الفيزياء النووية والذرية والجزئيات الدقيقة). يعمل حالياً كمدرّس في المدرسة العراقية في موسكو[2].

71 ـ الدكتور رياض حبش (1958 ـ . . .)

ولد في قره قوش. تلقّى علومه الابتدائية والمتوسطة في مسقط رأسه، والإعدادية في الموصل. نال البكالوريوس: هندسة من كلية الهندسة جامعة الموصل. وحاز على الماجستير من ذات الكلية والجامعة، أما شهادة الدكتوراه فحصل عليها من معهد تاتا (الهند) بأطروحة عنوانها «التأثيرات الوراثية للموجات الدقيقة».

شارك في المؤتمرات المنعقدة في الدول التالية: اليابان، ماليزيا، أستراليا، كندا. علماً أن عنوان أطروحة الماجستير «التأثيرات الحيوية للموجات الكهرومغناطيسية». ويعمل حالياً في ميكللي بفنلنده، بدرجة أستاذ مساعد[3].

---

(1) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 23 ـ 24.
(2) المصدر نفسه، ص 5 ـ 26.
(3) المصدر نفسه، ص 5 ـ 26.

72 ـ الدكتور شيت يوسف حنو (1957 ـ . . .)

ولد في قره قوش. أكمل دروسه الابتدائية والمتوسطة والإعدادية. حصل على البكالوريوس من كلية الهندسة في جامعة الموصل، ثم نال منها الماجستير. أما شهادة الدكتوراه فقد نالها من جامعة بنكالور في الهند بأطروحة عنوانها «هندسة المدائن» وأطروحة الماجستير عنوانها «الطرد المركزي الميكانيكي». يعمل حالياً في كلية الهندسة في جامعة هون في ليبيا بدرجة مدرس[1].

73 ـ الدكتور باسم إيليا بلّو (1957 ـ . . .)

ولد في قره قوش. تلقّى دروسه الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مسقط رأسه. أكمل دروسه العليا في كلية التربية في جامعة الموصل، فنال منها البكالوريوس بقسم الجغرافية. وحاز على الماجستير بأطروحة عنوانها «إعداد نظام معلومات جغرافي لاستعمالات الأرض» ثم على شهادة الدكتوراه وعنوانها «الاستخدام الأمثل لاستعمالات الأرض الزراعية في مشروع ري الجزيرة الشمالي» (ربيعة).

من أعماله المنجزة كبحوث أكاديمية:

1 ـ نظم المعلومات الجغرافية تطورها واتجاهاتها المستعملة.

2 ـ أثر واقع السياسة الزراعية على الإنتاج الزراعي في محافظة نينوى.

3 ـ أثر المناخ المعدّل على كلفة إنتاج الدواجن في قضاء الحمدانية.

4 ـ أثر العامل المناخي على إنتاجية محاصيل الحبوب في قضاء الحمدانية/ النمو الطبيعي لسكان مدينة قره قوش.

5 ـ تلوّث مياه نهر دجلة في مدينة الموصل.

---

(1) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 29 ـ 30.

6 ـ أثر العامل الجغرافي على النقد الزراعي لمحصول الحنطة والشعير في قضاء الحمدانية.

7 ـ النمو الطبيعي لسكان مدينة قره قوش.

8 ـ الإمكانيات الجغرافية في قره قوش.

يعمل حالياً كمدرس في جامعة الموصل بكلية التربية قسم الجغرافيا.

74 ـ الدكتور متي عبو كَرَش (1954 ـ . . .)

ولد في قره قوش. أكمل دروسه الأولية في مسقط رأسه. حاز على شهادة البكالوريوس من أكاديمية الفنون الجميلة (1979) والماجستير من كلية الفنون الجميلة (1987) والدكتوراه أيضاً (1996) بأطروحة عن تقنيات الكاميرا التلفزيونية. علماً أن أطروحة الماجستير كانت عن دور التلفزيون في التنمية الوطنية والقومية في العراق من 1973 ـ 1985.

من أعماله المنجزة (البحوث):

1 ـ تقنيات استخدام الكاميرا التلفزيونية المحمولة.

2 ـ أهمية استخدام الموسيقى التصويرية في الفيلم الوثائقي.

يعمل حالياً في كلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد قسم السمعية والمرئية بدرجة أستاذ مساعد.

75 ـ الدكتور بهنام عبو عطا الله (1956 ـ . . .)

ولد في قره قوش. وأكمل فيها دراساته الأولية. انتمى إلى كلية التربية قسم الجغرافية في جامعة الموصل، ونال منها على البكالوريوس عام 1979 والماجستير في علم الخرائط (1989) والدكتوراه بعلم الخرائط أيضاً (1999) وعنوان أطروحة الماجستير «مشكلات إدراك الرموز الحجمية في الخرائط الموضوعية». وعنوان أطروحة الدكتوراه «الترميز الملائم لخرائط استخدمت الأراضي الزراعية للعراق بالمقاييس المختلفة».

من مؤلفاته المنشورة:

1 ـ فصول المكائد: مجموعة شعرية، الموصل 1999.

2 ـ إشارات تفكيك قلق الأمكنة، مجموعة شعرية الموصل 2000.

3 ـ مبادىء إعداد الخرائط، كتاب منهجي، الموصل 2001.

اشترك في العديد من المؤتمرات ببحوث نشرها في الصحف والمجلات العراقية. ويعمل حالياً مدرساً لمادة الجغرافية وعلم الخرائط (معهد إعداد المعلمين) في محافظة نينوى، قسم العلوم الاجتماعية[1].

76 ـ الدكتور بشار خضر قاشا (1966 ـ . . .)

ولد في قره قوش. وتلقّى فيها دروسه الأولية، انتمى إلى كلية العلوم بجامعة بغداد قسم الجيولوجي. ونال منها شهادة البكالوريوس، وشهادة الماجستير (1992) بأطروحة عنوانها «الصفات الجيوتكنيكية والتصميم المنجمي تحت الطمي لصخور الكاؤلين في مخيم دويخلة ـ الصحراء الغربية العراق». وشهادة الدكتوراه بأطروحة عنوانها «التقويم الجيوتكنيكي لصخور بوكسايت الفوسفات شمال الحسينيات الصحراء الغربية العراق.

حضر عدداً من الندوات والمؤتمرات في العراق والأردن وليبيا. ونشر عدداً من المقالات والبحوث في مجلات محلية ويعمل حالياً مدرساً في قسم المساحة بالمعهد الفني بجامعة الموصل[2].

77 ـ الدكتور ألويس عبوش هدايا (1955 ـ . . .)

ولد في قره قوش. أكمل فيها دروسه الأولية، وانتمى إلى كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة الموصل. وحصل منها على شهادة البكالوريوس. وحصل على شهادة الماجستير بأطروحة عنوانها «العوامل المؤثرة على استهلاك

(1) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 39 ـ 41.

(2) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 44 ـ 46.

المحاصيل الخضرية في أقطار مجلس التعاون العربي» للفترة (1970 ـ 1985). كما ونال شهادة الدكتوراه بأطروحة عنوانها «أثر المحاور الإقليمية على مستقبل الاقتصاد العربي» من كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة المستنصرية.

نشر العديد من أعماله المنجزة كبحوث أكاديمية، منها:

1 ـ القديس توما الأكويني بين الفلسفة واللاهوت والنظام الإقطاعي (مجلة العلوم الاجتماعية ـ جامعة تكريت).

2 ـ الفاتيكان وقضايا السكان والتنمية (مجلة العلوم الاجتماعية).

3 ـ الاتحاد الأوروبي وانعكاساته على التجارة الخارجية الإسرائيلية (مجلة كلية الإدارة والاقتصاد ـ جامعة بغداد).

4 ـ اتفاقية منظّمة التجارة العالمية وأثرها على الاقتصادات العربية (مجلة العلوم الزراعية ـ جامعة تكريت).

يعمل حالياً كأستاذ مساعد في جامعة تكريت/ كلية الإدارة والاقتصاد[1].

78 ـ الدكتور أسامة سعد الله قصاب (1969 ـ . . .)

ولد في قره قوش، أكمل فيها دورسه الابتدائية والمتوسطة والإعدادية. انتمى إلى كلية الطب بجامعة الموصل، ونال منها على بكالوريوس طب عام (1992) ثم على الماجستير والدكتوراه بأطروحة عنوانها «اختصاص في طب الأطفال» (بورد عربي) عام 1999.

يعمل اليوم في مسقط رأسه بعيادة طبية ناجحة[2].

(1) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 42 ـ 43.

(2) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 51 ـ 148.

79 ـ الدكتور حنا سليم شماس (1925 ـ 1998)

ولد في الموصل سنة 1925، وأكمل دراسته الثانوية فيها، في ذلك الوقت كانت الفروع في الدراسة الثانوية في الأدبي الطبيعيات والرياضيات. نال المرتبة الأولى لفرع الطبيعيات في مدينة الموصل في عام 1941. دخل الكلية الطبية الملكية في بغداد وتخرّج سنة 1947. التحق بالخدمة العسكرية واشترك في حرب فلسطين عام 1948.

عُيّن طبيباً في الديوانية وبعدها في السماوة حيث كان ممثلاً عن منظمة الصحة العالمية World Health organization (W.H.O) هناك كانت السماوة قضاء تابع للواء الديوانية وكان ينسب بين الحين والآخر إلى طبابة سجن نكرة السلمان (نقرة السلمان) لفحص المسجونين هناك، وعرف بمساعدته المشهودة لهم. بقي في السماوة حتى سنة 1957، حيث نقل إلى الديوانية كطبيب للباطنية. وفي عام 1959 أصبح مديراً لمستشفى الديوانية حيث أغلق عيادته الخاصة للتفرّغ لأمور المستشفى صباحاً ومساءً. إضافة إلى عمله كمدير، شغل منصب مفتش لجميع الأقضية والنواحي التابعة للواء الديوانية وكذلك منطقة الأهوار.

في عام 1963 أصبح رئيس صحة لواء الديوانية وحتى عام 1967 حيث نقل إلى مدينة الحلّة كرئيس صحة لمدة سنة واحدة لتحسين الأمور الإدارية هناك، عاد بعدها إلى الديوانية وبقي هناك كرئيس صحة، حتى عام 1969. نقل إلى الكوت كرئيس صحة أيضاً لمدة سنة واحدة. عرف عنه بالالتزام، النظام، الحرص، وعلاقته الطيبة بالأطباء وكافة الموظفين، مما جعل الأمور تسير سهلة ومنظمة، وعلى درجة عالية من التفاهم والتآلف.

عمل في بغداد مديراً للعيادة المركزية في الدهاليك وذلك في عام 1970، بعدها نقل إلى مديرية التفتيش العامة ليعمل هناك من 1971 وحتى طلبه للتقاعد سنة 1986 لبلوغه السن القانونية، إضافة إلى عمله كمفتش في

تلك الفترة شغل مناصب عديدة. منها: رئيس صحة ديالي، نائب رئيس مؤسسة مدينة الطب، مديراً لمستشفى الكرامة، ومديراً لمستشفى الرشاد.

بعد التقاعد طلبت منه نقابة الأطباء العراقية أن يعمل لديهم بعقد لتفتيش العيادات الطبية الخاصة، إضافة إلى ترأسه العديد من اللجان التحقيقية التي تخصّ وزارة الصحة والنقابة.

في عام 1988 كلّف بشكل شخصي من قبل مستشار وزارة الصحة في ديوان الرئاسة بدراسة كافة القوانين والأنظمة التي تخصّ الوزارة وإعداد ورقة عمل لتطوير الأمور الإدارية فيها.

في عام 1991 ترك مزاولة المهنة نتيجة تعرّضه لحادث سيارة، وافاه الأجل في ربيع سنة 1998.

خلال مشواره الطويل في وزارة الصحة ولمدة 44 سنة حصل على العديد من كتب الشكر والتقدير تثميناً لجهوده، إخلاصه، التزامه، وامتثاله للتعليمات. وجّهت له من قبل رئاسة الديوان (ديوان رئاسة الجمهورية) وزارة الصحة، وزارة التربية، محافظة القادسية، محافظة بابل، محافظة واسط، مفتشية الصحة العامة، مديرية الخدمات الطبية ونقابة الأطباء العراقية، مديرية سجون تكره السلمان، متصرفية الديوانية المؤسسة العامة للأدوية واللجنة العليا للكوليرا.

80 ـ الأستاذ يوسف الصائغ (1933 ـ 2005)

شاعر، أديب، كاتب. ولد في مدينة الموصل، ونشأ في أسرة متدينة تهتم بالأدب والسياسة. وبعد أن أكمل دراسته الثانوية بالموصل التحق بدار المعلمين العالية وتخرّج مدرساً في الأدب العربي. ثم حصل على درجة الماجستير بمرتبة الشرف بأطروحة عنوانها «الشعر الحرّ في العراق» عمل بعد تخرجه في التدريس خمسة وعشرين عاماً، وشغل منصب مدير دائرة السينما والمسرح، كما عمل بالصحافة منذ أكثر من ربع قرن.

عضو اتحاد الأدباء والكتّاب في العراق، وجمعية الفنانين العراقيين، ونقابة الصحفيين العراقيين، واللجنة العليا لمهرجان المربد الشعري، ومهرجان بابل.

نشر العديد من دراساته في الدوريات العربية، والمجلات والصحف العراقية.

من دواوينه الشعرية:

. قصائد غير صالحة للنشر (1975).

. أعرافات مالك بن الريب (1972).

. سيدة التفاحات الربع (1976).

اعترافات (1978).

. المعلم (1985).

. قصائد يوسف الصائغ (مجموعة كاملة) 1993 من أعماله الإبداعية:

. الروايات: اللعبة (1972)، المسافة (1974).

. المسرحيات: الباب (1986)، العودة (1987) ديزايمونة (1989).

حصل على جائزة أفضل نص مسرحي في مهرجان قرطاج ووسام الاستحقاق الثقافي من رئيس جمهورية تونس.

81 ـ الدكتورة أمل رسام (. . . ـ . . .)

ابنة المحامي الشهير نوئيل رسام. أنتروبولوجية وكاتبة عراقية، ولدت ونشأت في مدينة الموصل، ثم انتقلت إلى مدينة بغداد. وقد غادرت العراق عام 1969 واستقرّت في الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة مشيغان بعلم الاجتماع الأنتروبولوجي عام 1970.

درّست في عدّة جامعات أمريكية وآخرها جامعة نيويورك أستاذة

للأنتروبولوجي، وأستاذة زائرة في عدّة جامعات في الولايات المتحدة الأمريكية بينها جامعة كاليفورنيا في بريكلي. تتفرّغ غالباً للعمل كمستشارة لمشاريع التنمية في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا الوسطى.

زارت العراق عدة مرات، آخرها عام 1985 وعهد إليها فتح قسم لعلم الأنتروبولوجي بجامعة الموصل في أواخر السبعينات ورافقناها في عدّة جولات ميدانية بقرى الشبك جنوب الموصل.

مهتمة بالشؤون العربية والشرق أوسطية. وأهم القضايا التي تتناولها في دراساتها: الهوية والعرق، الهوية العربية، الوحدة العربية، شؤون الأقليات في الشرق الأوسط، شؤون المرأة. من أهم أعمالها كتاب عنوانه:

«Peoples and cultures of the Middle East»
«Author of: «women in the Arab, World».
«Orientation Representation and Reaession».

83 ـ يوسف راجز داود بيو (1914 ـ . . .)

ولد في الموصل وفيها تلقّى دراسته الأولية، ثم أكمل دراسته في كلية الآباء اليسوعيين في بيروت (1926 ـ 1933) حيث درس العربية والفرنسية وعند عودته إلى بغداد تعلّم اللغة الإنكليزية في المدارس الأمريكية ببغداد. تقلّب في وظائف الشركات التجارية ابتداء من وظيفة محاسب فمدير حسابات وانتهاء بوظيفة مدير مفوّض، قبل أن يتفرّغ للأعمال التجارية عام 1957، إذ قادته هوايته إلى التخصص في تجارة السجاد الشرقي والتحفيات وتصليحها، ولا يزال يمارسها حتى اليوم (1993) مارس مهارات عديدة منها فكرية كنظم الشعر الفرنسي ومنها يدوية كالنحت على الخشب والرسم والصياغة وترميم التحف المعطوبة. إنه قليل الكلام كثير التفكير يعشق الموسيقى، وله فيها: علم ترجم ملحمة كلكامش إلى الفرنسية شعراً سنة 1985. وقد تناول هذه الترجمة نقّاد الأدب في فرنسا فوجدوها تفوق الترجمات النثرية العديدة روعة. كما ترجم مختارات من الشعر العربي إلى الفرنسية شعراً.

84 ـ الخوري برصوم أيوب (1932 ـ 1998)

ولد في الموصل عام 1932 ـ والتحق سنة 1946 بالإكليريكية وتخرّج فيها سنة 1953، وباشر التعليم في مدارس السريان في سوريا. ورسم كاهناً في حلب سنة 1958 لكنيسة ما أفرام، وبين سنة 1962 و1971 أشرف على دورات لتعليم اللغة السريانية، وبين سنة 1970 ـ 1975 عُيّن أستاذاً محاضراً للغة السريانية في جامعة حلب.

بالإضافة إلى المقالات والمحاضرات العديدة التي كتبها الخوري برصوم، فقد ألّف بعض الكتب وترجم غيرها، وأهمها: عبقرية مار افرام السرياني، وكتاب المواكب لجبران ترجمه إلى السريانية شعراً، والمسرح الديني، والشعر عند السريان للمطران دولباني عرّبه برصوم سنة 1970 واللغة السريانية (3 طبعات في حلب)، وحياة قداسة مار أغناطيوس زكا الأول عيواص، ورحلة إلى الفصح، وديوان شعر سمّاه الأشعة بالسريانية ويضم 72 قصيدة (طبع في هولندا سنة 1985) ومعجم المؤلفين السريان في القرن العشرين ومواعظ مار يعقوب السروجي ترجمها إلى العربية[1].

85 ـ القس يعقوب ساكا (1864 ـ 1931)

أبصر النور في برطلي القريبة من الموصل سنة 1864، وتخرّج على الخوري بطرس الكرمليسي الكلداني ورسم شماساً سنة 1906 وعلّم في مدرسة قريته وفي دير مار متى وسيم كاهناً سنة 1929 ووافته المنية في سنة 1931.

وضع القس يعقوب قصائد عديدة لا تخلو من رونق، ولكنه لم يتعدّ الأخوانيات والتهاني والمديح والرثاء. وله قصيدة في الحكمة الإلٰهية. ووقع ديوانه في زهاء 200 (مائتين) صحيفة، وقد نشره الراهب إسحاق ساكا

(1) طالع: الشماس أوكين منوفر برصوم، أدبنا السرياني الحديث، ص 175 ـ 177.

(المطران الآن) في حلب سنة 1958. كما أن القس يعقوب تميّز بخطه الأنيق وله أكثر من سبعين مخطوطة توزّعت على الكنائس السريانية في العراق.

86 ـ متفرّقات:

وهناك العديد من الشخصيات الأدبية والعلمية والعسكرية والاقتصادية والسياسية من المسيحيين الذين خدموا وطنهم العراق داخل العراق وخارجه. ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر:

الدكتور مارسيل قسطنطين بيو الموصلي، المحامي حنا برصوم الموصلي، والعميد إيليا بطرس بوسا، العقيد فاضل خضر جبو، والمقدم الشهيد ناصر إيشوع مياسة، والمهندس ناصر بطرس جميل، والعقيد يعقوب دعبول، والطيار منير روفا، والطيار ناثر سارة، والدكتور العقيد في الشرطة الياس أيوب والدكتور ألبير الخواجا الياس، والدكتور نوئيل صقال، والدكتور نوئيل بطرس، والسيّد عبد الله خضر حجولا قائمقام قضاء الحمدانية، والدكتور يوسف عبد المسيح سكريا وأخوه الدكتور جلال عبد المسيح سكريا، وأخوهما الثالث المهندس بولس عبد المسيح سكريا. والآنسة بتول منصور قاشا مديرة الدائرة الزراعية في قضاء الحمدانية، والمحامي باسم إيشوع قصاب وغيرهم كثيرون.

87 ـ حَمَلة ـ الماجستير:

أما عن حملة رسالة الماجستير في العلوم والأدب والفن فهناك المئات من الشباب المسيحيين الذين تخصصوا ووضعوا طاقاتهم في خدمة العراق وطنهم الأصيل، وطن الحضارة الأصيلة. ومنهم: صبيح حبيب دنحا (كلية الهندسة) يقيم في هولندا ـ ميخائيل شعيا بقطر (فيزياء نووية) من جامعة بغداد (1983) فاضل سليم دنحا (طالب دكتوراه) بهنام مارزينا حجولا (آداب لغة إنكليزية) فرج حبيب عبا (علوم الأرض) فوزي حبيب باهينا (كيمياء 1984) عامر عبوش شموني (اقتصاد زراعي) جورج ياقين جحولا (جيولوجي) حازم

جبرائيل زكريا (هندسة كهربائية) صباح دانيال تمس (هندسة) سعد يعقوب موميكا (هندسة) فاضل يوسف قاشا (1998) الياس خضر هدايا (زراعة 1989) وريكاردوس يوسف بربر (مسرح 1989) حنا عزو حيصة (تاريخ 1989) حبيب قرياقوس البنا (طبيب) سامي يوسف جبريتا (فنون 1989) سعد مارزينا عبا (علوم الحياة 1990) يوحنا يوسف بوسا (علوم سياسية) (1990) أمل مجيد عنايي (فيزياء 1991) بشار عبد الجبار ياكو (هندسة 1991) عامر عزو شموعي (هندسة 1992) مثنى بهنام زكريا (علوم جيولوجية 1992) فرج نيسان تمس (كيمياء 1990) قصي مارزينا جحولا (هندسة 1992) إميل خضر كجو (طب وجراحة 1993) أنيس بهنام حداد (علم اللغة 1995) جورج بهنام اينا (علوم حاسيات 1996) أنور عبد الجبار ياكو (طب وجراحة 1997) فيرجين حنا زرا (إدارة أعمال 2001) نهى حبيب موميكا (علوم الرياضيات 2000) وغيرهم كثيرون[1].

---

(1) قصاب وعطا الله، نفس المصدر، ص 42 ـ 43.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب التراثية القديمة

1 ـ الأصفهاني ـ الأغاني ـ عدة مجلدات.

2 ـ ابن أبي أُصيبعة ـ عيون الأنباء ـ جزءان.

3 ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ عدة مجلدات. دار صادر ـ بيروت 1966.

4 ـ ابن آدم ـ الخراج.

5 ـ ابن العبري ـ التاريخ الكنسي ـ مجلدان.

6 ـ ابن العبري ـ مختصر تاريخ الدول ـ بيروت 1890.

7 ـ ابن النديم ـ الفهرست ـ القاهرة 1348 هـ.

8 ـ ابن الفقيه ـ مختصر البلدان.

9 ـ ابن خلدون ـ تاريخ ـ عدة أجزاء.

10 ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى.

11 ـ ابن بطريق ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق.

12 ـ ابن القيم الجوزية ـ أحكام أهل الذمة.

13 ـ ابن النقاش ـ المذمة في استعمال أهل الذمة.

14 ـ ابن زير القاضي ـ الشروط العمرية على أهل الذمة ـ مخطوط.

15 ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة 1932.

16 ـ ابن فضل الله العمري ـ مسالك الأبصار في الممالك والأمصار ـ القاهرة 1924.

17 ـ ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء.

18 ـ ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ عدة أجزاء. دار الصياد ـ بيروت 1968.

19 ـ أبو عبيد الله محمود المرزباني ـ معجم الشعراء ـ مصر 1354 هـ.

20 ـ أبو يوسف ـ الخراج.

21 ـ أبو عبيده ـ الأموال.

22 ـ أدي شير ـ التاريخ السعودي ـ لمؤلف مجهول.

23 ـ البلاذري ـ فتوح البلدان.

24 ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف.

25 ـ إيليا برشينايا ـ المجالس السبعة ـ مخطوط.

26 ـ إيليا برشينايا ـ تاريخ ـ نشرة الأب الدكتور يوسف حبي ـ بغداد 1975.

27 ـ أبي البركات ابن كبر القبطي ـ مصباح الظلمة في إيضاح المذمّة ـ القاهرة 1917.

28 ـ البكري ـ معجم ما استعجم.

29 ـ البيهقي ـ صوان الحكماء.

30 ـ التوحيدي ـ كتاب الإمتاع والمؤانسة.

31 ـ الجاحظ ـ البيان والتبيين.

32 ـ الجاحظ ـ الحيوان.

33 ـ الجاحظ ـ التاج.

34 ـ الجاحظ ـ ثلاث رسائل.

35 ـ حاجي خليفة ـ كشف الظنون.

36 ـ الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ـ عدّة مجلدات.

37 ـ الدميري ـ حياة الحيوان.

38 ـ الدينوري ـ الأخبار الطوال.

39 ـ الشابشتي ـ الديارات ـ نشره وحققه الأستاذ كروكيس عواد ـ بغداد 1951.

40 ـ الصابىء ـ تاريخ الوزراء.

41 ـ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ـ عدة مجلدات.

42 ـ ماري بن سليمان ـ أخبار فطاركة كرسي المشرق.

43 ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ أربعة مجلدات.

44 ـ المسعودي ـ التنبيه والإشراف.

45 ـ المقريزي ـ السلوك.

46 ـ ميخائيل السرياني الكبير ـ تاريخ ـ طبعة شابو. ترجمه لي والدي بطرس قاشا.

47 ـ القفطي ـ أخبار الحكماء.

48 ـ قدامة بن جعفر ـ الخراج وصناعة الكتاب.

49 ـ القلقشندي ـ صبح الأعشى.

50 ـ عمرو بن متى ـ أخبار فطاركة كرسي المشرق.

51 ـ عبد المسيح الكندي ـ رسالة ـ إلى الهاشمي.

52 ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ عدّة مجلدات. طبعة ثانية 1966.

53 ـ اليعقوبي ـ تاريخ.

54 ـ الخالدي ـ مسالك الأبصار.

55 ـ شمس الدين محمد ـ البدور المسفرة ـ حققه ونشره هلال ناجي ـ 1975.

56 ـ البيروني ـ الآثار الباقية.

57 ـ الرهاوي المجهول ـ تاريخ الزمنة بالسريانية ـ ترجمه لي والدي الشماس بطرس قاشا.

58 ـ ديونوسيوس التلمجري ـ تاريخ بالسريانية ترجمه لي والدي بطرس قاشا.

59 ـ ابن العبري ـ تاريخ الزمان ـ بالسريانية ترجمه لي والدي بطرس قاشا.

ثانياً: الكتب التاريخية الحديثة:

1 ـ أحمد أمين ـ فجر الإسلام.

2 ـ أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ـ مجلدان.

3 ـ أبروهوم نورو ـ جولتي.

4 ـ الألوسي ـ بلوغ الإرب.

5 ـ أفرام برصوم (البطريرك ـ اللؤلؤ المنثور. حلب 1943).

6 ـ أحمد السقا ـ الأوراق.

7 ـ إدي شير ـ تاريخ كلدو وآشور.

8 ـ إدي شير ـ شهداء المشرق.

9 ـ إقليميس يوسف داود ـ مختصر تواريخ الكنيسة.

10 ـ إسماعيل مظهر ـ تاريخ الفكر العربي.

11 ـ ابن عبد الحكيم ـ سيرة عمر بن عبد العزيز.

12 ـ بولس سباط ـ الفهرس.

13 ـ بطرس نصري (الأب) ـ ذخيرة الأذهان ـ مجلدان.

14 ـ جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ عشرة أجزاء.

15 ـ جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الإسلامي ـ خمسة أجزاء.

16 ـ جرجس يعقوب ـ رسائل دينية قديمة.

17 ـ حسن محمد ـ الإسلام والحضارة الإسلامية.

18 ـ حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي.

19 ـ الخربوطلي ـ الإسلام وأهل الذمة.

20 ـ الخربوطلي ـ تاريخ العراق.

21 ـ روفائيل بابو إسحاق ـ أحوال نصارى العراق، بغداد 1948.

22 ـ روفائيل بابو إسحاق ـ تاريخ نصارى بغداد ـ بغداد 1961.

23 ـ روفائيل بابو إسحاق ـ مدارس العراق قبل الإسلام.

24 ـ روفائيل بيداويذ ـ رسائل البطريرك النسطوري طيماثاوس الأول.

25 ـ رفاعي ـ عصر المأمون.

26 ـ سليمان الصائغ (المطران) ـ تاريخ الموصل ـ ثلاثة أجزاء ـ بيروت 1923 ـ 1956.

27 ـ سيدة كاشف ـ الوليد بن عبد الملك.

28 ـ سيد أمير علي ـ مختصر تاريخ التمدن الإسلامي.

29 ـ صبحي الصالح ـ النظم الإسلامية.

30 ـ الزركلي ـ الاعلام ـ الأجزاء.

31 ـ طه الهاشمي، خالد بن الوليد في العراق.

32 ـ لويس شيخو ـ شعراء النصرانية قبل الإسلام.

33 ـ لويس شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام.

34 ـ لويس شيخو ـ النصرانية وآدابها.

35 ـ لويس شيخو ـ مجاني الأدب ـ ستة أجزاء.

36 ـ لويس شيخو ـ المخطوطات العربية لكتبة النصرانية.

37 ـ ميخائيل عواد ـ دير قني.

38 ـ ماجد ـ التاريخ السياسي للدولة العربية.

39 ـ محمود شيت خطاب ـ قادة فتح العراق والجزيرة.

40 ـ محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية.

41 ـ المدور ـ حضارة الإسلام في دار السلام.

42 ـ محمد كرد علي ـ الإسلام والحضارة العربية.

43 ـ كوركيس عواد ـ خزائن الكتب القديمة في العراق.

44 ـ كيرللوس حداد ـ عيسى بن زرعة ـ بيروت 1917.

45 ـ فيليب حتي ـ تاريخ العرب ـ جزءان.

46 ـ فيليب دي طرازي ـ عصر السريان الذهبي.

47 ـ يوسف غنيمة ـ الحيرة، بغداد 1936.

48 ـ يوسف يعقوب مسكوني ـ نصارى كسكر.

49 ـ يحيى الخشّاب ـ التقاء الحضارتين الفارسية والعربية.

50 ـ الزيات ـ الديارات النصرانية في الإسلام، دار المشرق، بيروت، 1999.

51 ـ أحمد سوسة ري سامراء ـ الجزء الأول.

52 ـ البطريرك أفرام برصوم ـ لمعة في تاريخ الأمة السريانية في العراق.

53 ـ مؤلف مجهول ـ تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية نشره المطران بطرس عزيز ـ بيروت 1907.

54 ـ كوركيس عواد ـ معجم المؤلفين العراقيين ـ ثلاثة أجزاء ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد 1969.

55 ـ حميد المطبعي ـ موسوعة ـ أعلام العراق في القرن العشرين ـ ثلاثة أجزاء ـ بغداد 1998.

5 ـ الدكتور صباح نوزي المرنزوك ـ معجم المؤلفين العراقيين ـ ثمانية أجزاء ـ دار الحكمة ـ بغداد 2002.

57 ـ الأب لويس قصاب والدكتور بهنام عطا الله ـ حضارتنا تجدد وإبداع ـ الموصل 2001.

ثالثاً: كتب المستشرقين:

1 ـ أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام.

2 ـ إدوار ساخو ـ كتاب الفقه السرياني.

3 ـ بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي.

4 ـ بارتولد ـ الحضارة الإسلامية.

5 ـ ترتون ـ أهل الذمة في الإسلام ـ ترجمة حسن حبشي.

6 ـ جماعة المستشرقين ـ تراث الإسلام ـ ترجمة جرجس فتح الله.

7 ـ جبور ـ السريان في المجتمع الإسلامي.

8 ـ ريسلر ـ الحضارة الإسلامية.

9 ـ روم لاندو ـ والعرب الإسلام.

10 ـ ديورانت ـ قصة الحضارة ـ عدّة أجزاء.

11 ـ دوفال ـ الآداب السريانية.

12 ـ دوزي ـ نظرات في تاريخ الإسلام.

13 ـ دوزي ـ الحركات الفكرية في الإسلام.

14 ـ ديوجين ـ النظم الإسلامية.

15 ـ لوبون ـ حضارة العرب.

16 ـ لسترنج ـ بغداد في عهد الحكومة العباسي.

17 ـ متز (آدم) ـ الحضارة الإسلامية.

18 ـ السمعاني ـ المكتبة الشرقية.

19 ـ سيديو ـ تاريخ العرب العام.

20 ـ كلود كاهن ـ الفنون الإسلامية.

21 ـ فلهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها.

22 ـ فون كريمر ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد الخلفاء.

23 ـ فون كريمر ـ تاريخ الموسيقى العربية ـ ترجمة جرجس فتح الله.

24 ـ غراف ـ تاريخ الأدب المسيحي العربي.

25 ـ فان فلوتن ـ السيادة العربية.

رابعاً: المجلات التاريخية:

1 ـ مجلة المشرق ـ بيروت.

2 ـ مجلة النجم ـ الموصل.

3 ـ المجلة البطريركية ـ القدس.

4 ـ مجلة بين النهرين ـ الموصل.

5 ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد.

6 ـ مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق.

7 ـ مجلة المشرق ـ الموصل 1940 ـ 1947.

8 ـ مجلة لسان المشرق ـ الموصل 1949 ـ 1952.

9 ـ مجلة المسرة ـ بيروت.

10 ـ مجلة الوحدة ـ بيروت.

11 ـ مجلة كلمة الشرق ـ باريس.

12 ـ مجلة الشرق السريانية ـ الفرنسية.

13 ـ مجلة إيزيس.

14 ـ مجلة الضياء.

15 ـ مجلة أربيكا ـ الفرنسية.

16 ـ مجلة اللغات السامية ـ شيكاغو.

17 ـ مجلة الكتاب ـ بغداد.

18 ـ مجلة المؤرخ ـ بغداد.

19 ـ المجلة الآسيوية ـ الفرنسية.

ملاحظة:

نعتذر عن عدم ذكر الاسم الكامل للمؤلفين خاصة للكتب التراثية التاريخية وكذلك نعتذر عن عدم ذكر تاريخ ومحل طبع الكتب، وذلك لعدم توفّرها بالكامل لدينا. فاقتصرنا على ذكر ما ذكرنا. مع الاعتذار لبعض الأخطاء المطبعية التي لا تخفى على القارىء الكريم. علماً أن هناك مصادر أخرى لم تذكر في هذه القائمة إنما ذكرناها في الهوامش والحواشي.

والله ولي التوفيق.

كلمة أخيرة

أخي العراقي الكريم،

استعرضت معي من خلال صفحات الكتاب المتواضع هذا، والذي بين يديك تاريخاً شاملاً للمسيحيين في العراق ماضياً وحاضراً بميادينه الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية في آنٍ واحد. وقد وضعتها في مرحلتين متميزتين.

الأولى: فترة الدولة العربية الإسلامية بعهودها الثلاثة: الراشدي والأموي والعباسي. وأظهرنا فيها كيف أن المسيحيين كانوا حَمَلة مشعل الحضارة والمدنية والتطور العلمي والمعرفي - في المجتمع الإسلامي - في مختلف الميادين، فكانوا القادة وصُنّاع الحضارة العربية الإسلامية بمختلف ميادينها الفلسفية واللاهوتية (علم المنطق وعلم الكلام) والرياضيات، والفلك، والصيدلة، والكحالة، والطب الباطني، حتى الأعصاب وعلم النفس عن طريق النقل والترجمة والتأليف والاختبار. فهم بهذا والحق يقال صانعو الحضارة ورافعو لواءها بين الخافقين لمدة سبعة قرون كاملين.

والثاني: أردنا أن نظهر وطنية المسيحيين منذ قيام الحكم الوطني بملوكية فيصل الأول (23 آب 1921) وإلى سقوط بغداد الثاني (9 نيسان 2003) وما قدّموه كطبقة متميزة تحمل لواء الأمانة والإخلاص تحت شعار المحبة والفداء والمواطنة الصالحة. مما جعلهم أقرب الناس إلى المسؤولين ملوكاً ورؤساء وأحبّهم إلى العامة، لبذلهم كل ما في وسعهم وطاقتهم لخدمة الأمة والوطن الذين

عاشوا معها وفيه أجداداً وأحفاداً، وإدائهم ما يوكل إليهم خير إداء بخصائلهم الحميدة والنهج بسبلهم المستقيمة حيث قدموا أثمن ما يملكون وأسماه لأمة العراق، وهل أغلى من الأمة والعراق الذي استشهدوا فداء له؟؟

من هنا، ومن هذا المنطلق، أتوجّه إلى أبناء العراق وطني، سيما المسلمين منهم، وأنا متيقن ومقتنع أنهم ليسوا هم العراقيون الأصيلون الذين منذ 1425 سنة عاشوا متحابين، متعاونين، عاملين يداً بيد (مع إخوانهم المسيحيين) لرفع اسم العراق عالياً، وتأصيلاً (للعرقنة) إن صحّ التعبير بجذور متجذّرة بين وعلى ضفاف دجلة، والفرات الخالدان، لينبتوا نخلاً صامداً، ورطباً ناضجاً، وطاقة فاعلة، وقدرة نامية، للبناء علماً وأدباً فوق زقورات الحضارة، وصراوح التطور للعراق الصامد. فكتبت ـ بعجالة ـ عن دور المسيحيين في بناء العراق الحديث، وهنا أعتذر من الكثيرين الذين لم أذكر أسماءهم في هذا المجال لعدم توفر المصادر من فهارس وتراجم العراقيين الأعلام، وأنا بعيد عن العراق في لبنان منذ عقد ونصف. فاعتمدت على ذاكرتي المتواضعة وبعض من صفحات المجلات والصحف العراقية. على أنني اليوم في طريق إنجاز مجلدين ضخمين بهذا المجال (دور المسيحيين العراقيين في بناء العراق الحديث) المجلد الأول (1800 ـ 1900) والثاني (1901 ـ 2000) وهنا نناشد من يكتب لنا بهذا التاريخ نكون نحن له من الشاكرين.

وعليه، نأمل أن يُوفّقنا الله تعالى في إنجاز هذا المشروع الجليل بهدف خدمة العراق وشعبه الكريم العظيم مسلمين ومسيحيين وأقلّيات. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وكونوا عباد الله إخوناً والله ولي التوفيق.

لبنان

دير يسوع الملك

26 حزيران 2008

صور حضارة مشرقة ومتجذّرة بالصور الكبرى للعراق العريق، من خلال العلاقات الأخوية بين سكان العراق العربي الأصيل، مسلمين ومسيحيين وسائر أبناء المذاهب والمجد الواحد.

هذه «اللمحات» التي استقيتها من بطون المصادر العربية الأصيلة، ما هي الا تأكيد بأن الاسلام بكتابه الكريم خصّ بأهل الكتاب مكانة مرموقة على عهد خلفاء الدولة العربية الإسلامية عبر العصور، بالمواثيق والعهود التي أبرموها مع رؤسائهم الروحانيين، الذين كانوا يتمتعون بصداقات عميقة معهم حيث كانت تجمعهم المجالس والمناسبات العامة والخاصة.

كثيرة هي الاتهامات الملفّقة التي توجّه الى المسلمين وخلفائهم من قبل مؤرخي الغرب وأتباعهم من أنهم كانوا يظلمون أهل الذمّة من المسيحيين واليهود وغيرهم، وأغلبها اتهامات مزورة.

لهذا أتيت بكتابي هذا شارحاً ومدققاً، داحضاً ومحققاً، لإثبات العكس، وتوضيح تلك العلاقات الأخوية بين المسلمين والمسيحيين، بحسب الإسلام وكتابه الكريم، وما منحه لهم من التسامح والترابط بينهم على صعيد الأخوة والإيثار، والعمل الواحد في الوطن الواحد.

إن بعض الظلم، ونقض البراءات التي أنزلها بعض الخلفاء والولاة بأهل الذمة في فترات مزاجية وعصبية ليس معناه أن الاسلام يدعو إلى الظلم، إنما إلى التصرف الفردي للخليفة، ولا يدلّ مباشرة على أن السلطة بكاملها وعلى مرّ التاريخ قد نهجت هذا النهج الخاطئ.

من هنا، وعليه، بدا عملنا الدؤوب لنظهر العلاقة الطيبة والمتينة بين شرائح مجتمع الدولة العربية الاسلامية بالمستوى المعيشي والاجتماعي والثقافي الذي بلغته أهل الديانات الأخرى مع رجال الدولة المسلمين، فلقد تبوّأ أبناء هذه الديانات مكانات سامية في المناصب العليّة، أطباء ومهندسين، كتّاب ومترجمين، أرباب أعمال وحرفيين، كما توضحه هذه «اللمحات» التاريخية الزاهية بأحداثها المتباهية، التي نضعها بين يديك أيها القارئ الكريم.

6349

دار الوراق للنشر

Alwarrak Publishing ltd.